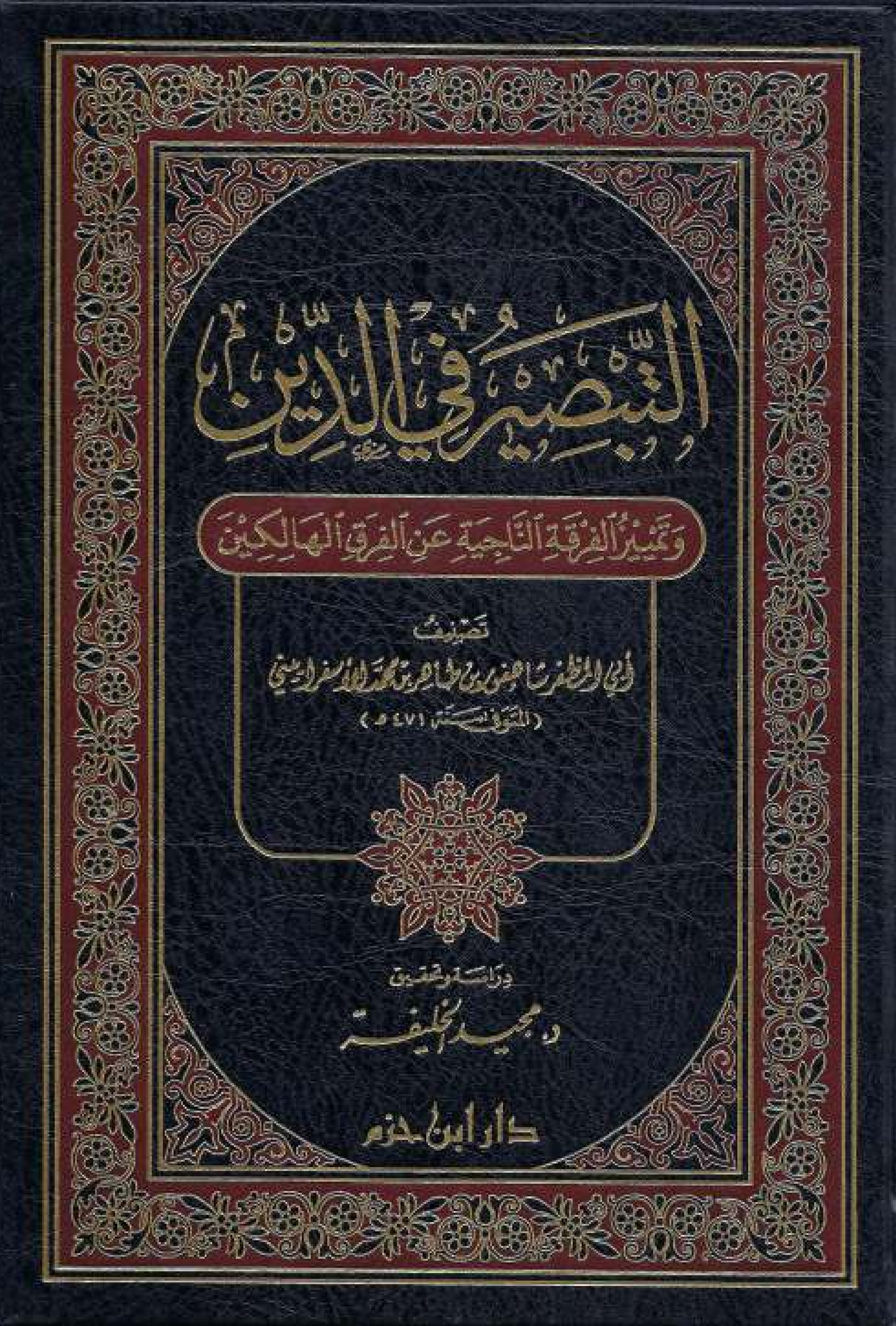
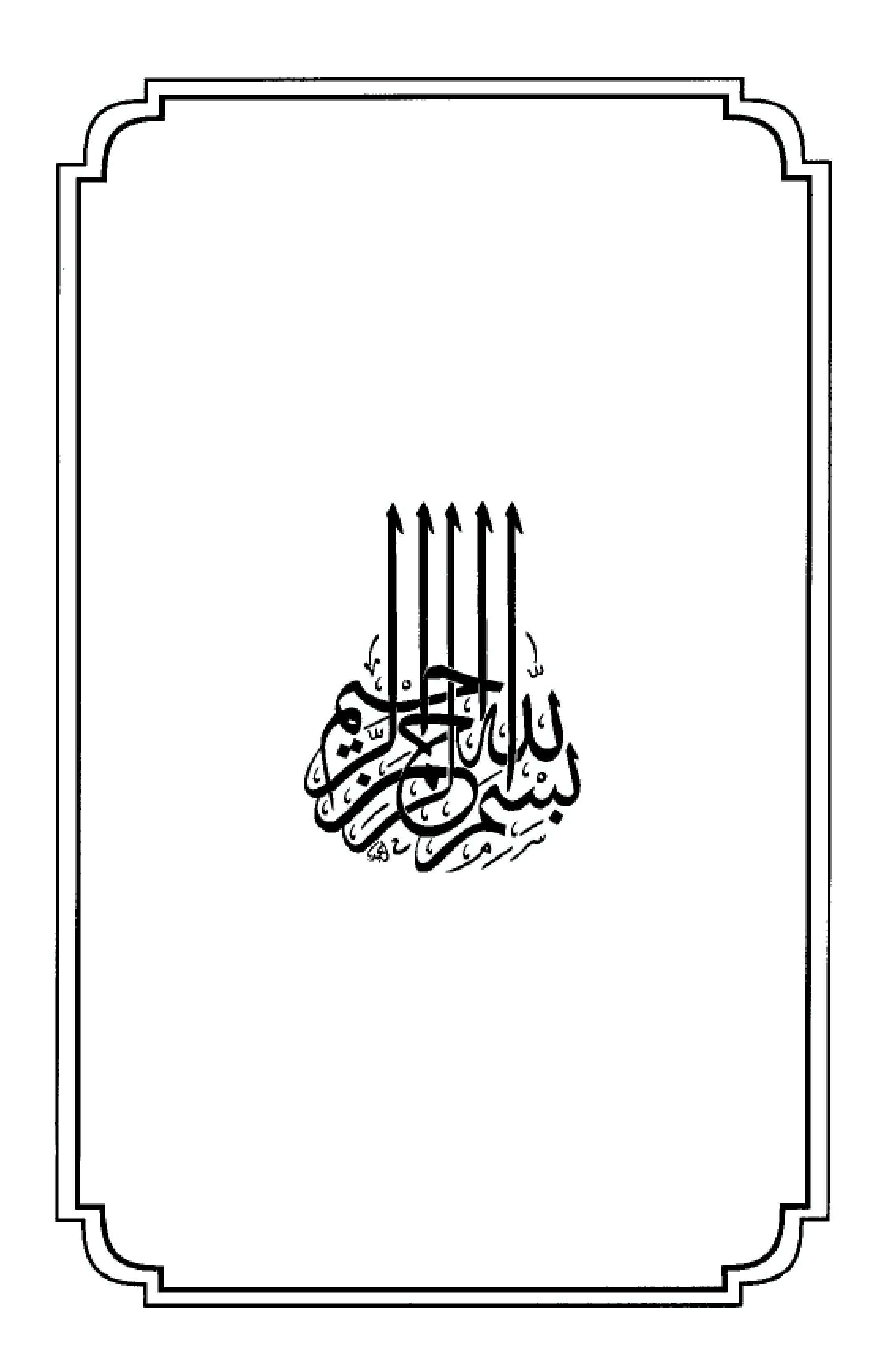

التبصير في الدين
وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين
تصنيف
أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني
(المتوفى سنة ٤٧١ هـ)
دراسة وتحقيق
د. مجيد الخليفة
دار ابن حزم


بسم الله الرحمن الرحيم

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تصنيف

أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني

(المتوفى سنة ٤٧١ هـ)

دراسة وتحقيق

د. مجيد الخليفة

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



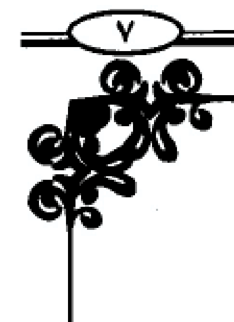
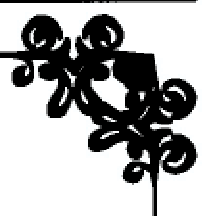
ISBN 978–9953–81–667-8

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



الإهداء

إلى عبدالعزيز بن حسن آل عبدالعزيز، الذي أحببناه في الله عز وجل، ونسأل الله تعالى كما جمعنا على محبّته في الدنيا أن يسكنا جنته في الآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾.

أما بعد:

فإن مكمن الخلل الذي بدأ يتسرب إلى جسد الأمة الإسلامية يرجع بالدرجة الأساس إلى الانحراف العقائدي الذي تبنته بعض الفرق والجماعات الإسلامية، مما ألقى بظلاله القاتمة على المسار المستقيم لحاضر ومستقبل الأمة، ولا يمكن بطبيعة الحال أن نعالج أسباب هذا الانحراف دون العودة إلى الأسس التي يستند عليها هذا الدين الحنيف، الذي أسس لنا القواعد المتينة لحياة كريمة، قائمة على الألفة والمحبة، والتعاون على البر والتقوى،

ونبذ التناحر والاختلاف الذي يوهن جسد الأمة، ويهدر قدراتها المادية والمعنوية، وهو الذي نحاول أن نبينه من خلال مقدمتنا هذه.

ومما لا شك فيه أن التوحيد هو العنصر الأهم في حياة الإنسان، سواء كان مسلماً أم غير مسلم، ويمثل الانحراف عن التوحيد انحرافاً عن مقومات الحياة برمتها، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن المنهج الذي يمكن أن يصحح هذا الانحراف لا بدَّ أن يستند إلى خبرة نبوية متكاملة، قد تتخطى تجربة النبيّ الواحد، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣]، وقال جلَّ شأنه أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا۟ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]، والآيات في هذا الباب معلومة.

فالسبب الذي من أجله ذكّر الله تعالى نبيّه ﷺ بالنبيين من قبله، هو إقامة شرع الله تعالى، ذلك أن إقامة الدين تعني الوقاية من الانحراف، ولذلك أخبر جلَّ شأنه أنه شرع لنا ما وصى به نوحاً والنبيين من بعده، والذي أوحاه إلى محمد ﷺ يتضمن[1]:

أن يكون ما أوحاه إلى محمد ﷺ يدخل في شريعته التي تختص بنا، فإن جميع ما بُعث به ﷺ قد أوحاه إليه من الأصول والفروع، بخلاف نوح وغيره من الرسل، فإنما شرع لنا من الدين ما أوصوا به، من إقامة الدين، وترك التفرق فيه، والذي اتفقوا عليه هو الأصول، قال تعالى في هذا

(١) مجموع الفتاوى: ١٥/١.

الباب: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]، فأهم أصل وأول أمر أُمر به الأنبياء ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ هو إقامة التوحيد الخالص لله تعالى، فإن أعظم انحراف يمكن أن يقع في حياة البشرية كلها هو الشرك بالله تعالى، والذي يؤدي بدوره إلى التناقض الصارخ في مقومات الحياة برمتها، وإليه أشار النبيّ ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل شأنه: **«وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»**[1].

فالآية التي نحن بصددها تضمنت ـ كما يقول شيخ الإسلام ـ أشياء:

١ ـ أنه شرع لنا الدين المشترك، وهو الإسلام والإيمان العام والدين المختص بنا، وهو الإسلام والإيمان الخاص.

٢ ـ أنه أمر بإقامة هذا الدين كله المشترك والمختص، ونهانا عن التفرق فيه.

٣ ـ أنه أمر المرسلين بإقامة الدين المشترك ونهاهم عن التفرق فيه.

٤ ـ أخبر الله تعالى أن تفرق أهل الكتاب كان بعد مجيء العلم الذي بيّن لهم ما يتقون.

٥ ـ إن نقض الميثاق يؤدي إلى التفرق الذي حذر القرآن الكريم منه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤]، فعندما تركوا بعض ما أمروا به، كان ذلك سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم.

(١) صحيح مسلم: رقم ٢٨٦٥.

ونجد ـ مع شديد الأسف ـ أن أعظم مظاهر الانحراف في الأمة وأخطرها، هي الانحراف عن توحيد الله تعالى، فأصبح الانحراف في الأصول من أهم مظاهر العداوة والبغضاء التي تهدد كيان الأمة، وقد نبه العلماء قديماً على هذه الأزمة الخطيرة التي تحيق بالدين الحنيف، يقول عبدالقاهر البغدادي ـ وهو بصدد الكلام التفريق بين الاختلاف في الأصول والفروع ـ: «قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب؛ لأن المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضاً، بخلاف النوع الأول، فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف»[١].

ومما لا شك فيه أن العداوة تقع بين الطائفتين بسبب ترك ما أمروا به من خالقهم جل شأنه، فيقع البغي والظلم من واحدة على الأخرى، والظلم: هو مجاوزة الحد، أما البغي فهو قد يكون بالتعدي على الخالق في كمال صفاته، أو سلبه ما يليق بذاته، وإليه أشار النبيّ ﷺ في الحديث القدسي: **«قال الله تعالى: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولداً»**[٢]، وتارة قد يقع البغي بين العباد، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، والبغيان متلازمان، فإن وقع بغيٌّ من العبد تجاه

---

(١) الفرق بن الفرق: ص ٧.

(٢) صحيح البخاري: رقم ٤٢١٢.

ربه جلَّ شأنه، فلا بد أن يترتب عليه بغي تجاه الخلق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب: «وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به والبغي بينهم، ونتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه، ونتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته، وسواد الوجوه وبراءة الرسول ﷺ منهم، وهذا أحد الأدلة على أن الإجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة لله ورحمته بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد أو قول أو عمل، فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به، لم يكن ذلك طاعة لله ولا سبباً لرحمته»[1].

حديث الافتراق:

لقد فصّل النبيّ ﷺ في الحديث المشهور أن التفرق حاصلٌ في هذه الأمة لا محالة، وأرشدنا لطريق النجاة التي تعصم الأمة ـ أفراداً وجماعات ـ من الانحراف والتفرق والتشتت، فقال في الحديث المشهور: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار**، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: **الجماعة»**[2]، وفي رواية قال: **«من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[3]، وأول ما يمكن ملاحظته على هذا الحديث الشريف أنه ربط بين افتراق هذه الأمة والأمم السابقة، بعبارة أخرى، كما أن الأمم السابقة قد افترقت وتشتت في باب العقيدة، فإن هذه الأمة ستفرق، ولكن لها النجاة إن هي تمسكت بالترياق الشافي المنجي من هذه المحنة، وهو قوله ﷺ: **«من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**، وقد

---

(١) مجموع الفتاوى: ١/١٧.

(٢) سنن ابن ماجه: ٢/١٣٢٢؛ الطبراني، المعجم الكبير: ١٨/٧٠.

(٣) الطبرني، المعجم الأوسط: ٨/٢٢.

تعددت أراء الناس بهذا الحديث، وكثرت الأهواء فيه، حتى صنفت الكتب في تعداد الفرق والنِحل التي تفرق فيها المسلمون، إلا أن الحديث بعمومه يدل على أن أهل السنَّة والجماعة هم المعنيون بهذا الحديث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ﷺ، بل يجعلون ما بعث به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه»[١].

وللقارئ أن يتساءل: ما هي الأسباب التي أدت إلى الانحراف العقائدي في جسد الأمة؟

فنقول ـ وبالله تعالى التوفيق ـ: إن الأدلة الشرعية قد جاءت متواترة معنوياً على ظهور الانحراف، كما دلت في الوقت نفسه على سبل الوقاية منه وعلاجه وفق شرع الله تعالى:

أولاً: الانحراف في السياسة الشرعية: كان الانحراف السياسي أول انحراف عقائدي يظهر في هذه الأمة، وهو الأمر الذي أشارت إليه السنة النبوية، فعن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية، أسمعت النبيّ ﷺ يذكرها؟ قال: لا أدري ما الحرورية، ولكني سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**يخرج في هذه الأمة** ـ ولم يقل منها ـ **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله**

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٧.

إلى رصافه، فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء؟»[١]. وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا الحديث يشير إلى ظهور الخوارج بعد وفاته ﷺ[٢]، والمطلع على تاريخ الخوارج يدرك أن الفكر السياسي الخارجي كان من أكثر الانحرافات السياسية في جسد الأمة، ويعود السبب في ذلك ـ بتقدير ابن حزم الظاهري ـ إلى غياب الوعي الفقهي، والأساس المنهجي: «فالخوارج كانوا أعراباً قرؤوا القرآن قبل أن يتفقوا في السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولم يكن فيهم أحدٌ من الفقهاء ولا الصحابة... ولهذا تجدهم يكفّر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها»[٣]، والفكر الخارجي هو فكر متجدد في تاريخ الأمة، يظهر في حقب تاريخية متباينة، ويعود ذلك بالدرجة الأساس ـ بتقديرنا ـ إلى الفهم القاصر للولايات الشرعية عند هذه الجماعات، والذي يؤدي بدوره إلى الخروج عن جماعة المسلمين، وعندئذ يقع المحذور الشرعي الذي حذر منه النبيّ ﷺ، ففي حديث زيد بن ثابت: **«ثلاث لا يغلُّ عليهن صدر مسلم: إخلاص العمل لله عزَّ وجلَّ، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم»**[٤]، فقد جمع في هذا الحديث الخصال الثلاث، إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنظم مصالح الدنيا والآخرة، فإن فقدت من المجتمع الإسلامي، أدى ذلك إلى انحراف عظيم فيه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقد ذكر المفسرون أخباراً كثيرة في نسبة هذه الآية إلى طائفة معينة، فقيل إن هذه الآية نزلت في حق اليهود

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء: رقم ٣١٦٦؛ مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: رقم ١٠٦٤. واللفظ للأخير.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٦٩/٨.

(٣) الفصل في الملل والأهواء: ٢٣٧/٤.

(٤) مسند الإمام أحمد: ١٨٣/٥.

والنصارى، وروي عن النبيّ ﷺ أنها في أهل البدع من هذه الأمة، وعن ابن عمر أنها في حق الخوارج، وكل هذا غير ثابت من حيث الإسناد[(١)]، قال ابن كثير ـ بعد أن أورد هذه الأخبار ـ: «والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه وكانوا شيعاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات»[(٢)]، وهذا المعنى الذي ذكره ابن كثير (رحمه الله) هو الأقرب إلى معنى الآية؛ لأن الخطاب عام ولم يأتِ تخصيص فيه، والذي يعضد هذا الكلام هو إشارة القرآن الكريم إلى أن تفرق أهل الكتاب كان بعد مجيء العلم الشرعي، والأساس المنهجي المتين: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ٤]، قال القرطبي: «البينة الواضحة، والمعني به محمد ﷺ، أي القرآن موافقاً لما في أيديهم من الكتاب بنعته وصفته، وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوته، فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا، فمنهم من كفر بغياً وحسداً، ومنهم من آمن كقوله: تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤] ثم ذكر (رحمه الله) ثلاث مسائل متعلقة بهذه الآية[(٣)]:

١ ـ إن أهل الكتاب ما أمروا إلا ليعبدوا الله تعالى مخلصين له الدين، وهذا يشمل أعمال الجوارح والقلوب، فإن الإخلاص أساس العمل وقوام الدين.

٢ ـ قوله تعالى ﴿حُنَفَآءَ﴾، أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وكان ابن عباس يقول: حنفاء على دين إبراهيم عليه السلام.

٣ ـ ثم أمروا بإقامة الصلاة بحدودها وأوقاتها، وإيتاء الزكاة: أي يعطوها في محلها: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، أي: الدين المستقيم،

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢٩/٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٢.

(٣) تفسير القرطبي: ١٤٤/٢٠.

وقال الزجاج: أي ذلك دين الملة المستقيمة، والقيمة: نعت لموصوف محذوف، أو يقال: دين الأمة القيمة بالحق، أي: القائمة بالحق.

والذي يمكن تقريره في هذا المقام؛ أن أسباب الافتراق في الأمم واحدة، وإن اختلفت التفاصيل من أمة لأخرى، فيحدث الزيغ والانحراف، والذي بدوره يؤدي إلى تفرق الأمة إلى فرق وطوائف وكل هذا بسبب الانحراف عن الحنيفية السمحة.

بقي أن نشير إلى أن التقريرات المتقدمة تنطبق على بعض الجماعات الإسلامية التي ظهرت في العصر الحديث، واتخذت العنف ضد المخالف وسيلة لبلوغ الهدف، وغاية لنيل المرام، ولو أن هؤلاء ـ هداهم الله ـ رجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، لما حدث ذلك الخلل العظيم في استباحة دماء المسلمين بغير حق، وفي رفع السلاح بوجه ولاة الأمور، الأمر الذي أدى إلى إحداث تصدعات لا يستهان بها في جسد الأمة، فانشغلت بنفسها عن أعدائها، وتشتت جهود الدعوة فيها، وضاعت الحقوق العامة، وضياع الحقوق نتيجة وسبب في آنٍ واحد للفرقة والاختلاف، وهذه الحقوق: «نوعان:

رعاة ورعية، فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعاً، فهذه الخصال تجمع أصول الدين، وقد جاءت مفسرة في حديث تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]، فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، هي مناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة

---

(١) صحيح مسلم: رقم ٥٥.

لكل واحد واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين»[1].

ثانياً: الانحراف في الأسماء والصفات: إن هذا الانحراف قد حصل في هذه الأمة، كما حصل في الأمم السابقة، فإن الله تعالى أمر عبيده بمعرفته بذاته ونعوته، وعدله وحكمته، وكماله في صفاته ونفوذ مشيئته، ولن تكامل المعرفة بهذا كله إلا بنفي النقائص عنه، وإثبات أوصاف الكمال له، من غير أن يشوبه شيء من بدع المبتدعين وإلحاد الملحدين، ولا يتم ذلك إلا بالنظر إلى ما وقع من انحراف في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]، والغلو: هو تجاوز الحد المقصود منه، من إنزال الأنبياء منازلهم، وقد غلت اليهود بالعزير، وغلت النصارى بالمسيح ابن مريم، ومنه قول رسول الله ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[2].

والناظر في أحوال الفرق الإسلامية ـ خاصة المعتزلة والجهمية والمرجئة ـ يجد أن عظيم الانحراف قد حصل في مبحث الأسماء والصفات، وتقديس الأولياء والصالحين، وصرف أنواع من العبادات لهم، مع أن الله تعالى قد أمر الناس كافة بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي جمعت بين النفي والإثبات، وقدم النفي على الإثبات ليعلم أن الإثبات لا يتكامل إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته، وهكذا جمع الله تعالى بين النفي والإثبات في سورة الإخلاص، وروي عن ابن عباس أن: «الصمد: هو المستحق للكمال، وهو السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكم الذي قد كمل

(١) مجموع الفتاوى: ١٩/١.

(٢) صحيح البخاري: رقم ٣٢٦١.

في حكمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الشريف الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه وتعالى»[١]، وهذه الصفة لا ينبغي أن تكون إلا لله تعالى، فانحرف عن هذه القاعدة الجليلة طوائف من المسلمين، ونسبوا لله تعالى صفات لا يستحل أن يتصف بها، خاصة من شبه الله تعالى بالمخلوق في صفاته وأفعاله.

ولا يسع المقام هنا لاستعراض آراء العلماء في تعداد فرق هذه الأمة، ويمكن الرجوع إلى كُتب (الملل والنحل) خاصة كتاب عبدالقاهر البغدادي، وابن حزم الظاهري، والشهرستاني وغيرهم، ورغم أن معظم هذه المؤلفات كانت عبارة عن استعراض للفرق التي ظهرت في القرون الثلاث الأولى من تاريخ الإسلام، إلا أن كثرة العقائد في تلك الحقبة تعطي تصوراً عن الخطر الذي يلحق بالأمة إن حصل انحراف عقدي بين أبنائها، كما حصل في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]، فالآية الكريمة تشير هنا إلى أن انحراف اليهود عن توحيد الله تعالى، ونسبة النقص إليه، قد أدى إلى تفرقهم وتناحرهم إلى يوم القيامة: «ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم، لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها، فالملكية تكفر اليعقوبية، وكذلك الآخرون، وكذلك النسطورية والآريوسية، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»[٢]، وعند مقارنة ذلك بما حصل في هذه الأمة

(١) مجموع الفتاوى: ٣٥٣/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤/٢.

نجد ذلك واضحاً، خاصة في الفرق الإسلامية التي خاضت في مباحث الأسماء والصفات، ومسائل الاستطاعة الإرادة، والقول بخلق أفعال العباد، وخلق القرآن، فحصلت الفرقة بسبب هذه الآراء الجديدة على دين الإسلام، وإنما كان فيها أتباع لمذهب الفلاسفة والفسفطائيين، ولم يحدث النزاع والاختلاف بين هذه الفرق وأهل السنَّة والجماعة، بل إن ذلك حدث بين علماء هذه الفرق نفسها، كما يروى أن سبعة من كبار علماء المعتزلة اجتمعوا في مجلس واحد، وتناظروا في أن الله تعالى: هل يقدر على ظلم وكذب يختص به؟ فافترقوا من ذلك المجلس، وكل واحدٍ منهم كان يكفر الباقين[(١)].

إن إدراك الشر لا بدَّ منه لمعرفة سبيل الخير، فقد خلق الله تعالى الأهواء والزيغ والبدع فتنة للناس، وبين من خلال القرآن الكريم ورسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم الصراط المستقيم المنجي من تلك الشرور، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وذهب جمهور المفسرين إلى أن الصراط المشار إليه في هذه الآية هو الدين، فالدين بيّنٌ واضحٌ لمن أراد الحق، والسير على صراط مستقيم، لكن ذلك لا يعني العصمة من الانحراف والزيغ، ووقوع التفرق في جسد الأمة، فالعصمة تكون في طاعة الجماعة السائرة على هدي النبوة، ومن يبتعد عن الجماعة، فما له من الله من عاصم، وهو الذي يفهم من حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «**سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدةً، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»[(٢)]، وهذا ما نلاحظه عند غياب الهدي النبوي الشريف عن الأمة المسلمة في حقبٍ متعددة من تاريخها، ، فقد ولّد العداوة والبغضاء بين المسلمين، وربما ولد التعصب والاقتتال.

---

(١) التبصير في الدين للأسفراييني: ص ٨٨.

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٨٩٠.

وخلاصة القول: إن الاختلاف هو اختلاف تنوع واختلاف تضاد، والأخير هو الذي وقع عند أكثر الفرق الإسلامية، خاصة في مسائل الصفات والقدر وعدالة الصحابة والإمامة وغيرها، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الثاني، وكذلك آل إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل»[1]، فإن أردنا توحيد الأمة قلباً وقالباً، فعلينا أن نعود إلى سنة الأنبياء في تأسيس القواعد، وبناء المجتمعات وترميمها، بأن نجعل توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته هو أساس بناء المجتمع الصحيح السوي: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

كتاب التبصير في الدين:

إن هذا الكتاب يعد مرجعاً مهماً من مراجع العقائد والفرق الإسلامية، وقد طبع أكثر من مرة خلال الأربعين سنة الماضية، إلا أن هذه الطبعات كان الغالب عليها الاعتماد على نسخة خطية واحدة لإخراج الكتاب، مما جعل هناك خلالاً كبيراً بين ثناياه، وارتباكاً واضحاً بين فقراته، كما أنه شهد عزوفاً من قبل طلبة العلم، خاصة طلبة الدراسات العليا، فلم ينل تحقيقاً أو دراسة، مع أن معظم كتب الفرق قد نالت مثل هذه الحظوة، فتوكلنا على الله تعالى، وعزمنا على دراسته وتحقيقه لتعم به الفائدة، وينهل طلبة العلم منه، ويأخذوا الدروس والعبر لحاضر ومستقبل الأمة، وقد قسمنا كتابنا هذا إلى قسمين: قسم الدراسة، وقسم التحقيق، القسم الأول منه فيشتمل على الآتي:

ـ **الفصل الأول**: وقد ضمَّ مبحثين، تناول المبحث الأول الأوضاع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ص ٤٠.

السياسية في عصر المؤلف، حيث عاش الأسفراييني في حقبة سياسية مضطربة، خاصة في إقليم خراسان، مما ألقى بظلاله على مصنفه هذا. أما المبحث الثاني فهو يدرس الناحية الدينية والفكرية لذلك العصر، الذي تميز بظهور واضح للفرق الإسلامية، وكان ذلك بسبب دعم بعض الولاة لها، فانتشرت فرق الرافضة والباطنية والقرامطة والكرامية والمعتزلة وغيرها، كما انتشرت الفلسفة وعلوم المنطق، وبرزت في هذا العصر عدد من المناهج الفكرية، منها منهج الأشاعرة والماتردية، كما كان لأهل الحديث مدرستهم الخاصة للرد على أهل الأهواء والبدع.

ـ **الفصل الثاني**: وفيه تناولنا سيرة الأسفراييني، وقد ضم مبحثين أيضاً، تناولنا في الأول منه: اسمه ونسبه، وطلبه للعلم، وأبرز شيوخه وتلاميذه، ثم بينا مكانته العلمية ومؤلفاته، أما المبحث الثاني منه، فقد درسنا فيه مذهب هذا المفكر المذهبي والعقدي، وقد نشأ في بيئة كلامية تعتنق المعتقد الأشعري، فنشأ على هذا المعتقد، ودافع عنه، على أن هذه العقيدة شكلت منهجاً خاصاً في الرد على أهل الأهواء والبدع، خاصة في القرن الخامس والسادس الهجري، فالأسفراييني في كتابه هذا قد سار على نهج من سبقه من الأشاعرة في اعتماد الأسس الكلامية في استعراض هذه الفرق الإسلامية والرد على شبهاتها التي ظهرت، وإن كان هذا المنهج يتفاوت من فرقة إلى أخرى، وقد ذكر الأشاعرة ومدحهم في شعره.

ـ **الفصل الثالث**: وقد ضم مبحثين أيضاً، بحثنا في الأول منه: تسمية الكتاب، والدوافع المباشرة وغير المباشرة لتأليفه، وفيه أثبتنا لأول مرة أن هذا الكتاب صنف وقدم للوزير السلجوقي نظام الملك، وهو أمر لم يكن معروفاً قبل هذا اليوم لأي أحد من الدارسين، والمهتمين بالكتاب أو بسيرة الوزير السلجوقي، أما المبحث الثاني فدرسنا فيه مصادر كتاب (التبصير في الدين) ومنهج الأسفراييني فيه، وقد تميز منهجه بالاعتناء بالقرآن الكريم وتفسيره، ولا غرابة في ذلك، فهو من علماء علم التفسير، وله مصنف في ذلك.

ـ **الفصل الرابع**: وفيه درسنا مفهوم الفرقة عند كتاب الملل والنحل، وانتقينا فيه ثلاثة علماء هم: الأشعري وكتابه (مقالات الإسلاميين)، وعبدالقاهر البغدادي وكتابه (الفرق بين الفرق) وابن حزم الظاهري وكتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ويعد كتاب (التبصير في الدين) امتداداً لمدرسة الأشاعرة في دراسة وعرض الفرق الإسلامية، أما كتاب ابن حزم فهو يشكل مدرسة مستقلة، وإن كان يجتمع مع كتب الأشاعرة في أصول الفرق الإسلامية، أما المبحث الثاني فهو يتناول مفهوم الفرقة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، والذي له منهج خاص في تناول الفرق الإسلامية وتصنيفها.

ـ **الفصل الخامس**: ويضم ثلاثة مباحث، الأول: مفهوم الفرقة عند الأسفراييني، والتي لا تختلف كثيراً عن مفهومها عند الأشاعرة، بل نلاحظ الأثر الكبير الذي تركه عبدالقاهر البغدادي على كتاب (التبصير في الدين) من حيث الأسلوب وتقسيم الفرق، أما المبحث الثاني من هذا الفصل فدرسنا فيه الفرقة الناجية عند الأسفراييني، والذي يقرر فيها أن عقيدة الأشاعرة هي عقيدة الفرقة الناجية، وقد وضحنا سبب قوله هذا، ورددنا على ما فيه من إشكالات عقدية، وكون الأشاعرة مصطلح لا يتطابق مع مصطلح الأشاعرة، أما المبحث الثالث والأخير من هذا الفصل فقد عرفنا بالمخطوطات المعتمدة في تحقيق هذا الكتاب، ومنهج التحقيق، مع صفحات من نسخ المخطوطات المعتمدة.

وختاماً فإن كتاب (التبصير في الدين) لأبي المظفر الأسفراييني، عليه بعض المآخذ التي يمكن أن تسجل عليه، إلا أن هذا لا يمنع من بقاء قيمة الكتاب معروفة بين الباحثين قديماً وحديثاً، فهو من الأصول التي يرجع إليها في دراسة الفرق الإسلامية، وهذا الأمر مهم لكل دارس في هذا الميدان.

نسأله تعالى أن ييسر لنا أمورنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، ويختم لنا بالحسنى، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

كتب في صنعاء

١ جمادى الثانية ١٤٢٨هـ

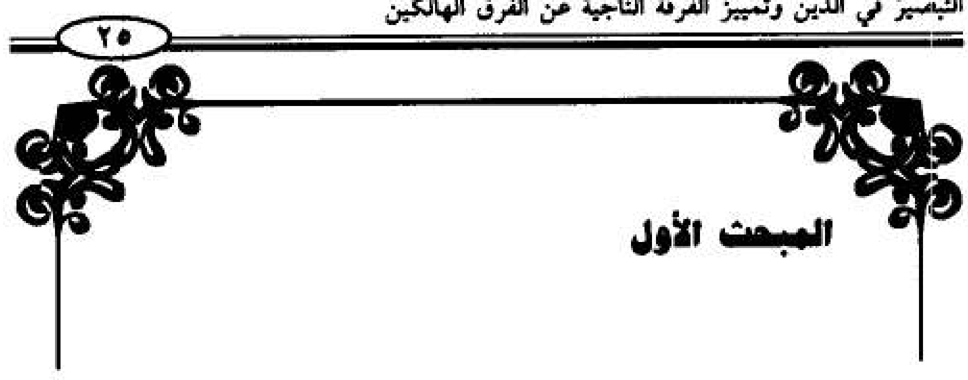



الفصل الأول

عصر المؤلف





المبحث الأول

الحالة السياسية لعصر المؤلف

من أهم المظاهر التي طغت على الخلافة العباسية في منتصف القرن الثالث، هو سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية، وكان ذلك إيذاناً بانفراط عقد مؤسسة الخلافة وضعفها، خاصة عندما تولى المستكفي بالله الخلافة في ٢٠ صفر ٣٣٣هـ، بعد خلع أخيه المتقي بالله، وله يومئذٍ إحدى وأربعون سنةً، وفي عهده زحف بني بويه إلى بغداد، وسيطروا على الخلافة العباسية، وأصبحوا هم الحكام الفعليين لبغداد قرابة قرن من الزمان[١].

واجتمع في هذا العصر ثلاثة خلفاء، فالخليفة العباسي في بغداد، والخليفة العبيدي في مصر وشمال أفريقية، والخليفة الأموي في الأندلس، وقد أدى هذا التفرق والتشتت في جسد الأمة إلى فسح المجال أمام الروم للإغارة على أرض المسلمين، فأهلكوا الحرث والنسل، وخربوا الديار وسبوا النساء والعيال، بل إن هذا الضعف قد مهد للحملات الصليبية التي ستنطلق من أوروبا، يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٨هـ: «وفي هذه السنة دخل ملك الروم الشام، ولم يمنعه أحدٌ ولا قاتله، فسار في البلاد إلى طرابلس، وأحرق بلدها وحصر قلعة عرقة، فملكها ونهبها، وسبى من فيها، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدة ظلمه، فقصد عرقة فأخذوه

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤٤٨/٨؛ البداية والنهاية: ٢١٠/١١.

الروم وجميع ماله، وكان كثيراً، وقصد ملك الروم حمص، وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها، فأحرقها ملك الروم، ورجع إلى بلدان الساحل، فأتى عليها نهباً وتخريباً، وملك ثمانية عشراً منبراً، فأما القرى فكثير لا يحصى، وأقام في الشام شهرين يقصد أي موضع شاء ويخرب ما شاء ولا يمنعه أحد...»[١].

وكانت تلك الحقبة التاريخية تمثل وهناً كبيراً في تاريخ الدولة العباسية، إذ أصبحت الخلافة مجردة عن كل مظاهر السيادة والتمكين، وبالتالي لم يكن منصب الخليفة إلا منصباً شكلياً بسبب سيطرة البويهيين على مؤسسة الخلافة، وتعيينهم وعزلهم وربما قتلهم للخلفاء، فبعد خلع المستكفي في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ من قبل معز الدولة البويهي[٢]، تولى الخلافة بعده عدد من الخلفاء:

ـ المطيع للَّه بن المقتدر (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ): وامتازت مدة خلافته بظهور الصراع بين الأجناد من الديلم والترك، كما تدهورت الحالة الاقتصادية للبلاد خاصة في بغداد، حتى اشتد على الناس الغلاء فبيعت عقارات بغداد بالخبز[٣].

ـ خلافة الطائع للَّه بن المطيع (٣٦٣ ـ ٣٨١هـ): واستمر الصراع بين القواد البويهيين على النفوذ في بغداد والموصل، وقد استحوذ على الأمور في هذه الحقبة عضد الدولة الذي استطاع انتزاع الموصل والجزيرة من الحمدانيين، بعد أن سيطر على بغداد، وكان عضد الدولة من أعقل آل بويه، حسن السياسة شديد الهيبة، وبعد وفاته سنة ٣٧٢هـ، حل ابنه كاليجار محله فاضطربت في عهده الأحوال وتقلص الملك الذي ورثه عن أبيه، وعند وفاته سنة ٣٧٩هـ، آلت الأمور إلى أبي نصر أخو شرف الدولة، وفي

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣٠٩/٧.
(٢) المصدر السابق: ٢٠٦/٧.
(٣) الكامل في التاريخ: ٢١٧/٧؛ البداية والنهاية: ٣٤٣/١٣.

عهده قبض على الطائع لله ثم خلعُهُ عن الخلافة[(١)].

ـ خلافة القادر بالله (٣٨١ ـ ٤٢٢هـ): وقد اختير من آل بويه، بعد أن كان هراباً في زمن الطائع، فخُلِعَ الأخير وأجلس أحمد بن إسحاق بن المعتضد مكانه وتلقب بالقادر بالله، وقد استمرت سيطرة البويهيين على مؤسسة الخلافة في عهده، وكان القادر صاحب دين وعلم، قال الخطيب: «كان من الدين وإدامة التهجد، وكثرة الصدقات على صفة اشتهرت عنه، وصنف كتاباً بالأصول»[(٢)].

ـ خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ): استمر النزاع في عهده بين الديلم والأتراك، وعمت الفوضى في بغداد بسبب شغب الجند من جهة، وفتنة الروافض من جهة أخرى، حتى دخل السلطان السلجوقي طغرلبك بغداد في سنة ٤٤٨هـ، وبهذا سقط النفوذ البويهي عن الخلافة العباسية، وحلَّ مِحله النفوذ السلجوقي[(٣)].

إن تاريخ الخلافة العباسية خلال هذه الحقبة (من خلافة المستكفي سنة ٣٣٣هـ حتى خلافة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ) قد مثلت أعلى درجات الضعف والوهن، فقد أصبحت مقاليد الأمور وإدارة الدولة بيد البويهيين، وصار رسم الخلافة مجرداً عن أي سلطات حقيقية، بل أصبح الخلفاء يخلعون ويقلدون من قبل البويهيين، حتى شاركوا الخليفة في كل مظاهر السلطة كالضرب على الدبادب (الطبول)، وقرن اسمه مع اسم الخليفة، قال ابن الجوزي: «وهذان أمران لم يكونا من قبل، ولا أطلقا لولاة العهود، ولا خطب بحضرة السلطان إلا له، ولا ضربت الدبادب إلا على بابه»[(٤)]، كما كثرت ثورات الجند بسبب تذبذب الموارد المالية، وتعدوا على أملاك بني بويه والخليفة، حتى أحرق دار الخليفة، فضاقت بغداد بأهلها، فخرجوا منها

---

(١) المنتظم: ٦٦/٧؛ البداية والنهاية: ٣٠٨/١١.
(٢) تاريخ بغداد: ٣٧/٤؛ المنتظم: ١٦٠/٧؛ الكامل في التاريخ: ٨٠/٩.
(٣) المنتظم: ٥٧/٨؛ الكامل في التاريخ: ٤١٧/٩.
(٤) المنتظم: ٩٢/٧.

بسبب كثرة اللصوص فيها وإنعدام الأمن وظهور المجاعات، فقتلوا النفوس ونهبوا الأموال، وفعلوا ما أرادوا[١].

وقد أدى هذا الأمر إلى تمزق الدولة الإسلامية، وظهور عدد من الدويلات التي تقاسمت أرجائها الواسعة، ومن هم هذه الدويلات:

الدولة الإخشيدية: (٣٢٨ ـ ٣٥٨ هـ):

ومؤسسها هو محمد بن طغج الملقب بالأخشيد، ومعناه ملك الملوك، وهو لقب يطلق على ملوك فرغانة، وهي إحدى بلاد ما وراء النهر التي تتاخم بلاد تركستان، وكان طغج من موالي آل طولون، وكان الخليفة الراضي بالله قد رضي عن محمد بن طغج حينما صد هجوم الفاطميين على مصر سنة ٣٢٤هـ[٢]، فقلده ولايتها، واتسمت علاقة الإخشيديين بالخلافة بالولاء الكامل حتى أن محمد بن طغج عرض على الخليفة العباسي المتقي بالله أن ينتقل إلى مصر ويجعلها مقراً للخلافة، ولكن الخليفة رفض، قال ابن خلكان عن محمد بن طغج: «وكان بطلاً شجاعاً يقظاً مهيباً سعيداً في حروبه، مكرماً لأجناده شديد الأيد (القوة) لا يكاد أن يجر أحدٌ قوسه»[٣].

ولما توفي محمد بن طغج سنة ٣٣٤هـ تولى مكانه ابنه أبو القاسم أنوجور وكان صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فكان كافور يدبر له الأمر، واضطرب أمر الشام، واستولى سيف الدولة الحمداني على دمشق، فاجلاه كافور عنها، وتبعه إلى حلب، وهزمه في مرج عذراء، ثم عقد الصلح بين الطرفين، وحصل كافور على موافقة الخليفة العباسي بتولية الأمير الصغير على مصر والشام ومكة والمدينة، وفيما بعد على مدينتي حلب وطرسوس، وبذلك عظم شأن كافور، وسيطر على الدولة في عهد أبي القاسم، ثم في عهد أخيه أبي الحسن، ثم في عهد ابنه أحمد، الذي

---

(١) البداية والنهاية: ٢٠٨/١١؛ الكامل في التاريخ: ٣٢٣/٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٦٣/٨.

(٣) وفيات الأعيان: ٥٨/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٣٦٦/١٥.

استصدر كتاباً من الخليفة بتولي إمرة مصر من جهة الجنوب حتى وفاته سنة ٣٥٧هـ[١].

وفي هذه المدة التي تزيد على السنتين (٣٥٥ ـ ٣٥٧هـ) من ولاية كافور، تعرضت مصر والشام لهجمات القرامطة من الشرق، وهجمات الفاطميين من الغرب، كما أغار ملك النوبة على مصر من جهة الجنوب، وبعد وفاة كافور اختار أمراء الجيش أحمد بن علي بن أبي الحسن والياً، ولما كان صغيراً فقد عين وصياً عليه والي الشام الحسن بن عبيدالله، فاستبد بالأمر، ثم اضطر أن يعود إلى الشام، وجاء الفاطميون فدخلوا مصر ثم الشام، وأسر الحسن بن عبيدالله، ونقل إلى المغرب، وبقي فيها إلى أن مات، سنة ٣٧١هـ[٢].

دولة بني حمدان (٢٩٣ ـ ٣٩٢هـ):

نسبة إلى حمدان بن حمدون بن الحارث من قبيلة تغلب، قامت هذه الدولة بالجزيرة على حدود الروم ـ الموصل ـ حلب ـ حمص، كان الحسين بن حمدان ذا ولاء شديد للخلافة، فساعدها في حروب الخوارج، ثم كان له دور بارز في الحرب ضد القرامطة، وفي الحملة التي جهزها الخليفة لاسترداد مصر من الطولونيين، ولكن حدث خلاف بينه وبين وزير المقتدر انتهى بسجنه وقتله سنة ٣٠٦هـ، ثم خلفه على ديار ربيعة أخوه إبراهيم عام ٣٠٨هـ، وتوفي بعد سنتين، ثم أخوه داود حتى عام ٣٠٩هـ، وبقي مع الخليفة المقتدر، وقاتل بجانبه ضد مؤنس الخادم، وأصابه سهم فقتل عام ٣٢٠هـ[٣].

أما سعيد والمكنى بأبي العلاء فقد تولى أمر الموصل ونهاوند، وقد

---

(١) المنتظم: ٥٠/٧؛ البداية والنهاية: ١١٢/١١.
(٢) البداية والنهاية: ٣١٠/١١.
(٣) المنتظم: ٨٠/٦؛ الكامل في التاريخ: ٥٠٧/٦.

كان أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان قد ناصر القاهر ضد أخيه المقتدر، فلما فشلت الجهود وعاد المقتدر، قتل أبو الهيجاء عام ٣١٧هـ[١]، أما أبو السرايا نصر بن حمدان فقد هرب إلى الموصل، وتولى أمرها عام ٣١٨هـ، ثم قتله القاهر عام ٣٢٢هـ[٢]، غير أن عبدالله أبا الهيجاء قد ناب عنه في الموصل ابنه الحسن ناصر الدولة، فاستطاع أن يحتفظ بها منذ تولي أمره عام ٣٠٨هـ حتى وفاته سنة ٣٥٨هـ[٣].

اشتهر تاريخ هذه الدولة بسيف الدولة الحمداني (٣٣٣ ـ ٣٥٦هـ)، فقد كان أديباً شاعراً، جمع حوله الأدباء، وكانت مقاوته للروم بالغة الأثر في تاريخ الإسلام، حيث أجج سيف الدولة روح الجهاد والمقاومة ضد الروم، فكانت ثغور ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصيصة وأدنة وخرسوس، معامل صامدة للمقاومة، إذ كانت مواقف سيف الدولة كلها مواقف دفاع إزاء هجمات الروم المتتالية[٤].

الدولة السامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩هـ):

عرف السامانيون الإسلام في أيام الخلافة الأموية، ونسبوا إلى قرية من قرى سمرقند اسمها (سامان)، حتى كانت خلافة المأمون في أثناء فترته الأولى، عندما كان بمرو، فتعرف على رجل مسلم من السامانيين، واسمه أسد الساماني، فنال عنده حظوة ومكانة، حتى أن المأمون عندما انتقل إلى بغداد ولى أبناء الأسد الأربعة بلاد ما وراء النهر.

وكان أبرز هؤلاء أحمد بن أسد الذي كان له بدوره سبعة من الأبناء، أبرزهم نصر بن أحمد، وقد بلغ مجد هذه الأسرة ذروتها في سنة ٢٦١هـ

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥٣/٧؛ البداية والنهاية: ١٥٩/١١.
(٢) الكامل في التاريخ: ٦٦/٧؛ البداية والنهاية: ١٦٥/١١.
(٣) الكامل في التاريخ: ٥٩٣/٨؛ وفيات الأعيان: ١٤٤/٢.
(٤) الكامل في التاريخ: ٣٩٦/٨؛ سير أعلام النبلاء: ١٨٧/١٦.

عندما أسند الخليفة العباسي ولاية بلاد ما وراء النهر إلى نصر بن أحمد، الذي أقام إخوته جميعاً على الولايات بسائر أنحاء البلاد[١].

كانت علاقة الدولة السامانية بالخلافة العباسية علاقة ولاء تام، وكانوا على مذهب أهل السنة، وازدهرت الحياة في عهدهم، فأمَّ بلادهم ابن سينا والرازي وغيرهما، ولقي العلماء كل الإجلال والتقدير منهم، كما قامت بينهم وبين البويهيين حروب كثيرة، ثم انتشرت الثروات والفتن، خاصة في عهد نوح بن منصور (٣٦٦ ـ ٣٨٧هـ) الذي كان صغير السن منذ تدخلت أمه في شؤون الحكم، وكذلك تدخل الوزراء، مما أطمع البويهيين والأتراك في بلادهم، قال ابن الجوزي: «تملك نوح خراسان وغزنة وما وراء النهر، ثم ولي بعده ابنه، فبقي سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه الأمراء، وملكوا أخاه عبدالملك، فقصدهم السلطان محمود بن سبكتكين، فالتقاهم، فهزمهم إلى بخارى، وانقرضت الدولة السامانية»[٢]، وكان ذلك سنة ٣٨٩هـ.

الدولة الغزنوية: (٣٦٦ ـ ٥٨٦هـ):

نسبة إلى مدينة غزنة، وهي في أفغانستان حالياً، ويعود الفضل في تأسيسها إلى غلام اسمه ألبتكين، الذي كان عاملاً للسامانيين على ولاية خراسان، وبعد أن عزل عنها لجأ إلى بلخ واستطاع هزيمة جيوش منصور، ثم توجه إلى غزنة سنة ٣٥١هـ واتخذها مقراً له[٣]، فلما مات ألبتكين خلفه ابنه إسحاق، وعند وفاة الأخير لم يكن له ذرية، فتولى أمر غزة أحد الأمراء وهو سُبُكْتُكين سنة ٣٦٦هـ، وهو أحد الغلمان الأتراك الذي كانوا يعملون مع ألبتكين، واستطاع سُبُكْتُكين أن يوسع حدود ملكه من ناحية الهند، وكان يعترف بسلطة السامانيين عليه، قال الذهبي: «كانت دولته نحواً من عشرين سنة، وكان فيه عدلٌ وشجاعة ونُبْلٌ مع عسف، وكونه كرامياً، ولما أخذ

(١) المنتظم: ١٤١/٥؛ البداية والنهاية: ٣٢/١١.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٥١٥/١٦؛ وينظر الكامل في التاريخ: ٦/٨.
(٣) الكامل في التاريخ: ٣٧٣/٧؛ البداية والنهاية: ٢٨٦/١١.

طوس أخرب مشهد الرضا، وقتل من يزوره، فلما تملك ابنه محمود أعاد بناء المشهد وردَّ أوقافه إليه»[١].

ولهذه الدولة، وخاصة في عهد محمود بن سُبُكْتُكين الفضل في فتح أجزاء واسعة من الهند، كما قضى على سلطان البويهيين في بلاد الجبل والري، ودخل بلاد قزوين، وصلب عدداً كبيراً من الباطنية، ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلاسفة والمعتزلة والنجوم، وحارب الأتراك الغز، وسيطر على خراسان، وأنهى نفوذ السامانيين منها، وقد كان على عقيدة الكرامية، وذكر إمام الحرمين: أن محمود بن سبكتكين كان حنفياً يحب الحديث قال عبدالغفار العباسي: «كان محمود صادق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو، وكان ذكياً بعيد الغور، صائب الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء»[٢]، وكانت هذه الدولة على ولاء تام للخلافة العباسية، وكان على مذهب أهل السنَّة والجماعة، وكانت موئلاً فترة طويلة للعلماء.

الدولة البويهية:

فتحت بلاد الديلم في عهد عمر بن الخطاب، وخضعت للحكم الإسلامي مع بقاء أهلها على وثنيتهم، وكانت تجاور بلاد طبرستان، وأكثر أهلها دانوا بالإسلام، وكان يسكن هذه المناطق عنصر غير فارسي يسمى الديلم.

وعندما تولى محمد بن طاهر بلاد خراسان للعباسيين، امتنع أهل طبرستان وأعلنوا العصيان على محمد بن طاهر، وجعلوا الحسن بن يزيد أميراً عليهم، وطلبوا من الديلم أن يساعدوهم على عمال ابن طاهر ففعلوا، وظل الحسن يحكم مدن طبرستان، ثم الري وجرجان حتى مات سنة

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥٠٠/١٦. وينظر: المنتظم: ٧٦/٧؛ وفيات الأعيان: ١٧٥/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤٨٧/١٧. وينظر للتفاصيل: المنتظم: ٥٢/٨؛ الكامل في التاريخ: ١٣٩/٩؛ وفيات الأعيان: ١٧٥/٥.

٢٧١هـ، ثم تولى أخوه محمد بن يزيد، وكانت مدته مضطربة، حتى قتل سنة ٢٨٧هـ، وكان وجود الحسن ومحمد من أسباب شيوع الإسلام في بلاد الديلم(١).

ثم دخل بلاد الديلم الحسن بن علي الملقب بالأطروش سنة ٣٠١هـ، وأقام بينهم المساجد، ولكن إسلامهم كان متلبساً بالتشيع، ثم بعد فترة استطاع الأطروش بمساعدة الديلم أن يستولي على طبرستان وجرجان من السامانيين، ثم مات الأطروش سنة ٣٢٣هـ(٢)، فصارت القوى على النحو الآتي:

- بنو بويه على فارس والري.

- السامانيون على خراسان وما وراء النهر.

أما بنو بويه فينسبون إلى بويه، وهو رجل فارسي فقير، كان يعمل صياداً، ثم أدخل أولاده (علي والحسن وأحمد) في خدمة مرداويج بن زيار الديلمي، فصار علي قائداً، وبدأ يستولي على مدن خراسان مدينة مدينة، وكان ذلك في سنة ٣٢٢هـ(٣)، وقد استطاع بنو بويه فرض سيطرتهم على بلاد فارس والأهواز خلال العشر سنوات القادمة، ثم دخل أحمد في حرب مع بجكم الرائقي، وانهزم بجكم وفر إلى واسط، فأصبح الطريق إلى بغداد ممهداً لبني بويه(٤).

فكاتب قواد أحمد بن بويه يطلبون إليه المسير نحوهم للاستيلاء على بغداد، فوصلها في ١١ من جمادى الأولى سنة ٣٤٤هـ، وكان الخليفة يومئذٍ المستكفي بالله، فقابله واحتفى به، وبايعه أحمد، وحلف كل واحد

---

(١) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي: ٢٦٨/١.
(٢) الكامل في التاريخ: ٤٧٩/٦.
(٣) الكامل في التاريخ: ٢١٥/١٥؛ البداية والنهاية: ١٧٨/١١.
(٤) البداية والنهاية: ٢٠٠/١١.

منهما لصاحبه، هذا بالخلافة وذاك بالسلطنة[١]، قال الذهبي: «كان أبوه سماكاً، وهذا ربما احتطب، تملك العراق نيفاً وعشرين سنة، وكان الخليفة مقهوراً معه»[٢]، ويعتقد البعض أن هذا التاريخ هو تاريخ سقوط الخلافة العباسية، وصيرورة الخليفة منهم رئيساً دينياً لا أمر له ولا نهي ولا وزير، وإنما كاتب يدبر إقطاعياته وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة (أحمد بن بويه) يستوزر لنفسه ما يشاء.

وقد خطر ببال معز الدولة أن يزيل الخلافة أيضاً عن بني العباس ويوليها علوياً، إلا أنه لم يفعل ذلك لنصيحة بعض خواصه إليه: «إنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ومتى ما قتلته أجلست علوياً خليفة، اعتقدت أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا، فأعرض عما عزم عليه»[٣].

كان أهل بغداد قبل تحكم البويهيين بالخلافة على مذهب أهل السنَّة والجماعة، يحترمون جميع الصحابة، ويفضلون الشيخين على سائرهم، ولا يقدحون في معاوية، ولا في غيره من سلف المسلمين، فلما جاءت الدولة البويهية نما مذهب الشيعة ببغداد، ووجد له دعماً من الحكومة، حتى أنه أمر بالكتابة على المساجد سنة ٣٥١هـ: «لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها حقها ومن منع أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام»[٤].

لقد بقي البويهيون يسيطرون على مؤسسة الخلافة، في عهد كل من معز الدولة (ت ٣٥٦هـ) ثم في عهد عز الدولة بختيار بن أحمد بن بويه حتى خلعه ابن عمه سنة ٣٦٧هـ، كما امتازت هذه الحقبة التاريخية بالصراع

---

(١) المنتظم: ٣٧/٧؛ الكامل في التاريخ: ٥٧٣/٨.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٨٩/١٦.
(٣) الكامل في التاريخ: ٢٠٨/٧.
(٤) المصدر السابق: ٢٧٥/٧.

بين بني بويه والدولة الحمدانية في الجزيرة، فاستغل الروم هذا التنازع، واستطاعوا السيطرة على الثغور الإسلامية الكبرى، يضاف إلى ذلك الصراع الذي نشب بين بني بويه أنفسهم، خاصة بين عضد الدولة بختيار وابن عمه عضد الدولة، والذي انتهى لصالح الأخير سنة ٣٦٦هـ، فتمكن من بغداد وملكها، ثم سار إلى الموصل وأزال الدولة الحمدانية، واتسعت أملاكه، وكان من عقلاء بني بويه سياسة وهيبة، مات سنة ٣٧٢هـ [(١)]، وكان موت عضد الدولة إيذاناً ببدء سلطة البويهيين تتدهور في بغداد، بسبب ضعف أحوالهم، والصراع الذي نشب بينهم وبين الأتراك، وانتهى نفوذهم بدخول طغرلبك السلجوقي بغداد في ٤٤٧هـ.

الدولة السلجوقية:

يعود أصل آل سلجوق إلى الغز من الترك، وهي عشيرة كانت تقيم في بلاد تركستان، تحت حكم ملك الترك، هاجر جدهم الأعلى سلجوق إلى ديار الإسلام في حدود ١٥٠هـ واعتنق الإسلام، ثم أصبح يشن الغارات على بلاد الترك، واستعان به السامانيون لرد غارات الترك عن بلادهم[(٢)].

انتقل السلاجقة في عهد رئيسهم طغرلبك إلى أراضي الدولة السامانية، حيث كانت هذه الدولة تعيش آخر أيامها، مع بروز قوة الغزنويين في تلك الأثناء، فحدث الاصطدام بين السلاجقة والغزنويين، انتهى بعقد الصح بين الطرفين، وفي سنة ٤٣٢هـ سيطر طغرلبك على نيسابور وجرجان وطبرستان[(٣)]، وفي سنة ٤٣٣هـ ضم كرمان وبلاد الديلم إلى مملكته، ثم استولى على خوارزم سنة ٤٣٤هـ، وقد أدى ذلك إلى نشوب الصراع بينه وبين البويهيين، وترجحت كفة السلاجقة في ذلك، فدعاه الخليفة إلى بغداد

---

(١) المنتظم: ٨١/٧؛ الكامل في التاريخ: ٥٧٥/٨.
(٢) المنتظم: ٩٩/٨؛ الكامل في التاريخ: ٢٣٦/٨.
(٣) الكامل في التاريخ: ٦٠٩/٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٠٩/١٨.

بعد ما أظهر الولاء للخلافة، مما مهد الطريق له لذلك، وفعلاً دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ[١].

توفي طغرلبك سنة ٤٥٥هـ، في خلافة القائم بأمر الله، وتولى الأمر بعده ألب أرسلان، قال الذهبي: «وعظم أمر السلطان ألب أرسلان، وخطب له على منابر العراق والعجم وخراسان، ودانت له الأمم، وأحبته الرعية، ولا سيما عندما هزم الروم...»، وكان ذلك في ٢٥ ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ[٢].

وبعد سنتين من هذا التاريخ، مات السلطان ألب أرسلان وهو في طريقه لغزو بلاد الترك، فخلفه على السلطنة ابنه ملكشاه، قال ابن خلكان: «وقد تملك ما لم يملكه سلطان... وكان حسن السيرة، لهجاً بالصيد واللهو، مغري بالعمائر، وحفر الأنهار، وتشييد القناطر والأسوار، وعمَّرَ ببغداد جامعاً كبيراً، وأبطل المكوس والخفارات في جميع بلاده»[٣].

وكان يعينه في تدبير ملكه الوزير نظام الدين أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق، الذي استوزر لأبيه، وكان ورعاً تقياً مغرماً ببناء العمارة وبناء المدارس: «فجدد عمارة خوارزم ومشهد طوس، وعمل بيمارستاناً نابه عليه خمسون ألف دينار، وبنى أيضاً بمرو مدرسة، وبهراة مدرسة، وببلخ مدرسة، وبالبصرة مدرسة، وبأصبهان مدرسة، وكان حليماً رزيناً جواداً، صاحب فتوة واحتمال ومعروف، كثير الغاية، ويبالغ في الخضوع للصالحين»[٤]، وكان شافعياً أشعرياً، يعود له الفضل في إنشاء المدرسة النظامية ببغداد، والتي شرع في عمارتها سنة ٤٥٧هـ، وأشهر من درس فيها في ذلك العصر أبو إسحاق الأسفراييني الفقيه الشافعي المشهور[٥]، وكان

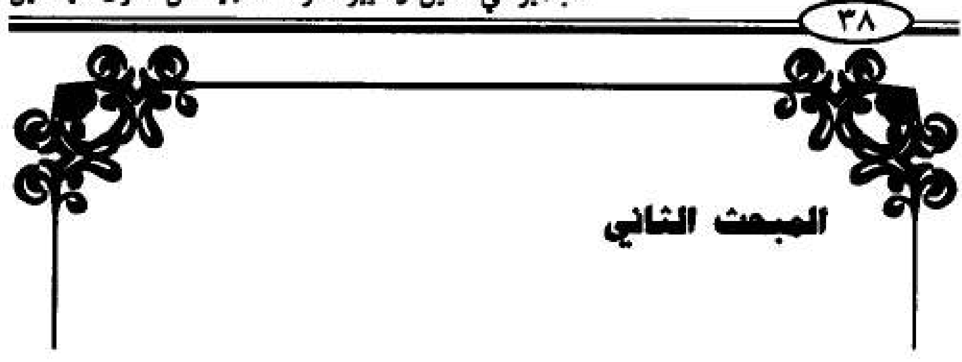
---

(١) الكامل في التاريخ: ٦٤٠/٩.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٤١٤/١٨. وينظر المنتظم: ٢٧٧/٨؛ الكامل في التاريخ: ٧٦/١٠.
(٣) وفيات الأعيان: ٢٨٤/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٥٦/١٩.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٩٦/١٩.
(٥) المصدر نفسه: ٩٤/١٩.

الوزير نظام الملك شديداً على أهل البدع، إذ يقول عنه أبو المظفر الأسفراييني: «قائماً بنصرة أهل الدين، سيفاً مصلتاً على جميع أهل الزيغ والمبتدعين، وكان مخصوصاً من عند الله تعالى بفواضل سماوية، وكرامات علوية، جامعاً بين رأي رشيد وعزم شديد وحزم أكيد، ناظراً لأهل الدين ومناجحهم، وأهل الدنيا ومصالحهم، ليكون إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]»[١]، وكان ذلك سبب رئيس في قتل الباطنية له، قال ابن الجوزي: «وقتل في رمضان صائماً، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله قصعة، فأخذها منه، فضربه بسكين في فؤاده فتلف، وقتلوا قاتله، وكان ذلك ليلة الجمعة سنة خمس وثمانين وأربعمائة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله»[٢]، وبعد هذه الحادثة بأيام مات السلطان ملكشاه بعد خلاف على ولاية العهد مع الخليفة المقتدي[٣].



(١) ينظر ص ١٧٠ من هذا الكتاب.
(٢) المنتظم: ٦٦/٩؛ وفيات الأعيان: ١٣٠/٢.
(٣) الكامل في التاريخ: ١٧١/١٠.



المبحث الثاني

الحالة الدينية والفكرية

إن ضعف الخلافة العباسية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، بسبب تسلط العنصر الأجنبي عليها، قد أدى إلى انتشار عدد كبير من المعتقدات والفرق في أرجائها المختلفة، وقد كان هذا من الأسباب التي ساعدت على التناحر والتفرق بين المسلمين على اختلاف بلدانهم في ذلك الوقت، ويمكن استعراض أهم هذه الفرق التي ظهرت خلال هذه الحقبة حسب الآتي:

أولاً: الشيعة:

لقد كانت للسيطرة التي فرضها البويهيون الأثر الأكبر في بروز التشيع في هذا العصر خاصة في بلاد خراسان والعراق، كما إنه شجع على انتشار التشيع في أجزاء أخرى، خاصة في أفريقية ومصر على يد العبيديين، وفي البحرين على يدِّ القرامطة، ويمكن أن نستعرض بإيجاز أهم فرق الشيعة في هذا العصر:

١ ـ **العبيديون**: هم فرقة من الشيعة الإسماعيلية، ينسبون إلى عبيدالله المهدي، الذي ادعى أنه من ذرية جعفر الصادق، وكان اسمه سعيد بن أحمد، وقيل سعيد بن الحسين، وكان أبوه يهودياً، كان قد حظي بفرصة أقامة دولة له في أفريقية بمعاونة البربر، ونجح في ذلك فأسس لنفسه مدينة المهدية، وبدأ بجمع الأعوان فيها، وحاول أن يفتح مصر أكثر من مرة،

لكن مساعيه تلك اصطدمت بالإخشيديين، واستمرت محاولات العبيديين للسيطرة على مصر، حتى حانت لهم الفرصة سانحة في سنة ٣٥٨هـ، حين دخلوا الإسكندرية وفاوضهم الوزير جعفر بن الفرات على التسليم.

إن سيطرة العبيديين (الفاطميين) على مصر كانت إيذاناً بانتشار التشيع في تلك البلاد، وكانت لهم معتقدات باطنية عظيمة، قال الذهبي: «ولهم البلاغات السبعة: فالأول للعوام وهو الرفض، ثم البلاغ الثاني للخواص، ثم البلاغ الثالث لمن تمكن، ثم الرابع لمن استمر سنتين، ثم الخامس لمن ثبت على المذهب ثلاث سنين، ثم السادس لمن أقام أربعة أعوام، ثم الخطاب بالبلاغ السابع وهو الناموس الأعظم، قال ابن النديم: قرأته (أي البلاغ السابع) فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات، والوضع للشرائع وأصحابها، وكان في أيام معز الدولة ظاهراً شائعاً، والدعاة منبثون في النواحي، ثم تناقص»[(١)].

وقد انتشر التشيع بمصر في عهد العبيديين، فقد أمر الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٥هـ بسب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع، وأمر العمال بالسب في الأقطار[(٢)]، وأضافوا إلى الأذان عبارة (حي على خير العمل)، وأسندت المناصب العليا وخاصة القضاة للشيعة، وظهر الاحتفال بعيد الغدير، ولم يكن معروفاً قبل ذلك في مصر[(٣)].

٢ ـ الرافضة في بغداد: كان أهل بغداد قبل دخول بني بويه إليها على مذهب أهل السنَّة والجماعة، لا يقدحون في الصحابة، ولا يكفرونهم، فلما دخل بنو بويه إلى بغداد نما مذهب الشيعة، ووجد له دعماً من الحكومة، حتى كتب لعن الصحابة على المساجد سنة ٣٥١هـ، كما تقدم، قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٢هـ: «وفي هذه السنة، عاشر المحرم، أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٥/١٤٤. وينظر الفهرست: ص ٢٦٨.

(٢) النجوم الزاهرة: ٥/٤٧.

(٣) المصدر السابق: ٤/٥٨؛ البداية والنهاية: ١١/٣١٠.

يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه؛ لكثرة الشيعة؛ ولأن السلطان معهم»[(١)].

كما أظهر الرافضة سب الصحابة، وتظاهروا بأشياء منكرة، قال ابن كثير: «ولم يكونوا يتمكنون منها في الأعصار المتقدمة»[(٢)]، وقد أدى ذلك إلى سفك للدماء بين السنة والشيعة بضع مرات خلال سيطرة البويهيين على بغداد، وكان أسوء عام سفكت فيه الدماء عام ٤٤٣هـ قال ابن كثير في حوادث هذه السنة: «في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عيها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر، فأنكرت السنة إقران علي مع محمد ﷺ في هذا، فنشبت الحرب بينهم واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول...»[(٣)]، ولم يقتصر الأمر على بغداد، بل تعداه إلى مدن أخرى، ففي: «ذي الحجة من سنة ٣٨١هـ يوم عيد الغدير، جرت فتنة باب البصرة، واستظهر أهل باب البصرة وحرقوا أعلام السلطان، فقتل يومئذٍ جماعة اتهموا بفعل ذلك وصلبوا، فقامت الهيبة وارتدع المفسد»[(٤)].

كما أن سيطرة البويهيين على مقاليد الأمور قد شجع علماء الرافضة على التصنيف، ومن أبرز علماءهم في هذه الحقبة: محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم (ت ٤١٣هـ) قال الخطيب البغدادي: «شيخ الرافضة والمتعلم على مذاهبهم صنف كتباً كثيرة في ضلالاتهم، والذب عن

---

(١) الكامل في التاريخ: ٧/٢٧٩.
(٢) البداية والنهاية: ١٢/٢٥١.
(٣) المصدر نفسه: ١٢/٦٢.
(٤) المنتظم ٧/١٦٣؛ الكامل في التاريخ: ٩/٩١.

اعتقاداتهم ومقالاتهم والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين، وعامة الفقهاء المجتهدين وكان أحد الأئمة الضلال هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه»[١]، ومن هؤلاء العلماء أيضاً محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) الذي كان في بداية أمره شافعياً، ثم لازم ابن المعلم فترفض، وصنف للشيعة مصنفات، قال ابن النجار: «أحرقت كتبه عدة بمحضر من الناس في رحبة جامع النصر واستتر خوفاً على نفسه بسبب ما يظهر عنه من انتقاص السلف»[٢].

٣ ـ **الباطنية**: إن تمكن العبيديين من إقامة دولة لهم في مصر، قد شجع باطنية خراسان (وهم الفرع الآخر من الإسماعيلية) من إظهار دينهم خاصة في القرن الخامس الهجري، فقد كثر الباطنية، واستفحل أمرهم خاصة في سنة ٤٢٠هـ في الري، وغاروا على القوافل، وتملكوا قلعة أصبهان، وفتكوا بعدد كثير من العلماء[٣]، وشرعوا في قتل كل من يعارضهم أو يقف بوجههم، فمن أبرز ضحايا الباطنية الوزير نظام الملك الذي اغتيل على أيديهم سنة ٤٨٥هـ، والأمير أقسنقر الذي اغتيل أيضاً على أيدي الباطنية سنة ٤٤٠هـ لأنه كان كثير الغزو إليهم[٤]، كذلك اغتيل القاضي أبي إسماعيل الخطبي قاضي أصبهان على أيدي الباطنية سنة (٥٠١هـ)[٥].

وكان كبيرهم رستم بن علي بمدينة الري، فقد كانت الباطنية تخالط المعتزلة والغالية من الروافض، ويجاهرون بشتم الصحابة، ويرون اعتقاد الكفر، ومذهب الإباحة، فوجه له القاهر بالله عسكراً فقبض على رستم بن علي وعلى أعيان الباطنية من أتباعه: «فصلبوا على شارع مدينة طالما

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٣١/٣؛ ميزان الاعتدال: ٣٠/٤.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٣٤/١٨؛ لسان الميزان: ١٣٥/٥.
(٣) البداية والنهاية: ٤٦٨/١٢.
(٤) الكامل في التاريخ: ٢٨٦/٨.
(٥) المنتظم: ١٦٠/٩.

امتلكوها غصباً، واقتسموا أموالها نهباً... وحول رستم بن علي وجماعة من الديلمة إلى خراسان، وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنتهم»[١].

قال الأسفراييني: «ثم خرج منهم (الباطنية) رجل كان يدعىٰ أبا حاتم إلى أرض الديلم، فأجابه منهم جماعة، ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى ولاية هراة ومروروذ، ولما قتل هو قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفي المعروف بالبزدوي، وأبو يعقوب السجزي أقام دعوته بناحية سجستان، وهذا البزدوي صنف لهم كتباً سمى واحداً منها كتاب (**المحصول**)، وآخر كتاب (**أساس الدعوة**)، وآخر كتاب (**كشف الأسرار**)، وآخر كتاب (**تأويل الشريعة**)»[٢].

٤ ـ **القرامطة**: ينسبون إلى حمدان بن قرمط، وهم فرع من الشيعة الإسماعيلية، وكان أول ظهورهم سنة **٢٧٨هـ**، وأغار القرامطة على البصرة سنة **٢٨٦هـ**، قال ابن كثير: «فامتنعت من القرامطة، وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر، وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد»[٣]، وأعظم ما قام به القرامطة كان سنة **٣١٧هـ**، حين أغاروا على مكة في يوم التروية، فقتلوا الحجيج في الحرم، واقتلعوا الحجر الأسود، وطمروا بئر زمزم، ثم أخذوا الحجر الأسود معهم إلى البحرين، فبقي عندهم أكثر من عشرين سنة[٤].

ثانياً: المعتزلة:

إن الدعم الذي حظيت به المعتزلة في القرن الثالث الهجري، بدأ يتلاشى مع القرن الرابع الهجري، ثم تحول إلى تضييق وملاحقة من قبل

---

(١) المنتظم: ٨/٤٠.

(٢) ينظر ص٣٥٥ من هذا الكتاب.

(٣) البداية والنهاية: ١١/٨١.

(٤) الكامل في التاريخ: ٧/٥٣؛ البداية والنهاية: ١١/١٦٠.

الخلافة العباسية وبعض ولاتها، خاصة محمود بن سبكتكين، فيذكر ابن الجوزي أن الخليفة العباسي القادر بالله قام في سنة ٤٠٨هـ باستتابة: «فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع وتبرؤا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم»[١]، وقد قام بالإجراء نفسه محمود بن سبكتكين بخراسان، وبالغ فيه، وأحرقت كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض في سنة ٤٢٠هـ[٢]، وكان القادر بالله مهتماً بعقيدة أهل السنَّة والرد على البدع التي كثرت في عهده، فصنف كتاباً في الأصول: «ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبدالعزيز، وأفكار المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضر الناس السماع»[٣].

وقد انتشر علماء المعتزلة في خراسان في القرن الرابع والخامس الهجريين، بسبب سيطرة بني بويه على مقاليد الأمور فيها، وارتفع شأن المعتزلة في ظل هذه الدولة، فعين القاضي عبدالجبار رأس المعتزلة في عصره، قاضياً لمدينة الري عام ٣٦٠هـ، بأمر من الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي، وهو من الروافض المعتزلة[٤]، ويقول المقريزي في ذلك: «إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر»، ونتيجة لذلك برز عدد من علماء المعتزلة في هذا العصر، منهم: علي بن سعيد الأصطخري (ت ٤٠٤هـ) الذي صنف للخليفة القادر كتاباً في الرد على الباطنية، فأجرى له جراية سنية[٥]، وكذلك عبدالله بن محمد بن أبي علان (ت ٤٠٩هـ) قال عنه ابن الجوزي: «كان من

---

(١) المنتظم: ٢٨٧/٧.
(٢) المصدر السابق: ٤٠/٨.
(٣) المصدر السابق: ١٦١/٧.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٥١١/١٦.
(٥) المنتظم: ٢٦٨/٧؛ الكامل في التاريخ: ٨١/٨؛ البداية والنهاية: ٣٥٢/١١.

كبار شيوخ المعتزلة، وله مصنفات منها: كتاب في معجزات النبيّ ﷺ[(١)]، وبرز في هذا العصر أيضاً القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني قال الذهبي: «ولي القضاء بالري، وتصانيفه كثيرة، تخرج به خلقٌ في هذا الرأي الممقوت»[(٢)]، وكذلك أبو الحسين البصري (ت٤٣٦هـ)[(٣)]، وإسماعيل بن زنجويه المعروف بالسمان (ت٤٤٥هـ)[(٤)]، كما برز عدد من العلماء الذين جمعوا ما بين الاعتزال والرفض، منهم الشريف المرتضى الذي قال عنه الذهبي: «كان من الأذكياء، والأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر، لكنه أمامي جلد»[(٥)].

ثالثاً: الكرامية:

تنسب إلى محمد بن كرام السجستاني[(٦)]، قال الأسفراييني: «كان من سجستان، فنفي عنها فوقع في غرجستان[(٧)]، فاغتر بظاهر عبادته أهل شورمين وافنسين، وانخدعوا بنفاقه، وتابعوه على خرافاته، وخرج معه قوم إلى نيسابور في أيام محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر، فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد، فدعاهم إلى بدعه، وأفشى فيهم ضلالاته، ونبغ بها قوم من أتباعه، وتمردوا على نصرة جهالاته، وما أحدثه من البدع في الإسلام أكثر من أن يمكن جمعه في مثل هذا

---

(١) المنتظم: ٢٩٠/٧؛ البداية والنهاية: ٧/١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١٧.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠٠/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٥٨٧/١٧.

(٤) البداية والنهاية: ٦٥/١٢.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٥٨٩/١٧.

(٦) شيخ الكرامية، قال عنه الذهبي: «خذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها... كان يقول الإيمان نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد القلب وعمل الجوارح»، قال الحاكم: مكث في سجن نيسابور ثماني سنين، ومات بأرض بيت المقدس سنة ٢٥٥هـ. سير أعلام النبلاء: ٥٢٣/١١؛ لسان الميزان: ٣٥٣/٥.

(٧) قال ياقوت: هي (غَرْشِستان)، والعوام يسمونها (غرجستان): وهي ولاية غرب هراة، والغور في شرقها، ومرو الروذ عن شمالها وغنة عن جنوبها. معجم البلدان: ١٩٣/٤.

المختصر...»[١]، والكرامية عدها أكثر العلماء من فرق المرجئة، ويبدو أن انتشارها الكبير في نيسابور وما جاورها، قد جعل الأسفراييني ومن قبله شيخه البغدادي، يفرد لها باباً مستقلاً، قال الذهبي: «وكانت الكرامية كثيرين بخراسان، ولهم تصانيف، ثم قلوا وتلاشوا، نعوذ بالله من الأهواء»[٢]، وقد ساعد على انتشار الكرامية أن يمين الدولة محمود بن سبكتكين كان على مذهبهم، وحدثت في مجالسه مناظرات بين الكرامية وأهل السنة، قال السمتغفري: «لما دخل سبكتكبن صاحب غزنة إلى بلخ، دعا فقهاءها إلى مناظرة الكرامية، وكان منهم القاضي أبو القاسم عبدالله بن عبدالله بن الحسين النضري المروزي، وهو يومئذٍ على قضاء بلخ، فقال سبكتكين: ما تقولون في هؤلاء الزهاد الأولياء، يعني الكرامية؟ فقال القاضي: هؤلاء كفار، فقال: ما تقولون فيّ إن كنت أعتقد مذهبهم؟ فقال: قولنا فيك كقولنا فيهم، فقام وضربهم بالدبوس حتى أدماهم، وشج القاضي، وقيدهم وحبسهم، ثم خاف الملامة فأطلقهم»[٣]، وكانت لهم مناظرات عديدة بينهم وبين أهل السنَّة بحضرة محمود بن سبكتكين أشار إليها الأسفراييني في كتابه هذا[٤]، ومن علماء الكرامية المشهورين في هذا العصر: إسحاق بن حمشاد (ت٣٨٣هـ)[٥]، محمد بن الهيصم (وفاته بعد سنة ٤٠٠هـ)، قال عنه الذهبي: «شيخ الكرامية، وعالمهم في وقته بخُراسان، وهو الذي ناظر الإمام أبا بكر بن فُورك، بحضرة السلطان محمود بن سُبُكتكين، وليس للكرامية مثله في معرفة الكلام والنظر، فهو في زمانه رأس طائفته وأخبرهم وأخبثهم»[٦].

---

(١) ينظر ص٣١٠ ـ ٣١١ من هذا الكتاب.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥٧٤/١١.

(٣) تاريخ الإسلام: ١٦٨/٢٧.

(٤) ينظر ص٣١٢ من هذا الكتاب.

(٥) تاريخ الإسلام: ٦٠/٢٧. قلت: وينظر مرآة الجنان: ٤١٦/٢؛ العبر: ٢٢/٣؛ شذرات الذهب: ١٠٤/٣.

(٦) تاريخ الإسلام: ٢٣١/٢٩-٢٣٢.

رابعاً: الفلسفة والمدارس الكلامية:

انتشرت في هذا العصر أيضاً كتب الفلسفة وعلمائهم، وبرز منهم شيخ الفلسفة في عصره محمد بن طرخان الفارابي (ت٣٣٩هـ)[(١)]، قال عنه ابن كثير: «كان حاذقاً بالفلسفة، ومن كتله تفقه ابن سينا، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العاملة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين»[(٢)]، ومن فلاسفة هذه الحقبة أيضاً الحسين بن عبدالله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، الذي تنقل في خراسان، قال عنه الذهبي: «هو رأس فلاسفة الإسلام لم يأتِ بعد الفارابي مثله»[(٣)].

وفي هذه الحقبة ظهرت عندنا المدارس الكلامية المتعددة، ومن أشهر هذه المدارس:

ـ **مدرسة الأشاعرة**: لقد انتشر المذهب الكلامي لأبي الحسن الأشعري في آفاق الدولة الإسلامية في القرنين الثالث والخامس الهجريين، وحمل علماء هذه المدرسة على عاتقهم الرد على أهل البدع والأهواء، خاصة المعتزلة والباطنية والروافض والخوارج، وصنفت الكتب في الرد عليهم، ومن أشهر علماء هذه المدرسة في هذه الحقبة: أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) الذي صنف خمسين ألف ورقة في مختلف الفنون، وله كتاب (التمهيد في الرد على الملحدة والرافضة والخوارج والمعتزلة)[(٤)]، ومنهم أيضاً: أبو بكر بن فورك (ت٤٠٦هـ)، قال عنه الذهبي: «كان أشعرياً، رأساً في فنِّ الكلام»[(٥)]، وكذلك: أبو إسحاق الأسفراييني (ت٤١٨هـ)، الذي صنف (جامع الخلي في أصول الدين والرد على الملحدين) في خمس

---

(١) وفيات الأعيان: ١٥٣/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٤١٦/١٥.
(٢) البداية والنهاية: ٢٢٤/١١.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٥٣٥/١٧.
(٤) سير أعلام النبلاء: ١٩٢/١٧. وينظر ص٤٢٦ من هذا الكتاب.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٢١٦/١٧. وينظر ص٤٢٧ من هذا الكتاب.

مجلدات[١]، وله أيضاً (المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر)[٢]، وكان لهؤلاء العلماء وغيرهم من علماء الأشاعرة، الأثر الكبير في الرد على من خالف عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وإن لم يسلموا مما يؤخذ على عقيدة الأشاعرة من مآخذ، روى ابن عساكر عن الصاحب بن عباد كان إذا انتهى إلى ذكر هؤلاء يقول: «ابن الباقلاني بحرٌ مُغرق، وابن فورك صلٌّ مُطرق، والأسفراييني نارٌ تحرق»[٣].

ـ **المدرسة الماتريدية**: فرقة كلامية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ) وكان معاصراً لأبي الحسن الأشعري، وعاش الملحمة بين أهل الحديث وأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وكان مذهبه في الصفات قريباً من مذهب الجهمية في تعطيلها بحجة التنزيه ونفي التشبيه، وصنف الماتريدي كتباً في الرد على الروافض والقرامطة والمعتزلة، وترك أثراً امتد إلى قرون تالية، خاصة في المشرق الإسلامي وخراسان، فمن هؤلاء: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندي (ت٣٤١هـ)، الذي عرف بأبي القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه[٤]، وأبو محمد عبدالكريم بن موسى بن عيسى البزدوي (ت٣٩٠هـ)[٥].

ـ **مدرسة أهل الحديث**: وكان لهذه المدرسة منهجاً خاصاً في الرد على أهل الأهواء والزيغ، من خلال الرجوع إلى أصول هذا الدين، وهما كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فبرز من بين علمائهم: عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة (ت٣٨٧هـ) الذي صنف كتاب الإبانة الكبرى في ثلاث مجلدات[٦]، وأبو القاسم هبة الله بن

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٥٣/١٧.
(٢) ينظر ص٤٢٦ من هذا الكتاب.
(٣) تبيين كذب المفتري: ص ٢٤٤.
(٤) الجواهر المضيئة: ٣٧١/١.
(٥) المصدر السابق: ٤٥٨/٢.
(٦) تاريخ بغداد: ٣٧١/١٠؛ سير أعلام النبلاء: ٥٢٩/١٦.

الحسين بن منصور اللالكائي الطبري الشافعي (ت٤١٨هـ)[١]، وله كتاب (أصول اعتقاد أهل السنة)، وأبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)[٢] الذي صنف كتاب (الإمامة والرد على الرافضة)، وغيرها من المؤلفات التي لا يسع المجال لذكرها.



(١) تاريخ بغداد: ٧٠/١٤؛ سير أعلام النبلاء: ٤١٩/١٧.

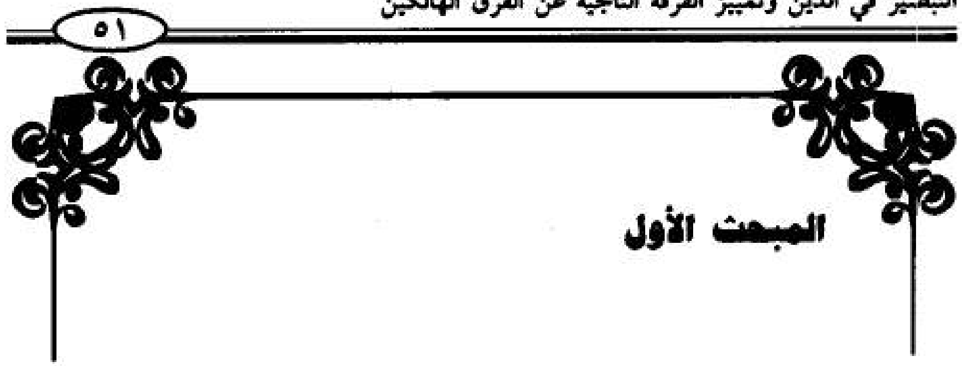
(٢) سير أعلام النبلاء: ٤٥٣/١٧.




الفصل الثاني

التعريف بالمؤلف ومذهبه العقدي والفقهي



المبحث الأول

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه:

هو شاهفور (وقيل شهفور)[١] بن طاهر بن محمد الأسفراييني ثم الطوسي الشافعي، كذا ذكره معظم المؤرخين، واختلف في اسمه الأول، ما بين شاهفور وشهفور، والأثبت الأول إذ ذكره المتقدمون بذلك، وربما سقطت الألف من بعض النساخ على التحقيق، والذي يدل على ذلك أن (شاهفور) معرب من (شاهبور) وهو في الأصل بمعنى (نجل الملك) في لغة أهل فارس، سمي به الإمام أبو المظفر[٢]، أما كنيته فمشهورة، إذ يكنى بأبي المظفر، ولا تذكر له المصادر أي كنية أخرى غيرها.

أما نسبته فهو إلى أَسْفَرِايين، قال ياقوت: «مدينة حصينة من نواحي نيسابور، على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، سماها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها، ومهرجان قرية من أعمالها. . .

(١) ينظر مصادر ترجمته في: تبيين كذب المفتري: ص ٢٧٦؛ المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ص ٢٧٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٠١/١٨؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١١/٥؛ طبقات المفسرين للداودي: ٢١٨/١؛ كشف الظنون: ٢٦٨/١؛ هدية العارفين: ٤٣٠/٢؛ الأعلام: ١٧٩/٣؛ الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير: ص ١٠٤٢.

(٢) مقدمة محمد زاهد الكوثري على التبصير في الدين: ص ٩.

وتشتمل ناحيتها على أربعمائة وإحدى وخمسين قرية»[١]، ويبدو أن ولادة شاهفور كانت في هذه المدينة، وربما في إحدى القرى القريبة من أسفرايين، ومن المرجح أن الأسفراييني قد استقر بمدينة طوس، كما سيأتي ذكر ذلك بعد قليل.

أما عن نسبه فإن المصادر لا تذكر شيئاً عن ذلك، أهو عربي أم أعجمي؟ ونحن بطبيعة الحال، لا نستطيع أن نحدد ذلك، ولكن ربما يدل اسمه (شاهفور) على أنه أعجمي من موالي قبيلة تميم العربية المشهورة التي عاشت في تلك المنطقة، خاصة علاقة المصاهرة التي تربطه بعبدالقاهر البغدادي التميمي.

وذهب معظم من ترجم له أنه كان شافعي المذهب في الفقه وأصوله، ولذلك ذكره السبكي والذهبي وعدوه من فقهاء الشافعية، العارفين بالأصول.

أما ولادته، فلا تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته، لكن يترجح لنا أنه ولد في حدود سنة ٣٩٥هـ، كما يدل أخذه عن شيخه ابن محمش (ت٤١٠هـ)، والله تعالى أعلم.

طلبه للعلم:

يبدو أن الأسفراييني قد بدأ بطلب العلم، على عادة أهل عصره في ذلك منذ نعومة أظافره، فحفظ القرآن الكريم، وقرأ الحديث على شيوخ نيسابور، ثم ارتحل في طلب العلم، وحصل الكثير، وكان مهتماً بالسماع من أصحاب الأصم[٢]، الذي كان كثير العلم، واسع الرواية، فكانت الرحلة

---

(١) معجم البلدان: ١٧٧/١.

(٢) هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، أبو العباس الأموي مولاهم، النيسابوري الأصم، ولد سنة ٢٤٧هـ، ورافق أبوه في رحلة لطلب العلم، فسمع بمكة وعسقلان وببيروت وبمصر وبالجزيرة وغيرها من البلاد، ثم انصرف إلى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في بلده نيسابور، وتخرج عليه خلق من أهل تلك البلاد وغيرها، وفاته سنة ٣٤٦هـ. سير أعلام النبلاء: ٤٥٢/١٥؛ البداية والنهاية: ٢٣٢/١١.

إليه في عصره، وهو من مشاهير علماء نيسابور، وكانت هذه المدينة تضم بين جنبيها عدداً كبيراً من العلماء في القرن الخامس الهجري، خاصة من تلاميذ الأصم، قال الخطيب البغدادي: «استشرت البرقاني في الرحلة إلى أبي محمد النحاس بمصر، أو إلى نيسابور إلى أصحاب الأصم، فقال: إنك إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى واحد، وإن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة، إن فاتك واحدٌ أدركت من بقي، فخرجت إلى نيسابور»[1].

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن نيسابور كانت في تلك الحقبة قبلة لطلبة العلم من أهل المشرق والمغرب، فكانت الرحلة يومئذٍ إليها بسبب وجود الأصم، ومن ثم تلاميذه من بعده، قال الذهبي: «وما رأينا الرحلة في بلاد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، فقد رأيت جماعة من أهل الأندلس، وجماعة من أهل طراز[2]، وإسبيجاب[3] على بابه، وكذا جماعة من أهل فارس، وجماعة من أهل المشرق»[4].

وفي مدينة نيسابور، بدأ الأسفراييني يأخذ على يد علمائها، خاصة أصحاب الأصم، الذين تذكر المصادر أنه أكثر الأخذ عنهم، وقد تنوعت معارفهم، إذ وقع التصريح بأسماء بعضهم، ولم يصرح بأسماء آخرين، فمن هؤلاء الذين أخذ عنهم:

١ ـ ابن مَحْمِش:

هو أبو طاهر محمد بن مَحْمِش بن علي بن داود الزيادي الشافعي النيسابوري الأديب (ت٤١٠هـ)[5]، نسبته إلى محلة ميدان زياد بن

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/١٨.

(٢) بلدة من ثغور الترك، في أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان. معجم البلدان: ٢٧/٤.

(٣) من مدن ما وراء النهر. معجم البلدان: ١٧١/١.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٤٥٦/١٥.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: ٢٤٥/٢؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١٩٨/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢٧٦/١٧.

عبدالرحمٰن، ولد سنة ٣١٧هـ، وبدأ بالسماع في سن مبكرة، قال الذهبي: «كان إماماً في المذهب، متبحراً في علم الشروط[١]، له فيه مصنف، بصيراً بالعربية، كبير الشأن، وكان إمام أصحاب الحديث ومسندهم ومفتيهم»[٢]، وقال عنه أبو عاصم: «الفقه مطيته، يقود بزمامه طريقه له معبدة، وخفيه ظاهر، وغامضه سهل، وعسيره يسير، ورأيته يناظر ويضع الهناء مواضع النقب»[٣].

وقد انتفع الأسفراييني بعلم شيخه ابن محمش، فأكثر الأخذ عنه، حتى اشتهر بذلك، والظاهر أنه كان معتنياً بالفقه الشافعي والأصول وعلم الحديث، ويبدو ذلك واضحاً من علوم شيخه هذا، فترك أثراً واضحاً في مؤلفاته، خاصة في المسائل الفقهية.

٢ ـ أبو إسحاق الأسفراييني:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الأسفراييني الأصولي الشافعي (ت٤١٨هـ)[٤]، قال عنه الذهبي: «الإمام العلامة الأوحد... الملقب بركن الدين، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة»، وقال ابن عساكر: «وعنه أخذ الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور»[٥]، وقال الحاكم: «أبو إسحاق الأصولي الفقيه المتكلم، المتقدم في هذه العلوم، انصرف من العراق وقد أقرَّ له العلماء بالتقدم... وقال: وبُني له بنيسابور المدرسة التي لم يبن بنيسابور مثلها قبلها، فدرّس فيها».

---

(١) علم الشروط: هو علم باحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال. أبجد العلوم: ٣٣٩/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢٧٧/١٧.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٢٠٠/٤.

(٤) تبيين كذب المفتري: ص ٢٤٣؛ وفيات الأعيان: ٢٨/١؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥٣/١٧؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٢٥٦/٤.

(٥) تبيين كذب المفتري: ص ٢٤٣.

وقد أدرك أبو المظفر الأسفراييني شيخه هذا، وعده من خيرة شيوخه الذين أخذ عنهم، فقد درس على يديه الفقه والأصول وعلم الكلام، وقال عنه: «ومثل الإمام أبي إسحاق الأسفراييني (رحمه الله) الذي عقمت النساء عن أن يلدن مثله، ولم ترَ عيناه في عمره مثل نفسه، وكان شديداً على خصمه، يفرق الشيطان من حسه قدس الله روحه، وله تصانيف في أصول التوحيد، وأصول الفقه، كل واحد منها معجز في فنه منها كتاب (الجامع)، وهو كتاب لم يصنف في الإسلام مثله، ولم يتفق لأحد من الأئمة في شيء من العلوم مثل ذلك الكتاب، ومن حسن أحكامه أنه لا طريق لأحد من المخالف والموافق إلى نقضه؛ لحسن تحقيقه وإتقانه، ولا يتجاسر أحد لأن يتصدى لنقضه للطف صنعته في وضعه، وله في دقائق الفقه والمقدرات كتاب حير به الأفهام، ولا يهتدي لحله إلا من أنفق دهره على حسه، وله عدد كثير من لطائف التصانيف يهتدي بها الناس في أصول الدين مثل: (المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر)، ولم يوجد في الإسلام كتاب مثل حجمه، يجمع ما يجمعه من النكت في الرد على أهل الزيغ والبدع، وكتاب (الوصف والصفة) لم ير كتاب في مثل حجمه يجمع من الفوائد في أصول الدين ما يجمعه، وكتاب (تحقيق الدعاوي) وهو في لطافة حجمه يتضمن الطرف التي يتوصل بها إلى إبانة بطلان الباطل من المقالات، وتصحيح الصحيح منها جميعها في سبع طرق من يهدي إليها، لم تخف عليه كيفية الرد على شيء من مقالات الملحدين والمبتدعين، وكتاب (شرح الاعتقاد) الذي لا يطلع على علومه أحد إلا استبان له طريق أهل السنَّة على وجه لا يتخالجه فيه شيء من الشك والشبهة، وله في الأصول كتاب (ترتيب المذهب)، وكتاب (المختلف في الأصول) لم يجمع مثلهما في علم أصول الفقه بعد الشافعي»[1].

٣ ـ أبو منصور الأيوبي:

هو محمد بن الحسن بن أبي أيوب النيسابوري المتكلم

---

(١) ينظر ص٤٢٦ ـ ٤٢٧ من هذا الكتاب.

(ت٤٢١هـ)[١]، قال عنه عبدالغفار الفارسي: «الأستاذ أبو منصور، حجة الدين، صاحب البيان والحجة والنظر الصحيح، أنْظَرُ من كان في عصره على مذهب الأشعري، تلمذ لابن فورك، وكان فقيراً نزهاً قانعاً مصنفاً»[٢]، ويبدو أن الأسفراييني قد تأثر بشيخه هذا، فعنه أخذ عقيدة الأشاعرة، وذكره فأطرى عليه كثيراً، حيث قال: «ولو لم يخرج من مجلسه من المتبرزين والأقوياء في نصرة الدين، إلا الأستاذ الإمام أبو منصور الأيوبي رضي الله عنه، وهو الذي كان يفر من حسه شيطان كل ملحد على وجه الأرض؛ لقوة نظره وحسن عبارته ولطافته في الرد على خصمه، وله [تصنيف][٣] كتاب التلخيص، ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة في الرد على أهل الإلحاد والبدعة، سوى ذلك الكتاب في حسن بيانه، ولطافة ترتيبه وتهذيبه، كان فيه الكفاية في حسنه مع ما له من التصانيف الأخر التي تداولتها أيدي أهل الأقاليم بحسن البيان ولطافة التنميق»[٤].

٤ ـ عبدالقاهر البغدادي:

هو أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الشافعي (ت٤٢٩هـ)[٥]، نزيل خراسان، وهو صاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، كان أكبر تلامذة أبي إسحاق الإسفراييني، وكان يدرس في سبعة عشر فناً، ويضرب به المثل، قال أبو عثمان الصابوني: «كان الأستاذ أبو منصور من أئمة الأصول، وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل، بديع الترتيب، غريب التأليف، إماماً مفخماً، ومن خراب نيسابور خروجه منها»[٦].

---

(١) تبيين كذب المفتري: ص ٢٤٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٧/٥٧٣.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٥٧٣.
(٣) سقطت من (ك).
(٤) ينظر ص ٤٢٨ من هذا الكتاب.
(٥) تبيين كذب المفتري: ص ٢٥٣؛ وفيات الأعيان: ٣/٢٠٣؛ سير أعلام النبلاء: ١٧/٥٧٢؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٥/١٣٦.
(٦) تبيين كذب المفتري: ص ٢٥٣.

وكان خروجه من خراسان مبكراً مع أبيه إلى بغداد لطلب العلم، ثم عاد مرة أخرى إليها، ومكث في أسفرايين هذه المرة حتى وفاته، فكثر أخذ الناس عنه، ومنهم تلميذه وصهره الأسفراييني، الذي تأثر به كثيراً، فقد كان البغدادي غزير التصنيف، خاصة في أصول الدين والملل والفرق، فقد صنف كتابه المعروف بـ (أصول الدين)، و(الفرق بين الفرق)، و(الإيمان وأصوله) و(تفسير أسماء الله الحسنى) و(تفسير القرآن) و(الحرب على ابن حرب) و(كتاب الصفات) و(فضائح القدرية).. وغيرها من المصنفات[١].

وقد تأثر الأسفراييني كثيراً بمنهج شيخه البغدادي عندما صنف كتابه (التبصير في الدين)، فالناظر فيه يرى بوضوح الأثر الكبير الذي تركه البغدادي على تلميذه، فهو ينقل منه غالباً، وقال في آخر كتابه هذا: «ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم ـ على الخصوص والعموم ـ إلا من كان فرد زمانه وواحد أقرانه في معارفه وعلومه، وكثرة الغرر من تصانيفه، وهو الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي قدس الله روحه، وما من علم من العلوم إلاَّ وله فيه تصانيف، ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) في أصول الدين، وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أنه يتمكن من مثله؛ لكثرة ما فيه من فنون علمه وتصانيفه في الكلام والفقه والحديث والمقدرات التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر، لم يسبق إلى مثل كتبه في هذه الأنواع، مع حسن عبارته وعذوبة بيانه ولطافة كلامه في جميع كتبه»[٢].

٥ ـ أصحاب الأصم:

لقد ذكرت كتب التراجم أن الأسفراييني قد أكثر من أخذ العلم عن

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/١٤٠؛ كشف الظنون: ص ١٣٢٠، وقد أحصت هند بنت أحمد بن براك العصيمي في رسالتها (عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق عرضاً وتقويماً) ٣٥ مؤلفاً. ينظر ص ٣٨ من الرسالة المشار إليها.

(٢) ينظر ص٤٢٨ من هذا الكتاب.

أصحاب الأصم، وهم كثيرون، كما ذكر ذلك من ترجم للأصم، ولكننا نستطيع أن نبين أهم هؤلاء المشايخ، خاصة ممن سكن نيسابور:

- **أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن باموية الأصبهاني الصوفي** (ت٤٠٩هـ)[١] نزيل نيسابور، كانت له رحلة إلى مكة، فحج وسمع من شيوخ الحرم، ثم عاد إلى نيسابور فسمع من الأصم، وأخذ طلبة العلم عنه، ومنهم الأسفراييني.

- **أبو عبدالرحمٰن محمد بن الحسين بن محمد السُلمي النيسابوري الصوفي** (ت٤١٢هـ)[٢]، من مشاهير الصوفية في خراسان، قال عبدالغفار الفارسي: «الموفق في جميع علوم الحقائق، ومعرفة طريق التصوف، وصاحب التصانيف العجيبة المشهورة... كتب الحديث بنيسابور ومرو والعراق، وانتخب عليه الحفاظ»، وصنف في التفسير كتاباً سماه (حقائق التفسير)، انتهى به المطاف بنيسابور، وفيها وفاته، ومن المرجح لدينا أن الأسفراييني أخذ عنه علم التفسير والتصوف وغيرها من العلوم، وأشار إليه في كتابه هذا[٣].

- **أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد النيسابوري الشافعي** (ت٤١٤هـ)[٤]، قال الذهبي: «كان شيخاً ثقة، نبيلاً حيِّراً، زاهداً ورعاً متقناً، ما كان يحدث إلا وأصله بيده يعارض، حدث بالكثير، وكان بصيراً بمذهب الشافعي»، ثم قال عنه: هو شيخ التزكية ببلده، ويبدو أن الأسفراييني قد أدرك هذا الشيخ وأخذ عنه، لمكانته العلمية خاصة بالفقه الشافعي.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٣٩/١٧.

(٢) تاريخ بغداد: ٢٤٨/٢؛ الكامل في التاريخ: ٣٢٩/٩؛ سير أعلام النبلاء: ٢٤٧/١٧.

(٣) ينظر ص٤٢٥ من هذا الكتاب.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١٠٥٨/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٢٩٥/١٧.

ـ **أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي النيسابوري (ت٤٢١هـ)**(١) كان من المكثرين عن الأصم، وكان ثقة مأموناً، وكانت عنايته بالرواية.

ـ **أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحيربر النيسابوري الشافعي القاضي (ت٤٢١هـ)**(٢) درس الكلام والأصول على أصحاب أبي الحسن الأشعري قال الذهبي: «وكان بصيراً بالمذهب، فقيه النفس، يفهم الكلام، وقُلِّدَ قضاء نيسابور مدة».

ـ **أبو نصر منصور بن الحسين النيسابوري المفسر (ت٤٢١هـ)**(٣)، كان مشهوراً بالتفسير، وربما أخذ الأسفراييني عنه في هذا العلم.

ـ **أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الطرازي الحنبلي (ت٤٢٢هـ)**(٤) قال عنه الذهبي: «الشيخ الكبير، مسند خراسان. . . من كبار النيسابوريين» وهو آخر من حدث عن الأصم بالسماع.

٦ ـ أصحاب الرفاء:

هو أبو علي حامد بن محمد بن عبدالله بن معاذ الهروي الرفاء (ت٣٥٦هـ)(٥)، سمع من: عثمان بن سعيد الدارمي، والفضل بن عبدالله اليشكري، ومحمد بن صالح الأشج، وإبراهيم الحربي. . وخلق كثير قال الذهبي: «واشتهر اسمه، وانتشر حديثه، وكان ذا معرفة وفهم وسعة علم. . . وانتهى إليه علوُّ الإسناد بهراة»، والذي يبدو لنا أن الأسفراييني كانت له رحلة إلى هراة، وهناك أخذ عن أصحاب الرفاء، فممن أخذ عنه:

ـ **أبو سعد عبدالملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي النيسابوري (ت**

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٥٠/١٧؛ شذرات الذهب: ٢٢٠/٣.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٥٦/١٧؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٦/٤.
(٣) طبقات المفسرين للداودي: ٣٣٨/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٤١/١٧.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٤٠٩/١٧؛ شذرات الذهب: ٢٢٥/٣.
(٥) تاريخ بغداد: ١٧٢/٨؛ سير أعلام النبلاء: ١٦/١٦؛ شذرات الذهب: ٩/٣.

٤٠٤هـ)[١]، وخركوش: سكة بنيسابور، سمع ببغداد ومكة وجاور، وصحب الكبار، ووعظ وصنف وله تفسير كبير وكتاب (دلائل النبوة) وكتاب (الزهد)، ولا يستبعد أن يكون الأسفراييني قد أدرك الخركوشي فأخذ عنه.

ـ **أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد الجارودي الهروي** (ت ٤١٣هـ)[٢]، وقيل إن الجارودي أول من سن بهراة تخريج الفوائد، وشرح الحديث والتصحيح، سكن هراة وفيها وفاته، وربما يكون الأسفراييني قد أخذ عنه هناك.

ـ **أبو زكريا يحيى بن عمار بن العنس الشيباني السجستاني**، نزيل هراة (ت ٤٢٢هـ)[٣]، وهو من أصحاب الرفاء أيضاً، قال الذهبي: «وكان متحرقاً على المبتدعة والجهمية، بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، إلا أنه كان له جلالةٌ عجيبة بهراة، وأتباعٌ وأنصارٌ... وقد كان فصيحاً مفوهاً، حسن الموعظة، رأساً في التفسير».

ـ **أبو علي الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي البزار الأصولي** (ت ٤٢٥هـ)[٤] من أصحاب الرفاء، قال الخطيب البغدادي: «كتبنا عنه، وكان صحيح السماع، صدوقاً يفهم الكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري».

ـ **أبو عثمان سعيد بن العباس بن محمد القرشي الهروي** (ت ٤٣٣هـ)[٥]، من تلامذة أبي علي الرفاء، قال الذهبي: «كان من سروات الرجال، وبقايا المسندين بهراة».

---

(١) تاريخ بغداد: ٤٣٢/١٠؛ تبيين كذب المفتري: ص ٢٣٣؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٦/١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٨٤/١٧؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١١٥/٤؛ شذرات الذهب: ١٩٩/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤٨١/١٧؛ شذرات الذهب: ٢٢٦/٣.

(٤) تاريخ بغداد: ٢٧٩/٧؛ تبيين كذب المفتري: ص ٢٤٥؛ سير أعلام النبلاء: ٤١٥/١٧.

(٥) تاريخ بغداد: ١١٣/٩؛ سير أعلام النبلاء: ٥٥٢/١٧؛ شذرات الذهب: ٢٥٠/٣.

- **أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد بن بندار العجلي الرازي (ت ٤٥٤هـ)**[(١)] قال عبدالغفار الفارسي: «كان ثقة جوالاً، إماماً في القراءات، أوحد في طريقه»، وكان قد جال في الآفاق، فمر بنيسابور، ونسا، وجرجان، وكرمان وأوشير، وفيها وفاته.

تلاميذه:

اشتهر الأسفراييني وبعد صيته، خاصة معرفته بالأصول والتفسير والكلام، وحمل عنه العلم عندما عهد إليه الوزير نظام الملك التدريس في المدرسة التي أنشاها بمدينة طوس، فكثر أخذ أهل خراسان عنه، وهذه ترجمة لمن وقفنا عليه من تلاميذه:

- **أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الحاكم الأرغياني (ت ٤٩٠هـ)**[(٢)]، قال ابن السمعاني: إمام فاضل حسن السيرة، ودخل طوس وقرأ التفسير والأصول على شاهفور الأسفراييني، ثم دخل نيسابور وقرأ الكلام على إمام الحرمين، ثم عاد إلى بلده وولي القضاء فيها.

- **أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي (ت ٥٠٥هـ)**[(٣)]، هو حجة الإسلام، صاحب التصانيف الباهرة، المتكلم الأصولي، روى ابن النجار: «كان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وقال له: إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط، وأشتهى استدارك ما فاتني في ولدي هذين، فعلمهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلفه لهما، فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فنى ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعذر على الصوفي القيام

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٣٥/١٨؛ تذكرة الحفاظ: ١١٢٨/٣؛ شذرات الذهب: ٢٩٣/٣.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٢/٤.

(٣) تبيين كذب المفتري: ٢٩١؛ وفيات الأعيان: ٢١٦/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣٢٢/١٩؛ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ص ٣٧؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١٩١/٦.

بقوتهما، فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر والتجريد، بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى»[١]، ومن المعلوم أن أبا حامد الغزالي ولد سنة ٤٥٠هـ، فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار اتجاهه للمدرسة النظامية بطوس، وهو لازال صبياً، في حدود سنة ٤٦٠هـ، وهي الفترة نفسها التي كان يدرس فيها أبو طاهر الأسفراييني في هذه المدرسة، فلا بد أن يكون الغزالي قد أخذ عنه، وتفقه به، خاصة بعلم الكلام والأصول.

ـ أبو المظفر أحمد بن محمد الخوافي النيسابوري الشافعي (ت٥٠٠هـ)[٢]، اشتهر بالمناظرة وعلم الكلام، قال السبكي: «كان في المناظرة أسداً لا يصطلى له بنار، قادراً على قهر الخصوم وإرهاقهم إلى الانقطاع، قال معاصروه: رزق السعد في المناظرة، كما رزق الغزالي السعد في المصنفات»، ولي قضاء طوس مدة، وفيها وفاته.

ـ أبو الحسن عبدالغفار بن إسماعيل بن عبدالغافر النيسابوري الحافظ (ت٥٢٩هـ) [٣]، ولد سنة ٤٥١هـ، وتفقه بإمام الحرمين، وبرع في المذهب الشافعي، وارتحل إلى غزنة والهند وخوارزم، ولقي الكبار وولي خطابة نيسابور، قال الصيرفي: «روى عن أبي المظفر الأسفراييني إجازةً وإذناً»[٤].

ـ أبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد بن مرزبان النيسابوري المستملي الشحامي (ت٥٣٣هـ)[٥]، ولد سنة ٤٤٦هـ بنيسابور، وأخذ عن

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ١٩٤/٦.

(٢) طبقات الشافعية للأسنوي: ٢٦٢/٢؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٦٣/٦. وخواف قرية من أعمال نيسابور.

(٣) وفيات الأعيان: ٢٢٥/٣؛ تذكرة الحفاظ: ١٢٧٥/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٠؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١٧١/٧.

(٤) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ص ٢٧٢.

(٥) المنتظم: ٧٩/١٠؛ سير أعلام النبلاء: ٩/١٨؛ البداية والنهاية: ٢١٥/١٢؛ شذرات الذهب: ١٠٢/٤.

علمائها، وقع التصريح بروايته عن أبي المظفر الأسفراييني عند الذهبي[١]: «وروى الكثير، واستملى على جماعة، وخرَّج وجمع... وكان ذا حب للرواية، فرحل لما شاخ، وروى الكثير ببغداد وبهراة وأصبهان وهمذان والري والحجاز ونيسابور»، وكان خبيراً بالشروط، ووفاته بنيسابور.

مكانته العلمية:

نال أبو مظفر الأسفراييني مكانة علمية مرموقة، قال عنه الداودي: «أبو المظفر المفسر، إمام بارع، صنف التفسير الكبير، وصنف في الأصول»[٢]، وقال عنه الذهبي: «العلاّمة المفتي... كان أحد الأعلام»[٣]، وقال عنه السبكي: «الإمام الأصولي الفقيه المفسر»[٤]، وقال عنه تلميذه أبو الحسن الحافظ: «الإمام الكامل، الفقيه الأصولي، المفسر، جامعٌ بارعٌ، صنف التفسير المشهور، وصنف في الأصول»[٥].

ويبدو أن المكانة العلمية الطيبة التي تمتع بها الأسفراييني قد دفعت الوزير نظام الملك أن يعهد إليه التدريس في المدرسة التي أسسها بمدينة طوس، فكان يدرس فيها التفسير والأصول[٦]، فكثر أخذ الناس عنه، حتى برع من تلامذته المشهورين أبو حامد الغزالي، والحافظ عبدالغفار النيسابوري، ونظراً لمكانته بين علماء خراسان، فقد كلفه الوزير نظام الملك بتصنيف كتاب جامع شامل في عقائد أهل الأهواء وتمييز الفرقة الناجية، فألف كتابه هذا وقال عنه: «جمعت لشريف خزانته كتاباً فارقاً بين الفريقين، جامعاً بين وصف الحق وخاصته، والإشارة إلى حجته، ووصف الباطل، وحل شبهه؛ ليزداد المطلع عليه استيقاناً في دينه، وتحقيقاً في يقينه، فلا

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٠١/١٧.
(٢) طبقات المفسرين: ص ١٣٠.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٤٠١/١٨.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ١١/٥.
(٥) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ص ٢٧٢.
(٦) طبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٢/٤.

ينفذ عليه تلبيس المبطلين، ولا تدليس المخالفين للدين، وقسمته بحول الله وقوته على خمسة عشر باباً، جامعة لبيان أوصاف عقائد أهل الدين، وفضائح أهل الزيغ والملحدين. . .»[١].

فبقي يدرس في هذه المدرسة حتى وفاته سنة ٤٧١هـ بمدينة طوس.

وكان لأبي المظفر الأسفراييني شعر جيد، يدل على قريحة في الشعر والأدب، منها قوله[٢]:

ليس الجواد هو المبذول لماله ... إن الجواد هو المحقر للندى
من غير شكر يبتغيه بجوده ... كلا ولا من لذاك ولا أذى

مؤلفاته:

ألف أبو المظفر الأسفراييني في الأصول والتفسير والعقائد، ولكن يبدو أن معظم هذه المؤلفات قد ضاعت بتعاقب الزمن، وما وصلنا منها عدد قليل جداً:

١ ـ كتاب الأوسط: ذكره الأسفراييني أكثر من مرة في مؤلفاته، ويبدو أن موضوعه يدور حول العقائد والملل.

٢ ـ تاج التراجم في تفسير القرآن الكريم للأعاجم: وهو مطبوع أكثر من مرة.

٣ ـ كتاب التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين: وهو هذا الكتاب الذي نحن بصدده.

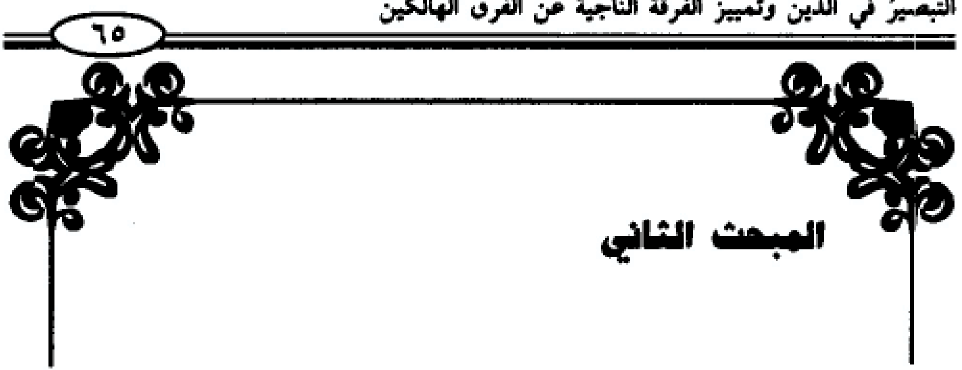
وفاته:

كانت وفاة الأسفراييني في سنة ٤٧١هـ في مدينة طوس، وفيها دفن، رحمه الله تعالى.

---

(١) ينظر ص١٧٠ ـ ١٧١ من هذا الكتاب.

(٢) مقدمة كتاب التبصير في الدين، بتحقيق الكوثري: ص ٩. ولم أقف على المصدر.



المبحث الثاني

مذهبه العقدي والفقهي

لقد عاش أبو المظفر الأسفرايني في عصر ساد فيه مذهب الأشاعرة، خاصة في بلاد خراسان، على أيدي علماء نيسابور الذين تأثروا بالصراع الفكري السائد في ذلك العصر، خاصة مع المعتزلة والباطنية والفلاسفة، ويبدو تأثر الأسفراييني واضحاً بشيخيه: أبو المنصور الأيوبي، وعبدالقاهر البغدادي، فسار على نهج الأشاعرة في عقيدته الكلامية، خاصة مع الدعم الرسمي الذي حظي به الأشاعرة، فقد كان نظام الملك أشعري العقيدة، وشجع العلماء على السير على هذا النهج، وقرر هذه العقيدة في المدارس النظامية التي أسسها في عدد من حواضر العالم الإسلامي.

أما مذهبه الفقهي، فهو شافعي المذهب، فقد ترجمت له طبقات الشافعية، وصرح هو أكثر من مرة، بأنه يسير على هذا المذهب في مؤلفاته.

معتقد الأشاعرة:

لقد أشرنا في مقدمة كتابنا هذا بشيوخ الأسفراييني الذين أخذ عنهم، وتأثر بهم وسار على نهجهم، ولا بدَّ أن نوضح المنهج الذي يسير عليه الأشاعرة في باب العقيدة؛ لأن هذا يشكل لنا مدخلاً لفهم المنهج الكلامي

للأسفراييني بصورة عامة، ونهج كتاب التبصير في الدين بصورة خاصة[١]:

أولاً: يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام:

ـ قسم مصدره العقل وحده، وهو معظم الأبواب، ومنه باب الصفات؛ ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل (عقلية)، وهذا القسم يحكم بوجوبه دون توقف الوحي عندهم، أما عدا ذلك من صفات خبرية دلَّ عليها الكتاب والسنة، فإنهم يؤولونها.

ـ قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية، على خلاف بينهم.

ـ قسم مصدره النقل وحده، وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة، كعذاب القبر والصراط والميزان، وهو مما لا يحكم العقل باستحالته، فالحاصل أنهم في صفات الله تعالى جعلوا العقل حاكماً، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً، وفي الرؤية جعلوه مساوياً، أما مذهب أهل السنَّة والجماعة، فلا منافاة بين العقل والنقل أصلاً، ولا تقديم للعقل في جانب، وإهماله في جانب آخر، وإنما الأصح تقديم النقل على العقل.

ثانياً: منهج الأشاعرة في التوحيد والإيمان:

ـ خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا المعتزلة والمتكلمين على الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث، ولا بد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث، وعدم حلولها فيها، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسم ولا في مكان... الخ، بينما طريقة السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

ـ التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات، ونفي التبعيض

---

(١) لخصنا هذا الموضوع من الموسوعة الميسرة: ١/٩٠ وما بعدها.

والتركيب والتجزئة، أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة، ولذلك فسروا الإلٰه بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم.

ـ يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع، وكذلك صفتي العلو والاستواء، أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معنى النص ـ بمعنى تحريفه ـ أو تفويضه، سواء كان في نصوص الصفات أو غيرها.

ـ الأشاعرة في الإيمان بين المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق القلبي، وفي هذا مخالفة لمذهب أهل السنَّة والجماعة الذين يقولون: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

ـ الإيمان والطاعة بتوفيق الله، والكفر والمعصية بخذلانه، والتوفيق عند الأشعري، خلق القدرة على الطاعة، والخذلان عنده: خلق القدرة على المعصية، وعند أصحاب الأشعري، تيسير أسباب الخير هو التوفيق وضده الخذلان.

ـ قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى مطلقاً، ولكنهم قالوا: إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل إثبات صدق النبيّ، فتناقضوا في ذلك ما بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض، وبين إثبات الله للرسول المعجزة، تفريقاً بينه وبين المتنبئ.

ثالثاً: معتقدات الأشاعرة الأخرى:

ـ يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها، ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته، ولقد عدَّ المحققون (الكسب) هذا من محالات الكلام، وضربوا له المثل في الخفاء والغموض، فقالوا: أخفى من كسب الأشعري، وقد خرج إمام الحرمين عن هذا الرأي، وقال بقول أهل السنَّة والجماعة.

ـ وافق الأشاعرة أهل السنَّة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ، وأمور الآخرة من الحشر والنشر والميزان والصراط، والشفاعة والجنة والنار؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر عنها الصادق ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية.

ـ والأشعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) الذي هو آخر ما ألف من الكتب على أصح الأقوال، رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الأثبات وعدم التأويل، يقول رحمه الله تعالى: «وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عزَّ وجلَّ، وبسنَّة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. . .».

خلاصة القول:

إن الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة ودعى فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، على طريقة ابن كلاب، وهي تثبت بالعقل الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى، (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) واختلفوا في صفة البقاء، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها، بينما يأولون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها.

وعموماً فإن عقيدة الأشاعرة تنسب إلى عقيدة أهل السنَّة والجماعة بالمعنى العام في مقابل الخوارج والشيعة والمعتزلة. وأن الأشاعرة، وبخاصة أشاعرة العراق الأوائل أمثال أبو الحسن الأشعري، والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني وغيرهم، أقرب إلى السنَّة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، بل ومن أشاعرة خراسان كأبي بكر بن فورك وغيره، وإنهم ليحمدوا على مواقفهم في الدفاع عن السنَّة والحق في وجه الباطنية والرافضة والفلاسفة، فكان لهم جهدٌ محمودٌ في هتك أستار الباطنية وكشف أسرارهم، بل وكان لهم جهادهم المشكور في كسر سورة المعتزلة والجهمية.

وعلى ذلك فإن حسناتهم على نوعين كما صرَّح شيخ الإسلام ابن تيمية: «إما موافقة السنة والحديث، وأما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم». ويقول أيضاً: «ومنهم من يذمهم لما وقع كلامهم من البدع والباطل، وخير الأمور أوسطها» ويقول في كتاب النبوات: «حيث إن خطأهم بعد اجتهادهم مغفور». وأخيراً يقول في درء التعارض: «فإن الواحد من هؤلاء له مساعٍ مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفينَ لما جاء به الرسول. فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح.. وما من أحد من هؤلاء هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع»[1].

عقيدة الأسفراييني:

لقد تأثر الأسفراييني بمعتقد الأشاعرة، والذي وصل إلى أوج قمته في القرن الخامس الهجري، على يد علماء نيسابور وخراسان، يضاف إلى ذلك التشجيع الرسمي الذي تلقاه هذا المعتقد من قبل الدولة السلجوقية، خاصة وزيرها نظام الملك الذي قام بإنشاء عدد من المدارس التي اتخذت أسلوب الأشاعرة الكلامي منهجاً يدرس في هذه المدارس، وقد مارس الأسفراييني نفسه هذا التدريس في المدرسة النظامية بطوس.

أما الأدلة التي تؤيد ما ذهبنا إليه من كون الأسفراييني أشعري العقيدة، فيتمثل بالآتي:

١ ـ تقرير الأسفراييني لمعتقد الأشاعرة في كتابه هذا، منها نفيه للصفات الاختيارية لله تعالى، فقال: «وأن تعلم أن الحركة والسكون والذهاب والمجيء والكون في المكان، والاجتماع والافتراق والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والانفصال والحجم والجرم والجثة والصورة والحيز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب، والجهات كلها لا تجوز عليه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ١٠٢/٢.

تعالى؛ لأن جميعها يوجب الحد والنهاية، وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى».

٢ ـ عده الأشعري ومن جاء بعده ممن سار على طريقته الكلامية هم أهل السنَّة والجماعة، سائراً على خطى شيخه عبدالقاهر البغدادي، فقال: «إن لأهل السنة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين، منها ما هو مبسوط يكثر علمه، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه، في أعصار مختلفة من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، في نصرة الدين والرد على الملحدين، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين، ولم يكن لواحد من متقدمي القدرية والروافض والخوارج تصنيف في هذا النوع يظهر ويتداول، وهل كان لهم علم حتى يكون لهم فيه تصنيف، بلى قوم من متأخريهم تكلفوا جمع شبهه، يخادعون به القوم عن أديانهم وصنفوا فيها تصانيف، أكثرها لا يوجد إلا بخط المصنف، إذ كان الاشتغال بنقلها من قبيل تعطيل الوقت بالمقت...»، ثم ذكر علماء الأشاعرة من أمثال: الباقلاني وابن فورك والأسفراييني والبغدادي وغيرهم، وعد هؤلاء هم أهل السنَّة والجماعة، ومن الواضح أن هذا اللقب قد غلب على الأشاعرة في القرن الخامس الهجري لتصدرهم التدريس والتأليف والرد على أهل الاعتزال والرفض والباطنية.

٣ ـ ذكر الأسفراييني ذلك في مقدمة كتابه هذا، وأن سبب التأليف هو الرد على أهل الأهواء والبدع، كما أن التوجيه يبدو واضحاً من الوزير نظام الملك لتصنيف مثل هذا الكتاب، بحيث يكون منهج يسير عليه الطلاب في المدارس النظامية.

٤ ـ ثناء علماء الأشاعرة عليه من أمثال: ابن عساكر والسبكي.

٥ ـ إن تلامذة الأسفراييني ساروا على منهج الأشاعرة في الكلام، خاصة الغزالي الذي تأثر تأثراً كبيراً بهذه المدرسة في مقتبل حياته.

على أن هذه العقيدة شكلت منهجاً خاصاً في الرد على أهل الأهواء والبدع، خاصة في القرن الخامس والسادس الهجري، فالأسفراييني في كتابه هذا قد سار على نهج من سبقه من الأشاعرة في اعتماد الأسس الكلامية في

استعراض هذه الفرق الإسلامية والرد على شبهاتها التي ظهرت، وإن كان هذا المنهج يتفاوت من فرقة إلى أخرى، وقد ذكرهم ومدحهم في شعره، وبين أنه سائرٌ على منهجهم:

قل لأناس لقبوا دينهم	بالعدل والعدل بهم عادلُ
وكل قولٍ قاله بعضهم	كفرهم منهم به قائل
يا أيها القوم لكم مذهب	ليس له في الناس من قائل
هجرتم مذاهب أشياخكم	وقولكم يجهر من قابل
تخبط بين شياطينكم	وسوسة ليس لها طائل
هل تنفع الوثبة من بعد	ما وقعتم في كفر الحابل
هلاّ إذا اعوزتم حجة	راجعتم دينا له حاصلُ
دين إمام الحق شمس الهدى	الأشعري الناظرُ الناضلُ

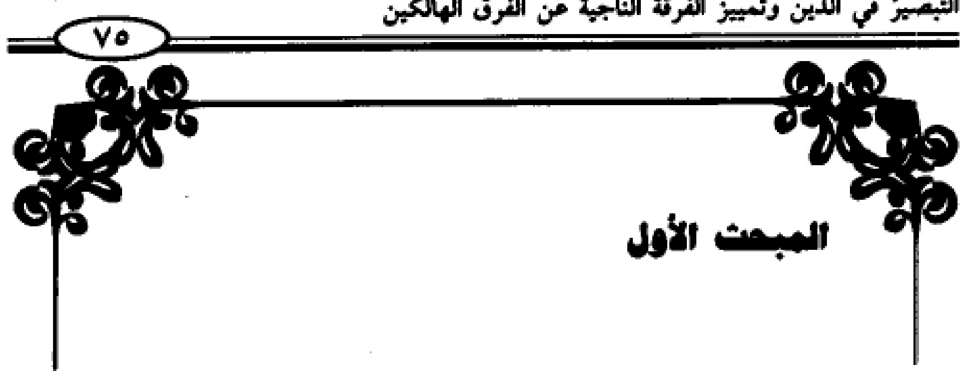





الفصل الثالث

التعريف بكتاب التبصير ومصادر الأسفراييني فيه



المبحث الأول

التعريف بالكتاب

تسمية الكتاب:

يمتاز كتاب (التبصير في الدين) بكون التسمية تجمع بين الدلالة على صحة الاعتقاد، مع استعراض الفرق الإسلامية التي ظهرت حتى وفاة المؤلف، والملاحظ أن التسمية التي اختارها المؤلف للكتاب تتناسب مع قصد المؤلف منها، ذلك أنه أراد أن يجعل كتابه هذا مرجعاً يرجع إليه أيضاً في بيان عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

والتسمية المشهورة للكتاب هي **(التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين)** كذا ذكرها له العلماء[1]، ويبدو أن هذه التسمية هي الأصح للكتاب، رغم أن المؤلف (رحمه الله) لم يصرح بالتسمية في كتابه هذا، إلا أننا نستطيع أن نرجح ذلك لأسباب عديدة:

١ ـ إن سبب تأليف الكتاب ـ على ما يأتي ذكره ـ هو أن المؤلف قصد منه بيان صفات الله تعالى، ومعرفتها حسب ما ورد الدليل من الكتاب والسنة في تقريرها، ولا يتم ذلك إلا بنفي النقائص عنه، مع استعراض الأهواء التي تلبست بهذا الدين، وبيان بطلانها.

---

(١) كشف الظنون: ١/٣٤٠.

٢ ـ كان قصد الأسفراييني أن يربط بين صحة الاعتقاد، مع بيان الفرق التي ظهرت في تاريخ المسلمين، وهو يدخل في باب تبصير المسلم بأمور دينه، وتحذيره من الفرق الهالكة.

٣ ـ يذكر الأسفراييني أنه ألف الكتاب خاصة للوزير نظام الملك، ووضعه بين يديه ليكون: «كتاباً فراقاً بين الفريقين، جامعاً بين وصف الحق وخاصته والإشارة إلى حجته... جامعاً عقائد أهل الدين وفضائح أهل الزيغ والملحدين»[1].

٤ ـ أخيراً فإن الأسفراييني سار على خطى شيخه البغدادي، الذي سبقَهُ في التأليف في الموضوع نفسه، فسمى كتابه (الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم) كذا كانت تسمية الكتاب، ولا بدَّ أن يكون الأسفراييني قد تأثر بكتاب شيخه، فألف على منواله، ونسج تسميته وفق تسمية شيخه.

أما إن أردنا أن نحلل تسمية الكتاب فإن التبصير في اللغة يشير إلى: «التعريف والإيضاح، ورجلٌ بصيرٌ بالعلم: عالم به»[2]، لكن لماذا جعل التبصير هنا بالدين عامة؟ ومعلوم أن هذه المفردة تشمل الدين كله، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩﴾ [آل عمران: ١٩]، فجعل الأسفراييني تسميته عامة لكل ما يدان به، وإن كان الكتاب يبدو موجهاً للمسلمين خاصة، إلا أنه لا يخلو من ذكر غير المسلمين، ويبدو أن قصد المؤلف من ذلك التنبيه على أن الافتراق الذي حصل في هذه الأمة، هو موافق لما أخبر به النبيّ ﷺ في حديث الافتراق المشهور، الذي سنأتي على ذكره بعد حين.

على أن قصد المؤلف من عنوان كتابه لم يكن الاقتصار على استعراض أراء الفرق الإسلامية وغير الإسلامية، ولكن كان القصد منها بيان

---

(١) ينظر ص١٧٠ من مقدمة المؤلف.

(٢) لسان العرب: ٦٥/٤.

وتمييز الفرقة الناجية، وفقاً لما يراه ويعتقده، وقد كان موفقاً من هذه الناحية عندما جعل عنوان الكتاب موافقاً لتصميمه، فالكتاب يتدرج في ذكر الفرق الإسلامية وفقاً لتصميم منتقى من قبل المؤلف، وكذلك عنوان الكتاب نفسه فإنه يتدرج في بيان محتوى الكتاب ومقاصده.

وقد نأخذ على عنوان الكتاب أن المطلع على الجزء الأول منه (التبصير في الدين) يشعر أن هذا الكتاب هو في أصول الدين، وليس في علم الملل والنحل، خاصة وأن شيخه عبدالقاهر البغدادي، الذي سبقه في التصنيف في هذا الكتاب كان موفقاً في اختيار عنوان منتقى لكتابه يتطابق تماماً مع المضمون، وهو (الفرق بين الفرق)، ولكن قد يكون قصد الأسفراييني من عنوان كتابه هو المزاوجة بين علم أصول الدين وعلم الملل والنحل، فإن كتابه مشترك في هذين المعنيين، وهذا يمكن أن يفهم منه أن موضوع الكتاب يندرج فعلاً تحت هذا المسمى.

الدوافع لتاليف الكتاب:

من المهم أن نبين الأسباب التي دفعت الأسفراييني إلى تصنيف كتابه (التبصير في الدين)، وعادةً ما يفسر الكتّاب والمؤلفون مثل هذه الدوافع في مقدمة الكتاب، أو من خلال ثناياه، ونحن لا نستطيع أن نهمل هذه الدوافع سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، ويمكن بيانها وفق الآتي:

أولاً: الدوافع المباشرة:

إن طبعات الكتاب المتداولة بين يدي الباحثين، قد أهملت التحقق من سبب تأليف الكتاب، ويعود السبب في ذلك ـ بتقديرنا ـ إلى اعتمادها على نسخة خطية واحدة، كما أهملت دراسة الكتاب بصورة علمية، وقد صرحت أحدى المخطوطات التي تم اعتمادها أثناء التحقيق بأن الدافع المباشر لتصنيف هذا الكتاب، كان بتوجيه من الوزير المشهور نظام الملك، يقول الأسفراييني في مقدمة كتابه: «ولما كان الشيخ الأجل الوزير أبو الحسن علي بن علي بن إسحاق قد أكرمه الله بجلال نعمه، وفضائل قسمه، قائماً

بنصرة أهل الدين، سيفاً مصلتاً على جميع أهل الزيغ والمبتدعين، وكان مخصوصاً من عند الله تعالى بفواضل سماوية، وكرامات علوية، جامعاً بين رأي رشيد وعزم شديد وحزم أكيد، ناظراً لأهل الدين ومناججهم، وأهل الدنيا ومصالحهم، ليكون إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ولما كان بابه الرفيع مصطفق الرفاق، وملتقى الرجال من كل أوبٍ من الآفاق، وكان فيهم الأصناف المختلفة والأخياف المتباينة في طرقهم وأديانهم، وكان بلطيف نظره يتأمل عقولهم وأحوالهم، ليرفع من كان في دينه رفيعاً، ويضع من كان في طريقته وضيعاً، جمعت لشريف خزانته، كتاباً فارقاً بين الفريقين، جامعاً بين وصف الحق وخاصته، والإشارة إلى حجته، ووصف الباطل، وحل شبهه؛ ليزداد المطلع عليه استيقاناً في دينه، وتحقيقاً في يقينه، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين، ولا تدليس المخالفين للدين»[(١)].

ومن المعروف أن الوزير نظام الملك كان مهتماً بالعلم والعلماء، فكان له الفضل في تأسيس المدارس النظامية في عدد من حواضر العالم الإسلامي يومئذٍ قال الذهبي: «كان عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم، وأدرَّ على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبَعُدَ صيته...»[(٢)].

ثانياً: الدوافع غير المباشرة:

هناك أسباب كثيرة دفعت أبو المظفر الأسفراييني لتأليف هذا الكتاب، ذكرها أو أشار إليها بصورة غير مباشرة، توضحت لنا من خلال مطالعتنا لكتابه:

١ ـ بيان زيف المقالات التي انتحلها البعض، وغروا بها العوام من خلال تزيينها للناس في المجتمع الإسلامي بصورة عامة، خاصة في بلاد

---

(١) ينظر ص١٧٠ ـ ١٧١ من مقدمة المؤلف.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٩٤/١٩.

خراسان وما وراء النهر، التي انتشرت فيها الأفكار والمعتقدات المنحرفة والغالية، من باب بيان الشر خشية الوقوع فيه، قال الأسفراييني: «وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة، وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة، حتى قال حذيفة بن اليمان: «كَانَ النَّاس يَسألونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ الخَيرِ، وَكُنتُ أَسْألُهُ عَنْ الشَّرِّ»[1]، وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته، لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

٢ ـ الوقوف بوجه بعض الفرق من الكرامية والباطنية التي انتشرت بصورة واسعة في خراسان في القرن الرابع والخامس الهجريين، وقد شهد القرن الرابع الهجري ظهور بارز لفرق الشيعة بمختلف فرقها، خاصة الروافض والباطنية، قال أبو المظفر الأسفراييني عن الفرقة الأخيرة: «وفتنتهم على المسلمين شرٌّ من فتنة الدجال، فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوماً، وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون، وهي قائمة بعد».

٣ ـ بيان تأثير أفكار الأمم السابقة على الفرق التي ظهرت في خراسان بصورة خاصة، وقد شبه الأسفراييني الكرامية بالمجوس، فقال: «ولم يجد هؤلاء في الأمم من يكون قدوة لهم بالقول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس، فرتبوا مذهبهم على قولهم، وذلك أن المجوس قالوا: تفكر يزدان في نفسه أنه يجوز أن يظهر له منازع ينازعه في مملكته، فاهتم لذلك فحدثت في ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة، فخلق منها الشيطان، فلما سمعت الكرامية هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث في ذاته سبحانه تعالى الله عن قولهم، فلزمهم أن يجوزوا حلول الألم واللذة والشهوة والموت والعجز والمرض عليه، فإن ما كان محلا للحوادث لم يستحل عليه هذه الحوادث كالأجسام».

٤ ـ تمييز الفرقة الناجية التي ذكرت في حديث الافتراق المشهور عن

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: رقم ٣٤١١؛ مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين: رقم ١٨٤٧؛ أبو داود، السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها: رقم ٤٢٤٤.

الفرق الأخرى، بل إن العنوان الذي حمله الكتاب يدل على ذلك، فقال بعد أن انتهى من استعراض الفرق الإسلامية: «وقد نزههم الله تعالى عن جميع هذه الفضائح والرذائل التي سردناه، وجروا في اعتقادهم على ظاهر الكتاب والسنة وإجماع الأئمة، والخلاف بينهم رجع إلى فروع الدين، وإلى أمور يسيرة الخطب، لا توجب تكفيراً ولا ابتداعاً».

٥ ـ رغم أن الكتاب كان مخصصاً لفرق المسلمين، فقد بين أبو المظفر الأسفراييني عقائد غير المسلمين بصورة مختصرة، فقال في باب خصصه لذلك: «في بيان مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام والله أعلم بعددهم ونذكر منهم ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات».

٦ ـ بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة، بموازاة الفرق التي ظهرت في الإسلام، وقد تضمت ذلك ثلاثة أمور:

ـ **أحدها**: في بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة.

ـ **الثاني**: في بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التي ننبه عليها.

ـ **الثالث**: في بيان فضائلهم.

وأهل السنَّة الذين يعنيهم المؤلف هنا هم الأشاعرة، وقد بيَّنا سبب معتقده هذا في الفصل الذي تقدم.

تاريخ تاليف الكتاب:

لا نعرف بالضبط التاريخ الذي ألف فيه أبو المظفر الأسفراييني كتابه (التبصير في الدين)، ولكن هناك إشارات ربما تقودنا إلى تحديد تاريخ تقريبي لتأليف الكتاب، من ذلك على سبيل المثال منها أنه يترحم على أبي إسحاق الأسفراييني (ت٤١٨هـ) عندما يذكره في كتابه هذا، كما يترحّم أيضاً على محمود بن سبكتكين (ت٤٢١هـ)، كما يترحّم على شيخه عبدالقادر البغدادي (ت٤٢٩هـ) عندما يشير إليه في كتابه، وهذا

يدل أنه صنّف الكتاب بعد هذا التاريخ، ولكن لا نستطيع تحديد التاريخ بالضبط، ويمكن القول أن الكتاب ألف بعد سنة ٤٣٠هـ، وربما يكون تأليف الكتاب بمدينة طوس، عندما انتدب أبو المظفر الأسفراييني للتدريس فيها، وهذا هو المرجح لدينا، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن التأليف كان بتوجيه من الوزير نظام الملك، وهذا يعني أن التأليف ربما تأخّر فكان في أواخر حياة المؤلف رحمه الله، خاصة إشاراته المتكررة لبعض مؤلفاته في كتابه هذا.

طبعات الكتاب:

إن الاهتمام بكتاب (**التبصير في الدين**) قد بدأ منذ وقت مبكّر على يد الشيخ محمد زاهد الكوثري، حيث طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣٥٩هـ على نسخة خطية واحدة، وقد أعيد طبع الكتاب عدة مرات على هذه الطبعة، وكان د. محمود محمد الخضري قدم كلمة في مبدأ الكتاب عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم، وفي هذه الطبعة قد ترجم لمعظم أعلامها، وخرجت الآيات القرآنية، وخرج الحديث بالعزو في معظم الأحيان إلى مضانه، دون الإشارة إلى الجزء والصفحة، كما وضعت فهارس في آخر الكتاب للأعلام وموضوعات الكتاب، وقد بلغت عدد صفحات الكتاب مع مقدمته وفهارسه (١٨٣) صفحة.

أما الطبعة الثانية للكتاب فقد كانت بعناية الأستاذ كمال الحوت سنة ١٩٨٣م، وقد اعتمد على نسخة خطية واحدة أيضاً، قدم له بمقدمة موجزة، شملت التعريف بالمؤلف والكتاب، وقد كانت عناية الأستاذ كمال الحوت بتخريج الفرق والأعلام أكثر من عناية الشيخ الكوثري، إلا أن هذه الطبعة أيضاً بحاجة إلى تصحيح وضبط، بسبب اعتماد الكتاب على نسخة خطية واحدة، وقد بلغ عدد صفحات الكتاب مع فهارسه (٢٢٧) صفحة، كما أعيد طباعة الكتاب عدة مرات على هذه الطبعة أيضاً.

تقسيم الكتاب:

إن المطلع على خطة كتاب (التبصير في الدين) يلاحظ تأثر المؤلف الشديد بتقسيم شيخه عبدالقادر البغدادي لكتابه (الفرق بين الفرق)، ولكن هناك اختلاف في أبواب الكتاب التي اعتمدها كل واحد منهما، فالبغدادي قسم كتابه إلى خمسة أبواب، هذه ترجمتها[1]:

- باب في بيان الحديث المأثور في افتراق الأمة.
- باب في بيان فرق الأمة على الجملة، ومن ليس منها على الجملة.
- باب في بيان فضائح كل فرقة من فرق الضالة.
- باب في بيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها.
- باب في بيان الفرقة الناجية، وتحقيق نجاتها وبيان محاسن دينه.

أما تقسيم الأسفراييني فكان إلى خمسة عشر باباً، هذه ترجمتها:

- **الباب الأول**: في بيان أول خلاف ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وما ظهر من الخلاف في أيام الصحابة رضي الله عنهم أو قريباً منهم.
- **الباب الثاني**: في بيان فرق الأمة على الجملة.
- **والباب الثالث**: في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم.
- **والباب الرابع**: في بيان مقالات الخوارج وبيان فضائحهم.
- **والباب الخامس**: في تفصيل مقالات القدرية الملقبة بالمعتزلة وبيان فضائحهم.
- **والباب السادس**: في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم.
- **والباب السابع**: في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم.

---

(١) الفرق بين الفرق: ص ٣.

ـ **والباب الثامن:** في تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم.

ـ **والباب التاسع:** في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم.

ـ **والباب العاشر:** في تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم.

ـ **والباب الحادي عشر:** في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم.

ـ **والباب الثاني عشر:** في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم.

ـ **والباب الثالث عشر:** في بيان فرق ينتسبون إلى دين الإسلام، ولا يعدون في جملة المسلمين، ولا يكونون من جملة الاثنتين والسبعين، وهم أكثر من عشرين فرقة.

والملاحظ على تقسيم الأسفراييني أنه فصل في ذكر تفاصيل الأبواب أكثر من شيخه البغدادي، وإن كان الغالب على كتاب الأسفراييني الاختصار، إذ أن أصول الفرق كما هو معروف عند أكثر كتّب الملل والنحل أربعة هم (الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة)، لكن تقسيم الأسفراييني قد أفرد فرق المعتزلة والمرجئة بأبواب مستقلة، على عكس شيخه البغدادي الذي التزم بالتقسيم التقليدي لكتابه، ويعود السبب بتقديرنا للتفاصيل المذكورة في تقسيم الأسفراييني إلى أمور منها:

ـ أن الأسفراييني أراد أن يبرز الفرق التي كانت سائدة في بيئته يومئذ، فأفرد على سبيل المثال الكرامية بباب مستقل وهي من فرق المرجئة، كما أفرد المشبهة بباب مستقل وهي من فرق المعتزلة.

ـ أن الأسفراييني قد أفرد الفرق غير الإسلامية بباب مستقل، بعيداً عن تقسيم شيخه البغدادي، وإن كانت عناية الأخير بالتفاصيل أكثر من عناية الأسفراييني نفسه.

ولكن مع ذلك، فإن البغدادي كان قد سبق الأسفراييني في تقسيمه هذا، إذ جعل تحت كل باب من الأبواب الخمسة من كتابه فصولاً مستقلة، وبذلك كانت طريقة البغدادي اسلم برأينا من طريقة الأسفراييني على اعتبار أنه جعل الأصول خمسة، ثم فصل في فصول الأبواب، في حين أن

التفصيل في كتاب الأسفراييني كان من الأصول، وربما يكون عذر الأخير أنه أراد أن يكون كتابه مختصراً لكتاب البغدادي، ولهذا لم يفصل التفصيل الذي فصله شيخه فيه وسبقه إليه.

تحليل مقدمة الكتاب:

لقد كتب الأسفراييني مقدمة طويلة نسبياً لكتابه (التبصير في الدين) مقارنة بمقدمة كتاب شيخه عبدالقادر البغدادي (الفرق بين الفرق)، وقد ابتدأ المقدمة بالحمد والصلاة على رسول الله، ثم قال: «اعلموا أسعدكم الله...»، ويبدو من خلال هذه العبارة أن الأسفراييني قد وجه كتابه هذا لمجموعة خاصة من الناس، كأن يكونوا من طلبة العلم، أو أن يكون وجه خطابه هذا إلى الوزير نظام الملك الذي قدم له الكتاب بعد تأليفه، وبه يمكن القول أن الكتاب كان موجه لفئة متعلمة مثقفة من أهل خراسان.

ثم بيّن الأسفراييني في مقدمة كتابه هذا الحكمة من توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته، ولا تتكامل تلك المعرفة ـ باعتقاده ـ إلا بنفي النقائص عنه، لأن أمر الله تعالى لرسله قد تضمن أمرين:

الأول: المعرفة بما أوجب الله معرفته.

والثاني: الاحاطة بما أوجب عليه مجانبته.

ثم بين الأسفراييني أن هذا هو طريق الأنبياء الذي سلكوه، وفيه النجاة والعصمة لمن سار خلفهم، وكذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١]، فالأمر بذلك من عند الله تعالى، ومن سار على هذا النهج هدي إلى صراط مستقيم.

أما العنصر الثالث في المقدمة، ففيه بيان لضرورة معرفة الشر، ليتمكن المرئ من مجانبته؛ لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه، ويستشهد

بحديث حذيفة بن اليمان الذي يقول فيه: «كَانَ النَّاس يَسألونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ الخَيرِ، وَكُنتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ»[١]، ثم يربط كلام حذيفة هذا بحديث الافتراق المشهور، ويبين بالآثار عن الصحابة التي تفيد أن أهل الأهواء يفارقون هذه الأمة في حقيقة الإيمان، وإن كان هؤلاء يختلطون بأهل الحق، فلا بد أن يتبين منهم المسلم حتى يتميز عنهم ويصون عقيدته عما هم عليه من البدع.

ثم يذكر الأسفراييني بعد ذلك اختلاف العلماء وأهل التحقيق منهم حول عدد هذه الفرق التي ذكرت في حديث الافتراق، والملاحظ أنه لا يرجح أياً من الآراء المذكورة التي يستعرضها، بل لا يرجح عدد معين في ذلك، مثلما هو الحال عند البغدادي وغيره، وإن كنا نراه يسير على العدد المذكور في ثنايا كتابه؛ لأن غرضه من هذا ليس تعداد الفرق، بقدر ما هو أن يكون الكتاب الذي يصنفه كتاباً فارقاً بين الفريقين، جامعاً بين وصفي الحق وخاصته والإشارة إلى حججه ووصف الباطل وحد الشبه؛ ليزداد المطلع عليه استيقاناً في دينه وتحقيقاً في يقينه.

ومن الواضح من خلال مقدمة كتاب الأسفراييني أنه يصرح بأنه ألف هذا الكتاب للوزير نظام الملك، وجعله بين يديه، نظراً لعلو مكانته، خاصة اهتمام الوزير المعروف برد أهل الأهواء والبدع، يقول في هذا الباب في وصف الوزير نظام الملك بأنه كان: «سيفاً مصلتاً على جميع أهل الزيغ والمبتدعين، وكان مخصوصاً من عند الله تعالى بفواضل سماوية، وكرامات علوية، جامعاً بين رأي رشيد وعزم شديد وحزم أكيد، ناظراً لأهل الدين ومناجحهم، وأهل الدنيا ومصالحهم، ليكون إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ولما كان بابه الرفيع مصطفق الرفاق، وملتقى الرجال من كل أوبٍ من الآفاق وكان فيهم الأصناف المختلفة والأخياف المتباينة في طرقهم وأديانهم، وكان بلطيف

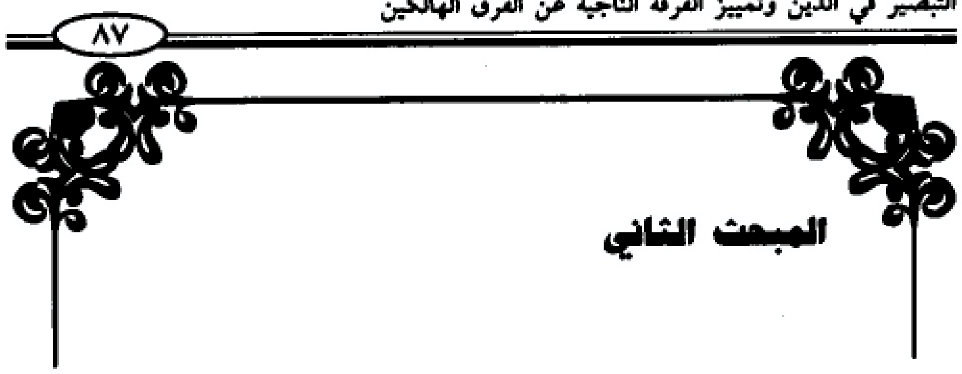
---

(١) تقدم تخريجه ص٧٩.

نظره يتأمل عقولهم وأحوالهم، ليرفع من كان في دينه رفيعاً، ويضع من كان في طريقته وضيعاً، جمعت لشريف خزانته. . .».

ثم ذكر في مقدمة كتابه خطة الكتاب، والأسس التي يسير عليها، فبدأ بتعدادها باباً باباً، ثم قال في أخرها: «وذكرت في كل باب منه ما يقتضيه شرطه على حد الاقتصار والاعتدال، مصوناً من الإكثار والإملال، بفضل الله وتوفيقه».





المبحث الثاني

مصادر الكتاب

إن المطالع لكتاب الأسفراييني (التبصير في الدين) يلاحظ أن هذا الكتاب يكاد يكون اختصار لكتاب عبدالقاهر البغدادي (الفرق بين الفرق)، وقد جاءت المعلومات فيه ـ خاصة فيما يتعلق بعقائد الفرق ـ متطابقة مع ما كتبه البغدادي، إذا استثنينا التفاصيل في كتاب البغدادي عنها في هذا الكتاب، ومع ذلك فإن هذا الاختصار يبدو أنه شمل المصادر أيضاً، ومع ذلك فإننا نحاول جهد الإمكان تتبع مصادره في كتاب (**التبصير في الدين**)، وإليك أهم هذه المصادر:

أولاً: القرآن الكريم:

اعتنى أبو المظفر الأسفراييني بالقرآن الكريم عناية كبيرة في كتابه هذا، وهو يستشهد به كثيراً خلال مناقشته للفرق الإسلامية على اختلاف عقائدها، وهو الحجة الواضحة البينة التي لا يمكن ردها، كما أنه الحجة الأولى في الرد على العقائد الفاسدة، فكما أن القرآن الكريم هو المعجزة القاهرة لأعداء الله في زمن النبوة، فإنه يبقى على ذلك إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، من ذلك قوله على سبيل المثال في الرد على الكرامية في باب إنكار عذاب القبر: «وأنكروا

عذاب القبر... وقد بلغت الأخبار في معناه حد التواتر في المعنى، وإن كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر في اللفظ، وأنكروا ما في ذلك من نصوص القرآن، كقوله تعالى في صفة آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]»[1].

القرآن الكريم عند الأسفراييني أولى أدوات الأحتجاج وأولها، فمن تكلم على الصحابة أو طعن في عقيدتهم وصدقهم، فالقرآن قبل كل شيء حجة عليه، فقال في بيان معتقد أهل السنّة والجماعة والرد على مخالفيهم: «وأن تعلم أن من جملة ما اجتمع عليه المسلمون أن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من أهل الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة الجراح رضي الله عنهم أجمعين، وأجمعوا أيضاً على أن نساءه وأولاده وأحفاده كلهم كانوا من أهل الجنة، وأنهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا من أعلام الدين لم يكتموا شيئاً من القرآن، ولا من أحكام الشريعة، وكذلك أجمعوا على خلافة الخلفاء الأربعة بعد الرسول ﷺ، وعلى أنهم لم يكتموا شيئاً من القرآن والشريعة، بل ساروا أحسن سيره، ووفقوا بحسن السعي في تثبيت المسلمين على الدين، وقد أثنى الله تعالى في كتابه عليهم حيث قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]»[2].

أما منهجه في إيراد الآيات القرآنية، فعادة ما تتصدر هذه الآيات المصادر التي يعتمدها، وفي أكثر الأحيان يحتج بأكثر من آية في المسألة

---

(١) ينظر ص٤٠٤ من هذا الكتاب.

(٢) ينظر ص٤٠٦ من هذا الكتاب.

الواحدة، مثال ذلك ما أورده في باب الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ، فقال: «واعلم أن تحقيق نبوة المصطفى ﷺ ظاهرة في كتاب الله تعالى حين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحيث قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وذلك مذكور في غير موضع من الكتاب، وقال في وصف معجزته: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣] الآيتين...»[(١)].

ورغم الاهتمام الظاهر بآيات القرآن الكريم، إلا أنه لم يكتف بتغطية هذا الجانب، بل استعان بعلم التفسير، والذي يعده من خصائص أهل الحق، حيث قال في ذلك: «وعلم تفسير القرآن: ولم يكن في جميع من نسب إليه شيء من أصول تفسير القرآن، من وقت الصحابة إلى يومنا هذا، من تلوث بشيء من مذهب القدرية والخوارج والروافض، مثل الخلفاء الراشدين الذين تكلموا في التفسير، ومثل عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ومثل المشاهير من التابعين، وأتباع التابعين الذين، وقد ورد نوعين من التفسير في كتابه هذا:

١ ـ **تفسير الرواية**[(٢)]: كان لأبي المظفر الأسفراييني عناية خاصة بتفسير الرواية، فهو من علماء هذا الشأن، وله تصنيف في تفسير القرآن الكريم، وكان يحتج به في كتابه هذا في الرد خاصة على أهل القدر والمعتزلة، من ذلك ما قاله في الرد على أهل القدر: «وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينادي يوم القيامة منادٍ أين خصماء الله، فيقوم القدرية، ووجوههم سود، وأعينهم زرق، وأفواههم عوج يسيل منها اللعاب، وهم يقولون بالله ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً ولا**

---

(١) ينظر ص٣٩٩ من هذا الكتاب.

(٢) هو الذي يعتمد في تفسير آيات القرآن الكريم على الأخبار المنقولة عن النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين. ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/١٨٣.

صنماً ولم تتخذ دونك إلهاً»، فقال ابن عباس: صدقوا بالله، فيما قالوا ولكن أتاهم الشرك من حيث لم يعلموا، ثم تلا ابن عباس [٤٦/ب] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨]، ثم قال ثلاث بالله مرات أنهم القدرية»[1]، وكذلك ما روي عن ابن عباس في ذم القدرية: «وقيل لابن عباس أن قوماً يتكلمون في القدر، فقال: فيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩]، إن مرضوا لا تعودوهم، وإن ماتوا لا تصلوا على جنائزهم، ولو أريتموني واحداً منهم لقلعت بهاتين الإصبعين عينيه»[2].

٢ ـ **تفسير الرواية**[3]: لم يقل اهتمام الأسفراييني بهذا النوع من التفسير عن الذي سبقه، والأمثلة على هذا النوع من التفسير عديدة في كتاب (**التبصير في الدين**) قال في تفسير الصمد: «قال أهل المعارف في تحقيق صفة الصمد: إنه يتضمن إثبات كل صفة لا يتم الخلق إلا بها، ونفي كل صفة لا يجوز وصفه بها؛ لأن الصمد في اللغة: هو السيد الذي يرجع إليه في الحوائج، وهذا يوجب له إثبات صفات الكمال التي يتم بها اتساق الأفعال، وقد جاء أيضاً في اللغة في تفسيره: أن الصمد هو الذي لا جوف له، وهذا يتضمن نفي النهاية، ونفي الحد والجهة، ونفي كونه جسماً أو جوهراً؛ لأن من اتصف بشيء من هذه الأوصاف لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف له وتقرر بهذه الجملة وجوب المعرفة بالنفي والإثبات، والتمييز بين الحق والباطل، ومن لم يتحقق صفة الباطل، لم تقرر له المعرفة بالحق».

---

(١) السيوطي، الدر المنثور: ٦٨٦/٧.

(٢) اللالكائي، اعتقاد أهل السنة: ١٧١٢/٤؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٢٠٥/١٠.

(٣) هو تفسير آيات القرآن الكريم بالاعتماد على أسس عقلية مثل اللغة وعلومها أو القراءات والعلوم العقلية والفلسفية، ويعتمد على ثقافة المفسر في ذلك. الإتقان: ١٨٣/٢.

كما أنه كان يرد على المعتزلة وإنكارهم للرؤية من خلال هذا النوع من التفسير، فقال: «ومنها قوله تعالى [١٠٠/ب]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يبين أن جميع الأبصار لا تدركه، مفهومه: أن بعضها يدركه، ثم يبين الله سبحانه من يدرك ومن لا يدرك».

ومع ذلك فقد صرح بأكثر من كتاب في التفسير منها:

١ ـ كتاب أبو القاسم بن حبيب المعروف بالتنزيل وترتيبه.

٢ ـ كتاب أبو إدريس المفسر.

ثانياً: الحديث الشريف:

وكما أن علم التفسير هو من اختصاص أهل السنَّة والجماعة، فكذلك علم الحديث، قال الأسفراييني في هذا الباب: «العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ، والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات، ومعرفة السلف الصالح، ولا يدخل في تلك الصنعة إلا أهل السنَّة والجماعة، وكذلك علوم القرآن لاحظ في شيء منها لأحد من الخوارج والروافض والقدرية وكيف يكون فيه حظ لمن يدعي أن في القرآن زيادةً ونقصاً، ويقدح في الصحابة الذين عليهم مدار الأحاديث، بل لا يبالي بأن يقدم عليهم بالتضليل والتكفير، ولو ندر فيما بين أهل القرآن والحديث من يتلبس بصنعتهم، وهو يضمر سوء بدعته، فإنه يندر سوء سريرته لا نعتد به».

ويشكل الحديث المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وقد صرح بأكثر من كتاب في هذا الباب:

١ ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) وأشار إلى كتابه المسند الصحيح أو صحيح مسلم.

٢ ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وأشار إلى كتابه مختلف الحديث.

ونحن نعلم أنه اطلع على عدد من كتب الحديث، وهو ينقل منها

غالباً بدون الإشارة إلى مصدره، كما أن الملاحظ أن الأسفراييني لم يكن يتمتع بفن نقد الحديث، فكثر احتجاجه بالأحاديث الضعيفة، وفي بعض الأحيان الموضوعة، مثل احتجاجه أكثر من مرة بحديث: **«لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً»**[1]، وكذلك حديث في فضل الصحابة: **«أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم»**[2].

ثالثاً: الكتب:

وهي أكثر مصادره وروداً في كتابه، وإن لم يكن يصرح بها في بعض الأحيان، ويمكن إجمال أهم العلماء الذين استعان بكتبهم:

١ ـ وهب بن منبه الراسبي (ت١١٤هـ)، واستعان منه برواية دون الإشارة إلى كتاب معين.

٢ ـ أبو حنيفة، الإمام النعمان بن ثابت (ت١٥٠)، وذكر له (كتاب العلم)، و(كتاب الفقه الأكبر)، ووصية أبي حنيفة إلى أبي عمرو عثمان البتي.

٣ ـ المردار، عيسى بن صبيح البصري (ت٢٢٦هـ)، ذكر له كتاب في تكفير أبي هذيل.

٤ ـ أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري المعتزلي (ت٢٢٧هـ)، وقد ذكر له كتاب (الأعراض).

٥ ـ جعفر بن حرب المعتزلي (ت٢٣٧هـ)، وذكر له كتاب في تكفير أبي هذيل.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الدارقطني في العلل، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف (ضعيف الجامع: رقم ١٠١٦٧).

(٢) قال العجلوني رواه البيهقي وأسنده الديلمي (كشف الخفاء: ١٤٧/١)، وقال عنه الشيخ الألباني (موضوع) كما في الضعيفة: رقم ٥٨.

٦ ـ محمد بن عبدالله الأسكافي (ت٢٤٠)، وذكر له كتاب في تكفير أبي هذيل.

٧ ـ الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، وذكر له عدداً من الكتب منها: (كتاب المضاحك) و(كتاب طبائع الحيوان) و(كتاب تفضيل الموالي على العرب) و(كتاب حيل اللصوص).

٨ ـ محمد بن كرام السجستاني (ت٢٥٥هـ) وذكر له كتاب (عذاب القبر).

٩ ـ الحلاج، أبو المغيث الحسين بن منصور الصوفي (ت٢٩٧هـ).

١٠ ـ علي بن عبدالوهاب الجبائي (٣٠٣هـ)، ذكر له كتاب في تكفير أبي هذيل.

١١ ـ أبو العذافر محمد بن علي الشلغماني (ت٣٢٢هـ)، وذكر له كتاب (الحاسة السادسة).

١٢ ـ أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)، وذكر له عدة كتب، منها: كتاب (الهداية)، وكتاب (نقض النقض)، وكتاب (التقريب في الأصول)، والكتاب (الكبير في الأصول)، وكتاب (الكسب) وكتاب (التمهيد).

١٣ ـ أبو القاسم الكعبي المعتزلي (ت٣٢٧هـ) أشار إلى أحد كتبه دون أن يذكر اسمه.

١٤ ـ محمد بن أحمد النسفي البزدوي (لم أقف على وفاته) وذكر له بعض الكتب التي صنفها للباطنية: كتاب (المحصول)، وكتاب (أساس الدعوة)، وكتاب (كشف الأسرار)، وكتاب (تأويل الشريعة).

١٥ ـ أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، لم يشر صراحة إلى أحد كتبه، ولكن نعتقد أنه انتفع بعدد منها.

١٦ ـ أبو إسحاق الأسفراييني (ت٤١٨هـ) وهو من شيوخه، وذكر له أكثر من كتاب في هذا الباب منها: (كتاب الجامع) و(كتاب المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر) و(كتاب الوصف والصفة) و (كتاب تحقيق الدعاوي) و(كتاب شرح الاعتقاد) و(كتاب ترتيب المذهب) و(كتاب المختلف في الأصول).

١٧ ـ عبدالقادر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٧هـ) وهو من شيوخه، وكتاب التبصير في الدين ينقل غالباً من كتاب البغدادي (الفرق بين الفرق)، كما أشار إلى كتاب آخر له هو كتاب (الملل والنحل).

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن أبا المظفر الأسفراييني لم يعتنِ عناية شديدة بذكر مصادره، وإنما كان ينقل مقالات الفرق المختلفة في أحيان كثيرة دون الإشارة إلى مصادره، وهذا بحد ذاته يمثل مؤاخذة على الكتاب نفسه، على عكس شيخه البغدادي، الذي غالباً ما كان يذكره مصادره التي استقى منها المعلومات، خاصة في فرق المعتزلة وغيرها.



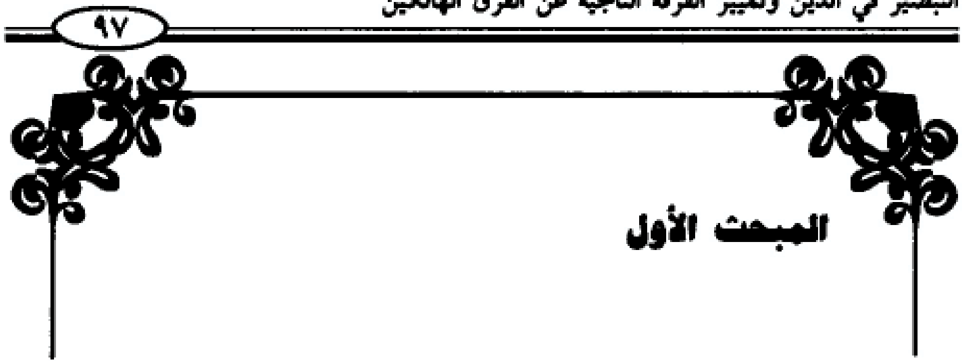


الفصل الرابع

مفهوم الفرقة عند كتاب الملل والنحل







المبحث الأول

الفرقة في الكتاب والسنة

تعريف الفرقة:

كلمة (الفرقة) من حيث مدلوها اللغوي غالباً ما تدل على الاختلاف والافتراق، قال ابن منظور: «مصدر الافتراق... وفارق الشيء مفارقة وفراقاً: باينه، والاسم الفرقة وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقة باينها، والفرق والفرقة والفريق الطائفة من الشيء المتفرق والفرقة طائفة من الناس، والفريق أكثر منه»[1]. فمن حيث اللغة فإن (الفرقة) تعني طائفة من الناس، ولا بد أن يكون هناك شيئاً يجب أن يميز هذه الطائفة حتى دعيت به، كأن تكون مقالة أو مذهب أو رأي.

أما من حيث الاصطلاح فالفرقة تعني كل طائفة من الناس دعيت إلى معتقد معين[2]، بحيث عرفت به وتميزت عن غيرها، ويمكن القول إن هذا المصطلح من حيث مدلوله الاصطلاحي ألصق بأصول العقيدة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تفرق الناس فيه، ولا يدل في معظم الأحيان على الافتراق في فروع الدين، ولذلك نقول: فرقة الخوارج أو فرقة المعتزلة؛ لأن خلاف

---

(١) لسان العرب، مادة فرق: ١٠/٣٠٠.

(٢) ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢/٢٦٣؛ ابن الجوزي، تلبيس إبليس: ص ٢٨.

أهل السنَّة مع هذه الفرق كان بالمعتقد، في حين أننا نطلق مصطلح (مذهب) على الشافعية أو الحنفية، ولا يصح أن نقول (فرقة الشافعية) أو (فرقة الحنفية)؛ لأن الخلاف بين المذاهب كان في فروع الدين لا في أصوله.

من هنا يمكن القول إن تعريف العلماء لمصطلح (الفرقة) له علاقة بالمغزى الاعتقادي لهذه للطائفة المتعينة، وقد كان ابن حزم أكثر دقة من غيره عندما فرّق بين مصطلح (الفرقة) الذي يشمل المسلمين وغيرهم، وبين مصطلح (النحلة) إذ أنه استعمل المصطلح الأخير للدلالة على فرق المسلمين ـ أو بتعبيره ـ نحلهم، في أكثر دقة وموضوعية؛ لأن فيها دلالة على الانتحال: وهو نسبة القول إلى غير قائله، ومنه انتحل فلان شعر فلان، وكأن هذا الشيء يعني اعتقاد الشيء والتمسك به وهو على غير هدى[١]، وقد تبع الشهرستاني ابن حزم في استعمال هذا المصطلح للتفريق أيضاً بين المسلمين وغيرهم، فسمى كتابه (الملل والنحل).

أما عبدالقاهر البغدادي فقد تمسك بمصطلح الفرقة وإليه يشير كتابه (الفَرْق بين الفِرق) لتعميمه على فرق المسلمين، وقد يكون عذر البغدادي في ذلك هو أنه لم يضمن كتابه مقالات لغير المسلمين، فاكتفى بإطلاق هذه التسمية على كتابه، وفي فعل البغدادي موضوعية يحمد عليها، وجمع محمد بن عمر الرازي (ت٥٤٤هـ) بين فرق المسلمين والمشركين، فسمى كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين).

ويمكن القول أخيراً إن مؤلفات المسلمين في حقل الفرق والملل يعطينا تصوراً متبايناً عند هؤلاء العلماء في تحديد الإطار الدقيق لهذه الكلمة، لكن يمكن القول إنها من حيث المضمون لها معنى مشترك متفق عليه، يعتمد على البعد العقائدي للكلمة من جهة، وعلى الغلو في تعميمها من جهة أخرى.

---

(١) مجيد خلف، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية: ص ١٠٩.

الفرقة في القرآن الكريم:

لقد أشرنا في تعريفنا لكلمة (الفرقة) إلى أنها تعني الافتراق، وقد جاءت في هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: ٥٠]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «فرقنا: فلقنا فكان كل فرق كالطود العظيم: أي الجبل العظيم، وأصل الفرق: الفصل»[(١)]، فجاءت الفرقة هنا بمعنى الفصل بين الشيئين، وقد سمي القرآن فرقاناً لأنه يفصل بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، وسمى الله تعالى يوم بدر يوم الفرقان لأنه اليوم الذي فرّق الله فيه بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وأطلقت هذه التسمية على الملائكة أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾﴾ [المرسلات: ٤]، والسبب في إطلاق هذه التسمية لأنها بنزولها تفرق بين الحق والباطل[(٢)].

وقد يأتي الفرق بمعنى الفصل بين الشيئين، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]، فقد روي عن ابن عباس أن الله تعالى فصل القرآن من اللوح المحفظ إلى بيت العزة، ثم نزل مفرقاً منجماً[(٣)].

لكن المعنى الذي يهمنا هنا إلى أن القرآن الكريم أشار إلى الافتراق الحاصل سواء كان ذلك في الأمم السابقة أو في هذه الأمة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقد ذكر المفسرون أخباراً كثيرة في نسبة هذه الآية إلى طائفة معينة، فقيل إن هذه الآية نزلت في حق اليهود والنصارى، وروي عن النبيّ ﷺ أنها في أهل البدع من هذه الأمة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٦٠/٤.

(٣) المصدر نفسه: ٦٩/٣.

وعن ابن عمر أنها في حق الخوارج، وكل هذا غير ثابت من حيث الإسناد[١].

قال ابن كثير ـ بعد أن أورد هذه الأخبار ـ: «والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه وكانوا شيعاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات»[٢]. وهذا المعنى الذي ذكره ابن كثير (رحمه الله) هو الأقرب إلى معنى الآية؛ لأن الخطاب عام ولم يأتِ تخصيص فيه، علماً أن الله تعالى ذكر الافتراق الحاصل في الأمم السابقة في أكثر من آية، منها قوله تعالى على لسان هارون (عليه السلام): ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤]، فقد عبد بنو إسرائيل العجل عند غياب موسى (عليه السلام) في الطور، رغم نصح هارون (عليه السلام) لهم وتفانيه في منعهم، وبعد أن يأس من توبتهم رأى أن يختار أخف الضررين، وهو أن يجمع بين الطائفتين الموحدة وعبدة العجل حتى يرجع موسى، بدلاً أن يتركهم ويذهب فتهلك الفرقة التي عبدت العجل[٣].

الفرقة في السنة النبوية:

إن الأحاديث الواردة في التحذير من الاختلاف والافتراق الحاصل في هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يمكن أن نحيط بها، وإنما تحتاج إلى بحث مستقل، ولكننا سنتناول في بحثنا هذا ما له علاقة مباشرة بالموضوع الذي نحن بصدده.

وعمده ما يورده مصنفو الملل والنحل في هذا الباب ما اصطلح على

---

(١) تفسير الطبري: ٧/٢٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢/١٩٧.
(٣) تفسير القرطبي: ٧/٢٨٩.

تسميته بـ (حديث الافتراق) الذي بين فيه الرسول ﷺ حال الأمم السابقة وحال هذه الأمة، وقد روي بألفاظ عديدة، منها ما أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»**[١]، وفي رواية أخرجها ابن ماجه عندما سئل النبيّ ﷺ عن الفرقة الناجية قال: **«الجماعة»**[٢].

ورغم أن البعض حاول أن ينتقد هذا الحديث من حيث الإسناد، نظراً لوروده بأكثر من لفظ ـ منهم ابن حزم الظاهري[٣] ـ إلا أن هذا القول مردود نظراً لكثرة طرق الحديث التي يعضد بعضها بعضاً، وقد أخرجه عدد من الأئمة، وصححه عدد آخر، ونظراً لأهمية هذا الحديث في بحثنا هذا، فنحن نرى أن نورده باختلاف ألفاظه:

١ ـ حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن بني إسرائيل تفرقت على إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة»**[٤].

٢ ـ حديث عوف بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة،**

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة: رقم ٢٦٤١.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم: رقم ٣٩٩٢.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢٩٢/٣.

(٤) مسند الإمام أحمد: ١٤٥/٣.

واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة»[١].

٣ ـ حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«تفترق هذه الأمة ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[٢].

وقد ورد الحديث بألفاظ مختلفة، وقد استعرض العجلوني طرق هذا الحديث، ومن رواه من الصحابة، إذ أحصى ستة عشر صحابياً، ومن طرق مختلفة[٣]، والأمر المهم هنا أن الحديث يدل دلالة قاطعة على أن الاختلاف واقع في هذه الأمة لا محالة، والنجاة منه هو التزام السنة والجماعة، والراجح أن معناهما واحد في الحديث، إذ قوله ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية قال في الأولى: **«الجماعة»** وفي الثانية: **«ما كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**، ومعناهما متقارب إن لم يكن مترادف، فمن لازم الجماعة لا بدّ أن يكون على ما كان عليه النبيّ ﷺ، والعكس صحيح أيضاً، والله تعالى أعلم.

بقي أن نشير إلى أن العلماء ـ خاصة كتّاب الملل والنحل ـ عدوا العدد الوارد في هذا الحديث نطاقاً لمؤلفاتهم، وربما تعسف بعضهم في تحديد عدد فرق المسلمين بثلاث والسبعين، دون أن يراعي تتابع الزمان، وظهور هذه الفرق وتنوعها بتنوع الأزمان والأمكنة، لذلك فإن العدد الوارد في الحديث ليس قطعي الدلالة بأي حال من الأحوال، ذلك أننا يمكن أن نفسر تحديد العدد المذكور في الحديث بالتكثير؛ لأن مفهوم العدد لا يعتد به عند أهل الأصول أولاً، وثانياً أننا نلحظ ظهور الفرق من المسلمين ومن غيرهم عبر تتالي العصور، وقد تعدى العدد السبعين، ويمكن أن يتأول

---

(١) سنن ابن ماجه: ١٣٢٢/٢؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٧٠/١٨.
(٢) الطبراني، المعجم الأوسط: ٢٢/٨.
(٣) كشف الخفاء: ٣٤٦/١.

العدد المذكور بأن أصول هذه الفرق لا تخرج عن إطار السبعين، ثم تفرعت عنها وتعدد بمرور الوقت.

وهناك أحاديث أخرى وردت عن النبيّ ﷺ، يمكن الإشارة إلى بعضها؛ لأن غرضنا هنا ليس استعراض هذه الأحاديث، وإنما غرضنا دلالة السنة على حدوث الافتراق، وظهور بعض الفرق:

١ ـ حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **«نعم»**، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **«نعم وفيه دخن»**، قلت: وما دخنه؟ قال: **«قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»**، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **«نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»**، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: **«هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»**، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: **«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»**، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: **«فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»**[(١)].

٢ ـ عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية، أسمعت النبيّ ﷺ يذكرها؟ قال: لا أدري ما الحرورية، ولكني سمعت النبيّ ﷺ يقول: **«يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه، فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء؟»**[(٢)]. وقد ذكر

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة: ٢٤١١؛ مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين: رقم ١٨٧٤.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء: رقم ٣١٦٦؛ مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: رقم ١٠٦٤. واللفظ للأخير.

غير واحد من أهل العلم أن هذا الحديث يشير إلى ظهور الخوارج بعد وفاته ﷺ[1].

٣ ـ حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[2].

٤ ـ حديث علي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **ألا إنها ستكون فتنة**، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: **كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبرُ ما بعدكم وحكم ما بينكم...**»[3].

فمجمع هذه الأحاديث تشير إلى أن الافتراق حاصل في هذه الأمة بتقدير الله تعالى، وقد وردت بعض الأحاديث فيها تحديد لمسميات الفرق الإسلامية، منها:

١ ـ ظهور الخوارج، وقد تقدم الدليل عليه في حديث أبي سعيد الخدري.

٢ ـ ظهور القدرية، في قوله ﷺ: **«القدرية مجوس هذه الأمة»**[4].

---

(١) ينظر: فتح الباري: ٨/٦٩.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة: رقم ٢٦٢٧؛ أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب لزوم السنة: رقم ٤٦٠٧؛ ابن ماجه، السنن، كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: رقم ٤٤.

(٣) الترمذي، السنن، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: رقم ٢٩٠٦؛ الإمام أحمد، المسند: ١/٩١.

(٤) أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب القدر: رقم ٤٦٩١؛ ابن ماجه، السنن، كتاب المقدمة، باب القدر: رقم ٩٢.

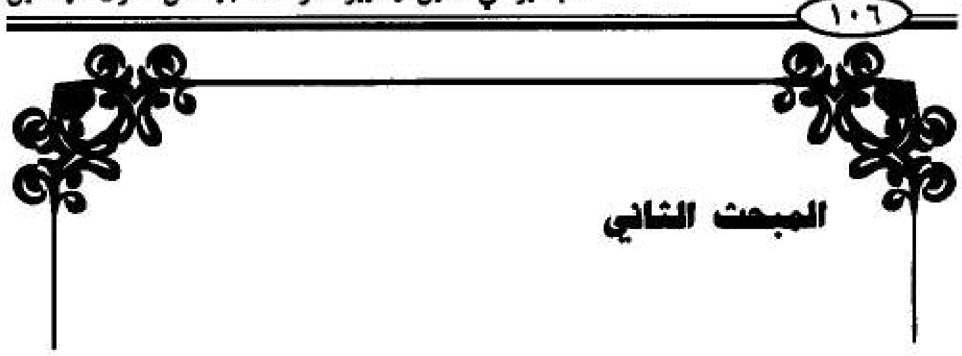
٣ ـ ظهور المرجئة: فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»**[١].

ومن خلال هذه الطائفة من الأحاديث النبوية يمكن القول إنها بعمومها تنبه الأمة على ضرورة الاعتصام بحبل الله تعالى، ونبذ الفرقة والاختلاف التي تؤدي إلى التناحر والتدابر بين المسلمين، إلا أن هذا لا يفرغ بعضها من دلالتها على المعجزة النبوية، ولذا فإن فهم هذه الأحاديث بمجموعها يجب أن يتسم بالموضوعية للتوفيق بينها؛ لأن ذلك يؤدي إلى حصول سوء فهم فيها، قال عبدالقادر البغدادي في هذا الخصوص: «قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب؛ لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضاً، بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف»[٢]، وهذا الرأي يعضد ما قدمناه بأن مفهوم (الفرقة) المعني هنا الاختلاف العقائدي وليس الاختلاف في باب الفروع، وبهذا ينتهي الإشكال الحاصل في تحميل هذه الكلمة أكثر من مضمونها الحقيقي الذي استعملت فيه الأدلة الشرعية.



(١) الترمذي، السنن، كتاب القدر، باب القدرية: رقم ٢١٤٩؛ ابن ماجه، السنن، كتاب المقدمة، باب الإيمان: رقم ٦٢.

(٢) الفرق بن الفرق: ص ٧.



المبحث الثاني

الفرقة عند كتّاب الملل والنحل

لقد بدأت المؤلفات حول موضوع الفرق والمقالات منذ وقت مبكر في تاريخ المسلمين؛ نظراً لأهمية الموضوع، وكثرة هذه الفرق والمقالات، كما أن احتكاك المسلمين بعقائد الأديان الأخرى قد جعلتهم يدرسون هذه الأديان، ومن ثم وضع المؤلفات في بيانها، سواء كانت هذه الأديان كتابية مثل اليهودية والنصرانية أم وثنية مثل البوذية والهندوسية وغيرها، إلا أن الاهتمام الأكبر كان منصباً حول مقالات الفرق الإسلامية على اختلاف منابعها، وسنحاول في خلال هذا المبحث التعرف على الفرقة الإسلامية عند ثلاث من أشهر علماء هذا الفن، وهم: أبو الحسن الأشعري، وعبدالقاهر البغدادي، وابن حزم الظاهري؛ لأن المقال لا يتسع لتناول كل من كتب عن هذا الموضوع.

أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ):

يعد كتابه من أوائل الكتب التي وصلتنا، فكتابه (مقالات الإسلاميين) يعد المرجع الرئيس لكل باحث وكاتب في موضوع (الفرق الإسلامية)، وقد بيّن الأشعري في مقدمة كتابه غرضه من تأليفه فقال: «ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنفون في النحل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ومن بين معتمد

للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات، واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله وقوته»[١].

ومن خلال مقدمة الأشعري هذه يتضح أن هناك مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع، إلا أن الأمر المهم في هذه المؤلفات ـ حسب رأي الأشعري ـ أنها تفتقد إلى الموضوعية، وهو ـ بما عرف عنه من شهرة علمية ـ سيحاول أن يصنف كتاباً في هذا الباب، وقد جاء كتابه حافلاً يستحق منا كل ثناء.

والأمر المهم في تقسيم الأشعري للفرق الإسلامية أنه يقسم هذه الفرق إلى عشرة أصناف، وتعبير الصنف هنا يستعمله الأشعري للدلالة على مجموعة من الفرق التي تنتمي إلى أصل مشترك، ولا يمكن أن نفهم ذلك إلا بالرجوع إلى هذه الأصناف وهي:

١ ـ **الشيعة**: وهم عند الأشعري ثلاثة أصناف، الصنف الأول هم الغلاة، وتشكل مجموع فرق هذا الصنف: ثلاث عشرة فرقة، والصنف الثاني هم الرافضة، وتنقسم إلى قسمين الأول الكيسانية، ومجموع فرقها خمس فرق، والإمامية ومجموع فرقها اثنتا عشرة فرقة، أما الصنف الثالث فهم الزيدية، ومجموع فرقها ست فرق[٢].

٢ ـ **الخوارج**: ويستفتح الأشعري كلامه حول فرق الخوارج بالكلام حول مسألة التكفير التي اشتهرت بها هذه الفرقة، ثم يعرج على ظروف ظهورها بوجه عام، وافتراق الأزارقة عنها بشكل خاص، وكأن الأشعري أراد أن يبرز الأزارقة عن باقي فرق الخوارج نظراً لنشاطها السياسي

(١) مقالات الإسلاميين: ص١.
(٢) مقالات الإسلاميين: ص٣٠.

والعسكري[١]، في حين يجعل العجاردة على خمس عشرة فرقة، وبعد أن يذكر الأشعري فرق العجاردة، ينتقل إلى أصل التفرق عند الخوارج: «وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية»[٢]، وبذلك يتبين لنا الأصول التي اعتمد هنا في تقسيم فرق الخوارج.

٣ ـ **المرجئة**: تتخذ أصناف هذه الفرقة عند الأشعري تقسيماً آخراً يعتمد على مفهوم الإيمان عند أصحاب مقالاتها، فالتقسيم هنا على مسمى الإيمان، وهم وفق هذا الاعتبار اثنتا عشرة فرقة، ويتخذ قولها في الإيمان أساساً لذكرها في كتابه، وربما يكون هذا أحد الأسباب التي دفعت الأشعري لتسمية كتابه بـ (**مقالات الإسلاميين**) فالتقسيم هنا هو تقسيم مقالة لا تقسيم فرقة[٣].

٤ ـ **المعتزلة**: من المعروف أن مدار كلام المعتزلة على التوحيد، والأشعري عند ذكره لمقالات المعتزلة يسلك المسلك نفسه الذي اتبعه في تعداد مقالات المرجئة، فالتقسيم يأتي وفق أساس المقالات مثل: «القول في المكان، القول في رؤية الله عزَّ وجلَّ، القول في علم الله عزَّ وجلَّ...»[٤]، فمثلاً عند بحثه لمسألة رؤية الله عز وجل عند المعتزلة يقول الأشعري: «أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار، واختلف هل يرى بالقلوب؟ فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة تقول نرى بقلوبنا، بمعنى إنا نعلمه بقلوبنا، وأنكر هشام الفوطي وعباد بن سليمان ذلك القول»[٥]، ويسير الأشعري في استعراضه لمقالات المعتزلة وفق هذا المنهج، حتى ينتهي من بحثها.

---

(١) نفسه: ص٨٧.
(٢) نفسه: ص١٠١.
(٣) نفسه: ص١٣٢.
(٤) نفسه: ص١٥٦.
(٥) نفسه: ص١٠١.

٥ ـ **الجهمية**: وهي فرقة مشهورة تنسب إلى جهم بن صفوان، واشتهرت هذه الفرقة بقولها إن الجنة والنار تفنيان، وإن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، ويعرفها الأشعري وفق هذا الاعتبار بمقالاتها متبعاً للمنهج نفسه الذي اتبعه مع الجهمية والمعتزلة.

٦ ـ **الضرارية**: تنسب إلى ضرار بن عمرو، وهو من أهل الاعتزال، لكن الأشعري يجعله مستقلاً عنهم؛ لأنه فارق المعتزلة عندما قال: إن أعمال العباد مخلوقة، واشتهر عنه قوله: إن معنى أن الله عالم: أنه ليس بجاهل، وكذلك كان يقول في سائر الصفات قوله بصفة العلم[١].

٧ ـ **الحسينية**: تنسب إلى حسين بن محمد النجار[٢]، ويسلك الأشعري في استعراض مقالات النجار المسلك نفسه الذي سلكه في استعراض الضرارية[٣].

٨ ـ **البكرية**: وتنسب هذه الفرقة إلى بكر ابن أخت عبدالواحد بن زيد، وكان يقول: إن الكبائر من أهل القبلة نفاق[٤]، وهذه الفرقة عدت من فرق الاعتزال أيضاً.

٩ ـ **العامة**: وهم أصحاب الغلو من النساك ـ على تعبير الأشعري ـ الذين قالوا بالحلول والاتحاد، حيث قالوا: إن الله جائز أن يحل في الأجساد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[٥].

١٠ ـ **أصحاب الحديث وأهل السنة**: هكذا يحدد الأشعري الفرقة الأخيرة في كتابه، ثم يستعرض عقائد أهل السنَّة والجماعة، ويورد أقوال

---

(١) نفسه: ص٢٨١.

(٢) كان من أشهر المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام مجالس ومناظرات، وذكر له ابن النديم كتباً عديدة، مات سنة ٢٢٠هـ. الفهرست: ص ٢٢٩؛ الشهرستاني، الملل والنحل: ١١٦/١.

(٣) مقالات الإسلاميين: ص ٢٨٣- ٢٨٥.

(٤) نفسه: ص٢٨٦.

(٥) نفسه: ص٢٨٨.

أئمتهم في ذلك، وما قاله هو عبارة عن تقرير لهذه العقيدة، ثم قال: «هذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله»[1]. ويبدو أن ما قاله في آخر كتابه هذا هو ما كان يعتقده في أواخر حياته بعد أن ترك الاعتزال، ومال إلى اعتقاد أصحاب الحديث.

من خلال هذا الاستعراض يمكن القول إن الأشعري في تناوله لمفهوم الفرقة كان قد حدد الإطار العام لها وفق ما اشتهرت به، أما فيما يخص فرق الشيعة فإنها قد أخذت تقسيماً آخر يعتمد على اسم الفرقة، ويبدو أن السبب في استثنائه فرق الشيعة كان شيوع مسميات هذه الفرق في عصره، علماً أنه لم يذكر بعضها ونسب اعتقادها إلى مقالاتها، وقد ذكر مسميات هذه الفرقة فيما بعد البغدادي والشهرستاني.

عبدالقاهر البغدادي:

إن مفهوم الفرقة عند عبدالقاهر البغدادي يتخذ طابعاً أخراً من حيث مغزى التسمية، إذ أن عنوان الكتاب الذي ألفه عبدالقاهر البغدادي في هذا الخصوص يحمل عنوان (الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم)، ونفهم من التسمية أن الكتاب بواقع الحال هو للتميز بين فرق الإسلام المختلفة، ومع ذلك فإن الأساس الذي يعتمده البغدادي في تقسيمه للفرق هو حديث الافتراق، وقد أدى هذا التحديد العددي للفرق الذي جعله في بداية كتابه إلى تقييد البغدادي به، مما جعله ينعكس سلباً على منهجه في كتابه.

وعلى وجه العموم فإن الفرق عند البغدادي تصنف إلى صنفين، الأولى التي تدخل تحت مسمى الإسلام ولم تخرج عن إطاره، والثانية فرق الغلاة على اختلاف مشاربهم، فهم قد خرجوا عن مسمى الإسلام، ويمكن استعراض تقسيم هذا الفرق عند البغدادي وفق الآتي:

---

(١) نفسه: ص ٢٩٧.

١ ـ **الخوارج**: ويجعلها البغدادي عشرين فرقة، وفرقها الرئيسية: المحكمة الأولى والأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة، وقد افترقت هذه الأخيرة فرقاً كما أن الأباضية قد افترقت فرقاً أيضاً، إلا أن البغدادي يجعل اليزيدية من الإباضية والميمونية من العجاردة خارج نطاق فرق الإسلام، فيذكرها في الغلاة[١].

٢ ـ **الشيعة**: وتنقسم عند البغدادي إلى أربعة أصناف هي: الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة، وكل فرقة من هذه الفرق تنقسم إلى فرق عديدة[٢].

٣ ـ **المعتزلة**: وقد افترقت على تقسيم البغدادي فيما بينها إلى عشرين فرقة، وكل فرقة تكفر سائرها، يضاف إليها فرقتين عدت من ضمن فرق الغلاة، وهما الحائطية والحمارية[٣].

٤ ـ **المرجئة**: وهم عند البغدادي ثلاثة أصناف، صنف منهم قال بالإرجاء في الإيمان وبالقدر، والصنف الثاني القائلون بالإرجاء وبالخبر في الأعمال وهم في قولهم هذا قريبون من أصحاب الجهم بن صفوان، والصنف الثالث هم القدرية، وهم خمس فرق، ولا توجد فرق من الغلاة ضمن فرق المرجئة[٤].

٥ ـ **الجهمية**: وهم أتباع الجهم بن صفوان، الذي قال بالجبر، وقال بحدوث كلام الله تعالى وغيرها من المقالات، ويذكر البغدادي مع فرق الجهمية دون أن يصرح كل من الضرارية والبكرية[٥].

---

(١) الفرق بين الفرق: ص ٥٥.
(٢) نفسه: ص ٣١.
(٣) نفسه: ٤١.
(٤) نفسه: ص١٩٠.
(٥) نفسه: ص ١٩٥.

٦ ـ **النجارية**: وهم أتباع محمد النجار، وقولهم قريب من قول القدرية والمعتزلة[١].

٧ ـ **الكرامية**: وينسبون لمحمد بن كرام السجستاني، وهم ثلاث فرق إلا أن البغدادي عد الكرامية فرقة واحدة؛ لأن هذه الفرق لا يكفر بعضها بعضاً.

٨ ـ **المشبهة**: وهم عند البغدادي صنفان: «صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى»[٢].

٩ ـ **الغلاة**: وهؤلاء فرق شتى ذكرها البغدادي في آخر باب الفرق مثل الخرمية والباطنية وأصحاب التناسخ وغيرها[٣].

١٠ ـ **الفرقة الناجية**: وهم أهل السنة.

مما مر يبدو جلياً أن تحديد البغدادي للفرق جعل لها إطاراً محدداً في كتابه حاول أن يتمه بذكره للفرق المختلفة، فدمج بعضه ببعض عند الحاجة، مثل ما فعل في فرق الكرامية، وحاول أن يقسمها تقسيماً آخر لتقسيم الأشعري، وربما يكون تأخر البغدادي عن الأشعري مائة عام قد كان سبباً في وضوح رؤياه، كما أن مفهوم الفرقة عند الشهرستاني سيكون أكثر وضوحاً منه عند البغدادي نفسه[٤].

ابن حزم:

لقد ذكرنا أن ابن حزم الظاهري قد ذهب إلى ضعف حديث الافتراق، ولذلك لا يعتمد عليه في نظرته للفرق الإسلامية، وإنما تأخذ هذه الفرق

(١) نفسه: ص١٩٨.
(٢) نفسه: ص ٢١٤.
(٣) نفسه: ص٢٥٣.
(٤) ينظر هند العصيمي، عبدالقادر البغدادي ومنهجه في كتاب الفرق: ص ١٠٩.

مفهومها من خلال مقالاتها ومعتقداتها، فهي عنده خمس فرق رئيسية: «أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج، ثم افترقت كل هذه على فرق»[١]، ثم يبين بعرض سريع للمسائل الكلامية التي جعلت كُلاً من هذه الفرق تتشعب وتتفرق إلى فرق عديدة فمعظم اختلاف أهل السنَّة ـ وهي الفرقة الرئيسية الناجية عنده ـ كان في الفُتيا وشيء يسير من الاعتقادات، أما الفرق الباقية، فإنه يُقَوِّمها على أساس قربها من أهل السنة، ويفصل في الأمر على النحو الآتي[٢]:

١ ـ **المرجئة**: يرى ابن حزم أن أقرب فرقها إلى أهل السنَّة هم أصحاب أبي حنيفة[٣]، وأبعدهم أصحاب الجهم بن صفوان ومحمد بن كرام السجستاني.

٢ ـ **المعتزلة**: وأقرب فرقها إلى أهل السنَّة أصحاب الحسين بن محمد النجار، وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف.

٣ ـ **الشيعة**: أقربها ـ في نظر ابن حزم ـ إلى أهل السنَّة هم أصحاب صالح بن حي الهمداني الفقيه[٤]، القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنه، والثابت عن الحسين بن صالح ـ كما حقق ذلك ابن حزم ـ أنه كان يعتقد بأن الإمامة في قريش، ويتولى جميع الصحابة، إلا أنه يفضل علياً رضي الله عنه على جميعهم، أما أبعد هذه الفرق عن أهل السنَّة عند ابن حزم فهم الإمامية.

---

(١) الفصل: ٢/٢٥٦.

(٢) نفسه: ٢/٦٥.

(٣) في قول ابن حزم هذا نظر؛ لأن أبا حنيفة لم يكن من هذه الفرقة، بل نسبه في الإرجاء إليه خلاف معروف، وهذه من المآخذ التي تعد على ابن حزم، عفا الله عنا وعنه.

(٤) أحد فقهاء الكوفة المشهورين في عصره، كان متكلماً بارعاً، قال عنه الذهبي: «فيه بدعة تشيع قليل»، توفي سنة ١٦٨هـ. ميزان الاعتدال: ١/٤٩٦.

٤ ـ **الخوارج**: ويرى أن أقرب فرقها لأهل السنة هم أصحاب عبدالله بن يزيد الأباضي، وأبعدهم الأزارقة.

إنَّ المطلع على كتاب ابن حزم (الفصل) يرى أن مفهوم الفرقة عند ابن حزم يعتمد على الاعتقاد أكثر من اعتماده على التسمية، ولذا فإن معظم مباحث كتابه تتناول هذه الجوانب، بعبارة أخرى، أنها تعتمد على المباحث الكلامية أساساً لها، وبهذا تميزت كل فرقة عن الفرقة الأخرى، وهو في هذا يضع منهجاً واسعاً، والهدف منه كما يبدو هو جعل مساحة البحث والعرض واسعة، لكي تمكنه من الحركة بيسر وسهولة، وهذه الميزة لا نجدها في الكتب المناظرة لكتاب ابن حزم[١].

أما فيما يخص الفرق الغالية، فلا يجعلها ابن حزم ضمن دائرة الإسلام، بل هي لا تحمل من الإسلام إلا الاسم، يقول في ذلك: «وقد سمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام أنه ليس مسلماً، مثل طوائف من الخوارج غلو فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الأخوة وبنات بني الأخوات، وقالوا: إن سورة يوسف ليست من القرآن...»[٢]، فهذه الطوائف من الغلاة، وسيفرد لها ابن حزم في نهاية بحثه مبحثاً خاصاً يحدد فيه مقالات الغلاة ويحمل عنوان: «ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو المحال من أقوال أهل البدع»[٣].

من خلال ما مر يتضح أن ابن حزم قد قسم الفرق الإسلامية إلى قسمين رئيسيتين: الفرق التي تنتمي لأهل الإسلام، ولم تخرج عن إطاره بحثها وفق المباحث الكلامية، والقسم الثاني: التي تنتمي لأهل الإسلام، ولكنها برأيه ليست من الإسلام في شيء، وهم الغلاة.

---

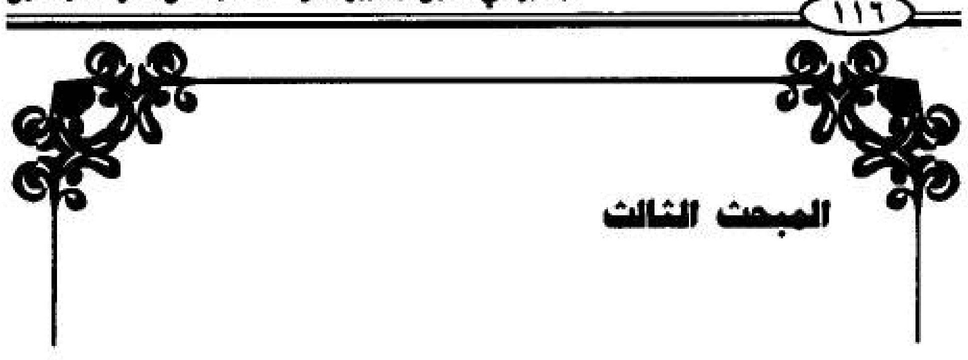
(١) ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية: ص ١٨٩. للمحقق.
(٢) الفصل: ٢/٩٠.
(٣) نفسه: ٥/٣٣.

تباين مفهوم الفرقة:

لقد حاولنا فيما تقدم من هذا المبحث عرض وجهات نظر مختلفة للفرقة الإسلامية، ولذلك ليس هناك اتفاق كبير بين العلماء في تحديد إطار عام يمكن أن تستقر عنده الفرق من حيث العدد والتكوين، ولكننا على أي حال وجدنا أن علماء الملل والنحل يتباينون في نظرهم إلى هذه الفرق من حيث مسمياتها، إذ أن التسمية قد تكون مدار المباحث عند تناول العلماء لفرق الشيعة ـ خاصة الأشعري والبغدادي ـ وهذا بتقديرنا نابع من وضوح التسميات التي شاعت عن فرق الشيعة، خاصة مجموعة الفرق التي تنتمي لصنف الإمامية، كما لعبت الظروف الآنية في ذلك الوقت من اعتماد مثل هذه التقسيمات.

لكن عند العودة إلى الفرق الأخرى نلاحظ أن المباحث الكلامية قد تطغى على الفرقة نفسها، كما في معظم مقالات المعتزلة، ويبدو الأمر أكثر وضوحاً للمطلع على كتاب ابن حزم، ومع ذلك فإن الفرقة بقيت في أكثر الأحيان حبيسة شخص أو مقالة، مثل النظامية والجاحظية وغيرها، على أن ذلك يعطينا في الوقت نفسه انطباعاً واضحاً بأن الفرقة قد بقيت حبيسة المعتقد أكثر من ارتباطها بمؤسسها أو المنسوبة له، ولكن هذا الأمر تطور خاصة مع تباعد الزمان، فإذا نظرنا إلى كتاب الشهرستاني نجد أن تسمية الفرقة عنده تأخذ وضوحاً أكثر وأكبر، إذ استقرت المصطلحات والمسميات، وبدا واضحاً أن هذه الفرق قد أخذت الإطار العام لها.

وهكذا نستطيع أن نبني رؤية واضحة تحاول أن تميط اللثام عن التباين في مفهوم الفرقة، إذ أن هذا المفهوم له إطار عام يتكون منه المعتقد، ثم يأخذ التسمية التي له، سواء كان من اسم مؤسسها كما في فرق الشيعة، أو كان هذا الإطار العام يتوجه نحو المعتقد، مثل فرق المرجئة والمشبهة وغيرها، وقد خضعت هذه التسميات لآراء العلماء أيضاً، فاشتهوا في إطلاقها، وحاولوا إيجاد أرضية مشتركة لها.



المبحث الثالث

الفرقة عند شيخ الإسلام ابن تيمية

حديث الافتراق:

إن المنهج الذي يتبعه شيخ الإسلام ابن تيمية في تحديد النطاق العملي للفرقة في الإسلام، يعتمد بالدرجة الأساس على نظرته الواسعة للأدلة الشرعية، وفهمه الواسع للكتاب والسنة، وهو عندما يبحث في تحديد مفهوم الفرقة لا يبتعد عن هذين الإطارين، فهو ينظر إلى حديث الافتراق باعتباره حديثاً مشهوراً كثر كلام العلماء الناس حوله، ومع ذلك فإن تحديد الفرقة عند ابن تيمية يتعدى تعداد هذه الفرق إلى بيان الفرقة الناجية، إذ يقول في تعليقه على حديث الافتراق: «ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنَّة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية، فضلاً عن أن تكون بقدرها»[1].

وينبه شيخ الإسلام على ضرورة التحري في إطلاق تسمية (الفرقة الناجية) جزافاً وبدون دليل، فيقول: «وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٥ ـ ٣٤٦.

الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لا بدَّ له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم عموماً، وحرم القول عليه بلا علم خصوصاً»[١]، وهذا البيان الذي يقدمه شيخ الإسلام يبين نظرة أهل السنَّة والجماعة إلى الفرق الأخرى، إذ أن الغالب في تعاملهم معها التحري والتدقيق، في حين أن الفرق الأخرى تطلق هذه المصطلحات جزافاً ودون ورع.

ولذلك فكل فرقة من هذه الفرق تدعي أنها هي الفرقة الناجية وأن ما عداها في ضلال وغواية، قال ابن تيمية: «فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنَّة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ»[٢].

ويعتني شيخ الإسلام عناية كبيرة في تحديد الفرقة الناجية والأدلة الدالة على ذلك، ومن خلال تناوله لحديث الافتراق، يحرص ابن تيمية على تحديد الفرقة الناجية بالمفهوم الصحيح لها، وذلك بالاستشهاد بالكلام النبوي فيقول: «إنه ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية قال: **من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**، وفي رواية أخرى قال: **هم الجماعة**»[٣]، وهذا التحديد للفرقة الناجية هو الراجح من خلال النظر إلى الأدلة الشرعية، ويعد ابن شيخ الإسلام أهل السنَّة هم الفرقة الناجية، وإن كان ذلك لا يعني أن جميع الفرق الأخرى هالكة، فيقول: «وهذه الفرقة الناجية (أهل السنة) وهم وسط في النحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل»[٤]، وبعد هذا التقرير يستند إلى الحديث نفسه.

ويمكن الإشارة هنا إلى تفريق شيخ الإسلام بين مصطلحين مشهورين هما مصطلح (النحلة) و(الملة)، فالنحلة لغة انتحال شيء ونسبته لشخص

---

(١) المصدر نفسه: ٣٤٦/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٣٤٦/٣.
(٣) منهاج السنة النبوية: ٤٥٦/٣.
(٤) مجموع الفتاوى: ٣٧٠/٣.

معين، يقال انتحل فلان شعر أو قول فلان إذا ادعى أنه قائلاً، واصطلاحاً تعني انتحال الشيء واعتقاده والدعوة إليه، وغالباً ما يكون في الاعتقاد[١]، وكذلك استعمال ابن تيمية لمصطلح (الملة) والتي تعني الشريعة أو الدين، قال ابن منظور: «هي معظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل»[٢]، وهذا التفريق هو المشهور عند العلماء، وقد استعمل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المصطلح للدلالة على تعبير الفرقة، كما هو متبع عند علماء الملل والنحل.

ويقرر شيخ الإسلام أخيراً الفرقة الناجية بنظره فيقول: «إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه»[٣].

نطاق الفرقة:

من المسائل المهمة التي نالت اهتمام العلماء تحديد الإطار العلمي للفرقة، دون النظر إلى التفرعات الحاصلة في الفروع، لأن مفهوم الفرقة قد يتشعب عند بعض العلماء بحيث لا يمكن أن يعمم بأي حال من الأحوال، وينبه شيخ الإسلام إلى ذلك بقوله: «الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة

(١) لسان العرب: ١١/٦٥٠؛ وينظر مؤلفنا: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية: ص ١٠٩.
(٢) ابن منظور، لسان العرب: ١/٦٣١.
(٣) مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٧.

وإن كان لفظ الجماعة قد يكون اسماً لنفس القوم مجتمعين»[١]، وهذا التمييز قد نبه إليه قبل قليل عند تناوله لحديث الافتراق، كما أنه نبه على ضرورة عدم تعميم الأحكام فيما يخص مقالات هذه الفرق وشبهاتها، فقال: «ومما ينبغي أيضاً أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة»[٢]، وهذا التقرير حسن منه رحمه الله تعالى، إذ أن هذه الفرق تتفاوت في مقالاتها واعتقاداتها، فلا يمكن إصدار حكم يشملها كلها، ومع ذلك فالأصل الذي ينبغي أن يبنى عليه ـ في تحديد هذه الفرق ـ هو اتباع الكتاب والسنة.

وعند تعينته للفرق الإسلامية فإن شيخ الإسلام يتبع منهج السلف في ذلك ولا يحيد عنه، فيقول: «وأما تعيين الفرق الهالكة، فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط، ثم عبدالله بن المبارك، وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين، قالا: أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، فقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد»[٣]، وهذا التقسيم للفرق هو المشهور بين العلماء، إذ يقسمون الفرق إلى أربعة أصناف، أو خمسة على اختلاف فيما بينهم في عد الجهمية من الفرق الإسلامية.

ومن خلال تناول شيخ الإسلام ابن تيمية للعدد المحدد في الفرق نراه يعتمد حديث الافتراق في تقسيم أصول الفرق المتقدمة، فيقسمها بالتساوي وفق الأصول المذكورة: «وجعلوا أصول البدع خمسة، فعلى قول هؤلاء يكون كل طائفة من المبتدعة الخمسة اثنا عشر فرقة، وعلى قول الأولين يكون كل طائفة من المبتدعة الأربعة ثمانية عشر فرقة»[٤]، ولكننا بواقع

---

(١) العقيدة الواسطية: ص ٤٦.
(٢) مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٨.
(٣) مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٩.
(٤) مجموع الفتاوى: ٣/٣٥٠.

الحال لا يمكن أن نسلم بهذه القاعدة، إذ أن هذه الفرق تتفاوت في التقسيم، فأكثر فرق تقيسماً هم الشيعة وأقلهم هم المرجئة والجهمية، على تفصيل مذكور في كتب الملل والنحل، ولكن يمكن القول أن هذا التقسيم يأخذ هذه الفرق بإطارها العام.



الشكل رقم (١)

فرق الشيعة على تقسيم الأشعري

- الغلاة
  - البيانية
  - الجناحية
  - الحربية
  - الخطابية
    - المعمرية
    - البزيغية
    - العميرية
    - المفضلية
  - المغيرية
  - المنصورية
  - الشريعية
  - النميرية
  - السبئية
- الرافضة الإمامية
  - الإمامية
    - القطعية
    - الباقرية
    - المنهورية
    - الناوسية
    - القرامطة
    - الشمطية
      - المحمدية
      - الحسينية
    - العمارية (الفطحية)
    - الواقفة
    - الزرارية (التيمية)
    - الموسوية (المفضلية)
  - الكيسانية
    - الكربية
    - الحربية
    - الراوندية
      - الرزامية
      - الأبومسلمية
- الزيدية
  - السليمانية
  - البترية
  - النعيمية
  - الجارودية
    - افترقت ثلاث فرق
  - اليعقوبية

الشكل رقم (٢)

فرق الشيعة على تقسيم البغدادي

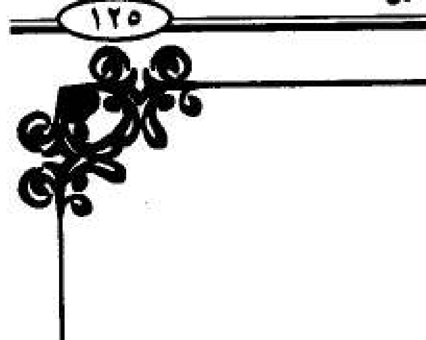
- الغلاة
  - البيانية
  - الجناحية
  - الحربية
  - الشريعية
  - المغيرية
    - الخطابية
    - المفضلية
    - المعمرية
    - الجناحية
  - المنصورية
  - الشريعية
  - النميرية
  - السبئية
  - الغرابية
  - الذمية
- الإمامية
  - الكاملية
  - الباقرية
  - المحمدية
  - الموسوية
    - الممطورة
  - القطعية
  - الهشامية
  - الاثني عشرية
  - الزرارية
  - اليونسية
  - الشيطانية
- الكيسانية
  - الكربية
  - الراوندية
- الزيدية
  - الجارودية
  - السليمانية
  - البترية




الفصل الخامس

مفهوم الفرقة عند الأسفراييني
ومنهجه في عرض الآراء




المبحث الأول

مفهوم الفرقة عند الأسفراييني

من الطبيعي أن يتأثر الأسفراييني بمدرسة الأشاعرة في الكتابة عن الفرق الإسلامية، ذلك أن هذه المدرسة لها نهج خاص في استعراض وتقسيم هذه الفرق، وهو في هذا الباب يأخذ ـ تبعاً لشيخه البغدادي ـ حديث الافتراق أساساً في تقسيم هذه الفرق، وإن كان الأسفراييني يعترف باختلاف العلماء في هذا الحديث فيقول: «وقد اختلف مشايخ أهل التحقيق من علماء المسلمين فيه، فقال بعضهم: لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد، وإنما وجد بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم، فإن ما أخبر الرسول ﷺ كائن لا محالة، وقال الباقون ـ وهم الذين تتبعوا التواريخ وفتشوا عن المقالات المنقولة من أرباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام ـ: أن تمام هذه الفرق الضالة قد وجد في زمرة الإسلام»، والملاحظ على تقرير الأسفراييني هذا إن تحديد عدد هذه الفرق مختلف فيه، وإن كان ظهور الافتراق غير مختلف فيه؛ ولذا فإن الإطار الذي سار عليه الأسفراييني باعتماد تحديد لهذه الفرق جعل كتابه محدداً أيضاً؛ وهذا ما لا يمكن للباحث تجاهله.

الاختلاف والافتراق:

إن الناظر للباب الأول من كتاب (التبصير في الدين) يلاحظ أن

الأسفراييني تختلط لديه المفاهيم ما بين الاختلاف والافتراق، ذلك أنه يجعل معظم الأحداث التي حدثت بعد وفاة النبيِّ ﷺ، هي من الأسباب التي دعت إلى تفرق الأمة، وهذا ما لا نوافقه عليه؛ لأن الأحداث التي تلت وفاته ﷺ، والقرارات التي اتخذت بعد ذلك، من مثل اختلاف الصحابة في موضوع دفنه ﷺ، أو محاربة مانعي الزكاة.. الخ، هي تدخل في باب اجتهاد ولي الأمر الذي ولاه المسلمون عليهم، ولم تؤدِ إلى تفرق الأمة بسببها، وهي تدخل في باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، ومع ذلك نجد من المناسب استعراض هذه الاختلافات التي ذكرها الأسفراييني في مقدمة كتابه:

- **الأول**: اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في وفاة رسول الله ﷺ.
- **الثاني**: اختلافهم في موضوع دفنه ﷺ.
- **الثالث**: اختلافهم في باب الإمامة.
- **الرابع**: اختلافهم في تنفيذ جيش إسامة.
- **الخامس**: اختلافهم في قتال بني حنيفة الذين منعوا الزكاة.

والظاهر من هذا الاستعراض التاريخي للأحداث في زمن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن المؤلف أراد من خلاله أن يبين أن الاختلاف هنا كان في الفروع، ولم يكن في أصول الدين، كما حدث في العصور التالية، يقول في ذلك «وكانوا بين ذلك على طريقٍ مستقيم في أصول الدين، من غير اختلاف بينهم في ذلك، وإنما كان يختلف علماؤهم في فروع الدين، مثل مسائل الفرائض، ولم يقع فيما بينهم خلاف يوجب التفسيق والتبريء، هكذا جرى على السداد أيام أبي بكر وعمر وصدر من زمان عثمان، ثم اختلفوا في أمر عثمان، وخرج عليه قوم منهم فكان من أمره ما كان...»، وهذا الذي ذكره المؤلف من الاختلاف في زمن عثمان رضي الله عنه، إنما أحدثه طائفة من الأعراب، وبتحريض من عبدالله بن سبأ اليهودي، ولم يخرج أحدٌ من الصحابة عليه، وإنما دافعوا عنه، حتى طلب منهم أن لا يريقوا دماً بسببه، رضي الله عنه.

ثم يذكر الأسفراييني على سبيل الإجمال الخلاف الذي حصل في خلافة علي رضي الله عنه، ويعرج من خلال ذلك على خلاف الخوارج مع علي رضي الله عنه، وهذا هو أول افتراق حدث في هذه الأمة، وفي الوقت نفسه ظهرت فرقة السبائية من الروافض، ثم ظهرت بعد ذلك سائر فرق الشيعة.

من خلال ذلك يتضح أن الأسفراييني أراد من هذا الاستعراض للأحداث في عهد الخلفاء الراشدين أن يبين أن هناك فرق ما بين الاختلاف والتفرق، فالتفرق حصل في خلافة علي، وأدى بالتالي إلى سفك الدماء والخروج على ولاة الأمور، كما ظهر في الوقت نفسه الغلو عند فرق الشيعة، والذي أدى أيضاً إلى التفرق، حتى حرّق عليٌّ (رضي الله عنه) طائفة منهم، أما القدرية ومن وافقهم فقد ظهروا متأخرين نسبياً عن هذه الفرق، ثم تتالت ظهور الفرق الإسلامية في عهد بني أمية وبني العباس.

نطاق الفرق:

إن اتخاذ أبو المظفر الأسفراييني حديث الافتراق إطاراً لتحديد الفرق في كتابه (التبصير في الدين) قد جعله يتبع الخطة نفسها التي اعتمدها شيخه البغدادي من قبل، مع أن كلا الكتابين كانا يختلفان من حيث الأسلوب، وطريقة عرض الآراء.

يقول الأسفراييني في هذا الباب: «اعلم أن الله تعالى حقق في افتراق هذه الأمة، ما أخبر به الرسول ﷺ من افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والباقون في النار، فأما الاثنتان والسبعون. . .»، ويمكن إجمال هذه الفرق حسب تقسيم الأسفراييني حسب الآتي:

ـ فرق الروافض: وهم عشرون فرقة، يضاف إليها ست فرق من الغلاة فيكون المجموع ستاً وعشرين فرقة.

ـ فرق الخوارج: وهم عشرون فرقة أيضاً، يضاف إليها فرقة اليزيدية من الغلاة.

- فرق المعتزلة: وهم عشرون فرقة، يضاف لها فرقتان من الغلاة.

- فرق المرجئة: وهم ثلاث فرق.

- فرقة النجارية المقيمون بالري ونواحيها: وهم فرقة واحدة وإن كانوا يعدون أكثر من عشر فرق.

- فرقة الضرارية.

- فرقة البكرية.

- فرقة الجهمية.

- فرقة الكرامية: وهم ثلاث فرق، وإن كانوا يعدون فرقة واحدة.

- فرق المشبهة.

- والفرقة الثالثة والسبعون: هم أهل السنَّة والجماعة.

والملاحظ على تقسيم الأسفراييني هذا أنه يتبع فيه تقسيم شيخ البغدادي للفرق الإسلامية، والملاحظ أنه يفرق بين نوعين من الفروع في أصناف هذه الفرق، الفرع الأول هو أصل الفرقة، وهذا داخل في عدد الفرق المذكورة في حديث الافتراق، وفرع لا يدخل في تعداد هذه الفرق لأنها من جملة الغلاة.

والملاحظة الثانية التي نلحظها هنا أيضاً، تركيز المؤلف على فرق خراسان خاصة، فيجعلها صنفاً مستقلاً عن غيرها، وهذا التقسيم كان قد سبقه فيه شيخه البغدادي، فالأسفراييني جعل تقسيم شيخه هو المعتمد، وإن كان هو يحاول أن يركز أكثر على فرق خراسان، خاصة الكرامية والباطنية والنجارية بفروعها.

أما من حيث العدد فهناك تباينٌ واضحٌ في أعداد هذه الفرق وأصولها، وربما تكون معضلة التوفيق بين الأصول والفروع من المشاكل التي اعترضت الأسفراييني، كما اعترضت من سبقه في تحديد عدد معين للفرق الإسلامية، ولم يكن بمقدور الأسفراييني تحديد نطاق خاص لهذه الفرق بمعزل عن

البيئة التي نشأ فيها والخلفية الفكرية التي انعكست على أسلوبه في التقسيم.

تفصيل مقالات الفرق:

من الملاحظ أن مقالات الفرق وطريقة عرضها في كتاب (التبصير في الدين) تختلف باختلاف هذه الفرق، ويمكن أن نجمل هذا الفرق من خلال الآتي:

أولاً: فرق الشيعة:

إن المنهج الذي يتبعه الأسفراييني في تناوله لفرق الشيعة يعتمد بالدرجة الأولى على نسبة هذه الفرق لمؤسسيها، ومن ثم يذكر نصهم على إمامة المتعين عندهم، ويذكر بعض معتقداتهم خاصة قولهم بالصحابة، واختلافهم فيهم، مثال ذلك تناوله للجارودية، التي يقول عنها: «فهم أتباع أبي الجارود، وكان مذهبه أنَّ النبيّ ﷺ نص على إمامة علي رضي الله عنه بالصفة لا بالاسم، وكان من مذهبه أن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي، ومخالفتهم النص الوارد عليه، وكان يقول: إنَّ الإمام بعده الحسن بن علي، ثم بعده الحسين بن علي، وتكون بعدهما الإمامة شورى في أولادهما، فمن خرج من أولادهما شاهراً سيفه، داعياً إلى دينه، وكان عالماً ورعاً، فهو الإمام...»، وفي بعض الأحيان يذكر الأسفراييني في فرق الشيعة مقالات تخص مسائل الأسماء والصفات، مثل قول هشام بن الحكم الرافضي الذي كان يقول: بالتشبيه والتجسيم، وإثبات الحد والنهاية، وأنه نور يتلألأ كقطعة السبيكة الصافية، قال الأسفراييني بأسلوب نقد تهكمي: «وبأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته، لم يكن له في الإسلام حظ».

وهذا هو المنهج العام الذي يسير عليه في فرق الشيعة بصورة عامة، وتشكل الإمامة المحور الرئيس فيها، وهو المنهج التقليدي عند أكثر كتاب الملل والنحل، ولكن هذا لا يمنع من بعض الفوائد التي يسوقها الأسفراييني خلال عرضه لمعتقدات فرق الشيعة، مثل قوله عن فرقة البترية: «وقد أخرج مسلم بن الحجاج، حديث الحسن بن صالح بن حي في (المسند

الصحيح)، كأنه لم يعرف منه هذه الخصلة ـ على أنه من البترية ـ فأجراه على ظاهر الحالة...»، أو ذكره في فرق البيانية للشاعر كثير عزة، والسيد الحميري؛ لأنهما من جملة هذه الفرقة، ويستشهد ببعض أشعارهم، وذكره أيضاً للشاعر بشار بن برد ضمن فرقة الكاملية، الذي زاد على الكاملية بأمور:

أحدهما: أنه كان يقول بالرجعة قبل القيامة، كما كان يقولها الرجعية من الروافض.

والثاني: أنه كان يقول بتصويب إبليس في تفضيل النار على الأرض؛ ولذلك قال:

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ والنَّارُ مُشْرِقَةٌ والنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ[1]

أما فيما يتعلق بالأحداث العسكرية الّتي رافقت ظهور بعض زعماء هذه الفرق، فالغالب على أسلوب الأسفراييني في استعراضها الاختصار غير المخل لهذه الأحداث، وخير مثال على ذلك قصة زيد بن علي، والمختار بن عبيدالله، والمنهج التاريخي الذي يتبعه هنا هو منهج وصفي للأحداث، والغالب عليه الاختصار أيضاً.

كما أن الأسفراييني يحاول أن يصنف هذه الفرقة إلى أصناف، فالكيسانية فرق بجملة يجمعها القول بنوعين من البدعة:

أحدهما: تجويز البداء على الله تعالى، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

الثاني: قولهم بإمامة محمد بن الحنفية، ثم اختلفوا في سبب إمامته.

ولا يكتفي الأسفراييني بعرض آراء الفرق فقط، وإنما هو يحاول أن يناقش معتقداتهم، ويرد عليها، مثال ذلك ما قاله أصحاب المغيرة بن سعيد الكوفي بأن محمد بن عبدالله بن الحسن لم يقتل، فيقول لهم الأسفراييني:

---

(١) ديوان بشار بن برد: ص ٥٣٩.

«وهؤلاء يزعمون أن الذي قتله عيسى بن موسى بالمدينة، كان شيطاناً تصور في صورة محمد، وأنه لم يقتل في الحقيقة، وأصحابنا يقولون لهم: إن جوزتم أن تركبوا مثل هذه الخرافات، فهلا انتظرتم الحسين بن علي، وقلتم إنه لم يقتل، وهلا انتظرتم علي بن أبي طالب، وقلتم أن الذي قتله ابن ملجم، كان شيطاناً تصور بصورة علي».

والأسفراييني له منهج خاص في عرض الآراء، ونجده واضحاً هنا عندما يتناول فرق الإمامية، فهو يقول: «واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية، متفقون على تكفير الصحابة، ويدعون أن القرآن قد غيّر عمَّا كان، ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة، ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة علي، فأسقطه الصحابة عنه، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن، ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى ﷺ، ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إماماً يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة، وليسوا في الحال على شيءٍ من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم؛ حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذروا عند العوام بما يدعونه من تحريف الشريعة، وتغيير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين».

ثم يبدأ الأسفراييني بردِّ شبهاتهم، ودحض أقوالهم، من خلال ثلاثة عناصر:

- **الأول**: الآيات القرآنية، مع الاستعانة بالتفسير الوارد فيها.
- **الثاني**: الأحاديث النبوية، مع الإشارة إلى أقوال بعض العلماء.
- **الثالث**: الأسلوب العقلي، والرد بمنهج المتكلمين.

وكل ذلك يكون عبارة عن خلاصة مركزة، يختم بها المؤلف (رحمه الله) استعراضه للفرق الإسلامية، فيقول في هذا الخصوص: «والعجب أنهم يتكلمون في الصحابة ويسيئون القول فيهم، ولا يتأملون كتاب الله تعالى

حيث أثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. . .» فيتناول تفسير هذه الآيات دراية، ثم يعرض لآثار وردت عن بعض الصحابة، وبعد ذلك يقول: «واعلم أن هذه المقالة التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على فسادها، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها، فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات إلا على أنهم قصدوا بها إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد والتستر فيه، بموالاة قوم من أشراف أهل البيت، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه، ويحيلون خرافات مقالاتهم إليه».

ثانياً: فرق الخوارج:

إن تناول الأسفراييني لفرق الخوارج يختلف كثيراً عن تناوله لفرق الروافض، أو كما يسميهم، وربما يعود ذلك إلى طبيعة الأحداث التي رسمت للخوارج منهجهم عبر التاريخ، خاصة وأن معظم المعلومات المتوفرة عنهم في بطون الكتب تربط وجودهم بالناحية التاريخية، أكثر من ربطها بالناحية العقائدية، ومع ذلك فهم يجتمعون على أمرين لا مزيد عليهما ـ حسب تعبير الأسفراييني ـ في الكفر والطاعة:

إحداهما: أنهم يزعمون أن علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم.

والثاني: أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد ﷺ فهو كافر، ويكون في النار خالداً مخلداً إلا النجدات منهم، فإنهم قالوا: إنَّ الفاسق كافرٌ.

ثم يستدرك الأسفراييني على ذلك أيضاً قوله: «ومما يجمع جميعهم أيضاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر. . .».

أما تناوله لهذه الفرق، فهو يعتمد السياق التاريخي لظهورها، فيستعرضها وفقاً لذلك فيبدأ بالمحكمة الأولى، والتسمية هنا تعود بالدرجة الأساس إلى معتقد هذه الفرقة، وليس إلى اسم مؤسسها كما هو حال فرق

الروافض، والغالب على استعراض الفرقة الواحدة هو الحدث التاريخي، مع الاختصار غير المخل للحدث، في حين نلاحظ أنه يلجأ إلى الاستعانة بمناظرة علي رضي الله عنه مع الخوارج يوم النهروان لتوظيفها في دعم منهجه النقدي تجاه معتقدات الخوارج، وقد كان موفقاً في إيراد هذه المناظرة لأنها توضح معظم الشبهات التي أثارتها هذه الفرقة، ثم يختم تناوله للمحكمة الأولى بقوله: «وهم يكفرون بتكفيرهم علياً وعثمان، وتكفيرهم فساق أهل الملة. . .».

ونقد الأسفراييني قليل لمعتقدات الخوارج؛ ويغلب على استعراضه للفرق هنا المنهج الوصفي التاريخي، إلا أن هذا لا يعني أنه لم يكن عنده بعض اللفتات النقدية، مثل رده على مرداس الخارجي الذي مدح ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، بقوله:

كذبت وأيم الذي حج الحجيج له ... وقد ركبت ضلالاً وبهتاناً
لتلقين بها ناراً مؤججة يوم ... القيامة لا زلفى ولا رضوانا
تبت يداه لقد خابت وقد خسرت ... وصار الخسر من في الحشر ميزانا
هذا جوابي في ذا النذل مرتجلا ... أرجو بذاك من الرحمٰن غفرانا

كما أننا نلاحظ هنا أسلوباً مميزاً يتمثل بالمقارنة بين عقائد الفرق المختلفة، فعند تناول الأسفراييني لفرقة الحفصية ـ وهم فرقة من فرق الأباضية ـ يقارن بين قولهم في عثمان وقول الروافض في أبي بكر وعمر، وينتقد الشبيبية أيضاً، وهي من فرق الخوارج، على تجويزهم الإمامة للمرأة فيقول: «ومن عجائب حال الخوارج أنهم خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقالوا: لِمَ خرجت من بيتها؟ والله تعالى يقول لهن: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ثم صاروا تبعاً لغزالة وجهيزة، وجوزوا إمامتهما، فهلّا تلوا هذه الآية عليهما، ومنعوهما من الفتنة، غير أن الخذلان لا قياس عليه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

وعند ختمه لفرق الخوارج، يشير إلى انه اعتمد على مقالاتها في

تقسيمها، مع استبعاد المتداخل منها، وبذلك يمكن القول إن مقالات الخوارج امتازت بميزتين:

- **الأولى**: غلبة الجانب التاريخي في وصف هذه الفرق.

- **والثاني**: أن التقسيم كان على أساس المقالات غالباً.

ثالثاً: فرق المعتزلة:

يبدأ الأسفراييني باستعراض آراء المعتزلة تحت عنوان: (في تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم)، والملاحظة الأولى التي يمكن بيانها هنا أنه يجمع في هذه الفرقة بين القول بالاعتزال والقدر، ويسمي ذلك (فضيحة) وهو المصطلح نفسه الذي استعمله شيخه عبدالقاهر البغدادي في بيان عقائد المعتزلة أيضاً، ثم يذكر الأسفراييني قبل الولوج إلى فرق المعتزلة، يستعرض (فضائح) المعتزلة على سبيل الإجمال، فيقول: قد بينا قبل أنهم ينقسمون إلى عشرين فرقة، فمَّا اتفق عليه جميعهم من مساوئ فضائحهم:

- نفيهم صفات الباري جل جلاله.

- إن الله تعالى لا يُرى، وأنه لا يُرِي نفسه.

- إنَّ كلام الله تعالى مخلوق له.

- إنَّ أفعال العباد مخلوقة لهم.

- إنَّ حال الفاسق المليِّ بمنزلة بين منزلتين.

- إنَّ الله تعالى لم يرد أن يكون الزنا واللواط والقتل ومعصية العصاة، وكفر الكافرين.

- إن كثيراً من الأشياء تجب على العبد، من غير أن يكون من الله تعالى فيه أمر.

ـ إنَّ العبد لا يحصل له صفة الإيمان، حتى يعلم جميع ما هو شرط في اعتقادهم، ويبلغ في معرفته درجة علمائهم.

ـ أنكروا من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصاً به زائداً على الأنبياء.

ـ وأنكروا عذاب القبر أيضاً.

على أن هذا التعداد الدقيق لأهم عقائد المعتزلة يرافقه نقد لهذه العقائد، نقداً مختصراً لكل (فضيحة) من فضائحهم، فمن ذلك يقول: «ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إنَّ العبد لا يحصل له صفة الإيمان، حتى يعلم جميع ما هو شرط في اعتقادهم، ويبلغ في معرفته درجة علمائهم، كأبي الهذيل والنظام وغيرهما، ويقدر فيه على تقرير الدلالة وحل الشبه ويتمكن من المناظرة والمجادلة، ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافراً، لا يحكم له بالإيمان؛ ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين؛ ولذلك زعموا أن علماء مخالفيهم كفرة كلهم، وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم وهذا يوجب أن لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه، وأن يكون منفرداً بدخول الجنة، مع ما ورد من الأخبار في كثرة أهل الجنة؛ ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم: إن المعتزلي بالتقليد كافر بالإجماع».

وبعد هذا الاستعراض لـ (فضائح) المعتزلة يقول أبو المظفر الأسفراييني: «واعلم أن ما ذكرناه من فضائحهم مما يعم جميعهم، واتفقت عليه كلمتهم، ونذكر بعد هذا ما اختص به كل واحد من فرقهم من المخازي والفضائح إن شاء الله عز وجل».

وأهم الملاحظات التي يمكن أن نقيدها على فرق المعتزلة عند الأسفراييني تتمثل بالآتي:

١ ـ الغالب على أسماء الفرق أن الأسفراييني يتبع من سبقه في إطلاق هذه المسميات، خاصة عبدالقاهر البغدادي، وهي في الغالب جاءت من اسم مؤسسها، مثل إطلاق مصطلح الواصلية على أتباع واصل بن عطاء، أو الجاحظية على أتباع الجاحظ، وهكذا.

٢ ـ الاهتمام بالبعد التاريخي للفرق، خاصة من ظهر منها مبكراً، مثل فرقة الواصلية التي ظهرت في أيام الحسن البصري.

٣ ـ الاهتمام بذكر تناقض المعتزلة في الأقوال، فيقول على سبيل المثال في فرقة الهذيلية: «وصنف المردار من المعتزلة كتاباً في تكفير أبي الهذيل وصنف الجبائي، والأسكافي من جملة المعتزلة، لكل واحد منهم كتاباً في تكفير أبي الهذيل وذكرا في تصنيفهما أن قوله يؤدي إلى قول الدهرية. . .».

٤ ـ يبحث الأسفراييني في خلفية علماء المعتزلة، ويبين أثر هذه الخلفية في ترسيخ بعض الأفكار الخاطئة، فقال عن النظام: «وكان في حداثة سنه يصحب الثنوية والسمنية، الذين يقولون بتكافؤ الأدلة، وفي حال كهولته كان يصحب ملحدة الفلاسفة»، وذكر عنه أيضاً: فلا جرم كان عاقبته أنه مات سكران، وكان قد قال صفة حاله:

ما زلتُ آخُذُ رُوحَ الزِّق في لطفٍ ... وأستبيح دماً مِنْ غَيْرِ مَذْبُوحِ
حتى انتَشَيْتُ وَلِيّ رُوحانِ في بَدَنٍ ... والزِّقُّ مُطَّرَحٌ جسمٌ بلا روحِ

٥ ـ يكثر من نقل المناظرات بين المعتزلة التي تدل على اختلافهم وتخبطهم في أكثر الأحيان.

٦ ـ الملاحظ على أسلوب الأسفراييني في رد مقالات المعتزلة أنه يجمع بين أسلوب المتكلمين والمفسرين، فقال على سبيل المثال في الرد على هشام بن عمرو الفوطي الذي: «زعم أنه لا يجوز أن يسمى وكيلاً، خلاف قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨﴾ [المزمّل: ٩]، وخلاف قول النبيّ ﷺ فيما ذكره من أسمائه سبحانه فإنه عدَّ منها الوكيل، وهذا شيء وقع لهذا الجاهل؛ لشدة غباوته وجهله بمواقع اللغة، فإن الوكيل في اللغة يكون بمعنى الكافي، ويكون بمعنى الحفيظ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦]، أي: حفيظ».

٧ ـ يلجأ الأسفراييني في بعض الأحيان إلى الأسلوب الفقهي

والأصولي في ردِّ عقائد المعتزلة، من ذلك ما ذكر عن ثمامة بن أشرس أنه كان يقول: «لا يجوز سبي النساء من دار الكفر، وإن من سبى امرأة ثم ألم بها فهو زانٍ، وإن ولده ولد الزنا، هذا منه إقرار بأنه من ولد الزنا؛ لأنه كان من أولاد السبايا».

٨ ـ يعتمد الأسفراييني كذلك أسلوب النقد في استعراض كتب المعتزلة، مثل قوله عن كتاب (طبائع الحيوان) للجاحظ: «فقد سرق أصوله من كتاب أرسطاطاليس، ومن كتاب المدائني الذي صنفه في منافع أصناف الحيوان، ولم يورد فيه شيئاً من كيسه ولا من ذات نفسه إلا أبياتاً ضمها إليها قالتها العرب في معانيها، زين بها حشو كتابه، وأودعه مناظرة الكلب والديك، والكلب والهرة، والكلب والذئب، وما أشبه ذلك، والعاقل لا يضيع وقته بمثله، فإن شغل الوقت بأمثاله نوع من المقت».

٩ ـ مقارنة عقائد المعتزلة بعقائد الأمم السابقة، من ذلك قولهم إن العبد يخلق فعله، فكان ذلك شر من قول المجوس والثنوية؛ لأن: «أحدهما: أن المجوس والثنوية قالوا بخالقين اثنين، وهم بخالقين لا يحصرون، والثاني: أن الثنوية والمجوس لم ينفوا كون الباري سبحانه خالقاً، وهؤلاء الذين قالوا: إن العبد يسمى خالقاً، والباري سبحانه لا يجوز أن يسمى خالقاً، خالفوا به إجماع هذه الأمة، وإجماع جميع الأمم قبلها».

ثم يصل الأسفراييني إلى ملخص عن فرق المعتزلة، مستعيناً بالأحاديث النبوية والآثار فيقول: «واعلم أن جميع ما ذكرناه من مقالاتهم الشنيعة، ومذاهبهم الفظيعة، لا يخفى على العاقل فسادها، إذا صرف الهمة إلى تأملها، ومن أفظع ما ينتحلونه نسبتهم التقدير إلى أنفسهم لا إلى صانعهم، وقد ورد في ذمهم أخبار كثيرة عن النبيّ ﷺ وعن سلف هذه الأمة، وعن جميع الأمم الخالية، منها ما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً»**[1]، وفي رواية أخرى: **«إن القدرية**

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الدارقطني في العلل، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف (ضعيف الجامع: رقم ١٠١٦٧).

والمرجئة لعننا على لسان سبعين نبياً»[1]، فيذكر آثاراً عن ابن عباس ووهب بن منبه والشعبي والشافعي، ويستعين بكتب التفسير، مثل تفسير أبي القاسم ابن حبيب، وبذلك يكون الأسفراييني قد بدأ كتابه هذا ببيان عقائد المعتزلة على سبيل الإجمال مع ردها عقلياً، وختم ذلك ببيان فسادها نقلياً، فكان موفقاً في ذلك.

رابعاً: فرق المرجئة:

إن الأسفراييني في تناوله لفرق المرجئة يورد عنها معلومات مختصرة، مقارنة بمن سبقها من الفرق، ويبدأ بالقول: «وجملة المرجئة ثلاث فرق يقولون بالإرجاء في الإيمان، غير أن فريقاً منهم وافقوا القدرية في القول بالقدر...»، ثم يقول: «ووافق فريق منهم الجهمية في القول بالجبر، فجمعوا بين بدعة الجبر وبدعة الإرجاء، وانفرد فريق منهم بالإرجاء المحض، لا يقولون بالجبر ولا بالقدر، واعلم أن الإرجاء في اللغة: هو التأخير، وإنما سموا مرجئة؛ لأنهم يؤخرون العمل من الإيمان، على معنى أنهم يقولون لا تضر المعصية مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر، وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم»، ثم يبدأ بتعداد فرق المرجئة وفق الأسس الآتية:

- يذكر اسم الفرقة، ولمن تنتسب.

- العنصر الرئيس الذي يأخذ حيزاً مهماً في استعراض الفرقة هو مسألة الإيمان.

- نلاحظ أن الأسفراييني لا يعتني بالنقد والرد على فرق المرجئة عند استعراضها.

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عمر: ١٦٢/٧؛ واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٦٤٣/٤؛ ابن أبي عاصم في السنة: ١٤٢/١؛ البيهقي، الاعتقاد: ص ٢٣٧. قال الشيخ الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم: وإسناده ضعيف.

خامساً: فرقة النجارية:

يبدأ الأسفراييني بتقرير ما وافقت فيه النجارية أهل السنَّة من أصول، مثل خلق الأفعال والاستطاعة والإرادة، وأبواب الوعيد، إلا أنهم مع ذلك يوافقون القدرية في بعض الأصول، مثل نفي الرؤية ويقولون بحدوث الكلام، والراجح عند الأسفراييني أن النجارية هي فرقة واحدة؛ لأنهم يتفقون في معظم الأقوال، ولكن خرجت على بعضها فرق، منها:

- **البرغوثية**: واختلفوا مع النجار حول الأفعال المتولدة.

- **الزعفرانية**: وكان بالري، واشتهر عنه عبارات متناقضة، حتى قال: الكلب خير ممن يقول: إن كلام الله مخلوق، قال الأسفراييني: ومن كان كلامه على هذا النمط، فإن الكلام في عقله لا في دينه.

- **المستدركة**: وخرجوا عمن قبلهم، بأن استدركوا عليهم أشياء.

إن تركيز الأسفراييني على فرقة النجارية؛ ربما يعود إلى انتشار أفكارها في خراسان، وهذا هو السبب بتقديرنا لتفصيله في كتابه هذا لأقوالها وتعداد فرقها.

سادساً: فرقة الضرارية:

وهم موافقون لأهل السنة في القول بخلق الأفعال، ولكن اختلفوا معهم بالقول بنفي التولد، ووافقوا أهل القدر في قولهم بالاستطاعة، ونفوا بعض الصفات، وهذه الفرقة هي في عداد فرق المعتزلة عند معظم من أرخ للفرق الإسلامية.

سابعاً: فرقة البكرية:

إن الأسلوب الذي اتبعه الأسفراييني هنا يكاد أن يكون مطابقاً للأسلوب الذي اتبعه في فرق النجارية، ويعود الأمر إلى تشابه أقوال الفرقتين في هذا الباب.

ثامناً: فرقة الجهمية:

نسبة هذه الفرقة مشهورة، حيث تنسب إلى الجهم بن صفوان، وفيها يستعرض الأسفراييني بأسلوب مختصر - فيه نوع من الحدة - عقائد هذه الفرقة، فيقول: «ومن ضلالات جهم...»، ويقول أيضاً: «ومن جهالاته...»، ويبدو أن هذه الفرقة كانت موجودة في عصر المؤلف إذ يقول: «وأكثر أتباعه اليوم بنواحي تِرمِذ، وأهل السُّنَّة يكفرونهم؛ لقولهم بأن علم الله تعالى حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وإن كلامه حادث، وأهل القدر أيضاً يكفرونهم؛ لقولهم بخلق الأفعال...».

تاسعاً: فرقة الكرامية:

الملاحظ على الأسفراييني أنه شديد العناية ببيان مقالات الكرامية بوجه خاص، حتى قال عن محمد بن كرام السجستاني: «وما أحدثه من البدع في الإسلام أكثر من أن يمكن جمعه في مثل هذا المختصر» ويتضح من خلال تناول الأسفراييني لهذه الفرقة الآتي:

- تناوله للتوزيع الجغرافي لهذه الفرقة، خاصة انتشارها في خراسان بوجه عام، ونيسابور بوجه خاص.

- أنه قارن بين مقالات الكرامية والثنوية؛ لقولهم: إن معبودهم هو جسم له حد واحد، أو إطلاق اسم الجوهر على الإلٰه كما أطلقته النصارى.

- كان الأسفراييني مطلعاً على كتب محمد بن كرام، وذكر له كتاب (عذاب القبر).

- أشار إلى معتقد محمود بن سبكتكين، وكونه على معتقدهم.

- إن الأثر الذي تركه المجوس يبدو واضحاً في عقائد الكرامية - باعتقاد الأسفراييني - حيث قال: «ولم يجد هؤلاء في الأمم من يكون قدوة لهم القول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس، فرتبوا مذهبهم على قولهم».

ـ كما يستعرض الأسفراييني مقالات الكرامية بالنبوة والإمامة والإيمان، وحتى المسائل الفقهية الدقيقة، حتى يذكر أحد المعاصرين له من الكرامية، وهو إبراهيم بن المهاجر.

عاشراً: فرقة المشبهة:

لقد جعل الأسفراييني فرق المشبهة فرعاً واحداً، تبعاً لشيخه البغدادي، وهما صنفان:

ـ صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات، وهم:

١ ـ **السبائية**: لقولهم بإلٰهية علي رضي الله عنه.

٢ ـ **البيانية**: قالوا: إن معبودهم صورته على صورة الإنسان.

٣ ـ **المغيرية**: قالوا: إن معبودهم له أعضاء على صورة حروف الهجاء.

٤ ـ **المنصورية**: أتباع أبي منصور العجلي، الذي ادعى أنه عرج به إلى السماء وأن الله مسح على رأسه.

٥ ـ **الخطابية**: قالوا: إن أبا الخطاب الأسدي إلٰه.

وغيرها من الفرق حتى يقول: «واعلم أن الكرامية من جملة المشبهة؛ لقولهم: إنه جسم، وأن له حد ونهاية، وأنه محل الحوادث، وأنه مماس للعرش ملاقٍ له».

فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات.

ـ **أما مشبهة الصفات** فهم المعتزلة البصرية، ومن وافقهم من الكرامية والزرارية والشيطانية.

حادي عشر: فرق الغلاة:

جعلهم أبو المظفر الأسفراييني تحت عنوان: «في بيان فرق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون في زمرة المسلمين»، وهم مع

ذلك خارجون عن نطاق الثلاث والسبعين فرقة عند الأسفراييني، فيقول: «ولا يكونون من جملة الاثنين والسبعين، وهم أكثر من عشرين فرقة جملة وتفصيلاً»، ويمكن ملاحظة أمور عديدة على تناوله لهذه الفرق:

- تكرار بعض الفرق التي ذكرت في أبواب متقدمة من الكتاب، مثل فرق السبائية، والبيانية، والخطابية وغيرها، ومع ذلك فهو يعيد ذكرها هنا لزيادة البيان والتوضيح.

- ينبه على الأصل اليهودي لبعض المعتقدات الغريبة التي ظهرت عند بعض هذه الفرق، مثل قوله عن عبدالله بن سبأ اليهودي: «كان رجلاً يهودياً، وكان قد تستر بالإسلام، وأراد أن يفسد الدين على المسلمين».

- يستخدم الأسلوب التهكمي في بعض الأحيان لنقد المعتقدات الفاسدة، مثل قوله عن السبائية: «والعجب من هؤلاء أنهم يلعنون ابن ملجم، ويزعمون أن الذي قتله ابن ملجم كان شيطاناً، ومن قتل شيطاناً كان محموداً، فكيف يلعنونه مع هذه العقيدة؟».

- نجد هنا الأسفراييني يستخدم أسلوب المقارنة أيضاً، فيقارن لعن الغرابية لجبريل (عليه السلام) وقول اليهود: إن جبريل عدو لنا: «ولم يكونوا يلعنوه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨]، وهؤلاء أولى بهذه الصفة؛ لأنهم يلعنونه، واليهود ما كانوا يلعنونه».

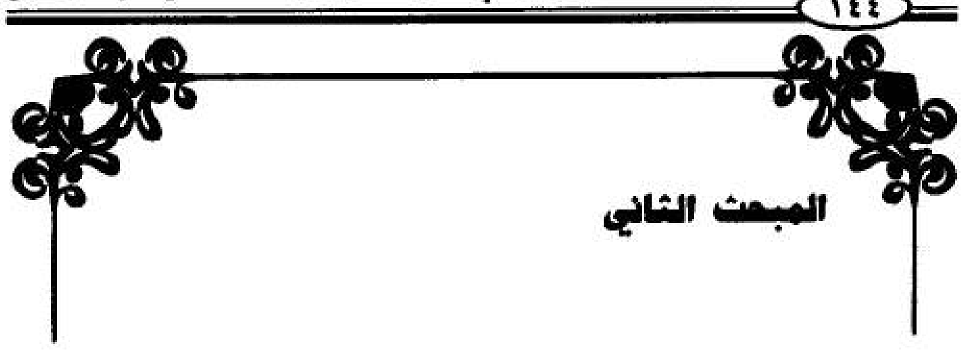
- يفصل الأسفراييني كثيراً بأقوال الحلولية، ويجعل منها فرق من أمثال: الرزامية، والمقنعية، والحلمانية، والحلاجية، ويفصل كثيراً في أحوال الحلاج واختلاف الفقهاء في حاله، وربما يعود السبب في هذا التفصيل إلى انتشار كثير من أفكار الحلولية في عصر الأسفراييني.

- يعتبر الأسفراييني فرقة الخرمية التي ظهرت في دولة الإسلام امتداد لعقائد المزدكية، وكذلك الحال بالنسبة للبابكية والمازيارية.

ـ إن قول بعض الفرق الإسلامية بالتناسخ، يعود بالأساس إلى تأثرهم بالفلاسفة قبل الإسلام، وكذلك بما قاله ماني، وهو قول ينسب لبعض اليهود، وقال به أحمد بن خابط والقحطبي، وينسب هذا القول لأبي مسلم الخراساني أيضاً.

ـ يهتم الأسفراييني كثيراً باستعراض آراء الباطنية لأن: «فتنتهم على المسلمين شرٌّ من فتنة الدجال، فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوماً، وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون، وهي قائمة بعد»، ويرجح الخلفية المجوسية لدين الباطنية فيقول: «وذكر أهل التاريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في أيام المأمون، وانتشرت في أيام المعتصم»، ثم يفصل كثيراً بذكر حيلهم، وكيف يستدرجون الناس إلى معتقدهم.





المبحث الثاني

الفرقة الناجية عند الأسفراييني

مصطلح أهل السنَّة والجماعة:

سميت عقيدة أهل السنَّة والجماعة؛ لتمسك أصحابها وأتباعهم سنة النبيّ ﷺ وسميت بعقيدة الجماعة؛ لأنها عقيدة جماعة الإسلام، الذين اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج أئمة الحق، ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة، وهم أهل الأثر أو الحديث أو الطائفة المنصورة، أو الفرقة الناجية[1].

وتعود جذور هذا المصطلح إلى زمن النبوة، فقد أشار رسول الله ﷺ لهذا المصطلح عندما ذكر الافتراق الحاصل في هذه الأمة، فقال ﷺ: **«ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي»**[2]، وفي رواية أخرجها ابن ماجه عندما سئل النبيّ ﷺ عن الفرقة

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة: ١/٤٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة: رقم ٢٦٤١.

الناجية قال: «الجماعة»[١]، ففي الرواية الأولى تحديد أهل السنَّة بكونهم مقتدون بنهج النبيِّ ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، لا نفرق بين أحد منهم، والمصطلح الثاني يشير صراحة إلى تحديد نهج الجماعة، فهي مرادفة ومكملة لمصطلح أهل السنة.

والملاحظ أن استعمال هذا المصطلح قد ارتبط بظهور الفرق الإسلامية، وكان الغرض من بداية تداوله بين العلماء، خاصة جيل التابعين منهم، هو التمييز بين أهل السنَّة والجماعة، المتبعون لنهج النبوة، وبين غيرهم من الفرق التي ابتدعت أشياء، لم تكن في هذا المنهج، ولم يأتِ ما يدل عليها من نصوص الكتاب والسنة، فاستعملوه ليقابل مصطلح أهل الأهواء والبدع، فقد روى الإمام مسلم في مقدمة الصحيح عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنَّة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ»[٢].

وقد بقي مصطلح أهل السنَّة وأهل الحديث مترادفاً في القرون الثلاثة الأولى، قال ابن قتيبة: «فإن رجلا لو دخل المصر واستدل على القدرية فيه أو المرجئة، لدله الصبي والكبير والمرأة والعجوز والعامي والخاصي والحشوة والرعاع على المسمين بهذا الاسم، ولو استدل على أهل السنَّة لدلوه على أصحاب الحديث»[٣]، وقد بدأ أهل الابتداع والأهواء يطلقون تسميات عديدة على أهل السنَّة في القرن الثاني الهجري، من ذلك ما رواه اللالكائي عن أبي حاتم قال: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنَّة حشوية، يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنَّة مشبهة، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة المرجئية تسميتهم أهل السنَّة مخالفة ونقصانية، وعلامة

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم: رقم ٣٩٩٢.
(٢) صحيح مسلم: ١٥/١.
(٣) تأويل مختلف الحديث: ص ٨٢.

الرافضة تسميتهم أهل السنَّة ناصبة، ولا يلحق أهل السنَّة إلا اسم واحد، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء»[١].

وعند ظهور الأشاعرة في القرن الرابع الهجري، بدأ بعضهم يستعمل هذا المصطلح للدلالة على عقيدتهم، خاصة من دخل منهم في جدل وصراع مع فرق المعتزلة والشيعة والمرجئة السائدة في عصره، من أمثال: الباقلاني وابن فورك وأبي إسحاق الأسفراييني، ثم زاد عليهم البغدادي بأن خص هذا الاسم بفرقته الأشعرية مستدلاً له، ومخرجاً بقية الفرق عنه[٢]، على أن أبا المظفر الأسفراييني حاول في كتابه (التبصير في الدين) أن يجمع بين مصطلحي (الأشاعرة) و(أهل السنة والجماعة)، فقال: «إن النبيّ ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**، وهذه الصفة تقررت لأهل السنة؛ لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج والروافض، ولا من قال من القدرية: إن شهادة اثنين من أهل صفين غير مقبولة على باقة بقل، ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعا لهم ـ ولا ملابسا بسيرتهم، ومنها ما جاء في رواية أخرى أنه سئل عن الفرقة الناجية فقال: الجماعة، وهذه صفة مختصة بنا؛ لأن جميع الخاص والعام من أهل الفرق المختلفة يسمونهم أهل السنَّة والجماعة، وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج، وهم لا يرون الجماعة والروافض، وهم لا يرون الجماعة والمعتزلة، وهم لا يرون صحة الإجماع، وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها الرسول ﷺ»[٣].

عقيدة الفرقة الناجية:

لقد أثرت عقيدة الأشاعرة على منهج الأسفراييني كثيراً، سواء كان

---

(١) اعتقاد أهل السنة: ١٧٩/١.

(٢) هند العصيمي، البغدادي وكتابه الفرق بين الفرق: ص ١٩١.

(٣) ينظر ص٤١٦ من هذا الكتاب.

ذلك في ثنايا كتابه وتقريراته عن الفرق الإسلامية المختلفة، أو في تقرير عقيدة أهل السنَّة والجماعة في آخر كتابه، وهو قد جعل الفرقة الناجية هم من سار على معتقد الأشاعرة، وإن كان ليس منهم كما تقدم، وفقاً لحديث الافتراق الذي بدأ به كتابه، وحاول أن يختتم به كتابه أيضاً، ويبدو ذلك واضحاً عند تناوله لعلماء الأشاعرة، إذ يقول في ذلك: «وقيض الله تعالى في عصرنا في كل إقليم من أقاليم العالم سادة من أعلام أئمة الدين صنفوا في نصرة الدين، وتقوية ما عليه أهل السنَّة والجماعة والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه، مثل القاضي: الإمام أبي بكر الأشعري، وله قريب من خمسين ألف ورقة من تصانيفه في نصرة الدين والرد على أهل الزيغ والبدع...»[(١)]، ثم يأتي على ذكر من اشتهر في عصره من علماء الأشاعرة من أمثال: أبي إسحاق الأسفراييني وأبي منصور الأيوبي وابن فورك والباقلاني وأخيراً شيخه عبدالقادر البغدادي الذي يقول عنه: «ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم ـ على الخصوص والعموم ـ إلا من كان فرد زمانه وواحد أقرانه في معارفه وعلومه، وكثرة الغرر من تصانيفه، وهو الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي قدس الله روحه، وما من علم من العلوم إلاَّ وله فيه تصانيف، ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) في أصول الدين، وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أنه يتمكن من مثله؛ لكثرة ما فيه من فنون علمه وتصانيفه في الكلام والفقه والحديث والمقدرات التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر، لم يسبق إلى مثل كتبه في هذه الأنواع، مع حسن عبارته وعذوبة بيانه ولطافة كلامه في جميع كتبه»[(٢)].

أما عقيدة الفرقة الناجية التي قررها الأسفراييني فهي:

١ ـ دليل الأعراض وحدوث الأجسام: وهذه القاعدة يعدها المتكلمون من أصول الدين، وضرورية في صحة الاعتقاد، ومن خلال ذلك يثبتون

---

(١) ينظر ص٤٢٦ من هذا الكتاب.

(٢) ينظر ص٤٢٨ من هذا الكتاب.

وحدانية الله تعالى، وأنه الخالق، وهذا الأصل قال به جهم وأبو هذيل، ثم انتقل إلى المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، فقال به الباقلاني والبغدادي، وغيرهم من المتكلمين، وقال به الأسفراييني أيضاً في كتابه (التبصير في الدين)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «استدلال فاسد لا يوصل إلى العلم، فإنهم جعلوا أصل العلم بالخالق هو الاستدلال على ذلك بحدوث الأجسام، والاستدلال على حدوث الأجسام بأنها مستلزمة للأعراض، لا تخلو عنا ولا تنفك منها، ثم استدلوا على حدوث الأعراض، قالوا فثبت أن الأجسام مستلزمة للحوادث لا تخلو عنها...»، ثم قال (رحمه الله): «فإن علماء المسلمين يعلمون بالاضطرار أن الرسول ﷺ لم يدع الخلق بهذا النظر، ولا بهذا الدليل لا عامة الخلق، ولا خاصتهم، فامتنع أن يكون هذا شرطاً في الإيمان...»[1].

٢ ـ معنى لا إله إلا الله: وقد جعلت المقدمة الأولى عند الأشاعرة في الاستدلال يخرجون إلى أن معنى: (لا إله إلا الله) أي: لا خالق إلا الله، وهو بذلك لم يشر إلى توحيد الإلوهية، وهو منهج من سبقه من المتكلمين خاصة الأشاعرة،

٣ ـ قوله في الأسماء والصفات: وهذه تدرج تحتها أمور عديدة:

ـ عادة ما يبدأ الأشاعرة مقدماتهم في إثبات الصفات بأشياء ليس عليها دليل من كتاب أو سنة، وإطلاق بعض الأسماء التي لم يرد فيها دليل، مثل إطلاق لفظ (القديم) على الله تعالى، وقد أنكر ذلك جمهور السلف، والذي جاء به النص تسميته بالأول، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

ـ إنه سار على نهج المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم في أجمال الإثبات، والتفصيل بالنفي، وهذه الطريقة مخالفة لما جاءت به الرسل من الإثبات المفصل، والنفي المجمل، من ذلك ما ذكره الأسفراييني في هذا

(١) النبوات: ص ٤٢-٤٣.

الباب فقال: «أن تعلم أنه سبحانه ليس بجسم ولا جوهر...»، أو قوله: «ليس بعرض...»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن طريقة أتباع الأنبياء من أهل السنَّة هي الموصلة إلى الحق، دون طريقة من خالفهم من الفلاسفة والمتكلمين، إن المقصود هو العلم وطريقه هو الدليل والأنبياء جاؤوا بالإثبات المفصل، والنفي المجمل، كإثبات الصفات لله مفصلة، ونفي الكفؤ عنه»[1].

- قام الأسفراييني بنفي بعض الصفات عن الله تعالى، هو مذهب معروف عند الأشاعرة، فقال في هذا الباب: «أن تعلم أن الحركة والسكون والذهاب والمجيء والكون في المكان، والاجتماع والافتراق والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والانفصال والحجم والجرم والجثة والصورة والحيز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب، والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى...»، فنفي الحركة والسكون عن الله تعالى يعني نفي صفتي المجيء والنزول، ونفي الصورة يريد بذلك نفي الصفات الخبرية كاليد والعين، ونفي النهاية والحد، يريد نفي صفة العلو عن الله سبحانه وتعالى، والأسفراييني بهذه الطريقة يسير خلف خطى شيخه عبدالقاهر البغدادي، القائل بذلك[2]، وهو بهذه الطريقة يخالف ما جاء به الكتاب والسنة، وهذا القول هو من اختراع البغدادي، فإن من سبقه من الأشاعرة كانوا يثبتون بعض الصفات الخبرية، ولا ينفونها جميعاً[3]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأشاعرة في هذا المبحث: «فالأشعري والباقلاني وقدماؤهم يثبتونها، وبعضهم يقر ببعضها، وفيهم تجهم من جهة أخرى، فإن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم، وابن الباقلاني أكثر إثباتاً بعد الأشعري في (الإبانة)، وبعد ابن الباقلاني، ابن فورك فإنه أثبت بعض ما في القرآن، وأما الجويني ومن سلك طريقته،

(١) مجموع الفتاوى: ٦٦/٦.
(٢) العصيمي، عبدالقاهر البغدادي: ص ٢٠٥.
(٣) مجموع الفتاوى: ١٩٠/٣.

فمالوا إلى مذهب المعتزلة، فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم، قليل المعرفة بالآثار، فأثر فيه مجموع الأمرين»[1]، وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام يدل على أن مدرسة الأشاعرة كانت قد انحرفت قليلاً نحو المعتزلة في القرن الخامس الهجري، خاصة في نيسابور وما جاورها.

٤ ـ قوله في النبوات: يذهب الأسفراييني إلى أن الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة، ويعرفها بأنها: فعل يظهر على يدي مدعي النبوة، بخلاف العادة في زمن التكليف، وهذا الحصر هو قول مشهور عن الأشعري، وبه يقول الباقلاني، وهو مذهب أبي إسحاق الأسفراييني وابن فورك والبغدادي، والحق هو ما ذهب إليه أهل السنَّة من عدم حصر دلائل النبوة في المعجزة، وإنما تكون دلائل النبوة كثيرة، منها الصدق، وحسن الخلق، والسيرة الحسنة وغيرها.

٥ ـ قوله في اليوم الآخر: فأثبت الحشر والنشر، وإنها كائنة لا يعرف وقتها إلا الله، وأن الخلق يحشرون ويحاسبون، وأثبت الشفاعة للنبي ﷺ، وغيرها من الشفاعات التي جاء عليها الدليل من الكتاب والسنة، كما أثبت الحساب والميزان والكوثر والصراط والجنة والنار، والملاحظ عليه في إثبات هذه الأمور أنه يسرد أدلتها من الكتاب والسنة، ويستعين بالآثار لبيانها.

٦ ـ قوله في الصحابة: رتب الصحابة في الفضيلة حسب اعتقاد أهل السنَّة والجماعة، وأثبت الخلافة للخلفاء الراشدين، وأنهم لم يكتموا شيئاً من القرآن، ولا من أحكام الشريعة، ثم أورد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار في فضائلهم.

٧ ـ قوله في المخالف: قال الأسفراييني: «إن كل من تدين بهذا الدين ـ الذي وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية ـ فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم، فمن بدّعه فهو مبتدع، ومن ضلله فهو ضال، ومن كفره

(١) مجموع الفتاوى: ٦/٣٥٦.

فهو كافر؛ لأن من اعتقد أن الإيمان كفر، وأن الهداية ضلالة وأن السنة بدعة، كان اعتقاده كفراً وضلالة وبدعة» وما ذهب إليه هنا هو مذهب شيخه البغدادي الذي أخذه عن أبي إسحاق الأسفراييني، وتكفير المخالف، نهج بدعي عرف عن المبتدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون»(١).

علوم الفرقة الناجية:

نسب الأسفراييني إلى الفرقة الناجية عند جملة من العلماء، وأصناف من العلوم، سائراً على طريق شيخ البغدادي، وجعل له فصلاً مستقلاً جاء في عنوانه: «من فصول المفاخر لأهل الإسلام وبيان فضائل أهل السنَّة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم»، وأول ما يذكر مفاخرهم في الأدب الذي: «هو ترجمان جميع العلوم، ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدنيا والآخرة، إذ لا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول ﷺ إلا بمعرفة الأدب، وجملة الأئمة في النحو واللغة من أهل البصرة والكوفة في دولة الإسلام، كانوا من أهل السنة والجماعة، وأصحاب الحديث والرأي ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية»(٢).

والعلوم عند الأسفراييني كانت وفق الترتيب الآتي:

- علوم اللغة والأدب.
- علم تفسير القرآن.
- العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ.
- علوم الفقه.
- علوم المغازي والسير والتاريخ.

---

(١) منهاج السنة النبوية: ٥/٢٥١.

(٢) ينظر ص٤١٩ من هذا الكتاب.

ـ علم التصوف والإشارات.

ـ علم أصول الدين.

والملاحظة الجديرة بالانتباه هنا: أن الأسفراييني ـ تبعاً لشيخه البغدادي ـ أوهم القارئ أن هذه العلوم هي علوم الفرقة الناجية، وهم الأشاعرة، فجعل معتقد بعض الصحابة والتابعين على معتقد الأشعري، رغم كونه قد جاء بعدهم، وإن كان لعلماء أهل السنَّة تواليف كثيرة، خاصة في أصول الدين، لم يعرج عليها، ولم يذكرها، وإنما اكتفى بذكر علماء الأشاعرة، من أمثال: الأشعري، وأبي إسحاق الأسفراييني، وابن فورك، والباقلاني، وأبي منصور الأيوبي وعبدالقاهر البغدادي.

وبعد أن ينتهي من نسبة علم أصول الدين إلى الأشاعرة، وأن لهم قصب السبق بذلك، وأنهم هم أهل السنَّة والجماعة الذين ذكروا وخصوا بالنجاة دون غيرهم، كما في حديث الافتراق، يقدم بعض الأدلة التاريخية على صحة مذهبهم، وأنهم أولى بالاتباع من غيرهم:

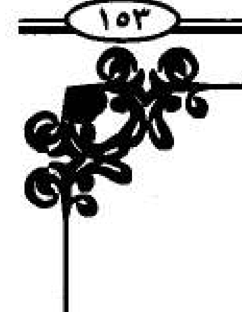
ـ إن أنواع الاجتهادات الفعلية مدارها على أهل السنَّة والجماعة في بلاد الإسلام.

ـ عمارتهم للمساجد، من أمثال: عمارة الحرمين، وبناء المساجد منها مسجد دمشق ومسجد القسطنطينية.

ـ سدهم لثغور الإسلام والمرابطة بها في أطراف الأرض.

ـ إن الله تعالى عصم أهل السنَّة من أن يقولوا في أسلافهم قولاً منكراً.

فهذه كلها أدلة تاريخية تدل على أن أهل السنَّة والجماعة هم الفرقة الناجية، وإن كنا لا نتفق معه في تقرير كون الأشاعرة هم من يمثل هذه الطائفة، ولكن أهل السنَّة والجماعة هم أهل الحديث والأثر، ومن سار خلف نهج النبوة وسيرة الصحابة، وتمسك بالجماعة، ونبذ الفرقة والاختلاف.





المبحث الثالث

التعريف بالنسخ ومنهج التحقيق

النسخ المعتمدة:

لقد اعتمدنا في تحقيق كتاب (التبصير في الدين) على ثلاث نسخ، هي كالآتي:

ـ **النسخة الأولى**: وهي نسخة (مركز المخطوطات والتراث والوثائق) بالكويت، وهذه النسخة مصورة عن مكتبة برلين في ألمانيا، يعود تاريخ نسخها إلى القرن الثامن الهجري، وعليها تملك لكاتبه علي بن علي بن سعادة بن الحسن الفارقي، وهو أخو محمد بن علي بن سعادة الفارقي، أحد التجار الذين ترجم لهم الحافظ ابن حجر، وكانت وفاته سنة ٧٦٥هـ[(١)]، وقد أرخ مفهرس المخطوط أنها تعود إلى القرن العاشر الهجري، ولا أعرف من أين أتى بهذا التاريخ، إذ لا شيء يدل عليه، أما العنوان الذي على هذه النسخة فكان بالشكل الآتي: «كتاب الفرق بين الفرق تصنيف الشيخ الإمام أبي المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني رضي الله عنه»، ثم كتب تحت العنوان: **«كاتبه صاحبه الراجي عفو الله ورضوانه علي بن علي بن سعادة بن الحسين الفارقي، نفع الله به ونفع به»** وتحت

---

(١) الدرر الكامنة: ٣٣١/٥.

اسم كاتبه كتبت العبارات الآتية: **«وفيه أيضاً ذكر أخبار منصور الحلاج»** ثم هناك عبارة غير واضحة، وبعد ذلك كتب: **«وفيه أيضاً حكايات لطيفة وأشعار وغرائب ونوادر وغير ذلك»**، والملاحظ أن كاتب هذه النسخة ـ على نفاستها ـ قد أخطأ العنوان، فجعل عنوان الكتاب (الفرق بين الفرق) وهو عنوان كتاب عبدالقاهر البغدادي المشهور، أما هذا الكتاب فهو (التبصير في الدين)؛ لأنه ذكر اسم المؤلف، كما أن محتوى الكتاب يطابق كتاب (التبصير في الدين)، وليس له علاقة بكتاب (الفرق بين الفرق)، الأمر الآخر الذي يميز هذه النسخة عن غيرها أن كاتبها أهمل الباب الخامس عشر من الكتاب، والذي فيه بيان لعقيدة أهل السنَّة والجماعة على ما يعتقده الأسفراييني، فكاتب هذه النسخة عندما وصل إلى الباب لم يكمله وإنما كتب الآتي: **«الباب الخامس عشر في اعتقاد أهل الحق وملة الإسلام:** وقد نزههم الله تعالى عن جميع هذه الفضائح والرذائل التي سردناه، وجروا في اعتقادهم على ظاهر الكتاب والسنة وإجماع الأئمة، والخلاف بينهم رجع إلى فروع الدين، وإلى أمور يسيرة الخطب، لا توجب تكفيراً ولا ابتداعاً، ولا يليق تفصيل الاعتقاد بهذا الكتاب، فإنه إنما رسم لنبين به الفرق بين فرق الحق والضلال، وقد بينا بما ذكرناه، وتحقيق عقيدة أهل الحق مدوناً مبرهناً أوضح من الشمس، كالتمهيد للباقلاني، والشامل والإرشاد وغيرهم مما تحصر بمثل هذا الكتاب بحمد لله، ومنه فصلوا على خير خلقه محمد وآله وصحبه»، ويبدو أن كاتب هذه النسخة اكتفى بذكر مقالات الفرق دون أن يتبعها ببيان عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وربما يكون لآراء الأسفراييني العقدية التي تبنت معتقد الأشاعرة، الأثر الكبير في ذلك، بقي أن نشير إلى أن هذه النسخة كتبت بخط النسخ الواضح في معظم صفحاتها، وبلغت هذه الصفحات (٧٢) لوحة، وقد جعلنها النسخة الأم، ورمزنا لها بالحرف (ب).

ـ **النسخة الثانية:** وهي نسخة (مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية) وهي مصورة عن (دار الوثائق في المكتبة الوطنية بباريس)، وتاريخ نسخها سنة ١٢٢٩هـ، ولا يعرف اسم الناسخ، وكتب في صدر صفحتها الأولى: **«كتاب التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، من**

تأليف الشيخ الإمام أبي المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني، أسكنه الله... جنانه آمين»، والنسخة كتبت بخط واضح مقروء، وتبلغ عدد لوحاتها (١٣٠) لوحة، وقد رمزنا لها بالحرف (س).

ـ **النسخة الثالثة**: وهي طبعة الأستاذ كمال يوسف الحوت، المطبوعة في عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٨٣م.

منهج التحقيق:

١ ـ ضبط نص الكتاب بالاعتماد على النسخة (ب) ومن ثم المقارنة بالنسخ الأخرى.

٢ ـ عزو الآيات القرآنية وضبطها.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية من كتب الحديث، مع الإشارة إلى الضعيف أو الموضوع منها على حسب أقوال أئمة الحديث في هذا الشأن.

٤ ـ تخريج الأعلام وضبطها.

٥ ـ عزو الفرق الوارد ذكرها إلى كتب الفرق والملل.

٦ ـ تخريج المدن والأماكن المجهولة والمبهمة للقارئ.

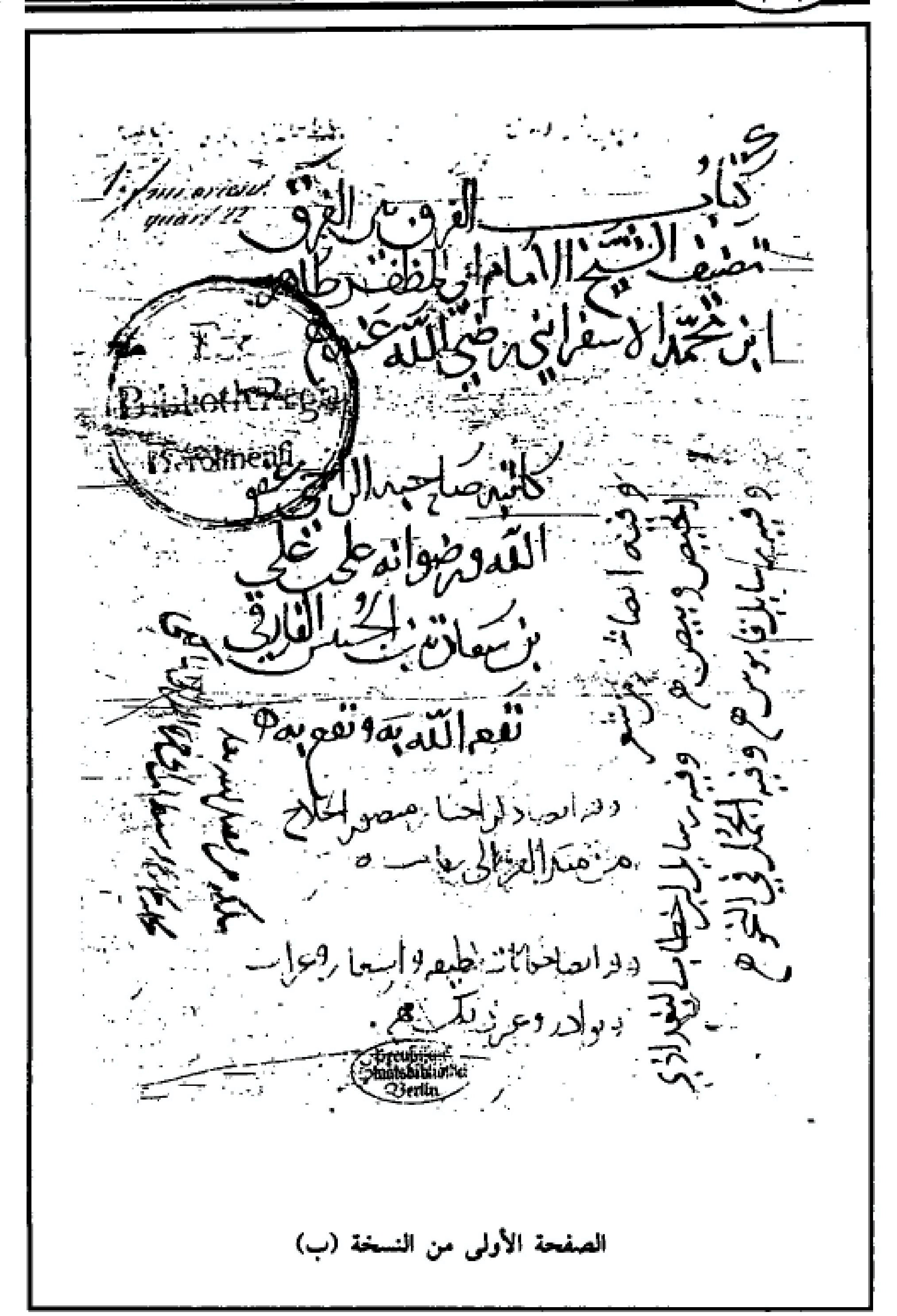
٧ ـ تخريج الأبيات الشعرية من دواوين الشعراء أو ممن ذكرها من أهل الأدب.

٨ ـ تخريج الأمثال التي وردت في الكتاب وبيانها.

٩ ـ توضيح بعض العبارات المبهمة، وشرح وبيان بعض التلميحات الواردة في المتن.

١٠ ـ وضع قائمة بالمصادر المستخدمة في هذا التحقيق في آخر الكتاب.

١١ ـ عمل فهارس علمية للكتاب لكي تعم بها الفائدة.



كتاب الفرق بين الفرق

تصنيف الشيخ الإمام أبي المظفر طاهر

ابن محمد الاسفرايني رضي الله عنه

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم رب أنعمت فزد

قال الشيخ الإمام أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين والصلوة على رسوله محمد وآله أجمعين وأصحابه
البررة الطاهرين ه اعلموا رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى ألزم
عبيده معرفته في ذاته وصفاته وعدله وحكمته وكماله في صفته
ونفوذ مشيته وكمال مملكته وعموم قدرته ولن تشتمل المعرفة بذلك
كله إلا بنفي النقايص عنه وإثبات أوصاف الكمال له من غير أن يشوبه
شيء من بدع المبتدعين وإلحاد الملحدين وكما لزم سبحانه متضمنا الأمرين
المعرفة بما أوجب عليه معرفته والإحاطة بما أوجب عليه مجانبته
حتى إذا اجتمع له الوصفان تحقق له وصف الإيمان على سبيل الإتقان
والإتقان والمفارقة لما يوسوس كثير منهم من الشبه وحبائل الشيطان
فيكون إيمانه كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل الرحمن حين قال إني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين أثنى عليه
بهذه المعرفة لجمعه بين المعرفة بكمال أوصافه وميله عن كل معبود يخالفه
في وصفه فوصفه بكونه حنيفا أي مائلا عن عبادة الأوثان وحبائل الشيطان
وما خالفه من الطرق والأديان وبمثله أمر رسوله المصطفى صلى الله عليه حين قال

الصفحة الثانية من النسخة (ب)

الثالث فإنه قام كل واحد من أهل المقالات يدعو الخلق إلى
مقالته وتبع كل واحد منهم جماعة من الناس وكانوا يتقاتلون
فيما بينهم وبقي بينهم ذلك الخلاف إلى اليوم ولم يزالوا مختلفين حتى
بلغ عدد فرقهم مثل ما نطق به الخبر المروي في هذا الباب ومنهم قوم
يقال لهم الصابئة كان مذهبهم مذهب أصحاب الهيولى وكانوا
في بعض دينهم مع اليهود وفي بعضه مع النصارى وابتدعوا من عند
أنفسهم أمورا لم يخالف الفريقين ومنهم قوم يقال لهم السامرة هم
من جملة اليهود ولكنهم خالفوهم في أشياء واعلم أن جميع من ذكرناهم
في هذا الباب من الفرق كفار لأن أحكامهم في فروعهم مختلفة في الشريعة
كما ذكر في كتب الفقه

الباب الخامس عشر

في اعتقاد أهل الحق من أهل الإسلام وقد نزههم الله تعالى عن جميع هذه
الفضائح والرذائل التي بيناه وجروا في اعتقادهم على ظاهر الكتاب
والسنة وإجماع الأمة والخلاف بينهم يرجع إلى فروع الدين وإلى أمور
يسيرة من الخطأ لا توجب تكفيرا ولا تبديعا ولا يليق تفصيل الاعتقاد
بهذا الكتاب فإنه كتاب رسم ليبين به الفرق بين فرق الحق والضلال
وقد بيناه بما ذكرناه وتحقيق عقيدة أهل الحق مدونة في كتب أصحابنا المشهورة
كالتمهيد للباقلاني والشامل للأستاذ وغيرهما تم الكتاب بحمد الله
ومنه وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطاهرين
[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

كتاب التبصير في الدين
وتمييز الفرقة الناجية
عن فرق الهالكين [illegible]
تأليف الشيخ الإمام أبي المظفر
طاهر بن محمد الإسفرايني
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من النسخة (س)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على رسوله محمد وآله أجمعين وأصحابه
البررة الطاهرين اعلموا أسعدكم الله
أن الله تبارك وتعالى أمر عباده بمعرفته
في ذاته وصفاته وعدله وحكمته وكماله
في صفته ونفوذ مشيئته وكمال حكمته وعموم
قدرته ولا تتكامل المعرفة بالله تعالى
إلا بنفي النقائص عنه وإثبات ما في
الكمال له من غير أن تتكون له على حسب
تنوع المتقدمين والعادات المختلفة وما ب
أمره تعالى متعمدا لا تترتب المعرفة بما أوجبت
معرفته ولا الإحاطة بما أوجب علمه
لما أثبته حتى إذا اجتمع له الوصف أن يتحقق
له وصف الإيمان على سبيل لا تنافي ولا تهافت
والمنافاة كما يوسوس للشيطان من
التشبيه وما بين التشبيهات المكون إما به
كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل
الرحمن حين قال إني وجهت وجهي الآية
والذي يلهمه بهذه المعرفة جمعه بين المعرفة
بكمال أوصافه وتنزيهه عن كل معبود

الصفحة الثانية من النسخة (س)

الله رؤوف الرحيم تم الباب وتم بتمامه الكتاب
والحمد لله على نعمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه أمهات
أهل الإسلام وحسبنا الله وكفى
في تاريخ سنة
ألف ومائتين وتسع
وعشرين
من الهجرة النبوية عليه
الصلاة والسلام

الصفحة الأخيرة من النسخة (س)

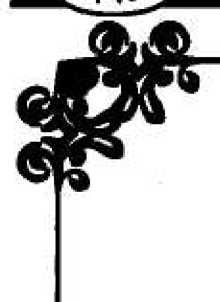


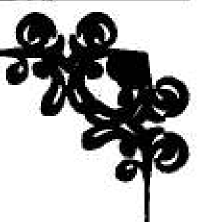
تصنيف

أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفراييني

(المتوفى سنة ٤٧١ هـ)







بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ أنعمت فزد

قال الشيخ الإمام أبو المظفر طاهر بن محمد الأسفرايني رضي الله عنه :](١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين، وأصحابه البررة الطاهرين.

اعلموا ـ رحمكم الله(٢) ـ أنَّ الله تبارك وَتَعالى أمر عبيدَهُ(٣) بمعرفته في ذاته وصفاته، وعدله وحكمته، وكماله في صفته، ونفوذ مشيئته، وكمال مملكته وعموم قدرته، ولن(٤) تتكامل المعرفة بذلك كله إلا بنفي النقائص عنه، وبإثبات أوصاف الكمال له، من غير أن يشوبه شيء من بدع المبتدعين وإلحاد الملحدين، وكان أمره تعالى متضمناً لأمرين: المعرفة بما أوجب معرفته، والإحاطة بما أوجب عليه مجانبته، حتى إذا اجتمع له الوصفان: تحقق له وصف الإيمان على سبيل الإتقان، والإيقان والمفارقة لما يوسوس لكثير منهم من الشبه، وحبائل الشيطان، فيكون إيمانه كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل الرحمٰن، حين قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (س) و (ك): (أسعدكم الله).
(٣) في (س) و (ك): (عبده).
(٤) في (س) و (ك): (ولا).

لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩][١] أثنى عليه بهذه[٢] المعرفة لجمعه بين المعرفة بكمال أوصافه وميله عن كل معبود يخالفه في وصفه فوصفه [أي الله تعالى الخليل][٣] بكونه حنيفاً: أي مائلاً عن عبادة الأوثان وحبائل الشيطان، وما يخالفه من الطرق والأديان، وبمثله أمرَ[٤] رسولُهُ المصطفى ﷺ[٥]، حين قال-[٢/ب]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩][٦]، وقال ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فأمره بالمعرفة [به][٧] ومغادرة كل دين يخالفه في حقيقته، وأمره أن يخبر عن نفسه بصفة معرفته الجامعة لوصفي النفي [والإثبات][٨]، ومعرفة ما تجب معرفته، ومجانبة ما يجب [عليه][٩] مغادرته[١٠]، فقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

وأمر سبحانه الكافة بكلمةِ الإيمان: لا إله إلا الله، جمع فيها بين النفي والإثبات، وقدم النفي على الإثبات؛ ليُعلم أن الإثبات لا يتكامل[١١] إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته، وهكذا جمع في سورة الإخلاص بين النفي والإثبات، فوصف نفسه بأوصاف الكمال في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) في (س) جاءت الآية الكريمة ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية.
(٢) في (ك): (لهذه).
(٣) زيادة من (س) و (ك).
(٤) في (س) و (ك): (أقر).
(٥) في (س) و (ك): (عليه السلام).
(٦) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
(٧) زيادة من (ب).
(٨) سقطت من (س).
(٩) زيادة من (ب).
(١٠) في (ك): (مجانبته).
(١١) في (ك): (يحصل).

أَحَدٌ ۝١﴾ ونفى عن نفسه النقائص(١) بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ حتى قال أهل المعارف في تحقيق صفة الصمد: إنه يتضمن إثبات كل صفة لا يتم الخلق إلا بها، ونفى كل صفة لا يجوز وصفه بها؛ لأن الصمد في اللغة: هو السيد(٢) الذي يرجع إليه في الحوائج، وهذا يوجب له إثبات صفات(٣) الكمال التي يتم بها اتساق الأفعال، وقد جاء [أيضاً في](٤) اللغة في تفسيره: أن الصمد هو الذي لا جوف له، وهذا يتضمن نفي النهاية، ونفي الحد والجهة، ونفي كونه جسماً أو جوهراً؛ لأن(٥) من اتصف بشيء من [هذه](٦) الأوصاف لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف له [٣/أ] وتقرر بهذه الجملة وجوب المعرفة بالنفي والإثبات، والتمييز بين الحق والباطل، ومن لم يتحقق صفة الباطل، لم تقرر له المعرفة بالحق(٧).

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة، وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة، حتى قال حذيفة بن اليمان: «كَانَ النَّاس يَسألُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ الخَيرِ، وَكُنتُ أسْألُهُ عَنْ الشَّرِّ»(٨)، وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته؛ لأن من لم يعرف [الشر](٩) يوشك أن يقع فيه كما قال الشاعر [الهزج]:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّـ ـرِ لَكِن لِتَوَقِّيهِ

---

(١) في (ك) و (س): (النقصان).
(٢) في (س): (سيد).
(٣) في (س): (الصفات).
(٤) في (ك) و (س) جاء ما بين المعقوفتين: (إيضاح).
(٥) في (س): (إلا أن).
(٦) سقطت من (ك) و (س).
(٧) في (ك) جاءت العبارة: (ومن لم يتحقق له صفة الباطل، لم يتحقق له صفة المعرفة بالحق). وينظر أقوال العلماء في ذلك في تفسير ابن كثير: ٥٧١/٤.
(٨) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: رقم ٣٤١١؛ مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين: رقم ١٨٤٧؛ أبو داود، السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها: رقم ٤٢٤٤.
(٩) زيادة من (ك) و (س).

الكفار في النار »[١].

فإذا لم يكن عاب الصبي غير المكلف لكونه كافراً وعاصياً في علم الله تعالى من غير أن يوجد فيه شاهد هذا العلم من ميل النفس وهواها ظلماً، لم يكن ظلماً تعذيب المكلف على فعله الذي يوجده ويخلقه الله بوفق إرادته وهوى نفسه لأجل أنه يفعل هذا الفعل ويخلقه ولو قدر عليه[٢].

وهذا الوجه مصرح به ومبين في روايات الأئمة في كتب الشيعة: روى الكليني وابن بابويه وآخرون منهم عن الأئمة: « أن الله خلق بعض عباده سعيداً وبعض عباده شقياً لعلمه بما كانوا يعملون »[٣]، ليتأمل لفظ (كانوا) فإنه يفيد صريحاً معنى الفرض التقدير.

وروى الكليني وغيره من الإمامية عن أبي بصير أنه قال: « كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً فسأله سائل فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله، من أين لحق الشقاء بأهل المعصية حتى حكم لهم بالعذاب على عملهم في علمه؟ فقال أبو عبد الله: أيها السائل علم الله عز وجل لا يقوم له أحد من خلقه بحقه، فلما حكم بذلك وهب لأهل المحبة القوة على طاعته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم بسبق علمه فيهم ومنعهم إطاعة القبول منه، فوافقوا ما سبق لهم من علمه تعالى ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه لن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سره »[٤].

وروى الكليني عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: « إن الله خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه سعيداً لم يبغضه أبداً وإن عمل سوءاً أبغض عمله،

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤٩١.

(٢) وقد سئل شيخ الإسلام عن أولاد المشركين فأجاب: « وأما أولاد المشركين فأصح الأجوبة فيهم: جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: ما من مولود إلا يولد على الفطرة الحديث قيل: يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين، فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا بنار ويروى أنهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع الله حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار، ودلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم في الجنة وبعضهم في النار ... ». مجموع الفتاوى: ٤/ ٣١٢.

(٣) الكافي: ٦/ ١٣؛ ابن بابويه، التوحيد: ص ٣٥٨.

(٤) الكافي: ١/ ١٥٣؛ ابن بابويه، التوحيد: ٣٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٥/ ١٥٦.

أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] وقد قالَ رسول الله ﷺ: «لا يَدخلُ الجنَّةَ مَنْ كَانَ في قلبِهِ مِثْقالُ ذرَّةٍ مِنَ الكِبْرِ ـ [أي: الكفر][١] ـ ولا يبقى في النَّار مَنْ كَانَ في قلبِهِ مِثْقَالُ ذرَّةٍ مِنَ الإيمان»[٢]، وإنما يحصل مثقال ذرة من الإيمان، باعتقاد صحيح سليم عن جميع شوائب البدع والإلحاد وأنواع الكفر، وما لم يتبين العاقل أوصاف البدع وأهلها، لم يتقرر له حقيقة الإيمان المستخلص عن جميعها، وكلام النبيّ ﷺ صدق ووعده حق، وهو[٣] الذي أخبر عن وجود [من][٤] فرق الضلال فيما بين المسلمين لا محالة كائن.

وقد اختلف مشايخ أهل التحقيق من علماء المسلمين فيه، فقال[٥] بعضهم: لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد، وإنما وجد بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم، فإن ما أخبر الرسول ﷺ كائن لا محالة، وقال الباقون ـ وهم الذين تتبعوا[٦] التواريخ وفتشوا[٧] عن المقالات المنقولة من أرباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام ـ: أن تمام هذه الفرق الضالة قد وجد[٨] في زمرة الإسلام [٤/أ] ووجب على المؤمن[٩] المحصل أن يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة،

---

(١) زيادة من (ب) و (س). في تفسير الكبر هنا بالكفر نظر، إذ ورد عن النبيّ ﷺ في حديث ابن مسعود بأنه قال: «بطر الحق وغمط الناس». مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر: رقم ٩١.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي عن ابن مسعود، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، رقم ١٩٩٩. والحديث صحيح كما ذكر ذلك الشيخ الألباني في صحيح الترمذي.

(٣) في (ك) و (س): (وهذا).

(٤) زيادة من (ب) و (س).

(٥) في (س): (قال).

(٦) في (ك) و (س): (يتتبعون).

(٧) في (ك): (يفتشون).

(٨) في (ك) و (س): (وجدت).

(٩) في (ك) و (س): (المرء).

ودينه عن أديانهم الضالة، وقد ظهر في بلاد الإسلام أقوام من أهل البدع يخدعون العوام ويلبسون عليهم الأديان، ينتسبون[١] إلى فريقي أهل السنَّة والجماعة أصحاب الحديث والرأي، ويستظهرون بصدور لا يعرف حالهم من صدور أهل الإسلام ليتقووا[٢] بهم على خداع أهل الغرة من المسلمين، ويظهرون به للأغمار أن لهم الغلبة والقوة، ولا يعرف الجاهل بأحوالهم إن الباطل قد يكون له [جولة][٣] ثم يسقط، كما سارت به الأمثال على لسان الكافة: أن الباطل يجول جولة ثم يضمحل، [وكما يقال: الحق أبلج والباطل لجلج][٤]، وإن الله تعالى[٥]: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

[ولما كان الشيخ الأجل الوزير أبو الحسن علي بن علي بن إسحاق قد [أكرمه][٦] الله بجلال نعمه، وفضائل قسمه، قائماً بنصرة أهل الدين، سيفاً مصلتاً على جميع أهل الزيغ والمبتدعين، وكان مخصوصاً من عند الله تعالى بفواضل سماوية، وكرامات علوية، جامعاً بين رأي رشيد وعزم شديد وحزم أكيد، ناظراً لأهل الدين ومناجحهم، وأهل الدنيا ومصالحهم، ليكون إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ولما كان بابه الرفيع مصطفق الرفاق، وملتقى الرجال من كل أوبٍ من الآفاق [٤/ب] وكان فيهم الأصناف المختلفة، والأخياف المتباينة في طرقهم وأديانهم، وكان بلطيف نظره يتأمل عقولهم وأحوالهم، ليرفع من كان في دينه رفيعاً، ويضع من كان في طريقته وضيعاً، جمعت لشريف خزانته][٧]

---

(١) في (س): (وينسبون).
(٢) في (ك) و (س): (ليتقوى).
(٣) سقطت من (س).
(٤) زيادة من (ك) و (س).
(٥) في (ك) و (س): (وقال تعالى).
(٦) هنا الكلمة قد غير واضحة ولعل ما أثبتاه أنسب للسياق.
(٧) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك) و (س).

كتاباً فارقاً بين الفريقين(١)، جامعاً بين وصف(٢) الحق وخاصته(٣)، والإشارة إلى حجته(٤)، ووصف الباطل، وحل(٥) شبهه؛ ليزداد المطلع عليه استيقاناً في دينه، وتحقيقاً في يقينه، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين، ولا تدليس المخالفين للدين، وقسمته بحول الله وقوته على خمسة عشر باباً، جامعة لبيان أوصاف عقائد [أهل](٦) الدين، وفضائح أهل الزيغ والملحدين، والله تعالى ولي التوفيق لإتمامه بفضله وإنعامه، إنه على ما يشاء قدير، وبالفضل والإحسان جدير:

الباب الأول: في بيان أول خلاف ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وما ظهر من الخلاف في أيام الصحابة [رضي الله عنهم](٧) أو قريباً منهم.

[**الباب الثاني**: في بيان فرق الأمة على الجملة](٨).

والباب(٩) الثالث: في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم.

والباب الرابع: في بيان مقالات الخوارج وبيان فضائحهم.

والباب الخامس: في تفصيل مقالات القدرية الملقبة بالمعتزلة وبيان فضائحهم.

والباب السادس: في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم.

[**الباب السابع**: في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم](١٠).

---

(١) في (ك) و (س): «فأردت أن أجمع كتاباً فارقاً...».
(٢) في (س): (وصفي).
(٣) في (ك): (وخاصيته).
(٤) في (ك) و (س): (حججه).
(٥) في (ك) و (س): (وحد).
(٦) سقطت من (س).
(٧) سقطت من (ب).
(٨) سقطت من (س).
(٩) في (ك): (والباب). وكذلك كل كلمة (باب) تأتي في هذا الاستعراض.
(١٠) سقطت من (ب).

والباب الثامن: في تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم.

والباب التاسع: [٥/أ] في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم.

والباب العاشر: في تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم.

والباب الحادي عشر: في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم.

والباب الثاني عشر: في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم.

والباب الثالث عشر: في بيان فرق ينتسبون إلى دين الإسلام، ولا يعدون في جملة المسلمين، ولا يكونون من جملة الاثنتين والسبعين، وهم أكثر(١) من عشرين فرقة.

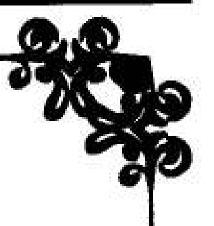
والباب الرابع عشر: في بيان مقالات أقوام من الملحدين، كانوا قبل ظهور دولة الإسلام، وذكر ذلك على الجملة(٢).

والباب الخامس عشر: في بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة، وبيان ما لهم من المفاخر، والمحاسن والآثار في الدين.

وذكرت في كل باب [منه](٣) ما يقتضيه شرطه على حد الاقتصار والاعتدال، مصوناً من الإكثار والإملال(٤)، بفضل الله وتوفيقه.



(١) في (س): (الأكثر).
(٢) في (ك): (وإنما أذكر جملة منهم)، وفي (س): (وما ذكروا جملة).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ك) و (س): (الاملال والإكثار).



الباب الأول

في بيان أول خلاف ظهر بعد المصطفى [ﷺ](١) وفي أيام الصحابة [رضي الله عنهم](٢) أو قريباً من عهدهم

اِعلم أن المسلمين [في](٣) وقت النبيّ ﷺ، وبعد وفاته كانوا على طريق واحد(٤)، لم يكن منهم(٥) خلاف ظاهر، ومن كان بينهم من المخالفين المنافقين، ما كان يتمكن من إظهار، ما كان يستسره من إضماره(٦)، فكان أول خلاف ظهر بين المسلمين اختلافهم في وفاة رسول الله ﷺ حتى قال قوم منهم: [إنه](٧) لم يمت، ولكنه رفع كما رفع عيسى ابن مريم [عليه السلام](٨)، وارتفع هذا [٥/ب] الخلاف ببركات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين صعد المنبر وخطب خطبة، وتلا عليهم قوله [سبحانه و](٩) تعالى [لرسوله](١٠) ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]، ثم قال:

---

(١) سقطت من (س).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ك) و (س): (واحدة).
(٥) في (ك) و (س): (بينهم).
(٦) في (ك): (إخباره).
(٧) زيادة من (ك) و (س).
(٨) زيادة من (ب).
(٩) زيادة من (ب).
(١٠) زيادة من (ب).

«مَنْ كَانَ يَعْبُدُ محمَّداً [فإنَّ محمَّداً][١] قد مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ ربَّ محمَّدٍ، فإنَّه حيٌّ لا يَمُوتُ»[٢]، فسكنت النفوس، واطمأنت القلوب، وأذعنت له الرقاب، واعترفت الكافة بما ظهر من الأمر [وزال][٣] [الخلاف][٤].

[والخلاف][٥] الثاني: أنهم اختلفوا في موضع دفنه [ﷺ][٦]، قَالَ قومٌ: إنَّه يُدفن بمكة؛ لأنها مولده، وبها قبلته وبها مشاعر الحجِّ، وبها نـزل عَليه الوحي، وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام.

وقال آخرون: إنه ينقل إلى بيت المقدس، فإن به تربة الأنبياء ومشاهدهم صلوات الله[٧] عليهم، وقال أهل المدينة: أنه يدفن في المدينة؛ لأنها موضع هجرته، وأهلها أهل نصرته.

فزال هذا الخلاف ببركات[٨] الصديق [رضي الله عنه][٩]، حين روى أن رسول الله ﷺ قال: «[إنَّ][١٠] **الأنبياء يدفنون حيث يقبضون**»[١١]، فقبلوا منه روايته، ورجعوا إلى قوله، ودفنوه في حجرته.

---

(١) سقطت من (س).
(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت: رقم ١١٨٥.
(٣) زيادة من (ك).
(٤) زيادة من (س).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) زيادة من (ك) و (س).
(٧) في (ك) و (س): (الرحمن).
(٨) في (ك) و (س): (ببركة).
(٩) زيادة من (ب).
(١٠) زيادة من (ب) و (س).
(١١) لم أجده بهذا اللفظ، قال الحافظ ابن حجر: «وقد روي أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون، قلت: هذا الحديث رواه ابن ماجه، مع حديث ابن عباس، عن أبي بكر مرفوعاً: «**ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض**»، وفي إسناده حسين بن عبدالله الهاشمي، وهو ضعيف، وله طريق أخرى مرسلة ذكرها البيهقي في الدلائل، وروى الترمذي في الشمائل والنسائي في الكبرى من طريق سالم بن عبيد الأشجعي، عن أبي بكر الصديق أنه قيل له: فأين يدفن رسول الله ﷺ؟ قال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإنه لم يقبض روحه إلا في مكان طيب إسناده صحيح، لكنه موقوف، والذي قبله أصرح في المقصود». فتح الباري: ٥٢٩/١.

[والخلاف][١] الثالث: اختلافهم في باب الإمامة، فقالت الأنصار: منا إمام ومنكم إمام، وطال بينهم الكلام في ذلك، حتى صعد الصديق رضي الله عنه المنبر وخطب، ثم تلا عليهم قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨] قال: فسمانا [الله][٢] الصادقين، ثم أمر [٦/أ] المؤمنين [أي الله تعالى][٣] أن يكونوا مع الصادقين، فقال[٤]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وروى لهم أن رسول الله ﷺ قال: «**الأئمةُ مِن قُرَيْشٍ**»[٥]، فصدقوه في روايته، ونزلوا على قضيته، واتفقوا على قوله، فزال هذا الخلاف أيضاً ببركة الصديق [رضي الله عنه][٦]، ثم حدث [بعد][٧] فيه خلاف[٨] قوم من الخوارج، [حيث][٩] قالوا: بجواز الخلافة في غير قريش، كما نذكره [بعد][١٠] إن شاء الله تعالى.

[والخلاف الرابع: اختلافهم في تنفيذ جيش أسامة، وذلك أن النبيّ ﷺ كان عقد لأسامة بن زيد لواء بيده، وهيأ له جيشاً يبعثه إلى الشام، فلما توفي رسول الله ﷺ، قال قوم من الصحابة: إنَّ حول المدينة جماعةً من الأعداء، فلو بعدنا العساكر عن المدينة، هجم عليها الكفار، ويكون فيه خوف الاصطدام، فقال الصديق رضي الله عنه: «والله لو جرت

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ك) و (س).

(٤) في (ك) و (س): (بقوله تعالى).

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده: ١٢٩/٣؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٥٢/١؛ النسائي، السنن الكبرى: ٤٦٧/٣؛ البيهقي، السنن الكبرى: ١٤٣/٨.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) هنا جاءت (حيث) زيادة من (ك)، ولم نثبتها لأن المعنى لا يستقيم.

(٩) سقطت من (س).

(١٠) زيادة من (ب).

الكلاب بأرجل أزواج رسول الله لما حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ»[1] فرجعوا إلى قوله، واتفقوا على رأيه، فزال هذا الخلاف أيضاً ببركات الصديق رضي الله عنه، وكان ذلك سبب استقرار الإسلام، وانقطاع أطماع من قرب وبعد من الأعداء؛ وذلك أنهم قالوا: لولا قوة هؤلاء المسلمين لما تجاسروا على تبعيد العدة والقوة والجيش العظيم عن ديارهم.

والخلاف الخامس: اختلافهم في قتال بني حنيفة [٦/ب] الذين منعوا الزكاة، فقَالَ قومٌ منهم: الأولى أن تبدأوا بقتال المشركين والمرتدين، ويستعان بهؤلاء على قتالهم، فإذا فرغ منهم حينئذ يقاتل هؤلاء، فزال هذا الخلاف أيضاً ببركة الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه تفكر فيه وقال: لو بايعنا هؤلاء، وقد وسوس لهم الشيطان منع الزكاة، لم نأمن أن يوسوس لقوم آخرين منع الصلاة، وإن نفع مثله في واحد من أركان الشريعة، فيكون فيه رفع الجميع، وانتصب لقتالهم فقال: والله إذن فرَّق ما جمع الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ولأقاتلنهم ولو بنفسي، ثم همَّ إلى قتالهم وحده، فقاموا إليه بأجمعهم، ووافقوه في قتالهم، وقاتلوهم حتى رجعوا إلى الطاعة، وقبلوا الزكاة.

ثم اشتغلوا بعد قتالهم بقتال المتنبئين، مثل طلحة[2] ومسيلمة[3]، فأما مسيلمة فقد كفى الله شره، وأتى عليه القتل في قتاله، وأما طلحة فإنه رجع

(١) أخرج هذه الرواية البيهقي في الاعتقاد: ٣٤٥/١.

(٢) هو طليحة بن خويلد الأسدي، متنبئ خرج في بني أسد وكان شجاعاً، وتنبئ في حياة النبيّ ﷺ وبعد وفاته ﷺ كثر أتباعه وانتشروا في قبائل أسد وغطفان وطيء، وكان يدعي أن جبريل يأتيه، فسير إليه الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد، فانهزم قومه، وهرب طلحة إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه، ووفد على عمر بن الخطاب بالمدينة فبايعه، وخرج إلى جهاد الفرس، فاستشهد في معركة نهاوند سنة ٢١هـ. الاستيعاب: ٧٧٣/٢؛ الإصابة: ٥٤٢/٣.

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي، تنبأ في أواخر حياة النبيّ ﷺ فلما انتظم الأمر لأبي بكر الصديق، انتدب خالد بن الوليد على رأس جيش قوي فهاجم ديار بني حنيفة، وقتل مسيلمة سنة ١٢هـ. الكامل لابن الأثير: ١٣٧/٢.

إلى الإسلام، واستشهد بعد مدة بنَهاوَنْد[١]، ثم اشتغلوا بقتال المرتدين وقتال فارس والروم، حتى فتحت لهم الفتوح، واستقرت أقدام المسلمين، وانقطعت أطماع الأعداء، وكانوا بين ذلك على طريقٍ مستقيم في أصول الدين، من غير][٢] اختلاف بينهم في [ذلك][٣]، وإنما كان يختلف [علماؤهم][٤] في فروع الدين، مثل مسائل الفرائض، [ولم][٥] يقع [فيما][٦] بينهم خلاف يوجب التفسيق والتبريء، هكذا جرى على السداد أيام أبي بكر [٧/أ] وعمر وصدر من زمان عثمان، ثم اختلفوا[٧] في أمر عثمان، وخرج عليه قوم منهم فكان من أمره ما كان.

ثم بعد ذلك حدث الاختلاف في أمر علي [رضي الله عنه][٨]، وفي حال أصحاب الجمل وصفين[٩]، وفي حال الحكمين، وظهر من ذلك خلاف الخوارج في أيام علي رضي الله عنه، كما نذكره[١٠] فيما بعد إن شاء الله [تعالى][١١].

وظهر في وقته أيضاً خلاف السبائية من الروافض، وهم الذين قالوا: إن [علياً][١٢] إله الخلق، حتى أحرق علي [رضي الله عنه][١٣] جماعة منهم، وظهر

---

(١) قال ياقوت: «هي مدينة عظيمة في قبلة همذان، وكان فتحها سنة ١٩، وقيل سنة ٢٠». معجم البلدان: ٥/٣١٣.
(٢) ما بين المعقوفتين (الخلاف الرابع والخامس) سقطت من (ك) و (س).
(٣) زيادة من (ك).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) سقطت من (س).
(٦) سقطت من (س).
(٧) في (ك) و (س): (اختلف).
(٨) زيادة من (ب).
(٩) موقع قرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس. معجم ما استعجم: ٣/٨٣٧؛ معجم البلدان: ٣/٤١٤.
(١٠) في (ك) و (س): (سنذكره).
(١١) زيادة من (ك) و (س).
(١٢) في (ب): (قالوا إنه إله..). والزيادة من (ك).
(١٣) زيادة من (ب).

بعد ذلك سائر أصناف الروافض، كما نذكره فيما بعد إن شاء الله [تعالى][(١)].

وظهر في أيام المتأخرين[(٢)] من الصحابة خلاف القدرية، وكانوا يخوضون في القدر والاستطاعة، كمعبد الجهني[(٣)]، وغيلان[(٤)] الدمشقي[(٥)]، وجعد بن درهم[(٦)]، وكان ينكر عليهم من كان قد بقي من الصحابة، [كعبدالله بن عمر][(٧)]، وعبدالله بن عباس، وعبد [الله بن أبي أوفى][(٨)] وجابر، وأنس، وأبي هريرة، وعقبة [بن عامر الجهني][(٩)] وأقرانهم، وكانوا يوصون إلى أخلافهم بأن لا يسلموا عليهم، ولا يعودوهم إن مرضوا، ولا يصلوا [خلفهم، ولا يصلوا][(١٠)] عليهم إذا ماتوا.

---

(١) زيادة من (ب) و (س).

(٢) في (س): (المتقدمين).

(٣) هو معبد بن عبدالله بن عكيم الجهني البصري، أول من تكلم بالقدر في البصرة، وكان قد سمع الحديث من ابن عباس وغيره من الصحابة، كان صدوقاً على فساد مذهبه، وكان قد أظهر القول بالقدر في البصرة، فقتله الحجاج بن يوسف صبراً سنة ٨٠هـ. البخاري، التاريخ الصغير: ص ١١٠؛ ميزان الاعتدال: ٤٦٥/٦؛ تهذيب التهذيب: ٢٠٣/١٠.

(٤) في (س): (وعبدون).

(٥) هو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، يقال: إنه أول من تكلم بالقدر بعد معبد الجهني، وكان مشهوراً بالبلاغة، ذكر ابن النديم أن له رسائل في نحو ألف ورقة، قال الشهرستاني: «كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد»، وقد أحضر في عهد هشام بن عبدالملك، فناظره الأوزاعي وأفتى بقتله، فصلب على إحدى أبواب دمشق سنة ١٠٥هـ. الفهرست: ص ١٧١؛ عيون الأخبار: ٣٤٥/٢؛ الملل والنحل: ١٤٣/١؛ ميزان الاعتدال: ٤٠٨/٥؛ لسان الميزان: ٤٢٤/٤.

(٦) هو الجعد بن درهم، أصله من الموالي، قال عنه الذهبي: «مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر»، وكان أول من تكلم بالقدر، قتل سنة ١١٨هـ. ميزان الاعتدال: ١٢٥/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٣٣/٥؛ لسان الميزان: ١٠٥/٢.

(٧) سقطت من (س).

(٨) سقطت من (س).

(٩) سقطت من (س).

(١٠) زيادة من (ب).

ثم ظهر بعدهم في زمان الحسن البصري[١] بالبصرة، خلاف واصل بن عطاء الغزال[٢] في القدر، وفي القول بمنزلة بين المنزلتين، ووافقه عمرو بن عبيد[٣]، فيما أحدثه من البدعة، فطردهم الحسن البصري عن[٤] مجلسه، فاعتزلوه بأتباعهم جانباً من المسجد، فسموا معتزلة؛ لاعتزالهم مجالس [٧/ب] المسلمين [في زمانهم؛ ولاعتزالهم قول المسلمين في فساق المسلمين][٥]، وقولهم بمنزلة بين المنزلتين، وزعمهم أن الفاسق الملي لا مؤمن ولا كافر، [وأن الفساق من أهل الملة][٦] خرجوا من الإيمان، ولم يبلغوا الكفر، وأنهم مع الكفار في النار خالدين مخلدين[٧]، لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة، ولما أظهروا هذه المقالة، هجرهم المسلمون وخذلوهم، كما كان قد أوصى إليهم أسلافهم من الصحابة[٨].

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار أبو سعيد البصري، يقال: مولى زيد بن ثابت، قال ابن سعد: «كان جامعاً عالماً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً». وفاته سنة ١١٠هـ. طبقات ابن سعد: ١٥٦/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٥٦٣/٤؛ تذكرة الحفاظ: ٧١/١.

(٢) هو واصل بن عطاء الغزال البصري، أبو حذيفة المتكلم، قال الأزدي: «رجل سوء كافر»، وقال الذهبي: «كان من أجلاء المعتزلة»، وهو أول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وفاته سنة ١٣١هـ. الفرق بين الفرق: ص ١١٧؛ ميزان الاعتدال: ١١٨/٧؛ لسان الميزان: ٢١٤/٦.

(٣) هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، كان جده من سبي فارس، شيخ المعتزلة في عصره، مع زهد وعبادة، قال ابن حبان: «كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة فسموا المعتزلة.. وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث»، وفاته سنة ١٤٤هـ. تاريخ بغداد: ١٦٦/١٢؛ وفيات الأعيان: ٤٦٠/٣؛ ميزان الاعتدال: ٣٢٩/٥.

(٤) في (ك): (من).

(٥) زيادة من (ب) و (س).

(٦) كذا في (ك). وفي (ب) و (س): وأنهم.

(٧) كذا في (ب) و (ك)، وفي (س): (خالداً مخلداً).

(٨) وقد نقل اللالكائي بعض الآثار عن هؤلاء الصحابة في اعتقاد أهل السنة: ٦٤٣/٤. قال الإمام مالك في القدرية والإباضية: «لا يصلى على موتاهم ولا تتبع جنائزهم ولا تعاد مرضاهم، فإذا قتلوا فذلك أحرى أن لا يصلى عليهم». المدونة: ١٨٢/١.

ثم ظهر خلاف النجارية في أيام المأمون[(١)] الخليفة، واستعد جماعة منهم بالري ونواحيها.

ثم ظهر [في أيام المأمون][(٢)] أيضاً دعوة الباطنية من حمدان قرمط[(٣)]، وعبدالله بن ميمون القداح[(٤)]، ولا يعدون من فرق المسلمين، فإنهم في الحقيقة على دين المجوس، كما [شرحناه من][(٥)] أديانهم في كتاب (الأوسط).

ثم ظهر في زمن[(٦)] محمد[(٧)] بن طاهر بن عبدالله بن طاهر[(٨)] بخراسان، خلاف الكرامية، كما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

---

(١) أبو عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي، ولد سنة ١٧٠هـ، قال عنه الذهبي: «دعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً ورأياً وعقلاً وهيبة وحلماً، ومحاسنه كثيرة في الجملة»، دعي له بالخلافة في أواخر سنة ١٩٥هـ إلى أن قتل الأمين، فاجتمع الناس عليه، فولي الخلافة حتى وفاته سنة ٢١٨هـ. تاريخ بغداد: ١٨٣/١٠؛ سير أعلام النبلاء: ٢٧٢/١٠؛ البداية والنهاية: ٢٤٤/١٠.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) يقال: إن اسمه حمدان بن الأشعث، وهو رجل من سواد الكوفة، كان يحمل الغلة فالتفت حوله جماعة من العامة، ظهر سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد، وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل، ولهم مقالات كثيرة. تاريخ الطبري: ٦٠٣/٥؛ الكامل في التاريخ: ٣٦٤/٦.

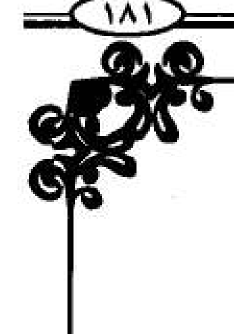
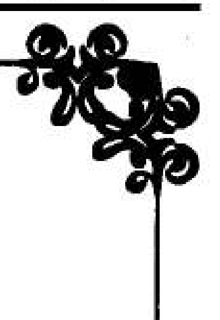
(٤) المخزومي مولاهم، أصله من الأهواز، كان من الزنادقة انسلك في خدمة جعفر الصادق، ثم ابنه إسماعيل، فلما مات الأخير لزم خدمة محمد، ثم ادعى بأنه وصي على ابن محمد وتبنى فكرة الباطنية ودعى إليها، تركه المحدثون من أهل السنَّة قال البخاري والترمذي: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وضعفه غيرهم. اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٦؛ تهذيب التهذيب: ٤٤/٦.

(٥) كذا في (ب) و (س): وفي (ك): (شرحنا).

(٦) في (ك): (زمان).

(٧) في (س): (أحمد).

(٨) هو محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أمير خراسان، وليها بعد أبيه سنة ٢٤٨هـ، وحارب يعقوب الصفار فأسره الأخير، ثم خلص من الأسر وأعيد إلى الإمارة، وعزل في أواخر أيامه، وفاته في بغداد سنة ٢٩٨هـ. تاريخ بغداد: ٤٨٩/٩؛ وفيات الأعيان: ٤١٧/٦؛ سير أعلام النبلاء: ٥٦٠/١٣.

الباب الثاني

في بيان فرق الأمة على الجملة

اِعلم أن الله [تعالى][١] حقق في افتراق هذه الأمة، ما أخبر به الرسول ﷺ من افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والباقون في النار، فأما الاثنتان والسبعون، فعشرون منهم الروافض، من جملتهم الزيديون، وهم ثلاث فرق الجارودية والسليمانية والأبترية، ومن جملتهم الكيسانية، وهم فرقتان، كما نبينه فيما بعد.

ومن جملة الروافض [٨/أ] الإمامية، وهم خمس عشرة فرقة[٢]: محمدية، وباقرية، وناووسية وشميطية، وعمارية، وإسماعيلية، ومباركية، وموسوية، وقطعية، واثنا عشرية، وهشامية، وزرارية، ويونسية، وشيطانية، وكاملية، فهذه جملة[٣] فرق الروافض، الذين يعدون في زمرة المسلمين.

فأما البيانية، والمغيرية، والمنصورية، والجناحية، والخطابية، والحلولية منهم، فلا يعدون في زمرة المسلمين؛ لأنهم كلهم يقولون بإلهية الأئمة، كما نفصله فيما بعد [إن شاء الله تعالى][٤].

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب) و (س) جاء تعداد هذه الفرق بدون (ال) التعريف. و (ك) بالتعريف.

(٣) في (س): (الجملة).

(٤) زيادة من (ك) و (س).

وعشرون منهم الخوارج وهم: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة والأباضية، والعجاردة[١] منهم فرق: كالخازمية والشعيبية [والمعلوماتية، والمجهولية، والصلتية والاخنسية، والشبيبية][٢]، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والحمزية، والإبراهيمية والواقفية.

والأباضية منهم أربع فرق: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد بها الله تعالى، ولا تعد اليزيدية من فرق الإسلام؛ [لأنهم جوزوا نسخ[٣] شريعة الإسلام][٤]، وذلك خلاف إجماع المسلمين.

ومن جملة العجاردة فرقة يقال لهم الميمونية، ولا يعدون من فرق المسلمين؛ لأنهم يجوزون التزوج [ببنات][٥] البنات ويبيحونه، وذلك خلاف ما عليه المسلمون.

وعشرون منهم القدرية المعتزلة، كل فريق منهم يكفر سائرهم [٨/ب] وهم: الواصلية، والعمروية، والهذلية[٦]، والنظامية، والأسوارية، والمعمرية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية، والمردارية، والهشامية، والثمامية، والجاحظية، والحائطية[٧]، والحمارية، والخياطية، والشحامية، وأصحاب صالح قبة، والمؤنسية، والكعبية، والجبائية، والبهشمية، وفرقتان من هذه الجملة لا يعدان من فرق الإسلام [وهما الخابطية والحمارية، كما نذكره فيما بعد][٨].

---

(١) في (ك): (فالعجارة).
(٢) فما بين المعقوفتين سقطت من (ك).
(٣) في (ك): (فسخ).
(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من (س).
(٥) في (ب): (بالبنات).
(٦) في (ك) و (س): (والهذلية والمعمروية).
(٧) في (ك): (الخابطية).
(٨) ما بين المعقوفتين سقطت من (ب) و (س).

وثلاث فرق هم المرجئة: فريق منهم يجمعون بين الإرجاء في الإيمان وبين القول بالقدر، كأبي شمر[١]، ومحمد بن شبيب البصري[٢]، والخالدية فهؤلاء مرجئون قدريون، وفريق منهم يجمعون [بين][٣] القول بالإرجاء في الإيمان، وبين قول جهم[٤]، كما نذكره [فيما][٥] بعد، فهؤلاء هم[٦] مرجئون جهميون.

وفريق جوزوا القول بالإرجاء، ولا يقولون بالجبر ولا بالقدر[٧]، وهم فيما بينهم خمس فرق[٨]: يونسية، وغسانية، وثوبانية، وتومنية، ومريسية[٩]، فصارت المرجئة على هذا التفصيل سبع فرق، وفرقة هم البكرية.

وفرقة هم النجارية المقيمون بالري ونواحيها، وهم أكثر من عشر فرق فيما بينهم: كالبرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة وغيرهم، ويعدون فرقة واحدة، وفرقة هم الضرارية، وفرقة هم الجهمية، وفرقة هم كرامية

---

(١) مشهور بكنيته، ولا تذكر له المصادر اسماً كاملاً، كان قريباً في مقالته من مقالة محمد بن شبيب والخالدي، إلا أنه كان يكفر من رد قوله في القدر. مقالات الإسلاميين: ص ١٥٢؛ الملل والنحل: ٥٩/١.

(٢) ذكر ابن حزم أنه من تلاميذ النظام، إلا أنه خالف شيخه في الوعيد والمنزلة بين المنزلتين، وقال صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بمجرد ارتكاب الكبيرة. مقالات الإسلاميين: ص ١٣٤؛ الفصل: ١٠٤/٣؛ الملل والنحل: ٥٩/١.

(٣) زيادة من (س).

(٤) هو جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، قال عنه الذهبي: «الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً»، قتل على يد الأمير نصر بن سيار سنة ١٢٨هـ. ميزان الاعتدال: ١٥٩/٢؛ لسان الميزان: ١٤٢/٢.

(٥) زيادة من (ك)، وفي الأخيرة (سنذكره).

(٦) في (س): (منهم).

(٧) في (ك): (بقدر).

(٨) في (ك): جاءت أسماء الفرق بـ (ال) التعريف.

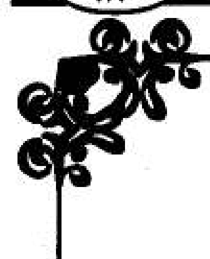
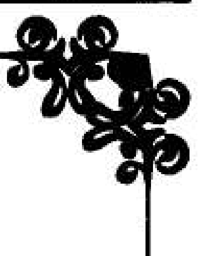
(٩) في (س): (ومن نسية).

خراسان، وهم ثلاث فرق[١]: حقائقية، وطرائقية، وإسحاقية، ويعدون فرقة واحدة؛ لأن بعض فرقهم لا يكفر بعضاً، فهؤلاء الذين ذكرناهم اثنتان وسبعون فرقة.

والفرقة [٩/أ] الثالثة [والسبعون][٢]: هي[٣] الناجية، [وهم][٤] أهل السنَّة والجماعة من أصحاب الحديث والرأي، وجملة فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الشريعة، التي لا يجري فيها التبري والتكفير، وهم من أخبر النبيّ ﷺ عنهم بقوله: **«الخلاف بين أمتي رحمة»**[٥]، والله ولي العصمة من كل إلحاد وبدعة.



(١) في (ك): جاءت أسماء الفرق بـ (ال) التعريف.
(٢) سقطت من (س).
(٣) كذا في (ك) و (س) في (ب): (هم).
(٤) زيادة من (ك) و (س).
(٥) المشهور من لفظ هذا الحديث: **«اختلاف أمتي رحمة»**، قال الحافظ ابن حجر: «حديث مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس، بلفظ: اختلاف أمتي رحمة للناس، وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له». وإلى الرأي الأخير ذهب الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة: رقم ٥٧.

الباب الثالث

في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم

إعلم أن الروافض تجمعهم[١] ثلاث فرق: الزيدية، والإمامية، والكيسانية.

فأما الزيدية منهم فثلاث فرق: الجارودية، والسليمانية، والأبترية[٢].

١ ـ الجارودية[٣]:

فأما الجارودية: فهم أتباع أبي الجارود[٤]، وكان مذهبه أنَّ النبيّ ﷺ نص على إمامة علي [رضي الله عنه][٥] بالصفة لا بالاسم، وكان من مذهبه

---

(١) في (ك): (يجمعهم).

(٢) كذا في (ك) و (س)، وفي (ب) بدون (ال) التعريف.

(٣) مقالات الإسلاميين: ص ٦٦؛ فرق الشيعة: ص ٥٥؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٣؛ الملل والنحل: ١٥٧/١.

(٤) عند الذهبي هو زياد بن المنذر الهمداني وقيل الثقفي، ويقال النهدي أبو الجارود الكوفي الأعمى، قال ابن معين: كذاب، وقال ابن حبان: كان رافضياً يضع الحديث في الفضائل والمثالب، وقال غيره: إليه تنسب الجارودية، ويقولون إن علياً أفضل من الصحابة وتبرؤوا من أبي بكر وعمر. ميزان الاعتدال: ١٣٧/٣؛ لسان الميزان ٢٢٢/٧.

(٥) زيادة من (ب).

أن الصحابة[١] كفروا كلهم بتركهم بيعة علي، ومخالفتهم النص الوارد عليه، وكان يقول: إنَّ الإمام بعده الحسن بن علي، ثم بعده الحسين بن علي، وتكون[٢] بعدهما الإمامة شورى في أولادهما، فمن خرج من أولادهما شاهراً سيفه، داعياً إلى دينه، وكان عالماً ورعاً، فهو الإمام.

وزعم قوم من الجارودية: أن[٣] الإمام المنتظر[٤] محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٥]، ويقولون أنه لم يمت ولم يقتل، وزعم قوم منهم أن المنتظر محمد بن القاسم[٦] صاحب الطالقان[٧]، وأنه [لم يمت][٨] ولم يقتل، وزعم قوم [٩/ب] أن المنتظر يحيى بن عمر[٩] الذي قتل بالكوفة، وهم لا يصدقون بقتله.

---

(١) في (س): (صحابة).

(٢) في (ك) و (س): (ويكون).

(٣) في (س): (إلا).

(٤) في (س): (المستظهرون).

(٥) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبدالله، ويعرف بالنفس الزكية، يروي عن جماعة من التابعين، وثقه النسائي وغيره، خرج على أبي جعفر المنصور في مبدء خلافته، فقتل بالمدينة سنة ١٤٥هـ. الثقات: ٣٦٣/٧؛ الجرح والتعديل: ٢٩٥/٧.

(٦) هو محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج بالطالقان من نواحي خراسان سنة ٢١٩هـ، يدعو إلى الرضا من آل محمد، واجتمع عليه خلق كثير، فقاتله قواد عبدالله بن طاهر مرات عديدة ثم ظهروا عليه فحمل إلى المعتصم فحبسه، فهرب من حبسه ولم يعرف له خبر بعد ذلك. تاريخ الطبري: ٢٠٧/٥؛ البداية والنهاية: ٢٨٢/١٠.

(٧) مدينة في مستو من الأرض من مدن خراسان. معجم البلدان: ٢٣/٤.

(٨) زيادة من (ك).

(٩) هو أبو الحسين يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي الهاشمي، خرج سنة ٢٥٠هـ في الكوفة، فالتف حوله جمع كثير، وأطلق السجناء واستولى على بيت مال الكوفة، وأخرج نواب الخليفة منها، ودعى إلى الرضا من آل محمد فأرسل إليه المتوكل محمد بن عبدالله بن طاهر، فقتله في السنة نفسها. الكامل في التاريخ: ١٥٧/٦؛ البداية والنهاية: ٥/١١.

٢ ـ السليمانية[١]:

وأما السليمانية، فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي[٢]، وكان يقول: إن الإمامة شورى، ومتى ما عقدها اثنان من خيار الأمة[٣] لمن يصلح لها، فهو إمام في الحقيقة، وكان يقر بإمامة أبي بكر وعمر، ويجوز إمامة المفضول، وكان يقول: إن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة علي، فإنه كان أولى بها، وكان إعراضهم عنه خطأ، لا يوجب كفراً ولا فسقاً، وهؤلاء كانوا يكفرون عثمان؛ بسبب ما أخذ عليه من الأحداث، وكفرهم أهل السنَّة والجماعة بتكفيرهم[٤] عثمان، وربما يدعى هؤلاء جريرية.

٣ ـ البترية[٥]:

فأما البترية منهم، فهم أتباع الحسن بن صالح بن حي[٦]، وكثير النواء الملقب بالأبتر، وقول هؤلاء كقول السليمانية، غير أنهم يتوقفون

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٦٨؛ فرق الشيعة: ٦٤؛ الفرق بين الفرق: ص٢٣؛ الملل والنحل: ١/١٥٩؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٢؛ منهاج السنة النبوية: ٣/١١.

(٢) هو سليمان بن جرير أحد متكلمي الشيعة، قال إن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم مبايعة علي رضي الله عنه لأنه كان أولاهم بها، وكفر عثمان رضي الله عنه بما ارتكب من الأحداث، فكفره أهل السنة. ترجمته في لسان الميزان: ٣/٧٩؛ مقالات الإسلاميين: ص ٦٨؛ وينظر دائرة المعارف الشيعية: ١٠/٤٦٩.

(٣) في (ك) و (س): (أخيار الأئمة).

(٤) في (س): (بكفرهم).

(٥) مقالات الإسلاميين: ص ٦٨؛ فرق الشيعة: ص ٨؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٤؛ منهاج السنة النبوية: ٣/١١.

(٦) الحسن بن صالح بن حي، فقيه عابد ثقة، أحد الأعلام، روى عن أبيه وعبدالله بن دينار وإسماعيل السدي وعاصم الأحول، قال الذهبي: «فيه بدعة تشيع قليل، وكان يترك الجمعة»، وفاته سنة ١٦٩هـ. ميزان الاعتدال: ٢/٢٤٥؛ سير أعلام النبلاء: ٧/٣٦١؛ تقريب التهذيب: ١/١٦١.

الملل والنحل: ١/١٦١؛ المواقف: ص٦٥٥؛ منهاج السنة النبوية: ٣/١٢.

في عثمان، ولا يقولون فيه خيراً ولا شراً، وقد أخرج مسلم بن الحجاج[١]، حديث الحسن بن صالح بن حي في **(المسند الصحيح)**[٢]، كأنه[٣] لم يعرف منه هذه الخصلة[٤]، فأجراه على ظاهر الحالة[٥].

واعلم أن السليمانية والبترية يكفِّرون الجارودية منهم؛ لتكفيرهم[٦] أبا بكر وعمر، ومن تابعهما من الصحابة[٧]، وجميع فرق الزيدية يجمعهم القول بتخليد أهل الكبائر في النار، ووافقوا القدرية في هذا المعنى، ووافقوا الخوارج أيضاً في أن فساق الملة كفار يخلدون[٨] في النار مع الكفار، ويقنطون من رحمة الله: و﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وهؤلاء الفرق الثلاثة إنما يسمون زيدية؛ لقولهم بإمامة زيد بن علي

---

(١) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، ولد سنة ٢٠٤هـ، وأول سماعه في سنة ٢١٨هـ، وحج في العشرين من عمره، فسمع بالحرمين وبالعراق ومصر، قال ابن أبي حاتم: «كان مسلم ثقةً من الحفاظ»، وفاته في سنة ٢٦١هـ. تاريخ بغداد: ١٣/١٠٠؛ وفيات الأعيان: ٥/١٩٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٢/٥٧٧.

(٢) وهذه هي التسمية التي اختارها الإمام مسلم لصحيحه، ثم اشتهر فيما بعد بين الناس بصحيح مسلم. سير أعلام النبلاء: ٥/٥٧٩.

(٣) في (ك): (لما).

(٤) في (ك) و (س): (الخصال). لم يكن يخفى على الإمام مسلم حاله كما ظن المصنف (رحمه الله) وإنما كان من مذهب مسلم إخراج حديث من ثبت صدقه حتى لو كان عنده شيء يسير مما يؤخذ عليه، قال ابن عدي: «لم أجد له حديثاً منكراً مجاوز المقدار، وإنما هو عندي من أهل الصدق». وقد أخرج له مسلم خمسة أحاديث وأرقامها في الصحيح: (٧٣٤) و (١٤٨٠) و (٢١٩٦) و (٢٣٤٤) و (٢٨٥١). وأخرج له البخاري رواية في كتاب الشهادات: ٥/٢٠٣، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم، ونصه: «وقال الحسن بن صالح: أدركت جارة لنا جدة بنت إحدى وعشرين».

(٥) في (ك) و (س): (الحال).

(٦) في (س): (كتكفيرهم).

(٧) في (س): (صحابة).

(٨) في (س): (مخلدون).

[١٠/أ] بن الحسين بن علي[1] في وقته، وإمامه ابنه يحيى بن زيد[2] في وقته.

وكان [من][3] أمر زيد هذا أنه بايعه خمسة آلاف من أهل الكوفة، فأخذ يقاتل بهم يوسف بن عمر الثقفي[4]، عامل هشام بن عبدالملك[5] [على العراق][6]، فلما اشتد بهم القتال، قال الذين بايعوه: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: أثنى عليهما جدي علي، وقال فيهما حسناً، وإنما خروجي على بني أمية، فإنهم قاتلوا جدي علياً، وقتلوا جدي حسيناً، فخرجوا عليه ورفضوه، فسموا رافضة بذلك السبب، وهجروه كلهم، ولم

---

(١) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام، قال أبو حنيفة: «ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً»، كانت إقامته بالكوفة، وقتل فيها سنة ١٢٢هـ. طبقات ابن سعد: ٣٢٥/٥؛ وفيات الأعيان: ١٢٢/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٣٨٩/٥.

(٢) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، هرب بعد مقتل أبيه في الكوفة سنة ١٢١هـ إلى خراسان، ثم اجتمع إليه خلق كثير هناك فأغروه، فخرج بناحية الجوزجان، وكان والي الأمويين على خراسان هناك نصر بن سيار، فبعث إليه مسلم المازني في ثلاثة الآف رجل فقتلوا يحيى بن زيد، وهرب من كان معه، وكان ذلك في سنة ١٢٢هـ على ما ذكر ذلك الطبري، ومشهده الآن بجوزجان. تاريخ الطبري: ٢٠٩/٤؛ مقالات الإسلاميين: ٧٨؛ الفرق بين الفرق: ص٣٦؛ الملل والنحل: ١٥٦/١.

(٣) زيادة من (س).

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي، أمير العراقين وخرسان لهشام ثم أقره الوليد بن يزيد، قال الذهبي: «وكان شهماً، كافياً، سائساً، مهيباً، جباراً، عسوفاً، جواداً، معطاءً»، وفاته سنة ١٢٧هـ. سير أعلام النبلاء ٤٤٢/٥؛ شذرات الذهب: ١٧٢/١.

(٥) هو هشام بن عبدالملك بن مروان، من خلفاء بني أمية، بويع له بالخلافة في شعبان سنة ١٠٥هـ، وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠هـ بأربعة عشر ألف من أهل الكوفة، فوجه إليه من قتله وفل جمعه، وفاته سنة ١٢٥هـ. ابن كثير، البداية والنهاية: ٣٥١/٩؛ الزركلي، الأعلام: ٨٦/٨.

(٦) زيادة من (ب).

يبقَ منهم إلا نصر بن خزيمة العبسي[١]، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة[٢]، مع مقدار مائتي رجل، فأتى القتل على جميعهم، وقتل زيد ودفن، فأخرج بعده من القبر وأحرق[٣].

وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان، وصار إلى ناحية جوزجان[٤]، وخرج على نصر بن سيار[٥] [والي خراسان][٦] [فبعث نصر بن سيار إليه][٧] سلم بن أحوز المازني[٨] في ثلاثة آلاف من المقاتلة، فاستشهد يحيى بن زيد في ذلك القتال، ومشهده بجوزجان.

٤ ـ **الكيسانية**[٩]:

وأما الكيسانية، فهم أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي[١٠]، الذي كان

---

(١) ذكره الطبري، وقاد بني عبس عند خروج زيد بن علي في الكوفة، ولكنه قتل وصلب معه. تاريخ الطبري: ٢٠٥/٤.

(٢) هو ابن زيد بن حارثة الأنصاري، كانت له دار بالكوفة، لجأ إليها زيد بن علي في بعض أوقاته عند خروجه على بني أمية، وقد قتل مع زيد بن حارثة، قتله رجل أحول مولى للأشعريين. تاريخ الطبري: ٢٠٨/٤.

(٣) ينظر: مقاتل الطالبيين: ص ١٢٧؛ البداية والنهاية: ٣٥٨/٩.

(٤) قال ياقوت: «وهي كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ». معجم البلدان: ١٨٢/٢.

(٥) هو نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني، أبو الليث المروزي، والي بلخ وشيخ مضر بخراسان، ومن الفرسان الشجعان، ولاه الخليفة هشام بن عبدالملك سنة ١٢١هـ، فغزا حصوناً كثيرة فيما وراء النهر، وفي ولايته على خراسان ظهرت الدعوة العباسية، وقاتل طلائع العباسيين في خراسان، وفاته سنة ١٣١هـ. وفيات الأعيان: ١٨٧/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٤٦٣/٥.

(٦) زيادة من (ك).

(٧) ما بين المعقوفتين سقطت من (س).

(٨) كذا ذكره المؤرخون، وليس هناك تفاصيل كثيرة عنه سوى أنه كان من قادة نصر بن سيار. تاريخ الطبري: ٢٣٣/٤؛ الكامل في التاريخ: ٤٧٢/٤.

(٩) مقالات الإسلاميين: ص ١٩؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٧؛ فرق الشيعة: ٢٣؛ الفصل: ١٣٧/٤؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٢؛ منهاج السنة النبوية: ٤٧٤/٣.

(١٠) المختار بن أبي عبيد الثقفي، قال الذهبي: «الكذاب لا ينبغي أن يروى عنه شيئاً؛ لأنه=

يطلب[١] ثأر الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان يقتل من يظفر به ممن كان قاتله بكربلاء، وهؤلاء الكيسانية فرق [في الجملة][٢] يجمعهم القول بنوعين من البدعة:

أحدهما: تجويز البداء على الله تعالى، [تعالى][٣] الله عن قولهم علواً كبيراً.

الثاني: قولهم بإمامة محمد بن الحنفية[٤]، ثم اختلفوا في سبب إمامته، فمنهم من قال: [إنَّ][٥] سبب إمامته [١٠/ب] أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دفع الراية إليه يوم الجمل، وقال له:

اطْعَنْهُمْ طَعْنَ أبيك تُحْمَدِ ... لا خَيْرَ في حربٍ إذا لَمْ تَزبِدِ[٦]

= ضال مضل كان يزعم أن جبرائيل عليه السلام ينزل عليه، وكان ممن خرج على الحسن بن علي بن أبي طالب في المدائن، ثم صار مع ابن الزبير بمكة، فولاه الكوفة فغلب عليها، ثم خلع ابن الزبير ودعا على الطلب بدم الحسين، فالتفت عليه الشيعة، وكان يظهر لهم الأعاجيب، ثم جهز عسكراً مع إبراهيم بن الأشتر إلى عبيدالله بن زياد وقتله سنة خمس وستين، ثم توجه بعد ذلك مصعب بن الزبير إلى الكوفة، فقاتله فقتل المختار سنة سبع وستين»، وقال الحافظ ابن حجر: «ويقال إنه الكذاب الذي أشار إليه النبيّ ﷺ بقوله: **«يخرج من ثقيف كذاب ومبير»** والحديث في صحيح مسلم». ميزان الاعتدال: ٣٨٦/٦؛ لسان الميزان: ٦/٦. قلت: والحديث الذي أشار إليه الحافظ هو حديث ابن عمر عند الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها: ١٩٧١/٤، رقم ٢٥٤٥.

(١) كذا في (ب) و (س) وفي (ك): (كان قام يطلب).

(٢) زيادة من (ب) و (س).

(٣) سقطت من (س).

(٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب، ونسبته إلى أمه، كان واسع العلم ورعاً، توفي سنة ٨١هـ، كانت الشيعة الكيسانية تعتقد بعدم موته. الثقات: ٣٧٤/٥؛ تهذيب التهذيب: ٣١٥/٩.

(٥) زيادة من (ك).

(٦) رسائل المرتضى: ٢٦٤/٣؛ الخوارزمي، المناقب: ص ١٨٧؛ شرح نهج البلاغة: ٢٤٣/١. قال ابن منظور: كل ما أخذ خالصه فقد تزبد. لسان العرب: ١٩٢/٣.

ومنهم من قال: [إنَّ][١] سبب إمامته أن الإمامة كانت لعلي، ثم للحسن ثم للحسين، وقد أوصى بها حسين[٢] لأخيه محمد بن الحنفية، في الوقت الذي كان يهرب من المدينة ويقصد مكة، إذ كان مطالباً ببيعة يزيد بن معاوية[٣]، وهؤلاء الذين يقولون بإمامة محمد بن الحنفية.

٥ ـ الكربية[٤]:

وقوم منهم يقال لهم الكربية[٥]، أصحاب أبي كرب[٦] الضرير يقولون: إن محمد بن الحنفية لم يمت ولم يقتل، وأنه في جبل رَضْوَى[٧]، وعنده عين من الماء وعين من العسل يتناول منهما، وعنده أسد ونمر يحفظانه[٨] من الأعداء، إلى أن يؤذن له في الخروج، وهو المهدي المنتظر عندهم.

وقوم من الكيسانية أقروا بموته ثم اختلفوا، فقال قوم منهم: إن الإمامة بعده رجعت إلى ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين.

---

(١) زيادة من (ك).

(٢) في (ك) و (س): (حسين بها).

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ثاني خلفاء بني أمية في الشام، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠هـ، وأبى البيعة له كل من عبدالله بن الزبير والحسين بن علي، فقتل الثاني واليه على الكوفة ابن زياد، واستباح المدينة، وفعل فيها أشياء منكرة، وفاته سنة ٦٣هـ. الكامل في التاريخ: ٣/٥٠ وما بعدها؛ سير أعلام النبلاء: ٤/٣٥.

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ١٩؛ فرق الشيعة: ص ٢٧؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٧؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٢.

(٥) في (س): (البكرية).

(٦) في (س): (أبي بكر).

(٧) رضوى: هو جبل بالمدينة، وهو من ينبع على مسيرة يوم، وهو على ليلتين من البحر، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية، وهو الجبل الذي تزعم الكيسانية أن ابن الحنفية اختفى فيه. معجم البلدان: ٣/٥١.

(٨) في (ك): (تحفظانه).

٦ ـ الهاشمية:

وقال قوم: إنها رجعت إلى ابنه أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية[١]، ثم قال قوم: رجعت بعد أبي هاشم [إلى محمد بن عبدالله بن عباس[٢]، بوصية أبي هاشم][٣] له بها، وهذا ـ ول [ابن][٤] الراوندي[٥] وأتباعه.

٧ ـ البيانية:

وقال قوم: رجعت إلى بيان بن سمعان التميمي[٦]، وهؤلاء قوم يلقبون بالبيانية، وهم من جملة الغلاة، يدعون إلٰهية بيان بن سمعان، ويزعمون أن روح الإلٰه حل في أبي هاشم، ثم رجع إلى بيان، وقال: قوم بل رجعت إلى عبدالله بن عمرو بن حرب[٧]، وكانوا [١١/أ] يدعون إلٰهيته.

---

(١) هو أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، يقال له: عبدالله الأكبر، قال ابن سعد: «كان أبو هاشم صاحب رواية وكان ثقة قليل الحديث، وكانت الشيعة يلقونه ويتولونه»، ومع ذلك فقد أخرج له البخاري ومسلم في صحيحهما، توفى سنة ٩٨هـ. طبقات ابن سعد: ٣٢٧/٥؛ التاريخ الكبير: ١٤/٦؛ تهذيب التهذيب: ١٤/٦.

(٢) كذا في الأصل، والأصح: علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، قال عنه الذهبي: «الإمام القانت، ولد عام قتل الإمام علي فسمي باسمه»، قال ابن سعد: «كان ثقة قليل الحديث، لقب بالسجاد لكثرة صلاته»، ومن نسله كان خلفاء بني العباس، وفاته سنة ١١٨هـ. طبقات ابن سعد: ٣١٣/٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢٨٤/٥؛ تهذيب التهذيب: ٣٥٧/٧.

(٣) سقطت من (س).

(٤) زيادة من (ك) و (س).

(٥) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الراوندي، قال عنه ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب، وقال عنه ابن الجوزي: من ملاحدة العالم، وله مؤلفات، مات سنة ٢٩٨هـ. لسان الميزان: ٣٢٣/١؛ شذرات الذهب: ٢٣٥/٢.

(٦) بيان النهدي أصله من بني تميم، ظهر بالعراق بعد المائة، وقال بإلوهية علي رضي الله عنه وأن فيه جزءاً متحداً بناسوته، ثم من بعده ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم ولد ابن الحنفية ثم من بعده في بيان هذا، أحرقه بالنار خالد بن عبد الله القسري. ميزان الاعتدال: ٧٢/٢؛ لسان الميزان: ٦٩/٢.

(٧) وإليه تنسب (الحربية) ينظر: ص٣٣٠ من هذ الكتاب، وليس هناك معلومات عن شخصية عبدالله بن عمرو بن حرب هذا.

وكان كثير الشاعر[١]، والسيد الحميري[٢] من جملة الكيسانية، كانا ينتظران[٣] محمد بن الحنفية، ولهما في ذلك أشعار [كثيرة][٤]، فمما قاله السيد الحميري في معناه:

إلا قلْ للوَصِي فَدَتْكَ نَفْسِي — أطَلْتَ بذلك الجبَلِ المُقَامَا
أضر بمعشرٍ والَوْكَ[٥] منّا — وَسَمَّوْكَ الخَلِيفَةَ والإمَامَا
وَعَادَوْا فيكَ أهْلَ الأرضِ طُرّاً — مُقَامُكَ عندهُمْ ستِّينَ عَاما

٨ ـ **المختارية:**

وأول من قام ببدعة الكيسانية، ودعا إلى إمامة محمد بن الحنفية المختار ابن أبي عبيد، أخذ في طلب ثأر الحسين بن علي وظفر بأعدائه، ولما تم له الظفر في حروب كثيرة اغتر بنفسه، وكان[٦] يتكلم بأسجاع كأسجاع الكهنة، ولما بلغ خبر كهانته إلى محمد بن الحنفية، خاف أن يقع بسببه فتنة في الدين، وهم ليقبض عليه، فلما علم به المختار، وخاف على نفسه منه اختار قتله بحيلة، فقال لقومه: المهدي محمد بن الحنفية، وأنا على ولايته، غير أن للمهدي علامة، وهي أن يضرب عليه بالسيف، فلا

---

(١) هو أبو صخر كثير بن عبدالرحمن بن الأسود الخزاعي المدني، من فحول الشعراء، امتدح عبدالملك بن مروان وغيره من خلفاء بني أمية قال الزبير بن بكار: «كان شيعياً يقول بتناسخ الأرواح، وكان خشبياً يؤمن بالرجعة»، وكان قد تتيم بعزة وشبب بها، مات سنة ١٠٧هـ. سير أعلام النبلاء: ١٥٢/٥؛ شذرات الذهب: ١٣١/١.

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن بكار بن يزيد السيد الحميري الشاعر، قال الدارقطني: «كان غالياً يسب السلف في شعره ويمدح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه»، وقال ابن حجر: «كان رافضياً خبيثاً هجر الناس شعره لإفراطه في سب بعض الصحابة وإفحاشه في شتمهم والطعن عليهم، وكان يقول بإمامة محمد بن الحنفية»، مات سنة ١٧٨هـ. ميزان الاعتدال: ٤٣٧/١؛ لسان الميزان: ٤٣٦/١.

(٣) في (س): (ينتظرون).

(٤) زيادة من (ك) و (س).

(٥) في (س): الركب. والوك: الدفع. لسان العرب: ٥١٤/١٠.

(٦) في (ك) و (س): (فأخذ).

يحيك فيه السيف، وأنا أجرب هذا السيف على محمد بن الحنفية، فإن حاك فيه فليس بمهدي.

فلما بلغ إلى محمد بن الحنفية هذا الخبر، خاف أن يقتله بما ذكرناه من حيلته، فتوقف [١١/ب] حيث كان، ثم أن السبائية خدعوا مختاراً[١]، وقالوا له: أنت حجة الزمان، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها، وزعم أن أسجاعه وحي يوحى إليه، ثم قويت شوكته واستفحل أمره، حتى قصده جندٌ[٢] من جنود مصعب بن الزبير[٣]، فهزمهم وأسر جماعة منهم، فيهم سراقة بن مرداس البارقي[٤]، فلما قدم إلى المختار احتال [عليه][٥]، وقال [له][٦]: لم تهزمنا جندك ولا أسرنا قومك، ولكن الملائكة الذين جاؤوا لنصرتك ونصرة جندك، هم الذين هزمونا، فاعفوا عنا، فإنا لم نعلم أنك على الحق، والآن فقد علمناه[٧]، فعليك أقسم ـ بحق أولئك الملائكة الذين كانوا على أفراس بلق قائمين بنصرتك ـ أن تعفو عنا، فعفا عنهم، وعاد سراقة إلى جند مصعب بن الزبير بالبصرة، وأنشأ هذه الأبيات وبعث بها إلى المختار:

---

(١) في (ك): (المختار).

(٢) في (ك): (قصد جندا).

(٣) هو أبو عيسى مصعب بن الزبير بن العوام القرشي، أمير العراقين لأخيه، قال الذهبي: «كان فارساً شجاعاً، جميلاً وسيماً، حارب المختار وقتله، وكان سفاكاً للدماء»، سار لحربه عبدالملك بن مروان فقتل سنة ٧٢هـ. طبقات ابن سعد: ١٨٢/٥؛ تاريخ بغداد: ١٠٥/١٣؛ سير أعلام النبلاء: ١٤٠/٤.

(٤) سراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الأزدي، شاعر يماني الأصل، سكن الكوفة، وكان ممن قاتل المختار سنة ٦٦هـ، وله شعر في هجائه، فلما وقع في أسر المختار احتال عليه في شعره، فأمر بإطلاقه، فالتحق بمصعب بن عمير بالبصرة، ومنها إلى دمشق، وفيها وفاته سنة ٧٩هـ. طبقات فحول الشعراء: ص ٣٧٥؛ تاريخ دمشق: ١٥٦/٢٠.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ك): (علناه).

إلا أَبــلِـغْ أَبــا إسـحــاقَ أنّــي   رأيتُ البُلْـقَ دُهـمـاً مُصْـمـتَـاتِ
أُرِي عَـيْـنَـيَّ مـا لـم تـنـظـراه   كـلانـا عـالِـمٌ بـالـتُّـرهـاتِ(١)
كـفـرت بَـوحْـيِـكـم وجـعـلـت نَـذْراً   علـيَّ قِـتـالكـمْ حتـى الـمـمـاتِ(٢)

واعلم أن السبب الذي جوزت الكيسانية البداء على الله تعالى، أن مصعب بن الزبير بعث إليه عسكراً قوياً، فبعث المختار إلى قتالهم أحمر بن شميط(٣) مع ثلاثة آلاف من المقاتلة، فقال(٤) لهم: أوحي إلي أن الظفر يكون لكم، فهزم ابن شميط فيمن كان معه، فعاد إليه فقال: أين الظفر الذي قد وعدتنا، فقال له المختار [١٢/أ]: هكذا كان [قد](٥) وعدني ثم بدا، فإنه سبحانه [وتعالى](٦) قد قال: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد: ٣٩](٧).

ثم خرج المختار إلى قتال مصعب، ورجع مهزوماً إلى الكوفة، فقتلوه بها.

واعلم أن الكيسانية اختلفوا في حبس محمد بن الحنفية بجبل رضوى، فمنهم من قال: كان ذلك عقوبة له على خروجه ـ بعد قتل الحسين بن علي ـ إلى يزيد بن معاوية، وطلب الأمان منه، وقبوله العطاء من قبله، وعلى أنه

---

(١) هي الأباطيل، واحدها ترهة. لسان العرب: ٤٨٠/١٣.
(٢) ديوان البارقي: ص ٧٨؛ تاريخ الطبري: ٤٦١/٣؛ الأغاني: ١٣/٩؛ تاريخ دمشق: ١٥٧/٢٠. وقد وردت في هذه المصادر مع تقدم بيت وتأخير آخر.
(٣) في الأصول (أحمد) والتصحيح من كتب التاريخ. هو أحمر بن شميط البجلي، من أصحاب المختار، شهد معه أكثر وقائعه مع بني أمية وعبيدالله بن زياد، ووجهه المختار بجيش من الكوفة لقتال مصعب بن عمير فتلاقيا فقتل ابن شميط وتفرق من معه، وكان ذلك سنة ٦٧هـ. تاريخ الطبري: ٤٩٥/٣؛ الكامل في التاريخ: ٧٠/٤.
(٤) في (ك) و (س): (وقال).
(٥) سقطت من (س).
(٦) زيادة من (ك).
(٧) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

خرج من مكة في أيام [فتنة][1] ابن الزبير[2]، وقصد عبدالملك بن مروان[3]، ثم انصرف من الطريق وعدل إلى الطائف، وكان بها عبدالله بن عباس، فتوفي عبدالله بن عباس، وصلى عليه بها محمد بن الحنفية ودفنه هناك، ثم قصد اليمن، فلما بلغ شعب رضوى توفي هناك ودفن، والذين يقولون بانتظاره ينكرون موته، ويزعمون أنه غيب عن الناس إلى أن يؤذن له في الخروج.

وقال قوم من الكيسانية: لا ندري سبب حبسه هناك، ولله في حبسه سرٌّ لا يعلمه إلا هو.

هذا تفصيل قول الكيسانية من الروافض.

فرق الإمامية

أما الإمامية منهم فهم خمس عشرة فرقة:

الأولى: الكاملية[4]:

إحداهما الكاملة، وهم أتباع أبي كامل، يقولون: إن الصحابة كلهم

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أمه أسماء بنت الصديق، ولد عام الهجرة وحفظ عن النبيّ ﷺ وحدث عنه، وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان وخالته عائشة وغيرهم، بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ عقب موت يزيد، ولم يتخلف عنه إلاّ بعض أهل الشام، فسار مروان فتغلب على بقية الشام، ثم على مصر، ثم جهز مروان الحجاج بن يوسف إلى الزبير، فقاتله إلى أن قتل ابن الزبير في سنة ٧٣هـ. مشاهير علماء الأمصار: ص ٣٠؛ الإصابة: ٨٩/٤.

(٣) هو عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد كان من فقهاء المدينة قبل أن يلي الخلافة سنة ٦٣هـ، وبقي فيها ثلاثة عشر عاماً حتى وفاته سنة ٧٣هـ، قال الخطيب: «بويع له بالخلافة عند موت أبيه وهو بالشام، ثم سار إلى العراق فالتقى هو ومصعب بن الزبير بمسكن على نهر الدجيل، فكانت الحرب بينهما حتى قتل مصعب»، وقتل الحجاج بن يوسف بعده أخاه عبدالله بن الزبير بمكة واجتمع الناس على عبدالملك. طبقات ابن سعد: ٢٢٣/٥؛ تاريخ بغداد: ٣٣٨/١٠.

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ١٧؛ الفرق بين الفرق: ص ٣٩؛ الملل والنحل: ١٧٤/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٠؛ المواقف: ص ٦٧٩؛ منهاج السنة النبوية: ٤٧٢/٣.

كفروا بتركهم بيعة علي، وكفر علي أيضاً بتركه قتالهم، إذ كان واجباً عليه أن يقاتلهم، كما قاتل أهل صفين والجمل، وكان بشار بن برد الشاعر[(١)] منهم، ولما[(٢)] سئل عن الصحابة، فقال: كفروا، فقيل له: ما تقول [١٢/ب] في علي؟ فأنشد قول الشاعر:

وما شَرُّ الثلاثةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بصَاحِبكِ الذي لا تَصْبَحِينَا[(٣)]

وبشار هذا زاد على الكاملية بنوعين من البدعة:

إحداهما: أنه كان يقول بالرجعة قبل القيامة، كما كان يقولها الرجعية من الروافض.

والثاني: أنه كان يقول بتصويب إبليس في تفضيل النار على الأرض؛ ولذلك قال:

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ والنَّارُ مُشْرِقَةٌ ... والنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ[(٤)]

ووفق الله سبحانه المهدي بن منصور الخليفة[(٥)]، حتى غرّقه وأتباعه في دجلة، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

---

(١) أصله مجوسي من سبي أصبهان، مدح الخلفاء والأمراء، وكان يتعصب للعجم على العرب، وهو خبيث المذهب يؤمن برجعة، ثم اتهمه الخليفة المهدي بالزندقة فقتله سنة ١٦٧هـ. تاريخ بغداد: ١١٢/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٢٤/٧؛ لسان الميزان: ١٥/٢.

(٢) في (ك) و (س): (لما).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم، ديوانه: ص ٦٤. والقصة مع بيت الشعر في الأغاني: ٢٢٢/٣.

(٤) ديوان بشار بن برد: ص ٥٣٩.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي العباسي الهاشمي، قال عنه الذهبي: «كان جواداً ممداحاً معطاء محبباً للرعية، قصاباً في الزنادقة»، ولي الخلافة سنة ١٥٨هـ، وتوفي سنة ١٦٩هـ. تاريخ بغداد: ٣٩١/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٤٠٠/٧.

الثانية: المحمدية[١]:

وهم يقولون بانتظار محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ويقولون: إنه لم يمت [وإنما هو][٢] حي في جبل حاجر[٣] من ناحية نجد، وأنه يقيم هناك إلى أن يؤذن له في الخروج، فيخرج ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وكان المغيرة بن سعيد العجلي[٤] على هذا المذهب، وكان يدعو الناس إليه، ودخل في دعوته جماعة من أهل المدينة وأهل مكة وأهل اليمن، فجمع منهم عسكراً، وغلب على نواحي البصرة، [واستولى][٥] فريق من جنده على نواحي المغرب[٦]، وكان ذلك منهم في خلافة[٧] المنصور[٨]، فبعث إليهم عيسى بن موسى[٩] ....

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٢٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٤٢.

(٢) في (ك) ما بين المعقوفتين جاءت: (وإنه).

(٣) الحاجر في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو موضع يقع في ديار بني تميم بنجد. معجم ما استعجم: ٤١٦/١.

(٤) في (س): (المغيرة بن شعبة). وهو مغيرة بن سعيد الكوفي، قال يحيى: «كان رجلاً كذاباً»، وقال السدي: «قتل على ادعاء النبوة»، وقال ابن حبان: «كان من حمقى الروافض يضع الحديث»، وقال الخطيب: «كان غالياً في الرفض وله طائفة تنسب إليه»، قتل سنة ١١٩هـ. ابن حبان، المجروحين: ٧/٣؛ ابن الجوزي، ديوان الضعفاء والمتروكين: ١٣٤/٣.

(٥) زيادة من (ك).

(٦) الاستقصا: ٢١١/١.

(٧) في (ك): (زمن) وفي (س): بياض بمقدار كلمة.

(٨) هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس، كان حازماً عارفاً بالفقه والأدب، محباً للعلماء، تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ، وتوفي سنة ١٥٨هـ. تاريخ بغداد: ٥٣/١٠؛ سير أعلام النبلاء: ٨٣/٧؛ البداية والنهاية: ١٢١/١٠ - ١٢٩.

(٩) هو عيسى بن موسى بن محمود بن علي بن عبدالله بن العباس، أبو موسى الهاشمي، كان ولياً لعهد المنصور ثم ابنه المهدي، وكان قائداً محنكاً استطاع أن يقضي على فتنة ابني عبدالله بن الحسن، توفي سنة ١٦٨هـ. تاريخ الطبري: ٤٥٨/٧؛ ٧/٨، ٩، ٣٩، ٦٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٣٤/٧.

[في جندٍ][١] عظيم، فاستشهد محمد بن عبدالله بن الحسين بالمدينة.

واختلف أصحاب المغيرة في حاله، فمنهم من أقرَّ بقتله وخرجوا على المغيرة، وقالوا: إنه كذب في قوله: يملك الأرض، فإنه قتل وما ملك، ومنهم من قال: إن المغيرة صدق [١٣/أ] فيما ذكر أن محمداً لم يقتل، وإنما غاب عن أعين الناس في جبل[٢] حاجر، إلى أن يؤذن له في الخروج، فيخرج ويملك الأرض، ونبايعه[٣] بين الركن والمقام سبعة عشر رجلا، يجيئون[٤] لأجله، ويعطي كل واحد منهم حرفاً من حروف اسم الله الأعظم، فهم يهزمون العساكر بذلك، وهؤلاء يزعمون أن الذي قتله عيسى بن موسى بالمدينة، كان شيطاناً تصور في صورة محمد، وأنه لم يقتل في[٥] الحقيقة، وأصحابنا يقولون لهم: إن جوزتم[٦] أن تركبوا[٧] مثل هذه الخرافات، فهلاّ انتظرتم الحسين بن علي، وقلتم إنه لم يقتل، وهلاّ انتظرتم علي بن أبي طالب، وقلتم أن الذي قتله ابن ملجم[٨]، كان شيطاناً تصور بصورة علي.

الثالثة: الباقرية[٩]:

وهؤلاء يقولون: إن الإمامة كانت في أولاد علي، إلى أن انتهى

---

(١) في (ك): (بجيش) في (س) بياض بمقدار كلمة.

(٢) في (ك) و (س): (جبال).

(٣) في (ك) و (س): (ويبايعه).

(٤) في (ب): (يحيون).

(٥) في (ب): (على).

(٦) في (ك) و (س): (جوابكم).

(٧) في (ك) و (س): (ترتكبوا).

(٨) هو عبدالرحمٰن بن ملجم المرادي قال الذهبي: «ذاك المفتر الخارجي ليس بأهل أن يروى عنه وما أظن له رواية كان عباداً قانتاً لله لكنه ختم له بشر، فقتل أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه متقرباً إلى الله بدمه بزعمه، فقطعت أربعته ولسانه وسملت عيناه، ثم أحرق، نسأل الله العفو والعافية». ميزان الاعتدال: ٣٢٠/٤؛ لسان الميزان: ٤٣٩/٣.

(٩) الفرق بين الفرق: ص ٤٥؛ الملل والنحل: ١٦٥/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٣.

[الأمر][١] إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر[٢]، وهم ينتظرونه ولا يصدقون بموته، ويقولون: إن سبب إمامته أن النبيّ ﷺ أخبر جابر بن عبدالله الأنصاري أن سيطول عمره [فإنه][٣] يدرك أيامه، وقال له: اقرأ مني السلام عليه[٤]، وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان قد كفَّ بصره في آخر عمره، فجاءت جارية ووضعت في حجره صبياً، وقالت: هذا [محمد بن][٥] علي بن الحسين بن علي، فأدى جابر الأمانة وبلغه سلام جده، وتوفي جابر في ليلته، فزعم[٦] هؤلاء أن [تسليم رسول الله ﷺ عليه علامة إمامته[٧]، وهذا القول منهم محال؛ لأن النبيّ ﷺ قد][٨] أخبر عمر وعلياً [١٣/ب] [رضي الله عنهما][٩] أنهما[١٠] يدركان رجلاً اسمه أويس القرني[١١]، وأمرهما أن يبلغاه سلام رسول الله [ﷺ][١٢]،

---

(١) زيادة من (ك) و (س).

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ناسكاً عابداً، قال الذهبي: «ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن»، ولد بالمدينة وفيها وفاته سنة ١١٤هـ. حلية الأولياء: ١٨٠/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٤٠١/٤؛ تهذيب التهذيب: ٣٥٠/٩.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ك) و (س): (عليه السلام).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في (ك): (فرد).

(٧) الرواية أوردها اليعقوبي بلا سند في تاريخه: ٣٢٠/٢. واليعقوبي مشهور بتشيعه.

(٨) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك) و(س).

(٩) زيادة من (ب).

(١٠) في (ك) و (س): (بأنهما).

(١١) هو أبو عمرو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني، القدوة سيد التابعين، قال الذهبي: «كان من أولياء الله المتقين ومن عباده المخلصين»، توفي سنة ٣٩هـ. طبقات ابن سعد: ١٦١/٦؛ صفة الصفوة: ٤٣/٣؛ سير أعلام النبلاء: ١٩/٤.

(١٢) زيادة من (ك). وأخرج حديث عمر بن الخطاب أبو يعلى عن صعصعة بن معاوية. المسند: ١٨٧/١. قال الذهبي: «هذا حديث غريب تفرد به مبارك بن فضالة عن أبي الأصفر، وأبو الأصفر ليس بمعروف». سير أعلام النبلاء: ٢٦/٣؛ ثم قال=

وذلك لا يوجب أن يكون هو المهدي المنتظر، فإنه استشهد في حرب صفين، فكذلك[١] التسليم على محمد بن علي، لا يوجب كونه مهدياً منتظراً.

الرابعة: الناووسية[٢]:

وهم أتباع رجل من أهل البصرة، وكان[٣] ينسب إلى ناووس[٤] كان هناك، وهم يسوقون الإمامة في أولاد علي إلى جعفر بن محمد الصادق[٥]، ويزعمون أنه لم يمت، وأنه المهدي المنتظر، وجماعة من السبائية يوافقونهم في هذا القول، ويزعمون أنه كان يعلم كلما يحتاج إلى عمله، من دين أو دنيا عقلي وشرعي، ويقلدونه في جملة أبواب الدين، حتى لو سئل واحد منهم عن جواز الرؤية على الله تعالى، أو[٦] عن نفي خلق القرآن، أو عن إثبات الصفات، أو غير ذلك، كان[٧] جوابه أن يقول: إن يقول[٨] فيه بقول جعفر، ولا يدرى[٩] ما قول جعفر فيه، غير أنهم يتوقفون[١٠] في تكفير أبي بكر وعمر، ولو طردوا أصلهم في تقليده لأجابوا به أيضاً عليه.

= الذهبي: «ورواه الضحاك بن مزاحم عن أبي هريرة زيادة ألفاظ لم يتابع عليها ومن ألفاظه:... **يا عمر يا علي إذا رأيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر لكما الله**».

(١) في (ك) و (س): (كذلك).

(٢) مقالات الإسلاميين: ص٢٥؛ فرق الشيعة: ص ٦٧؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٣٨/٤؛ الملل والنحل: ١٦٦/١.

(٣) في (ك) و (س): (كان).

(٤) الراجح أن ناووس اسم رجل نسبت إليه هذه الفرقة، على ما ذهب معظم علماء الفرق، وربما قيل هي نسبة إلى ناووس قرية قرب همدان. معجم البلدان: ٢٥٤/٥.

(٥) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالصادق، كان من أجلاء التابعين، ولد بالمدينة، وفيها وفاته سنة ١٤٨هـ. حلية الأولياء: ١٩٢/٣؛ وفيات الأعيان: ٣٢٧/١.

(٦) في (ك) و (س): (و).

(٧) في (ك) و (س): (لكان).

(٨) في (ك) و (س): (إنا نقول).

(٩) في (ك) و (س): (ندري).

(١٠) في (ك) و (س): (يتفقون).

الخامسة: الشميطية[١]:

الشميطية منهم، هم أتباع يحيى بن شميط، وهؤلاء يقولون: إنَّ الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه محمد بن جعفر، وأنها تدور في أولاده، وأن المنتظر واحد من أولاده.

السادسة [١٤/أ] العمارية[٢]:

العمارية منهم، وهؤلاء يقولون: إنَّ الإمامة صارت من جعفر إلى أكبر أولاده عبدالله، الذي كان يدعى أفطح[٣]، وهؤلاء يدعون الأفطحية[٤] بسببه.

السابعة: الإسماعيلية[٥]:

[وهم][٦] يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل[٧]، وكذبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ، لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر، وقوم من هذه الطائفة يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل[٨]، وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية.

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٢٧؛ الفرق بين الفرق: ص٦١؛ الملل والنحل: ١٦٧/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص٤٥.

(٢) مقالات الإسلاميين: ٢٨؛ الفرق بين الفرق: ص ٦٢؛ الملل والنحل: ١٦٧/١.

(٣) في (س): (ابطح). هو ابن جعفر الصادق، أخو إسماعيل كان أكبر أولاد جعفر الصادق، أمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي، بعد وفاة والده تكفل هو بغسله وتجهيزه، ولذلك ادعى البعض إمامته، إلا أنه لم يعش بعد أبيه أكثر من سبعين يوماً، ومات سنة ١٤٧هـ ولم يعقب. الملل والنحل: ١٦٧/١.

(٤) في (س): (الابطحية).

(٥) فرق الشيعة: ص٦٨؛ فضائح الباطنية: ص١٦؛ الملل والنحل: ١٦٧/١؛ منهاج السنة النبوية: ٥٥/٤؛ المواقف: ص ٦٧٥.

(٦) زيادة من (ك) و (س).

(٧) هو أبو محمد إسماعيل بن جعفر الصادق، يعرف بإسماعيل الأعرج، كان أكبر ولد أبيه وأحبهم إليه، توفي في حياة أبيه فدفن بالبقيع في المدينة سنة ١٣٣هـ، وقد كان قوم من الشيعة في حياة الصادق يظنون أنه القائم بعده والخليفة له، لميل أبيه إليه وإكرامه له؛ ولأنه أكبر أخوته سناً. الأغاني: ٣٢٦/٦؛ البداية والنهاية: ٢٠٧/١٠.

(٨) ومن المعلوم أن محمد بن إسماعيل مات ولم يخلف ولداً، بينما يعتقد الإسماعيلية بأنه ترك ابناً سماه محمد، وهو من الأئمة (المستورين) عندهم.

الثامنة: الموسوية[١]:

منهم [وهؤلاء][٢] يزعمون أن الإمامة صارت بعد جعفر [إلى ابنه موسى بن جعفر][٣]، وأنه حي لم يمت، وأنه المنتظر، ويقولون: إنه دخل دار الرشيد[٤] ولم يخرج، ونحن نشك في موته، [ونتمسك بإمامته إلى أن يتقرر لنا موته][٥]، وهذا القول منهم يوجب عليهم أن يشكوا في إمامته، كما شكوا في حياته، على أن هذا القول هوس منهم؛ لأن مشهد موسى بن جعفر مشهور ببغداد [في][٦] الجانب الغربي، يزار ويتبرك به، ولهؤلاء الموسوية لقب آخر، وهو أنهم يدعون الممطورة؛ لأن زرارة بن أعين[٧] قال لهم يوماً: أنتم في عيني أهون[٨] من الكلاب الممطورة، أراد الكلاب التي ابتلت بالمطر، والناس يطردونهم ويتحرزون منهم.

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٢٩؛ فرق الشيعة: ص ٧٨؛ الفرق بين الفرق: ص ٤٦؛ الملل والنحل: ١٦٨/١.

(٢) زيادة (ك) و (س).

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (س). هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين، توفى سنة ١٨٣هـ. تاريخ بغداد: ٢٧/١٣؛ سير أعلام النبلاء: ٢٧٠/٦؛ تهذيب التهذيب: ٣٠٢/١٠.

(٤) هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور جعفر، الهاشمي العباسي، قال عنه الذهبي: «كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد، وغزو وشجاعة ورأي»، وفاته سنة ١٩٣هـ، وكانت خلافته ثلاث وعشرين سنة. تاريخ بغداد: ٥/١٤؛ سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩؛ شذرات الذهب: ٣٤٤/١.

(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك).

(٦) سقطت من (س).

(٧) هو زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني مولاهم الكوفي، أبو الحسن من مشاهير رجال الإمامية ورواة الآثار عندهم، قال عنه النجاشي: «شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين صادقاً»، أما أهل السنَّة فقد ترجم له أكثر من واحد، فقد نقل ابن حجر عن سفيان الثوري أنه قال: «ما رأى زرارة أبا جعفر»، وهو من مشاهير رواة الرافضة، مات سنة ١٥٠هـ. رجال النجاشي: ٣٩٧/١؛ تنقيح المقال: ٤٣٨/١، ميزان الاعتدال: ١٠٣/٣؛ لسان الميزان: ٤٧٣/٢.

(٨) في (ك) و (س): (أهون في عيني).

التاسعة: المباركية[1]:

وهم أيضاً يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل، كما نذكره بعد.

العاشرة: القطعية[2]:

القطعية منهم، سموا بذلك لأنهم ساقوا الإمامة بعد جعفر إلى ابنه موسى، وقطعوا[3] بموت موسى، وقالوا: إنَّ المهدي المنتظر [١٤/ب] محمد بن موسى [سبط علي بن موسى][4] الرضا[5]، وهؤلاء يدعون الاثنا عشرية؛ لأنهم ادعوا أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من أولاد علي بن أبي طالب، ثم اختلف هؤلاء في سنة وفاة أبيه، فمنهم من قال: إنه كان ابن أربع سنين، ومنهم من قال: ابن ثمان سنين، ثم قال قوم منهم: إنه كان إماماً واجب[6] الطاعة في ذلك الوقت، وكان عالماً بجميع معالم الدين، وقال قوم: إنه كان إماماً، على معنى أنه سيصير إماماً إذا بلغ، وأنه غاب عن أعين الناس إلى أن يؤذن له [في][7] الخروج.

الحادية عشر: الهشامية[8]:

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص٢٧؛ فرق الشيعة: ص ٦٩؛ الفرق بين الفرق: ص٤٧؛ الملل والنحل: ١٦٨/١.

(٢) مقالات الإسلاميين: ١٧/١؛ فرق الشيعة: ص ٧٩؛ الملل والنحل: ٢٩/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٤؛ منهاج السنة النبوية: ٤٧٣/٣.

(٣) في (ك) و (س): (ثم قطعوا).

(٤) سقطت من (س).

(٥) في (ك): (محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم). والصحيح ما في الأصل وهو أبو الحسن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الملقب بالرضا، ثامن الأئمة عند الإمامية، ومن أجلاء أهل البيت وفضلائهم، كانت علاقته قوية بالخليفة المأمون العباسي، وقد عهد إليه بالخلافة، إلا أنه توفى في حياة المأمون سنة ٢٠٣هـ. وفيات الأعيان: ٢٦٩/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣٨٧/٩.

(٦) في (ك) و (س): (وادي).

(٧) سقطت من (س).

(٨) تسمى (الحكمية) أيضاً: مقالات الإسلاميين: ص ٣١؛ الملل والنحل: ٧٢/١؛ منهاج السنة النبوية: ٢١٧/٢.

الهشامية منهم، وهم فريقان: أصحاب [هشام][١] بن الحكم الرافضي[٢]، وأصحاب هشام بن سالم الجواليقي[٣]، والفريقان جميعاً يدينون بالتشبيه والتجسيم، وإثبات الحد والنهاية، حتى قال هشام بن الحكم: إنه نور يتلألأ كقطعة من السبيكة الصافية، أو كلؤلؤة بيضاء، والجواليقي يقول بالصورة، وإثبات اللحم والدم واليد والرجل والأنف والأذن والعين [والفم][٤]، وإثبات القلب والعقل، وبأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته، لم يكن له في الإسلام حظ.

الثانية عشر: أحد هذين الفريقين من الهشامية[٥].

الثالثة عشر: الزرارية[٦]:

الزرارية منهم، وهم أتباع زرارة بن أعين، وقد كان على مذهب القطعية، الذين كانوا يقولون بإمامة عبدالله بن جعفر، ثم انتقل عنه، فكان يقول بمذهب الموسوية، وكان يقول: إن الله تعالى لم يكن عالماً ولا قادراً، ثم خلق [١٥/أ] لنفسه علماً وحياةً وقدرةً وإرادةً وسمعاً وبصراً،

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) هو هشام بن الحكم الشيباني الكوفي، متكلم ومناظر، كان شيخ الإمامية في وقته سكن بغداد، قال الحافظ ابن حجر: «كان من كبار الرافضة ومشاهيرهم يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه»، توفي نحو ١٩٠هـ لسان الميزان: ١٩٤/٦، وقال عنه ابن قتيبة: «كان من الغلاة ويقول بالجبر الشديد ويبالغ في ذلك ويجوز المحال الذي لا يتردد في بطلانه ذو عقل». تأويل مختلف الحديث: ص ٤٨. وينظر للتفاصيل عند: ابن النديم، الفهرست: ص٢٤٩؛ الأشعري، مقالات الإسلاميين: ص٣١؛ الشهرستاني، الملل والنحل: ١٨٤/١.

(٣) هو هشام بن سالم الجواليقي العلاف، كان مجسماً وقد زعم أن معبوده على صورة الإنسان. الفرق بين الفرق: ص٢١٦؛ الملل والنحل: ١٨٥/١. رجال النجاشي: ٣٣٩/٢، وذكره الكشي في رجاله برقم ١٣٢.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) تلبيس إبليس: ص ١٠٤.

(٦) مقالات الإسلاميين: ص ٣٦؛ الفرق بين الفرق: ٥٢؛ تلبيس إبليس: ص ١٠٧؛ الملل والنحل: ١٨٦/١؛ منهاج السنة النبوية: ٢٣٥/٢.

وجرى على قياس قولهم قوم من بصرية القدرية، فقالوا: كلام الله مخلوق له وإرادته مخلوقة له، وزاد عليه الكرامية فقالوا: إن أرادته وإدراكاته [كلها][(١)] حادثة.

الرابعة عشر: اليونسية[(٢)]:

اليونسية: وهم أتباع يونس بن عبدالرحمن القمي[(٣)]، وكان في الإمامة على مذهب القطعية، وكان مفرطاً في التشبيه، حتى كان يقول: إن حملة العرش يحملون إله العرش، وهو أقوى منهم، كما أن الكركي تحمله أرجله، وهو أقوى من أرجله، والعاقل لا يستجرىء أن يقول مثل هذا الكلام.

الخامسة عشر: الشيطانية[(٤)]:

الشيطانية منهم، وهم أتباع محمد [بن علي][(٥)] بن النعمان الرافضي[(٦)]، الذي كان يلقب بشيطان الطاق، وكان في الإمامة على مذهب

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) مقالات الإسلاميين: ص٣٥؛ الفهرست: ص ٣٠٩؛ الفرق بين الفرق: ص٥٢؛ الملل والنحل: ١٤٠/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٥؛ منهاج السنة النبوية: ٢٣٥/٢.

(٣) أبو محمد، هو مولى لعلي بن يقطين، ليس له ترجمة مستقلة في كتب الرجال عند أهل السنة، وهو من رجال الشيعة الإمامية، وعدوه من أشهر رواتهم الفقهاء، وأكثر روايته عندهم عن موسى الكاظم والرضا رحمهما الله، وردت أخبار عن القميين عند الشيعة في ذمه، مات سنة ٢٠٨هـ. رجال النجاشي: ٤٢٠/٢؛ الخلاصة: ص ١٨٤.

(٤) ويقال لها النعمانية أيضاً. مقالات الإسلاميين: ص ٣٧؛ الفرق بين الفرق: ص ٥٢؛ الملل والنحل: ١٨٦/١ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٥؛ منهاج السنة النبوية: ٢٣٧/٢.

(٥) سقطت من (س).

(٦) هو محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي، الملقب بشيطان الطاق، نسب إلى سوق طاق المحامل بالكوفة، وكان صاحبه هشام بن الحكم شيخ الرافضة يسميه مؤمن الطاق، ويقال أول من لقبه بذلك أبو حنيفة وله مناظرات معه. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٥؛ الملل والنحل: ١٨٦/١؛ منهاج السنة النبوية: ٢٢٧/٢؛ لسان الميزان: ٣٠٠/٥.

القطعية، وكان يقول: إن الله [تبارك و][١] تعالى لا يعلم الشيء[٢] قبل أن يكون [حتى يكون][٣]، كما [كان][٤] يقوله هشام بن الحكم، وقد كان يوافق هشاماً الجواليقي في كثير من بدعه.

* * *

[في أقوال الزيدية والإمامية]

واعلم أن الزيدية والإمامية منهم من يكفر بعضهم بعضاً، والعداوة بينهم قائمة دائمة، والكيسانية يعدون في الإمامية.

واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية، متفقون على تكفير الصحابة، ويدعون أن القرآن قد غيّر عمّا كان، ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة، ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة علي، فأسقطه الصحابة عنه [١٥/ب]، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن، ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى ﷺ، ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إماماً يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة، وليسوا في الحال على شيءٍ من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة[٥]، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم؛ حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذروا عند العوام بما يدعونه من تحريف الشريعة، وتغيير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين.

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ك) و (س): (الشر).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ك) و (س).
(٥) في (س): (الإمامية).

وأما الهشامية: فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض، باتفاق جميع المسلمين، وهم[(١)] الأصل في التشبيه، وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد، وقالوا: عزير ابن الله، وأثبتوا له المكان والحد والنهاية، والمجيء والذهاب، تعالى الله عن قولهم[(٢)] علواً كبيراً؛ ولهذا المعنى شبه النبيّ ﷺ الروافض باليهود، فقال: **«الروافض يهود هذه الأمة»**[(٣)].

وقال الشعبي[(٤)] [رضي الله عنه][(٥)]: «إنَّ الروافض شرٌّ[(٦)] من اليهود والنصارى، فإنَّ اليهود سئلوا عن أحبار ملتهم، فقالوا: أصحاب موسى [عليه السلام][(٧)]، والنصارى سئلوا عن أحبار ملتهم، فقالوا: الحواريون [١٦/ أ] الذين كانوا مع عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة عن شرِّ هذه الأمة، فقالوا: أصحاب محمد [ﷺ]»[(٨)]، فلا جرم يكون سيف الحق مسلولاً[(٩)] عليهم إلى يوم القيامة، ولا يرى لهم قدم ثابتة[(١٠)]، ولا كلمة مجتمعة، ولا راية منصوبة، ولا ينصرهم أحد إلا صار مخذولاً؛ بشؤم[(١١)] بدعتهم.

---

(١) في (س): (وهو).
(٢) في (ك) و (س): (ذلك).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، قال عنه الذهبي: الإمام، علامة العصر، قال الشعبي: أدركت خمسمائة من أصحاب النبيّ ﷺ، وقال مكحول: ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي وفاته سنة ١٠٤هـ. طبقات ابن سعد: ٢٤٦/٦؛ تاريخ بغداد: ٢٢٧/١٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢٩٤/٤.
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (س): (شيء).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) تفسير القرطبي: ٣٣/١٨.
(٩) في (س): (مسئولاً).
(١٠) في (ك) و (س): (ثابت).
(١١) في (ك) و (س): (الشؤم).

والعجب أنهم يتكلمون في الصحابة ويسيئون القول فيهم، ولا يتأملون كتاب الله [تعالى][(١)] حيث أثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة، فأثنى عليهم كما ترى، فأخبر أن صفتهم مذكورة في التوراة [ثم أخبر أن صفتهم في الإنجيل مذكورة][(٢)] كما أخبر به: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ حتى قال أبو إدريس المفسر[(٣)]: إن ظاهر هذه الآية يوجب أن الروافض كفار؛ لأن قلوبهم غيظاً من الصحابة وعداوة لهم، ألا تراه يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، فبين أن من كان في قلبه غيظ منهم [فهو][(٤)] من الكفار[(٥)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الروافض، يرفضون الإسلام، فاقتلوهم فإنهم مشركون**»[(٦)] [١٦/ب].

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا علي،**

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) سقطت من (ك).

(٥) ينظر: شم العوارض في ذم الروافض، للملا علي بن سلطان القاري: ص ٤٨ (بتحقيقنا).

(٦) الحديث أخرجه الطبراني، المعجم الكبير: ٢٤٢/١٢، رقم ١٢٩٩٧؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢٧٥/٢؛ الإمام أحمد، فضائل الصحابة: ٤١٧/١؛ عبدالله بن حنبل، السنة: ٥٤٦/٢؛ البزار، المسند: ١٣٩/٢، رقم ٤٩٩؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٩٥/٤؛ ابن عدي، الكامل: ٢٠٧/٧؛ الطبري، الرياض النضرة: ٣٦٤/١. والحديث (ضعيف) كما ذكر ذلك ابن الجوزي في العلل المتناهية: ١٦٣/١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال ٢٨٨/٥؛ والألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم.

تكون أنت في الجنة وشيعتك، يكونون في الجنة، وسيكون بعدي قوم يدعون ولايتك، يدعون الرافضة، فإن وجدتهم فاقتلهم فإنهم مشركون، فقال علي: [وما][(١)] علامتهم يا رسول الله؟ فقال: **لا يكون لهم جمعة، ولا جماعة ويشتمون أبا بكر وعمر»**[(٢)].

واعلم أن هذه المقالة التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على فسادها، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها، فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات [إلا على][(٣)] أنهم قصدوا [بها][(٤)] إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد [والتستر فيه][(٥)]، بموالاة قوم من أشراف أهل البيت، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه، ويحيلون[(٦)] خرافات مقالاتهم إليه.

حتى [حكي][(٧)] أنهم لما رأوا الجاحظ[(٨)] يتوسع في التصانيف، ويصنف لكل[(٩)] فريق قالت له الروافض: [صنف][(١٠)] لنا كتاباً، فقال لهم: لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها، فقالوا له: إذاً دلنا[(١١)] على شيء نتمسك به، فقال: لا أرى لكم وجهاً، ألا أنكم إذا أردتم أن

---

(١) سقطت من (س).

(٢) الطبري، الرياض النضرة: ١/٣٦٣؛ الهندي، كنز العمال: ١١/٣٢٤.

(٣) سقطت من (س).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ك) جاءت ما بين المعقوفتين (والشر).

(٦) في (ك) و (س): (ويجعلون).

(٧) زيادة من (ب).

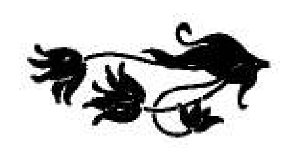
(٨) عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان البصري، المشهور بالجاحظ، ، قال عنه الذهبي: «أحد الأذكياء الأخباري المعتزلي.. كان ماجناً قليل الدين له نوادر»، مات سنة ٢٥٥هـ. تاريخ بغداد: ١٢/٢١٢؛ سير أعلام النبلاء: ١١/٥٢٦.

(٩) في (س): (كل).

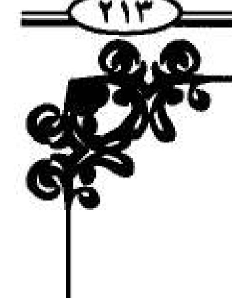
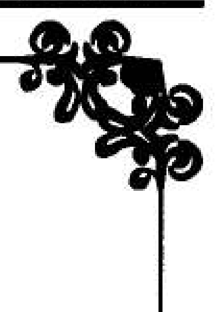
(١٠) سقطت من (س).

(١١) في (ك) و (س): (دللتنا).

تقولوا شيئاً [مما][1] تزعمونه [تقولون][2]: إنه قول جعفر [بن محمد][3] الصادق، لا أعرف لكم شيئاً[4] تستندون إليه غير هذا الكلام، فتمسّكوا بجهلهم[5] وغباوتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها، فكلما[6] أرادوا أن يختلقوا بدعة، أو يخترعوا كذبة نسبوها إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزه، وعن مقالتهم في الدارين بريء، حتى حكي عنه أنه قال: كادت الروافض أن تنصر علياً، فنسبته إلى العجز [١٧/أ] وكادت المعتزلة أن توحّد ربّها فشركته، وأرادت أن تعدل ربّها فجورته أو لفظ هذا معناه.



(١) سقطت من (ب).
(٢) زيادة من (س).
(٣) زيادة من (ك).
(٤) في (ك): (سبباً).
(٥) في (ك): (بحمقهم).
(٦) في (ك): (وكلما).

الباب الرابع

في تفصيل مقالات الخوارج وبيان فضائحهم

اِعلم أن الخوارج عشرون فرقة، كما ترى بيانهم في هذا الكتاب، وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة:

إحداهما: أنهم يزعمون أن علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم.

والثاني: أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد ﷺ فهو كافر، ويكون في النار خالداً مخلداً إلا النجدات منهم، فإنهم قالوا: إنَّ الفاسق كافرٌ، على معنى أنه كافر نعمة ربه، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء [منهم](١) على معنى الكفران [لا على معنى الكفر](٢).

ومما يجمع جميعهم أيضاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر، والكفر لا محالة لازم لهم؛ لتكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ.

الفرقة الأولى: المحكمة الأولى(٣):

منهم المحكمة الأولى، وأول من قال منهم لا حكم إلا لله، عُرْوَة بن

---

(١) زيادة من (ك).

(٢) سقطت من (س).

(٣) مقالات الإسلاميين: ص ١٠٣؛ الفرق بين الفرق: ٥٦؛ الملل والنحل: ١/١١٥؛ المواقف: ص ٦٩٢.

حُدَيْر[١]، ومِرَداس الخارجي[٢]، وقيل: [إن][٣] أول من قاله يزيد بن عاصم المحاربي[٤]، وقيل: إنه رجل من بني يَشْكُر، كان مع علي رضي الله عنه بصفين، ولما اتفق الفريقان على التحكيم، ركب وحمل [على أصحاب علي وقتل منهم واحداً، ثم حمل][٥] على أصحاب معاوية، وقتل منهم واحداً، ثم نادى بين العسكرين: أنه بريء من علي ومعاوية، وأنه خرج من حكمهم، فقتله رجل من هَمْدَان[٦].

ثم أن جماعة ـ ممن كانوا مع علي رضي الله عنه في حرب صفين ـ استمعوا منه ذلك الكلام، واستقرت في قلوبهم تلك الشبهة [١٧/ب]، ورجعوا مع علي إلى الكوفة، ثم فارقوه ورجعوا إلى حَرَوْرَاء[٧]، وكانوا اثنى عشر ألف رجل من المقاتلة، ومن هنا سميت الخوارج حَرَورِيَّة، وكان زعيمهم يومئذٍ [رجلين][٨]: عبدالله بن الكَوَّاء[٩]، وشبيب[١٠] بن ربعي،

---

(١) وفي تاريخ الطبري عروة بن أدية، وهي جدته أو أمه، وهو من رؤساء الخوارج، قاتل في النهروان وكان ممن نجا في ذلك اليوم، ضعفه الجوزجاني وغيره، قتل على يد ابن زياد سنة ٥٨هـ. تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣؛ ميزان الاعتدال: ٨١/٥.

(٢) هو أبو بلال مرداس بن أدية الخارجي، خرج في الأهواز، كان مشهوراً بعبادته، لم أقف على وفاته. تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣؛ ميزان الاعتدال: ٣٩٤/٦.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) وكان يزيد بن عاصم قد خرج هو وأخوة له ثلاثة بعد عودة علي من التحكيم، وقتل هو بالنهروان. تاريخ الطبري: ١١٤/٣.

(٥) سقطت من (س).

(٦) الفرق بين الفرق: ص ٥٦؛ وينظر الكامل في الأدب: ١٣٤/٣.

(٧) قال ياقوت الحموي: هي بقعة بظاهر الكوفة وقيل على بعد ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً رضي الله عنه. معجم البلدان: ٢٤٥/٢.

(٨) سقطت من (ك).

(٩) كذا ضبطه الحافظ ابن حجر وقبله الذهبي، وقيل هو ابن الكوا من رؤوس الخوارج، قال البخاري: ولم يصح حديثه، قال الحافظ: وله أخبار كثيرة مع علي رضي الله عنه وكان يلزمه ويعيبه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج. تاريخ الطبري: ١٠٨/٣؛ لسان الميزان: ٣٢٩/٣.

(١٠) في (ك): (وشبث). قال الأزدي هو أول من حرر الحررورية، قال الذهبي: ولكنه فارق الخوارج وتاب وأناب. تاريخ الطبري: ١٠٨/٣؛ ميزان الاعتدال: ٣٦١/٣.

وخرج إليهم علي [رضي الله عنه][١]، وناظرهم [فظهر][٢] بالحجة عليهم، فاستأمن إليه ابن الكواء في ألف مقاتل، واستمر الباقون على ضلالهم.

وخرجوا إلى النَّهْرَوَان[٣]، وأمروا عليهم رجلين منهم: أحدهما عبدالله بن وَهْب الراسِبِي[٤]، والثاني حُرْقُوص بن زُهَيْر البَجَلي [العرني][٥]، وكان يلقب بذي الثدية، ورأوا في طريقهم حال خروجهم إلى النهروان عبدالله بن خَبّاب بن الأرَتِّ[٦]، فقالوا له: حدثنا[٧] حديثاً سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ، فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سَتَكُونُ فِتَنَةٌ القَاعِدُ [فِيهَا خَيرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالواقفُ فِيهَا خَيرٌ مِنَ السائِرِ، وَالمَاشِي][٨] فِيهَا خَيرٌ مِنَ العادي، وَمَنْ أمكنه أنْ يَكون مَقْتُولاً فَبهَا، [فلَا][٩] يقصدنَّ أنْ يكونَ قاتلاً»[١٠]**، أو لفظ هذا معناه، فلما سمعوا منه هذا الخبر قصدوا قتله، وقتله رجل منهم اسمه مسمع، وجرى دمه على وجه الماء قائماً كالشِرَاكِ[١١]، ....

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) سقطت من (س).

(٣) قال الحموي: هي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وكان بها وقعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع الخوارج سنة ٣٧هـ. معجم البلدان: ٣٢٥/٥.

(٤) من رؤوس الخوارج وكان أميرهم يوم النهروان، وقتل في المعركة. لسان الميزان: ٢٨٤/٣.

(٥) سقطت من (ك). كان قائد الخوارج في النهروان وقتل معهم وله حديث سيأتي المصنف على ذكره بعد قيل. تاريخ الطبري: ١٢٢/٣

(٦) الصحابي، أدرك النبيّ ﷺ، قتله الخوارج في القصة التي ذكرها المصنف سنة ٣٧هـ الاستيعاب: ٨٩٤/٣؛ الإصابة: ٧٣/٤.

(٧) في (ك) و (س): (حدث لنا).

(٨) سقطت من (ب).

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) أخرجه من طريق عبدالله بن خباب بن الأرت عن أبيه الإمام أحمد في المسند: ١١٠/٥. وأخرجه البخاري من طريق آخر عن أبي هريرة في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: رقم ٣٤٠٧؛ ومسلم من الطريق نفسها في كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع المطر: رقم ٢٨٨٦.

(١١) الشراك: سير من سيور النعل. النهاية: ٣١٢/٤.

حتى انتهى[(١)] من إحدى شطري[(٢)] النهر إلى الآخر، ثم قصدوا بيته، وقتلوا أولاده وأمهات أولاده، [وعسكروا][(٣)] بالنهروان[(٤)].

وكثر عددهم وقويت شوكتهم، فقصدهم علي رضي الله عنه في أربعة آلاف رجل، وكان مقدمهم عَدِيُّ بن حاتم الطائي[(٥)]، وينشد لهم أشعارا يترنمون بها في مذمتهم، ومدح علي رضي الله عنه (فلما ازدلفوا إليهم بعث علي [رضي الله عنه])[(٦)(٧)] إليهم رسولاً: «أن ادفعوا إلي قاتل عبدالله بن خَبّاب، فقالوا: كلنا قتله، ولو ظفرنا بك أيضاً [١٨/أ] لقتلناك»[(٨)].

فوقف [عليهم][(٩)] علي رضي الله عنه بنفسه، وقال لهم: يا قوم ماذا نقمتم مني حتى فارقتموني لأجله؟ قالوا: قاتلنا بين يديك يوم الجمل، وهزمنا أصحاب الجمل، فأبحت لنا أموالهم ولم تبح لنا نسائهم وذراريهم، وكيف تحل مال قوم وتحرم نسائهم وذراريهم؟ وقد كان ينبغي أن تحرم الأمرين أو تبيحهما لنا، فاعتذر علي رضي الله عنه بأن قال: أما أموالهم فقد أبحتها لكم بدلاً عما أغاروا عليه من مال بيت المال الذي كان بالبصرة، قبل أن وصلت إليهم، ولم يكن لنسائهم وذراريهم ذنب، فإنهم لم يقاتلونا[(١٠)]، كان حكمهم حكم المسلمين [لأنهم ولدوا في دار الإسلام،

---

(١) في (ك) و (س): (انهال).

(٢) في (ك): (شطي).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) مسند أحمد: ٥/١١٠؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/٥٥٥؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٤/٦٠.

(٥) هو عدي بن حاتم الطائي، قدم على النبيّ ﷺ في السنة العاشرة، وأسلم، وله قصة مشهورة في ذلك، نزل الكوف وشهد مع علي رضي الله عنه المشاهد، توفي سنة ٦٧هـ. الاستيعاب: ٣/١٠٥٧؛ الإصابة: ٤/٤٩٦.

(٦) زيادة من (ك).

(٧) ما بين القوسين ( ) سقطت من (س).

(٨) في (ك): (لقتلناك أيضاً). ينظر: الكامل في الأدب: ٣/١٣٤.

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) في (س): (يقاتلون).

وكانوا أولاد المسلمين][1] ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان، لم يجز سبيهم واسترقاقهم، وبعد لو أبحت لكم نساءهم، من كان منكم يأخذ عائشة [رضي الله عنها][2] في قسمة نفسه؟ فلما سمعوا هذا الكلام خجلوا.

وقالوا: قد نَقَمْنَا منك شيئاً[3] آخراً، وهو أنك[4] يوم التحكيم كتبت اسمك في كتاب الصلح: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية حكما فلاناً، فنازعك معاوية، وقال: لو كنا نعلم أنك أمير المؤمنين ما خالفناك، فمحوت اسمك، فإن كانت إمامتك حقاً، فلِمَ رضيت به، فاعتذر أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب رضي الله عنه][5]، وقال: إنما فعلت [كما فعل][6] النبيّ ﷺ[7] (حين [كان][8] يصالح)[9] سهيل بن عمرو[10]، وكتب في كتاب الصلح: **«هذا ما صالح محمد رسول الله سهيل بن عمرو»**، فقال له سهيل: لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمر النبيّ [ﷺ][11] فكتب[12]: **«هذا ما صالح محمد بن عبدالله، سهيل بن عمرو»**[13]، فقال لي [١٨/ب] رسول الله ﷺ: **«إنك**

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ك): (سبيا).

(٤) في (س): (أن).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) سقطت من (س).

(٧) في (ك) و (س): (عليه السلام).

(٨) زيادة من (ب).

(٩) ما بين القوسين ( ) سقطت من (س).

(١٠) أسلم يوم الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم خرج مجاهداً في زمن عمر فقتل سنة ١٨هـ. الاستيعاب: ٦٦٩/٢؛ الإصابة: ٢١٢/٣.

(١١) سقطت من (ب).

(١٢) في (ك) و (س): (حتى كتب).

(١٣) تشير الرواية إلى حديث البراء رضي الله عنه قال: «كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبيّ ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبيّ ﷺ=

ستبتلى بمثله يوماً»[١]، فالذي فعلته بإذنه واقتداءً به.

ثم قالت الخوارج له: لِم قلت للحكمين إن كنت أهلاً للخلافة فقرروني[٢]؟ ولم شككت في خلافتك حتى تكلمت بهذا الكلام؟ ولو كنت شاكاً لِمَ[٣] ادعيت الخلافة، فقال علي [رضي الله عنه][٤]: إنما أردت أن أنصف الخصم، وأسكن النّاس[٥]، ولو قلت للحكمين احكما لي لم يرضَ بذلك معاوية، وهكذا فعل النبيّ ﷺ مع نصارى نجران، حين دعاهم إلى المباهلة فقال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١][٦]، وهذا إنما قاله على سبيل الإنصاف، لا على سبيل التشكك، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤][٧].

ولهذا المعنى حكّم النبيّ ﷺ سعد بن معاذ في بني قريظة، والحق في الحقيقة كان لرسول الله ﷺ، ثم [إن حكم رسول الله ﷺ][٨] [حكم][٩]

= لعلي: «امحه»، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبيّ ﷺ بيده...». الحديث أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء: رقم ٤٠٠٥؛ مسلم؛ كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية: رقم ١٧٨٣.

(١) أخرج رواية قريبة من هذه الحاكم في المستدرك: ١٦٥/٢.
(٢) في (ك) و (س): (فقرراني).
(٣) في (ك) و (س): (لما).
(٤) سقطت من (ك).
(٥) في (ك) و (س): (النائرة).
(٦) في (ب) جاءت الآية الكريمة: ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].
(٧) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤].
(٨) سقطت من (س).
(٩) سقطت من (ك).

بالعدل، وحكمي الذي حكمته خدع، وكان[١] من الأمر ما كان[٢].

فلما سمعت الخوارج هذه الحجج [القاطعة][٣]، استأمن ثمانية آلاف منهم، وثبت على قتاله أربعة الآف منهم، فقال [إلى][٤] الذين استأمنوا إليه منهم: امتازوا اليوم مني جانباً، وقاتل بمن كان معه، وقال لأصحابه لما أراد أن يبتدئ القتال: [اليوم][٥] لا يقتل منا عشرة، ولا ينجو منهم عشرة، واشتغلوا بالقتال، فلم يقتل يومئذٍ من أصحاب علي [رضي الله عنه][٦] أكثر من تسعة أنفس، وخرج حرقوص بن زهير في وجه علي رضي الله عنه، فقال[٧]: والله لا نريد بقتالك إلا وجه الله تعالى، والنجاة في الآخرة، فتلا عليه [علي [١٩/أ] قوله تعالى][٨]: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣]، ثم حمل عليهم، وقتل عبدالله بن وهب في المبارزة[٩].

والتحم القتال حتى لم يبقَ من جملة الخوارج إلا تسعة، فوقع اثنان منهم إلى سجستان، [ووقع][١٠] اثنان إلى اليمن، واثنان إلى عُمان، [واثنان][١١] إلى الجزيرة، وواحد إلى ناحية الأنبار[١٢]، وخوارج هذه

---

(١) في (ك) و (س): (فكان).
(٢) البدء والتاريخ: ٢٢٤/٥؛ الكامل في التاريخ: ٣١٨/٤.
(٣) سقطت من (ب).
(٤) زيادة من (ك).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ك): (وقال).
(٨) زيادة من (ب).
(٩) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣٧٤/١. وينظر: تاريخ الطبري: ١٢٠/٣؛ تاريخ اليعقوبي: ١٩٣/٢؛ الكامل في التاريخ: ٢٢٣/٣.
(١٠) زيادة من (ب).
(١١) سقطت من (س).
(١٢) في (ك): (الأبار).

النواحي من أتباع هؤلاء[١] التسعة، وأمر علي رضي الله عنه أصحابه بطلب ذي الثدية، فوجدوه قد هرب واستخفى في موضع، فظفروا به وتفحصوا عنه، فوجدوا له ثدياً كثدي النساء، فقال علي رضي الله عنه: «صدق الله و[صدق][٢] رسوله ﷺ»، وأمر بقتله فقتل[٣].

وقد كَانَ مرَّ عَلى النبيّ ﷺ ذو الثدية، وهو يقسم غنائم بدر، فقال له: اِعْدِلْ يا محمَّد، فقال له ﷺ[٤]: «**خِبْتَ وَخَسِرْتَ إذن مَنْ يعدل [بعدي إنْ لم أعْدِلْ]**»[٥]، ثم قَالَ [ﷺ][٦]: «**إنَّهُ يخرج مِنْ ضِئْضِيء هَذَا قومٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين، كما يمرقُ السَّهمُ مِنَ الرميّةِ**»[٧].

هذه قصة المحكمة الأولى، وهم يكفرون بتكفيرهم علياً وعثمان، وتكفيرهم فساق أهل الملة، ثم خرج بعدهم [على علي رضي الله عنه][٨] جماعة من الخوارج بأرض العراق، فكان علي رضي الله عنه يبعث إليهم السرايا ويقاتلهم، إلى أن استأثر الله بروحه ونقله إلى جنته، وبقيت الخوارج

---

(١) في (ك): (هذه).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) ذو الثدية: هو حرقوص بن زهير الذي تقدمت ترجمته، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن زيد بن وهب عن علي قال: «لما كان يوم النهروان لقي الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح فقتلوا جميعاً، فقال علي: اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فلم يجدوه فقال علي: ما كذبت ولا كذبت اطلبوه، فطلبوه فوجدوه في وهدة من الأرض عليه ناس من القتلى، فإذا رجل على يده مثل سبدات السنور قال: فكبر علي والناس وأعجب الناس وأعجب علي». المصنف: ٥٥٩/٧؛ البيهقي، السنن الكبرى: ١٦٣/٥؛ وينظر: فتح الباري: ٢٩٧/١٢.

(٤) في (ك) و (س): (عليه الصلاة والسلام).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) زيادة من (ب).

(٧) أخرجه البخاري بلفظ قريب، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: رقم ٣٤١٤؛ مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: رقم ١٠٦٣؛ النسائي، كتاب تحريم الدم، باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس: رقم ٤١٠٣؛ ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب في ذكر الخوارج: رقم ١٧٢.

(٨) زيادة من (ب).

على مذهب المحكمة الأولى، إلى أن ظهرت فتنة الأزارقة منهم، فعند ذلك اختلفوا، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الفرقة الثانية: [١٩/ب] الأزارقة(١):

وهم أتباع رجل منهم يقال له: أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي(٢)، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً، وأشد منهم شوكة، ولهم مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى وسائر الخوارج، منها أنهم يقولون: إن من خالفهم [من هذه الأمة](٣) فهو مشرك، والمحكمة كانوا يقولون: إن من خالفهم(٤) كافر، ولا يسمونه مشركاً [وكانوا يسمون الفاسق(٥) من مخالفيهم مشركاً](٦)، ومما اختصوا به أيضاً أنهم يسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركاً، وإن كان موافقاً لهم في مذهبهم، وكان من عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه، بأن يسلموا إليه أسيراً من أسراء مخالفيهم [حتى يقتله، فإن امتنع من قتله، قالوا: إنه منافق مشرك ولا يقتلونه(٧)، ويرون قتل نساء مخالفيهم](٨) وأطفالهم، ويزعمون أيضاً أن أطفال مخالفيهم مشركون، ويزعمون أنهم يخلدون في النار.

وأول من أظهر هذه البدع الزائدة على أولئك، رجل منهم يدعى

---

(١) الفصل: ٦١/٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٦٢؛ الملل والنحل: ١١٨/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٦.

(٢) من رؤوس الخوارج، ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء، وكان أول خروجه بالبصرة في عهد ابن الزبير، واستمرت فتنته إلى أن قتل سنة ٦٥هـ. ميزان الاعتدال: ٦/٧؛ لسان الميزان: ١٤٤/٦.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) في (ك): (مخالفهم).

(٥) في (س): (الناس).

(٦) سقطت من (ك).

(٧) كذا في النص ويبدو أن الأصح: (وإلا يقتلونه).

(٨) زيادة من (ب).

عبد ربه الكبير[(١)]، وقيل عبد ربه الصغير[(٢)]، وقيل: عبدالله بن الوَضِين[(٣)]، وَكَانَ نافع بن الأزرق يخالفه حتى مات، ثم رجع إلى مذهبه، وقد أطبقت الأزارقة على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر، وأن قتل نساءهم وأطفالهم مباح، وأن رد أماناتهم لا تجب، [خلافاً][(٤)] لنص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وزعموا أيضاً أن الرجم لا يجب على الزاني المحصن، خلافاً لإجماع المسلمين، وقالوا: إنَّ من قذف رجلاً محصناً فلا حد عليه، ومن قذف امرأة [٢٠/أ] محصنة فعليه الحد، وقالوا: إنَّ سارق القليل يجب عليه القطع، وهذه بدع زادوا بها على جميع الخوارج: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٩٠].

وهؤلاء[(٥)] الأزارقة غلبوا على بلاد الأهواز، وأرض فارس وكرمان[(٦)]، في أيام عبدالله بن الزبير، حين بعث عاملاً له على البصرة، فأخرج [سرية][(٧)] إلى قتالهم [وهم ألف مقاتل][(٨)]، فقتلهم الخوارج، ثم بعث إليهم بثلاثة آلاف من المقاتلة، فظفر أيضاً الخوارج [بهم][(٩)].

---

(١) كذا ذكره الأشعري في مقالاته: ص ٨٦. وذكر الطبري أن ذلك كان سنة ٧٧هـ، حيث اختلف ابن عبد ربه الكبير مع قطري بن الفجاءة. ينظر: تاريخ الطبري: ٦٠١/٣؛ الكامل في التاريخ: ١٨٢/٤.

(٢) لم يذكره الأشعري. قال اليعقوبي: «وكان في عسكره [قطري بن الفجاءة] رجلان عبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير، فلما امتنع أن يجيبهم إلى التوبة خلعاه وانحاز كل واحد منهما في جيش مخالفاً على قطري». التاريخ: ٢٧٥/٢.

(٣) مقالات الإسلاميين: ص ٨٦.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ك) و (س): (وهذه).

(٦) مدينة كبيرة معروفة ذات قرى وبلاد واسعة وتقع شرق خراسان. معجم البلدان: ٤٥٤/٤.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) زيادة من (ك).

(٩) سقطت من (ب) وفي (ك) و (س) وردت العبارة: (الخوارج أيضاً). وينظر تفاصيل ذلك في: تاريخ الطبري: ٥٢٥/٣؛ الكامل في التاريخ: ٤٩٢/٣؛ البداية والنهاية: ٢٦١/٨.

فبعث عبدالله بن الزبير من مكة كتاباً، وجعل قتالهم إلى المهلَّب ابن أبي صُفْرة[١]، فجمع[٢] عسكراً عظيماً، وهزم نافع بن الأزرق وجنده[٣]، وقتل نافع في تلك الهزيمة[٤].

وبايعت الأزارقة بعده رجلاً آخراً منهم، فهزمه المهلب أيضاً وقتل[٥] في الهزيمة، فبايعوا قطري بن الفجاءة التميمي[٦]، وسمّوه أمير المؤمنين[٧]، وكان المهلب يقاتلهم حتى هزمهم، وانحازوا إلى سابور[٨] من بلاد فارس، وجعلوا ذلك دار هجرتهم، وكان المهلب وأولاده يقاتلونهم تسع عشرة سنة، بعضها في زمن[٩] عبدالله بن الزبير، وبعضها في زمن[١٠] عبدالملك بن مروان.

ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق، أقرَّ[١١] المهلب على قتالهم، وكان يقاتلهم إلى أن ظهر بينهم الخلاف، وخالف عبدربه الكبير قطرياً،

---

(١) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي، أبو سعيد، أمير مشهور بقتال الخوارج، قال عنه ابن الزبير: هذا سيد أهل العراق، وكان قد حمى البصرة من الخوارج فسماه الناس، بصرة المهلب، توفي سنة ٨٣هـ. وفيات الأعيان: ٣٥٠/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٣٨٣/٤.

(٢) في (ك) و (س): (حتى جمع).

(٣) في (ك) و (س): (وجعده).

(٤) كان ذلك سنة ٦٥هـ. تاريخ الطبري: ٤٢٥/٣؛ المنتظم: ٤٠/٦؛ الكامل في التاريخ: ١٥/٤؛ البداية والنهاية: ٢٦١/٨.

(٥) في (ك) و (س): (وقتلوه).

(٦) قطري بن الفجاءة (واسمه جعونة) بن مازن بن يزيد الكناني المازني، من رؤساء الأزارقة، استفحل أمره فقام له المهلب بن أبي صفرة، وكانت بينهم حروب كثيرة، قتل على إثرها قطري سنة ٧٨هـ. وفيات الأعيان: ٩٣/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٥١/٤.

(٧) في (ك) و (س): (الموت).

(٨) بلدة كبيرة تقع ما بين خوستان وأصبهان، نسبتها إلى سابور بن أردشير. معجم البلدان: ١٦٧/٣.

(٩) في (ك) و (س): (زمان).

(١٠) في (ك) و (س): (زمان).

(١١) في (ب): (قرر).

وخرج إلى جِيْرَفْتْ[١] كرمان في سبعة آلاف رجل، وخالفه أيضاً عبد ربه الصغير، وانحاز إلى ناحية من نواحي كرمان، وكان المهلب يقاتل قطرياً بناحية سابور إلى أن هزمه، فخرج إلى كرمان، وكان المهلب يسير على أثره [٢٠/ب] ويقاتله، حتى هزمه إلى الري، ثم كان يقاتل عبد ربه [الكبير حتى قتله، وبعث بابنه يزيد بن المهلب[٢] إلى قتال عبد ربه][٣] الصغير، حتى كفى شغله وقتله[٤].

وبعث الحجاج عسكراً عظيماً إلى الري، فقاتلوا قطرياً، فانهزم منهم إلى طَبَرِستان[٥]، وتبعوه حتى قتلوه، وكفى الله تعالى شغله، وكان قد هرب من جملة قومه[٦] إلى قومس[٧]، عبيدة بن الهلال اليشكري[٨]، فقصده جند الحجاج حتى قتلوه[٩]، وطهر الله وجه الأرض من جملة الأزارقة، ولم يبقَ منهم واحد.

---

(١) وهي من مدن كرمان، فتحت في عهد عمر بن الخطاب. معجم البلدان: ١٩٨/٢.

(٢) ابن أبي صفرة، الأمير، أبو خالد الأزدي، ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبدالملك، ثم عزله عمر بن عبدالعزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر فسجنه، وله أخبار في السخاء والشجاعة، وكان الحجاج متزوجاً بأخته، ثم أن يزيد بن المهلب، لما استخلف يزيد بن عبدالملك، غلب على البصرة، وتسمى بالقحطاني، فسار لحربه مسلمة بن عبدالملك، فقتل يزيد في صفر سنة ١٠٢هـ. تاريخ الطبري: ٥٢٣/٦؛ وفيات الأعيان: ٢٧٨/٦؛ سير أعلام النبلاء: ٥٠٣/٤.

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك) و (س).

(٤) كان ذلك سنة ٦٧هـ. تاريخ الطبري: ٦٠٣/٣؛ الكامل في التاريخ: ١٨٢/٤.

(٥) قال ياقوت: «وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم». معجم البلدان: ١٣/٤.

(٦) في (ك): (قد هرب في جملة من قومه...).

(٧) هي كورة واسعة تشمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان. معجم البلدان: ٤١٤/٤.

(٨) هو عبيدة بن هلال اليشكري، من رؤساء الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم، كان متقدماً فيهم، حتى اختلف مع قطري بن الفجاءة، فانحاز إلى حصن بقومس، وقتل هناك سنة ٧٧هـ. تاريخ الطبري: ٤٢٥/٣؛ المنتظم: ١٩٥/٦؛ الكامل في التاريخ: ١٨/٤.

(٩) كان ذلك سنة ٧٧هـ. تاريخ الطبري: ٦٠٧/٣؛ المنتظم: ١٩٥/٦؛ البداية والنهاية: ١٩/٩.

الفرقة الثالثة: النجدات[١]:

منهم النجدات، وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي[٢]، وكان من حاله أنه لما سمَّى نافع بن الأزرق ـ مَنْ كان قد امتنع من نصرته ـ مشركاً، وأباح قتل [نساء][٣] مخالفيهم وأطفالهم، خرج عليه قوم من أتباعه، وصاروا إلى اليمامة، وبايعوا نجدة وقالوا: إن [كلَّ][٤] من يقول ما قاله نافع فهو كافر، ثم افترق [هؤلاء ثلاث فرق، وخرجوا على نجدة:

فصار فريق][٥] منهم مع عطية بن الأسود الحنفي[٦] إلى سجستان، وخوارج سجستان أتباع هؤلاء، ولذلك [كانوا][٧] يدعون العطوية.

وصار[٨] فريق منهم تبعاً لرجل كان يقال له أبو فديك[٩]، وكانوا

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٨٦؛ الفصل: ١٤٥/٤؛ الفرق بين الفرق: ٦٩؛ الملل والنحل: ١٢٢/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٧.

(٢) نجدة بن عامر الحنفي، رأس النجدية وإليه تنسب، خرج باليمامة ثم استقل بالبحرين، واختلف عليه أصحابه فيما بعد فقتله أبو فديك بعد خروجه بخمس سنوات عام ٦٩هـ. ميزان الاعتدال: ١١/٧؛ البداية والنهاية: ٣٥٧/٨؛ لسان الميزان: ١٤٨/٦.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من (س).

(٦) هو عطية بن الأسود اليمامي الحنفي، من أمراء الخوارج، كان قد اختلف مع نافع بن الأزرق في مسألة تكفير القعدة، ففارقه مع آخرين، وإليه نسبت العطوية من الخوارج، ورحل عطية بعد ذلك إلى بلاد سجستان وخراسان وكرمان وقعستان، مات في حدود ٧٥هـ. الفرق بين الفرق: ٦٩؛ الملل والنحل: ١٢٢/١.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) في (ب): (فصار).

(٩) اشتهر بكنيته وهو من بني قيس بن ثعلبة، غلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر سنة ٧٢هـ، وقد استفحل أمرهم حتى العام التالي حين بعث إليهم عبدالملك بن مروان عمر بن عبيدالله بن معمر في عشرين ألفاً من أهل العراق فقتلوا أبا فديك، وتفرق أصحابه. تاريخ الطبري: ٥٤١/٣؛ المنتظم: ١٢٩/٦؛ الكامل في التاريخ: ١٢٩/٤.

يقاتلون نجدة حتى قتلوه، وإنما خرج هؤلاء عليهم؛ لأنهم أخذوا عليه أشياء منها:

أنه بعث جنداً للغزو في البر، وجنداً في البحر، ثم فضل في العطاء من بعثه [في البر على من بعثه][١] في البحر، فأنكروا عليه، وقالوا لم يكن من حقه أن يفضل [هؤلاء][٢].

والثاني: أنهم قالوا: إنك بعثت جنداً إلى المدينة حتى أغاروا عليها، وسبوا[٣] جارية من أولاد عثمان بن عفان، وكاتبه [٢١/أ] في ذلك المعنى عبدالملك بن مروان، فاشتراها ممن[٤] كانت في يده، وبعثها إلى عبدالملك بن مروان، فأخذوا عليه هذا، وقالوا: إنه رد جارية غنمناها إلى عدونا وقالوا له: تب فتاب.

وقال قوم [منهم][٥]: إنه كان معذوراً فيما فعل، وقالوا له: كان لك أن تجتهد ولم يكن لنا أن نستتيبك، فتب عن توبتك، فتاب.

واختلفوا عليه كما ذكرناه[٦] إلى أن قتله أبو فديك، وبعث عبدالملك بن مروان جنداً إلى أبي فديك فقتل، وكفى الله المسلمين شرَّهم[٧].

وبدع النجدات كثيرة، ومن اطلع على ما ذكرناه من حالهم لم يخف عليه أمرهم.

---

(١) زيادة من (ب). وهو الصحيح كما في الفرق بين الفرق: ص ٨٨.
(٢) زيادة من (ك).
(٣) في (س): (وسبق).
(٤) في (ك) و (س): (عمن).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (ك) و (س): (ذكرنا).
(٧) الكامل في التاريخ: ٢٣/٤؛ البداية والنهاية: ٣١٧/٨.

الفرقة الرابعة: الصفرية[١]:

وهم أتباع زياد بن الأصفر[٢]، وقولهم كقول الأزارقة في فساق هذه الأمة، ولكنهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم و [لا][٣] أطفالهم.

وقال فريق منهم: كل ذنب له حد معلوم في الشريعة، لا يسمّى مرتكبه مشركاً ولا كافراً، بل يدعى باسمه المشتق من جريرته[٤]، يقال سارق وقاتل وقاذف، وكل ذنب ليس فيه حد معلوم في الشريعة، مثل: الإعراض عن الصلاة، فمرتكبه كافر، ولا يسمون مرتكب واحد من هذين النوعين جميعاً مؤمناً.

وقال فريق منهم: إن المذنب لا يكون كافراً، إلى أن [يرفع إلى الوالي حتى يحدَّ، فحينئذ][٥] يحكم بكفره[٦].

وهؤلاء الفرق الثلاثة من الصفرية، يقولون بإمامة رجل كان اسمه أبو بلال مرداس الخارجي[٧]، ويقولون بعده بإمامة عمران بن حطان السدوسي[٨]، وكان خروج أبي بلال في أيام يزيد بن معاوية، بناحية

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ١٠١؛ الفرق بين الفرق: ص ٩٠؛ الملل والنحل ١/١٣٧.

(٢) هو رئيس الصفرية، ومنهم من يقول: إن الصفرية تنسب إلى عبدالله بن زياد الصفار. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٧٣؛ المنتظم: ٦/١٢٩؛ الكامل في التاريخ: ٤/١٢١.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) في (ك) و (س): (جريمته).

(٥) كذا في (ب) وفي (ك): (إلى أن يحده الوالي ويحكم بكفره)، وفي (س): (يجده) فقط.

(٦) هذا هو قول البيهسية من الخوارج أيضاً، أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر. ينظر الملل والنحل: ١/١٧٥.

(٧) شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وأنكر التحكيم، ونجا من النهروان ثم خرج على بني أمية في ولاية عبيدالله بن زياد، فأرسل إليه ابن زياد عباد بن أخضر فقتله سنة ٥٨هـ. الكامل في الأدب: ٣/١٧٧؛ تاريخ الطبري: ٣/٣٤٤.

(٨) هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان السدوسي، أبو سماك البصري، قال أبو داود ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران، ويقال أنه تاب في أواخر عمره، ورجح ذلك ابن حجر، توفي سنة ٨٤هـ. الثقات: ٥/٣٣٢؛ تهذيب التهذيب: ٨/١١٣.

البصرة على عامله [٢١/ب] عبيدالله[١] بن زياد، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري[٢] في ألفي[٣] مقاتل، وكان زرعة يميل إلى رأي الخوارج، فلما اصطف العسكران، قال زرعة: يا أبا بلال إني أعلم أنك على الحق، ولكننا لو لم نقاتلك يحبس عبيدالله بن زياد عطاءنا عنا، فقال أبو بلال: ليتني فعلت كما أمرني به أخي عروة، فإنه أمرني أن أستعرض الناس بالسيف، فأقتل كل من [استقتلني][٤]، ثم هزمه أبو بلال.

فبعث عبيدالله بن زياد إلى قتال أبي بلال، عباداً التميمي[٥]، حتى حمل رأسه إلى عبيدالله بن زياد، فدعا عبيدالله عروة أخاه، وقال له: يا عدو الله، أمرت أخاك أن يستعرض المسلمين [بالسيف][٦] قد انتقم الله [تعالى][٧] منه، وأمر بصلب عروة[٨].

---

(١) في (س): (عبدالله). هو عبيدالله بن زياد بن أبيه، أمير العراق، ولي البصرة في سنة ٥٥هـ، وولي خراسان، قال الذهبي: «وقد جرت لعبيدالله خطوب، وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين رضي الله عنه، فلما جاء نعي يزيد، هرب بعد أن كاد يؤسر، وانضم إلى مروان»، وقتل عبيدالله في معركة الخازر في سنة ٦٧هـ. تاريخ الطبري: ٢٩٥/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٥/٣؛ البداية والنهاية: ٨٢٣/٨.

(٢) كذا ذكر هنا، وفي الطبري وغيره أسلم بن زرعة الكلابي، وكان ذلك سنة ٦٠هـ. تاريخ الطبري: ٣٤٤/٣؛ الكامل في التاريخ: ٣٦١/٣.

(٣) في (س): (ألف).

(٤) في (ك) و (س): (استقبلني).

(٥) هو عباد بن عباد بن علقمة المازني البصري، يعرف بابن الأخضر وهو زوج أمه، أخذ عن بعض التابعين، وقال عنه ابن معين: بصري ثقة ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قتل على يد بعض الخوارج في حدود ٩٠هـ. الثقات: ١٥٩/٧؛ الكامل في الأدب: ١٨١/٣؛ تهذيب التهذيب: ٨٤/٥.

(٦) سقطت من (ك).

(٧) زيادة من (ك).

(٨) كان ذلك سنة ٥٨هـ. تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣؛ المنتظم: ٢٩٥/٥؛ الكامل في التاريخ: ٣٦٠/٣.

ثم إن الصفرية بعد أبي بلال، بايعوا عمران بن حطان، وكان رجلاً شاعراً نسابة، وكان يرثي مرداساً، ومن جملة ما رثاه به قوله:

أنكَرتُ بَعدَك ما[١] قد كُنتُ أعرِفهُ ... مَا النَّاسُ بَعدَكَ يا مِرْداسُ بالنَّاسِ[٢]

وكان من شقاوته أنه رثى عبدالرحمن بن ملجم بقوله:

يا ضَرْبةً مِنْ مُنِيبٍ مَا أرادَ بها ... إلا ليبلُغَ من ذي العَرْش رِضْوَانا
إني لأذكرهُ يوماً فأحسبه ... أوْفَى البريَّةِ عند الله مِيزَانَا[٣]

ومن كان اعتقاده على هذه الجملة، لم تعترض أهل الديانة في كفره شبهة.

[وقد أجبت عنه بهذه الأبيات:

كذبت وأيم الذي حج الحجج له ... وقد ركبت ضلالاً وبهتاناً
لتلقين بها ناراً مؤججة يوم ... القيامة لا زلفى ولا رضوانا [٢٢/أ]
تبت يداه لقد خابت وقد خسرت ... وصار الخسر من في الحشر ميزانا
هذا جوابي في ذا النذل مرتجلا ... أرجو بذاك من الرحمن غفرانا][٤]

الفرقة الخامسة: العجاردة[٥]:

منهم العجاردة، وهم أتباع عبدالكريم[٦] بن عجرد، وكان من أتباع عطية بن أسود الحنفي، ومما اتفق عليه العجاردة، قولهم إن كل طفل بلغ

---

(١) في الكامل: (من).
(٢) الكامل في الأدب: ١٢١/٣.
(٣) الكامل في الأدب: ١٢١/٣.
(٤) رد المؤلف في هذه الأبيات زيادة من (ب).
(٥) البدء والتاريخ: ١٣٨/٥؛ مقالات الإسلاميين: ص ٩٣؛ الفرق بين الفرق: ص ٩٣؛ الملل والنحل: ١٢٤/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٧.
(٦) في (س): (عبدالملك). ذكره الحافظ ابن حجر ونقل رأي ابن حزم فيه، وعد العجاردة طائفة من الصفرية. لسان الميزان: ٥٠/٤.

فإنه يُدعى إلى أن يقرَّ بدين الإسلام، وقبل أن يبلغ [يتبرؤون][(١)] منه[(٢)]، ولا يحكمون له بحكم الإسلام في حالة طفوليته، وخاصية[(٣)] مذهبهم أن الأزارقة كانوا يبيحون أموال[(٤)] مخالفيهم [بكل حال، والعجاردة يقولون لا تباح أموال مخالفيهم][(٥)]، حتى يقتل صاحب المال أولاً.

وهؤلاء ـ الذين ينتحلون هذا المذهب ـ افترقوا:

١ ـ **فمنهم الخازمية**[(٦)]: وهم الأكثرون منهم، وافقوا أهل السنَّة في [باب][(٧)] القدر والاستطاعة والمشيئة، فيقولون لا خالق إلا الله، ولا يكون إلا ما يريد، والاستطاعة مع الفعل، ويقولون بتكفير القدرية بهذه المسائل التي ذكرناها، ولكن يكفرون عثمان وعلياً والحكمين.

٢ ـ **ومنهم الشعيبية**[(٨)]: وكان سبب ظهورهم أن زعيمهم نازع رجلاً من الخوارج يقال له ميمون، وكان له على شعيب مال، فتقاضاه من[(٩)] شعيب، فقال شعيب: أؤديه إن شاء الله [تعالى][(١٠)]، فقال ميمون: الآن [قد][(١١)] شاء الله ذلك، ألا تراه قد أمر به، فقال شعيب: لو كان الله شاء لم أقدر على مخالفته، فظهر بسبب ذلك الخلاف بين العجاردة في مسألة

---

(١) سقطت من (س).
(٢) في (ك) و (س): (عنه).
(٣) في (ك) و (س): (وخاصة).
(٤) في (ك): (أموالهم).
(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك) و (س).
(٦) كذا ذكرها الأسفراييني تبعاً للبغدادي: الفرق بين الفرق ص ٩٤؛ مقالات الإسلاميين: ص ٩٦. وذكرها الشهرستاني باسم (الحازمية): الملل والنحل: ١٣١/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٩؛ المواقف: ٧٠٢/٣.
(٧) زيادة من (ب).
(٨) مقالات الإسلاميين: ص٩٤؛ الفرق بين الفرق: ٩٥؛ الملل والنحل: ١٣١/١.
(٩) في (ك): (فطالب به)، وفي (س): (فقاضى على).
(١٠) سقطت من (ب).
(١١) زيادة من (ب).

المشيئة، فكتبوا هذه القصة إلى عبدالكريم بن عجرد [٢٢/ب] وهو محبوس في حبس السلطان، فكتب في جوابه نحن نقول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يلحق[١] به سوءاً ([فوصل هذا الجواب، وقد مات عبدالكريم بن عجرد في الحبس، فقال ميمون: وافقني في الجواب، ألا تراه يقول لا يلحق به سوءاً][٢]ومن قال: إنه لم يرد أن يؤدي إليّ حقي، فقد ألحق به سوءاً)[٣]، وقال شعيب: بل وافقني في الجواب ألا تراه يقول: [ما شاء الله كان][٤] وما لم يشأ لم يكن، ورجع الخازمية إلى قول شعيب، والحمزية منهم إلى قول ميمون القدري، وهو الذي يجوز نكاح بنات البنين وبنات البنات، وهذا خلاف إجماع المسلمين، وهذا منه كفر زاده على قوله بالقدر.

٣ ـ **ومنهم الخلفية**[٥]: وكان خلف هذا من أتباع ميمون القدري، ثم تاب ورجع عن أقوله[٦] إلى مذهب أهل السنَّة والجماعة، في باب القدر والمشيئة والاستطاعة، وخوارج كرمان ومكران[٧] تابعوه[٨] على ذلك، وكان حمزة الخارجي القدري يقاتلهم، ففقدوا خلفاً[٩] في بعض تلك الحروب، فهم من موته[١٠] في شك، ثابتون على دعوى إمامته،

---

(١) في (ك) و (س): (نلحق).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ما بين القوسين ( ) سقطت من (س).

(٤) سقطت من (ك) و (س).

(٥) مقالات الإسلاميين: ص ٩٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٩٥؛ الملل والنحل: ١/١٣٠؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٨.

(٦) في (ك) و (س): (أقواله).

(٧) مكران: اسم لسيف البحر، افتتحت في عهد عمر بن الخطاب. معجم البلدان: ١٧٩/٥.

(٨) في (ك) و (س): (مكران وكرمان بايعوه).

(٩) في (ك): (خلقاً).

(١٠) في (ك) و (س): (معرفته).

ولم يقاتلوا بعد فقده أحداً، فإن من مذهبهم أنهم لا يقاتلون إلا إذا كان الإمام بينهم[١]، وصاروا إلى مذهب الأزارقة في شيء واحد، وهو قولهم إن أطفال مخالفيهم يكونون في النار.

٤ ـ **ومنهم المعلومية**[٢]: ويدعى فريق منهم المجهولية، والفريقان جميعاً كانا من جملة الخازمية، ثم المعلومية خالفوهم، وزعموا أن من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو جاهل به، والجاهل به كافر، وزعموا أيضاً أن أفعال العباد [٢٣/أ] لا تكون مخلوقة لله [تعالى][٣]، وزعموا أن من كان [منهم][٤] على دينهم، وخرج على أعدائه بالسيف فهو الإمام، والمجهولية يقولون من عرف الله ببعض أسمائه يكون عالماً به، ولا يشترطون معرفة جميع أسمائه ويكفرون المعلومية بهذا السبب.

٥ ـ **ومنهم الصلتية**[٥]: وهم أتباع صلت بن عثمان، وقيل [أتباع][٦]صلت بن أبي الصلت[٧]، وهؤلاء يقولون: إنا نوالي كل من كان على مذهبنا، ولكنا نتبرأ عن أطفالهم إلى أن يبلغوا، ويُعرض[٨] عليهم الإسلام، فيقبلوه يريدون به عرض مذهبهم، وقبولهم له[٩].

---

(١) في (ك) و (س): (بينهم الإمام).
(٢) مقالات الإسلاميين: ص ١٣٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٩٧؛ الملل والنحل: ١٣٣/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥١.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) سقطت من (ب).
(٥) مقالات الإسلاميين: ص ٩٧؛ الفرق بين الفرق: ص ٧٦؛ الملل والنحل: ١٢٩/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٨.
(٦) زيادة من (ب).
(٧) اختلف في اسمه، فقيل: عثمان بن أبي الصلت، وقيل الصلت بن أبي الصلت. ينظر المصادر المتقدمة.
(٨) في (ك): (ونعرض).
(٩) في (ك) و (س): (وقبوله).

٦ ـ **ومنهم الحمزية**[١]: وهم أتباع حمزة[٢]، وهو الذي صدر منه الفساد الكثير[٣] في نواحي سجستان وديار خراسان وكرمان ومكران وقُهستان[٤]، وهزموا كثيراً من العساكر، وكان في الأصل على دين الخازمية، ثم خالفهم في القدر والاستطاعة، ورجع إلى قول القدرية، وكان يزعم أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، وإن غنائمهم لا تحل لنا، وكان يأمر بإحراق الغنائم، وعقر دواب مخالفيهم، وظهرت فتنته في أيام هارون الرشيد، وبقي إلى أن مضت[٥] برهة من أيام المأمون، ثم صار مقتولاً على أيدي غزاة نيسابور.

٧ ـ **ومنهم الثعالبة**[٦]: وهم أتباع ثعلبة بن مشكان، وهؤلاء كانوا يقولون بإمامة عبدالكريم بن عجرد، ويقولون: إنه كان الإمام، إلى أن خالفه ثعلبة في حكم الأطفال، فصار على زعمهم كافراً، وكان ثعلبة إماماً، وكان سبب خلافهم[٧] أن رجلاً [٢٣/ب] من العجاردة خطب بنت ثعلبة، فقال له: أظهر لنا مهراً وقدره، فبعث الخاطب [امرأة][٨] إلى أم البنت، وقال

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٩٣؛ الفرق بين الفرق: ص ٧٦؛ الملل والنحل: ١/١٢٩؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٨.

(٢) هو حمزة بن أدرك، كان ظهوره في أيام الرشيد سنة ٢٧٩هـ، وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون، وكان معه جماعة من قضاة الخوارج وشعرائهم، ودخل في قتال مع البيهسية وتسمى بأمرة أمير المؤمنين، ثم انتدب له المأمون علي بن عيسى بن ماهان، فهزمه وتتبعه بنواحي سجستان، ثم قاتله طاهر بن الحسين سنة ١٩٢هـ. المنتظم: ٩/٣٨؛ الكامل في التاريخ: ٥/٣٠٩؛ البداية والنهاية: ١٠/١٧٣.

(٣) في (ك) و (س): (الكبير).

(٤) قهستان: مدينة كبيرة من مدن خراسان فتحت في عهد عمر بن الخطاب. معجم البلدان: ٤/٤١٨.

(٥) في (ك) و (س): (مضى).

(٦) مقالات الإسلاميين: ١/٩٧؛ الفصل: ٤/١٤٥؛ الفرق بين الفرق: ص ٨٠؛ الملل والنحل: ١/١٣١.

(٧) في (ك) و (س): (اختلافهم).

(٨) زيادة من (ب).

[لها][(١)]: تعرفي [من أمها][(٢)] هل بلغت هذه البنت[(٣)]؟ وهل قبلت الإسلام؟ فإن كانت بالغة وللإسلام قابلة ([على الشرط][(٤)] لم أبالِ[(٥)] أن صداقها كم كان[(٦)])[(٧)] فقالت الأم: هي مسلمة [ولا أدري، أهي بالغة أم لا][(٨)]، فلما بلغ هذا الخبر إلى ثعلبة، اختار أن يتبرأ من أطفال المسلمين، وخالف في هذا عبدالكريم بن عجرد، وبسبب هذا الخلاف تبرأ أحدهما عن صاحبه، وكان يكفر كل منهما صاحبه.

٨ ـ **ومنهم المعبدية**[(٩)]: وهؤلاء يقولون بإمامة معبد بعد ثعلبة، وخالف معبد الثعالبة بأن قال: يجوز أخذ الزكاة من العبيد، ويجوز دفعها إليهم، وزعم أن[(١٠)] من لم يوافقه [في هذه المقالة][(١١)] فهو كافر، وأتباعه يكفرون جملة الثعالبة، والثعالبة يكفرونهم.

٩ ـ **ومنهم الأخنسية**[(١٢)]: وهم أتباع رجل اسمه أخنس، وكان على مذهب الثعالبة في موالاة الأطفال، ثم خنس[(١٣)] من بينهم، وزعم أنه يجب التوقف في جميع من كان في دار التقية، إلا من عرفنا منه نوعاً من الكفر،

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (ك): (تعرفيني عن أمرها هل...).
(٤) زيادة من (ك).
(٥) في (ك): (يبالِ).
(٦) في (ك): (كم كان مهرها).
(٧) ما بين القوسين ( ) بياض في (س).
(٨) زيادة من (ب).
(٩) مقالات الإسلاميين: ص ٩٨؛ الفرق بين الفرق: ص ٨١؛ الملل والنحل: ١/١٣٢؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٠.
(١٠) في (ك) و (س): (بأن).
(١١) زيادة من (ب).
(١٢) مقالات الإسلاميين: ص ٩٧؛ الفرق بين الفرق: ص ٨١؛ الملل والنحل: ١/١٣٢؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٩.
(١٣) الخنوس: هو التأخر والاختفاء. لسان العرب: ٦/٣٥١.

فحينئذ نتبرأ عنه، ومن عرفنا منه الإيمان فنواليه، وكان يقول: إن قتل مخالفيهم في السر لا يجوز، ولا يجوز ابتداء أحد من أهل القبلة بالقتال، حتى يدعوه أولا إلى مذهبهم.

١٠ - **ومنهم الشيبانية**: وهم أتباع شيبان بن سلمة الخارجي، وهم كانوا يعينون أبا مسلم[(١)] في حروبه، وكان يذهب إلى مذهب المشبهة [٢٤/أ] وسائر الثعالبة [كانوا يكفرونه، وكذلك سائر الخوارج، بسبب معاونته لأبي مسلم في حروبه.

١١ - **ومنهم الرشيدية**[(٢)]: وهم أتباع رشيد، وهو رجل كان من الثعالبة][(٣)] ثم خالفهم وقال: كل زرع يسقى بنهر أو عين ففيه نصف العشر، وقال: كل زرع سقي بالسماء، ففيه عشر كامل.

١٢ - **ومنهم المكرمية**[(٤)]: وهم أتباع أبي مكرم، وكان يقول: من ترك الصلاة فقد كفر، لا لأنه ترك الصلاة؛ ولكن لأنه يكون جاهلاً بالله تعالى، وكان يقول: إنَّ المذنبين كلهم جاهلون بالله سبحانه[(٥)]، وكان يقول في

---

(١) مشهور بكنيته واختلف في اسمه فقيل: إنه عبدالرحمٰن بن مسلم وقيل: عبدالرحمٰن بن عثمان بن يسار الخراساني، صاحب الدعوة العباسية وهازم الجيوش الأموية، قال الذهبي: «كان من أكابر الملوك في الإسلام، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب كأمثال الجبال، ويقلب الدولة، ويقيم دولة أخرى»، ثم قال: «كان أبو مسلم سفاكاً للدماء يزيد على الحجاج»، قتل على يد الخليفة المنصور العباسي سنة ١٣٧هـ وفيات الأعيان: ١٤٥/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٤٨/٦.

(٢) مقالات الإسلاميين: ص ٩٩؛ الفرق بين الفرق: ص ٨٢؛ الفصل: ١٤٥/٤؛ الملل والنحل: ١٣٢/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٠.

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك) و (س).

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ١٠٠؛ الفصل: ١٤٥/٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٨٢؛ الملل والنحل: ١٣٣/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٠؛ المواقف: ص ٦٩٦.

(٥) في (ك): (تعالى).

الموالاة والمعاداة بالموافاة، وكان يقول: إنَّ الاعتبار بما سبق في علم[١] الله تعالى.

الفرقة السادسة: الأباضية[٢]:

وهم أتباع عبدالله بن أباض[٣]، ثم هم فيما بينهم فرق، وكلهم يقولون: إنَّ مخالفيهم من فرق هذه الأمة كفار، لا مشركون ولا مؤمنون، ويجوزون شهادتهم، ويحرمون دماءهم في السر ويستبيحونها في العلانية، ويجوزون مناكحتهم، ويثبتون التوارث بينهم، ويحرمون بعض غنائمهم، ويحلّلون بعضها، يحلّلون ما كان من جملة الأسلاب والسلاح، ويحرمون ما كان من ذهب أو فضة، ويردونها إلى أربابها.

١ ـ [**ذكر الحفصية منهم:**][٤] ومن الأباضية يقال لهم الحفصية، وهم أتباع حفص بن أبي المقدام، وكان يقول ليس بين الكفر والإيمان إلا معرفة الله، فمن عرفه فهو مؤمن، وإن كان كافراً بالرسول ﷺ وبالجنة والنار، واستحل جميع المحرّمات كالقتل والزنا واللواط والسرقة، فهو كافر [٢٤/ب] ولكنه بريء من الشرك، وهؤلاء يقولون في عثمان كما تقوله[٥] الروافض في أبي بكر وعمر، ويقولون في علي نـزل قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وفي عبدالرحمٰن بن ملجم قوله تعالى:

---

(١) في (ك) و (س): (كتاب).

(٢) مقالات الإسلاميين: ١٠٢/١؛ الفصل: ١٤٤/٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٥٥، اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥١.

(٣) هو عبدالله بن أباض المقاعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس، رأس الأباضية، وإليه نسبتهم، اضطرب المؤرخون في سيرته، وكان معاصراً لمعاوية، وعاش إلى أواخر عبدالملك بن مروان، قال المبرد: قول ابن أباض أقرب الأقاويل إلى السنة. ينظر المصادر السابقة.

(٤) سقطت من (س). ينظر: مقالات الإسلاميين: ص ١٠٢؛ الفصل: ١٤٦/٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٨٣؛ الملل والنحل: ١٣٥/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥١.

(٥) في (ك) و (س): (تقول).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧][(١)]، وهذا من أتم الفضائح والبدع.

٢ ـ **ذكر الحارثية منهم**[(٢)]: ومن الأباضية قوم يقال لهم الحارثية، وهم أتباع [الحارث][(٣)] بن يزيد[(٤)] الأباضي، وكانوا يقولون بقول القدرية في القدر والاستطاعة، وسائر الأباضية [كانوا يكفرونهم بسبب ذلك.

٣ ـ **ذكر أصحاب طاعة**[(٥)]: ومن الأباضية][(٦)] فريق يقال لهم أصحاب طاعة لا يراد الله [تعالى][(٧)] بها، وهؤلاء يقولون بجواز طاعات كثيرة من العبد، لا يقصد بها طاعة ربه، كما كان يقوله أبو الهذيل المعتزلي[(٨)]، وكان من قصتهم أن رجلاً من الأباضية اسمه إبراهيم، أضاف جماعة من أهل مذهبه، وكانت له جارية على مذهبه، قال لها: قدمي شيئاً، فأبطأت، فحلف ليبيعها من الأعراب، وكان فيما بينهم رجل اسمه ميمون [ـ وهو غير الذي ـ][(٩)] ذكرناه في العجاردة، فقال له: تبيع جارية مؤمنة من قوم كفارٍ، فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥][(١٠)]، وعليه كانَ أصحابنا، وطال الكلام بينهما، حتى تبرأ كل واحدٍ منهما من صاحبه،

---

(١) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].
(٢) الفرق بين الفرق: ص ٨٤؛ الملل والنحل: ١٣٦/١؛ المواقف: ص ٧٠١.
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (ك): (مزيد).
(٥) مقالات الإسلاميين: ص ١٠٥؛ الفرق بين الفرق: ص ٨٤.
(٦) سقطت من (س).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري العلاف، رأس المعتزلة وصاحب التصانيف، كان يزعم أن نعيم الجنة وعذاب النار تنتهي وأنكر الصفات المقدسة، حتى العلم والقدرة، قال الذهبي: وهذا كفر وإلحاد، مات سنة ٢٢٧هـ. تاريخ بغداد: ٣٦٦/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٢/١٠؛ لسان الميزان: ٤١٣/٥.
(٩) سقطت من (ك) و (س).
(١٠) في (ب) جاءت الآية الكريمة: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وتوقف قوم منهم في كفرهما، وكتبوا إلى علمائهم، فرجع الجواب بجواز ذلك البيع، وبوجوب التوبة على ميمون، وعلى كل من توقف في أمر[١] إبراهيم، فمن هاهنا [٢٥/أ] افترقوا ثلاث فرق: الإبراهيمية، والميمونية، والواقفية.

٤ ـ وظهر بعدهم قوم آخرون يقال لهم **البيهسية**: أصحاب أبي بيهس هصيم بن عامر، وهؤلاء يقولون: إن ميموناً كفر بقوله أن بيع تلك الجارية [حرام][٢] من كفار يكونون في ديار التقية حرام، الواقفية أيضاً؛ لتوقفهم في كفر ميمون [فقالوا: وكفر إبراهيم أيضاً][٣] لتبريه من هؤلاء الواقفية.

ثم قالت البيهسية: لا نطلق[٤] على المذنب أنه كافر أو مؤمن، حتى يدفع إلى السلطان، ويقيم عليه الحد، وقال بعضهم: متى ما كفر الإمام كفر رعيته أيضاً، وقال قوم منهم: إن السكر كفر إذا كان معه ترك الصلاة.

الفرقة السابعة: الشبيبية[٥]:

وهم أتباع شبيب بن يزيد الشيباني[٦]، وكان كنيته أبا الصحارى، وقد تسمى هذه الفرقة صالحية؛ لانتسابهم إلى رجل اسمه صالح بن مسرح التميمي الخارجي[٧]، وكان شبيب هذا من أصحابه، وصار بعده والياً على

---

(١) في (ك) و (س): (نصر).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) جاءت العبارة مرتكبة في (ك)، والصحيح ما أثبتناه من (ب).

(٤) في (ك) و (س): (يطلق).

(٥) مقالات الإسلاميين: ص ١٢٣؛ الفرق بين الفرق: ص ٨٩؛ الملل والنحل: ١٢٨/١.

(٦) هو شبيب بن يزيد بن أبي نعيم، رأس الخوارج في الجزيرة، بعث إليه الحجاج خمس قواد فقتلهم جميعاً، ثم سار إلى الكوفة، فقاتله الحجاج فيها، وقتل معظم أصحابه، فانهزم شبيب، ثم غرق في الدجيل سنة ٧٦هـ. تاريخ الطبري: ٥٥٤/٣؛ وفيات الأعيان: ٤٥٤/٢؛ سير أعلام النبلاء: ١٤٦/٤.

(٧) كان ناسكاً عابداً مخبتاً خرج سنة ٥٥هـ، وقال بقول الخوارج ثم كان معهم إلى أن قتل سنة ٧٦هـ. تاريخ الطبري: ٥٥٥/٣؛ الكامل في التاريخ: ١٤٩/٤.

عسكره، وكان خروجه في أيام الحجاج، وخالف صالحاً في تجويز إمامة النساء إذا قمن بأمر الرعية كما ينبغي، وخرجن على مخالفيهن[١]، وكان أتباعه يقولون: إن غزالة أم شبيب كانت هي الإمام[٢] بعد شبيب، إلى أن قتلت.

وكان السبب في قولهم بإمامة أم شبيب، إن شبيباً لما دخل الكوفة، أمر أمه حتى صعدت منبر الكوفة وخطبت، وكان من قصة شبيب في أول أمره أنه قصد بالشام روح بن زنباع[٣]، ونـزل عنده، والتمس منه أن يسأل أمير المؤمنين حتى يجعل عطاءه مساوياً [٢٥/ب] لعطاء أهل الشرف، فسأله ذلك، فقال عبدالملك بن مروان: هذا رجل لا أعرفه، فقال شبيب: يوشك أن يعرفني، وجمع الصالحية من الخوارج، مع أصحابه من بني شيبان، وغلب على حد كسكر[٤] إلى[٥] المدائن.

فبعث الحجاج إليه ألف فارس فهزمهم[٦]، فبعث إليه ألفين فهزمهم[٧]، وكان لا يزال يزيد في العساكر يبعثهم إليه، وهو يهزمهم حتى هزم عشرين عسكراً[٨] من عساكره في مدة سنتين[٩].

ثم هجم على الكوفة بالليل [مع][١٠] ألف فارس من الخوارج،

---

(١) في (ك) و (س): (مخالفيهم).
(٢) في (س): (الإمامة).
(٣) روح بن زنباع بن روح بن سلامة، أبو زرعة الجذامي، أمير فلسطين، قيل له صحبة، توفي سنة ٨٤هـ. الاستيعاب: ٥٠٢/٢؛ تاريخ دمشق: ٢٤٠/١٨.
(٤) التسمية فارسية وتعني (عامل الزرع) كورة واسعة ما بين واسط والكوفة. معجم البلدان: ٤٦١/٤.
(٥) في (ك): (كسكري).
(٦) كان ذلك العسكر بقيادة عبيد بن أبي المخارق. الفرق بين الفرق: ص ٨٩.
(٧) كان بقيادة: عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، في سنة ٧٤هـ. تاريخ الطبري: ٥٧٣/٣؛ المنتظم: ١٨٢/٦؛ الكامل في التاريخ: ١٦٤/٤؛ البداية والنهاية: ٣٥/٩.
(٨) في (ك): (جيشاً).
(٩) ينظر: تاريخ الطبري: ٥٧٨/٣؛ المنتظم: ١٨٧/٦؛ الكامل في التاريخ: ١٦٩/٤.
(١٠) سقطت من (ب).

وكانت معه أمه غزالة وأمرأته جهيزة[(١)]، مع مائة وخمسين امرأة، تقلدن[(٢)] السيوف، واعتقلن الرماح، فقتل حراس الكوفة، وأمر أمه حتى صعدت المنبر، وخطبت فقال خزيمة بن فاتك الأسدي[(٣)] في وصف تلك الحالة:

أقَامَتْ غَزَالَةُ سُوقَ الضَّراب[(٤)] ... لأهْلِ العِرَاقَيْنِ حَوْلاً قَمِيطا[(٥)]
سَمَتْ للعِرَاقَيْنِ في جَيْشِهَا ... فَلاَقَى العِرَاقَانِ مِنْهَا أطِيطَا[(٦)]

وصبر الحجاج تلك الليلة في داره، حتى اجتمع جنده لوقت الصبح، وصلَّى شبيب صلاة الصبح في مسجد الكوفة بجنده[(٧)]، وقرأ في الصلاة سورة البقرة وآل عمران، فقصده الحجاج بأربعة آلاف فارس والتحم القتال بينهما في سوق الكوفة، حتى قتل أكثر أصحاب شبيب، [وفرَّ][(٨)] مع من بقي من أصحابه، وانحاز إلى ناحية الأنبار، وخرج الحجاج على أثره فانهزم إلى ناحية الأهواز[(٩)].

فبعث الحجاج على أثره سفيان بن الأبرد، مع ثلاثة آلاف من المقاتلة [٢٦/أ] فلحقوه مع موضع يقال له دُجيل[(١٠)]، فقصد شبيب أن يعبر جسر دجيل، فأمر سفيان قومه أن يقطعوا حبال الجسر، ففعلوا فانقلب الجسر، وغرق شبيب وهو يقول: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ثم أمر

---

(١) في كتب التاريخ أن جهيزة هي أمه وغزالة زوجته.
(٢) في (ك) و (س): (فتقلدن).
(٣) كذا ذكره وفي اللسان وغيره أن القائل هو أيمن بن خزيم. لسان العرب: ٤٩٣/١١.
(٤) في (ك) و (س): (الضرار). والضَّراب: هو الذي يضرب في الحرب.
(٥) حولاً قميطا: أي حولاً كاملاً. لسان العرب: ٣٨٥/٧.
(٦) كذا في النص، وفي لسان العرب: (البطيطا) وهي الأعاجيب: ٢٦٢/٧.
(٧) في (ك) و (س): (وصلى في مسجد الكوفة صلاة الصبح بجنده).
(٨) سقطت من (س).
(٩) كان ذلك سنة ٧٦هـ. تاريخ اليعقوبي: ٢٧٤/٢؛ تاريخ الطبري: ٥٦٩/٣؛ الكامل في التاريخ: ١٥٤/٤.
(١٠) نهر صغير متشعب من دجلة جنوب بغداد. معجم البلدان: ٢٦/٣.

سفيان بإعادة الجسر، وعبره وقصد من بقي من أصحابه، وكانوا قد بايعوا أم شبيب، فلم يزل بهم حتى قتل أكثرهم، وقتل أم شبيب، وأمر الغواصين حتى أخرجوا شبيباً من الماء، وبعث برأسه وبمن كان قد أسر من أصحابه إلى الحجاج[١].

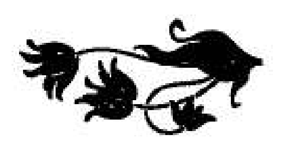
فقال[٢] بعض أولئك الأسراء [للحجاج][٣] اسمع مني بيتين أختم بهما عملي، ثم[٤] أنشأ يقول:

أَبْرَأُ إلى اللهِ مِنْ عَمرٍو وشِيعَتِهِ ... وَمِنْ عَليٍّ ومن أصحابِ صِفِّينِ

وَمِنْ مُعاويةَ الطاغي وشيعتِهِ ... لا بَارَكَ اللهُ في القَوْمِ المَلاعِينِ

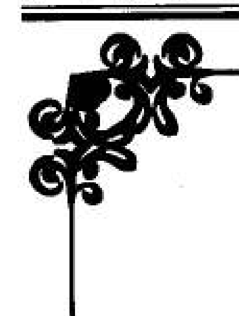
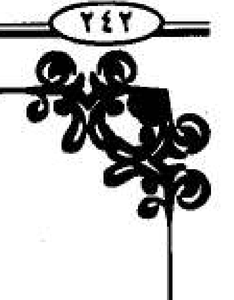
فأمر الحجاج بقتله، وقتل جماعة من أولئك الأسراء.

هذه جملة فرق الخوارج، ويبلغ[٥] ما ليس بمتداخل من أقاويلهم عشرين مقالة، فهم إذن عشرون فرقة، كما سطرناه في أول الكتاب، ومن عجائب حال الخوارج أنهم خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقالوا: لِمَ خرجت من بيتها؟ والله تعالى [يقول][٦] لهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ثم صاروا تبعاً لغزالة وجهيزة، وجوزوا إمامتهما، فهلّا تلوا هذه الآية عليهما، ومنعوهما من الفتنة، غير أن الخذلان لا قياس عليه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.



---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٧٥/٢؛ تاريخ الطبري: ٥٩٠/٣؛ الكامل في التاريخ: ١٧٧/٤؛ البداية والنهاية: ١٩/٩.
(٢) في (ك): (قال).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ك) و (س): (و).
(٥) في (ك): (وبلغ).
(٦) سقطت من (ب).

الباب الخامس

في تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم

قد بينا قبل أنهم ينقسمون [٢٦/ب] إلى عشرين فرقة، فمَّا اتفق عليه جميعهم من مساوئ فضائحهم، نفيهم صفات الباري جل جلاله، حتى قالوا: إنه ليس له سبحانه علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا بقاء، وأنه لم يكن له في الأزل كلام ولا إرادة، ولم يكن له في الأزل اسم ولا صفة؛ لأن الصفة عندهم وصف [الواصف][١]، ولم يكن في الأزل واصف، والاسم عندهم التسمية، ولم يكن في الأزل مسمى، إذ لم يكن له كلام في الأزل عندهم، وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم [في الأزل][٢] اسم ولا صفة.

هذا قولهم في صانع العالم، [وبديهة العقل تقتضي بفساده[٣]؛ لإحاطة العلم][٤] باستحالة كون من لا علم له، ولا قدرة له، ولا سمع له، ولا بصر [له][٥] صانعاً للعالم، ومدبراً للخليقة، ومما اتفق [عليه][٦] جميعهم

(١) سقطت من (ب).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ك): (فساده).
(٤) سقطت من (س).
(٥) زيادة من (ك).
(٦) زيادة من (ب).

ـ غير الصالحي ـ من فضائحهم، قولهم أن المعدوم شيء، حتى قالوا: إن الجوهر قبل وجوده جوهر، والعرض عرض، والسواد سواد، والبياض بياض، ويقولون: إن هذه الصفات كلها مستحقة(١) قبل الوجود، وإذا وجدت(٢) لم يزدد في صفاته شيء، بل هو الجوهر والعرض والسواد في حال الوجود على حقائقها المستحقة(٣) في حال العدم، وهذا منهم تصريح بقدم العالم، ومن كان قوله في الصانع على ما وصفناه، وفي الصفة على ما ذكرناه لم يبقَ له اعتقاد صحيح، ولم يكن دعواه في التلبس(٤) بالديانة، إلا تلبيساً منه على أهل الديانة؛ ليسلم من سيوف المسلمين المسلطة عليهم إلى يوم الدين(٥).

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إن الله تعالى لا يُرى، وأنه لا يُرِي نفسه، وقال كثيرٌ منهم: إنَّه لا يرى شيئاً، ولا يبصر بحال، وليس معبودهم [٢٧/أ] على [مقتضى](٦) هذا القول، إلا كما نهى إبراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته حين قال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢](٧).

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إنَّ كلام الله تعالى مخلوق له، يخلق لنفسه كلاماً في جسم من الأجسام، فيكون فيه متكلماً، وأنه لم يكن متكلماً قبل أن خلق لنفسه كلاماً، وليت(٨) شعري كيف يكون كلام المتكلم مسموعاً من غيره، ولو كان الأمر على ما قالوه، لكان الأمر والنهي والشرع

---

(١) في (ك): (متحققة).
(٢) في (ك) و (س): (وجد).
(٣) في (ك): (متحققة).
(٤) في (س): (تلبيس).
(٥) في (ك) و (س): (القيامة).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ب) و (س): جاءت الآية الكريمة: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].
(٨) في (ك): (ليت).

لذلك الجسم الذي خلق فيه الكلام، وذلك خلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

وزعموا أن الكلام هو المكتوب في المصحف[١]، والمقروء بالألسنة غير الكلام الذي نزل به جبريل على المصطفى ﷺ[٢]، بل كان ذلك عرضاً [صار معدوماً][٣]، وهذا الذي يتلى[٤] ويكتب عرض آخر وجد [متجدداً][٥]، وهذا خلاف قول الأمة قبلهم.

ومما اتفقوا عليه قولهم: إنَّ أفعال العباد مخلوقة لهم، [وأن][٦] كل واحد منهم، ومن جملة الحيوانات كالبقة والبعوض والنملة والنحلة والدودة والسمكة، خالق خلق أفعاله، وليس الباري [سبحانه][٧] خالقاً لأفعالهم، ولا قادراً على شيء من أعمالهم، وأنه قط لا يقدر على شيء مما تفعله[٨] الحيوانات كلها، كفعل[٩] الذباب والبقة والجرادة، [وإنما][١٠] أفعال هي خالقة لها، وليس الباري سبحانه قادراً عليها، فأثبتوا خالقين لا يحصون ولا يحصرون، حتى أن مذبة لو حُرِكت[١١] على دن من الخلِّ تطاير عنها أكثر [٢٧/ب] من ألف خالق، أو قريب منها، وقد فارقوا بهذه المقالة لسان الأمة، فإن الأمة كلهم قبلهم كانوا يقولون: لا خالق إلا الله، كما يقولون: لا إله إلا الله، وخالفوا بهذا أيضاً قوله سبحانه [وتعالى][١٢]: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟

---

(١) في (ك): (الصحف).
(٢) في (ك) و (س): (عليهما الصلاة والسلام).
(٣) في (ك) و (س): (معلوما).
(٤) في (س): (يبتلى).
(٥) زيادة من (س).
(٦) زيادة من (س).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) في (ك) و (س): (يفعله).
(٩) في (ك) و (س): (ففعل).
(١٠) زيادة من (ب).
(١١) في (ك): (تحركت). والمذبة: الآلة التي يطرد بها الذباب. لسان العرب: ٣٨٣/١.
(١٢) سقطت من (ب).

كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله سبحانه[١]: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١][٢]، فلو كان لغيره خلق على الحقيقة لبطل تحقيق[٣] هذه المطالبة، ولم يكن لهذا الإنكار عليهم حقيقة.

ومتى[٤] قالوا: إن أفعال الحيوانات خارجة من قدرة الله تعالى، ولم يوجبوا تخصيصاً في وصف كونه قادراً، فقد مهدوا بذلك طريق القول بالتثنية، كما بيناه[٥] في **(الأوسط)**.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إنَّ حال الفاسق المليِّ منزلة بين منزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وإنه إن خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون [كافراً][٦] خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه، ولو أنه رحمه وغفر له، خرج[٧] من الحكمة، وسقط من منزلة الإلٰهية [تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وهذا القول منهم خلاف ما أنزل الله تعالى من قوله][٨] [بغفران الشرك قال][٩] تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، و [يرد قولهم هذا][١٠] قوله الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) في (ك) و (س): (تعالى).

(٢) في (ك) (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

(٣) في (س): (التحقيق).

(٤) في (ك): (ومما) و في (س): (وشيء).

(٥) في (ب): (مهدناه).

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ك) و (س): (يخرج).

(٨) سقطت من (ك) و (س).

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) زيادة من (ك).

[الزمر: ٥٣][1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وليت شعري كيف [٢٨/أ] حجروا على الله [تعالى][2] في مقدوره، وحظروا عليه التصرف في مطلق ملكه؟ وكيف منعوه [من][3] العفو؟ فيما يثبت له في عبده من حقه.

ومما اتفقوا عليه من مساوئ مقالاتهم، قولهم: إنَّ الله تعالى لم يرد[4] أن يكون الزنا واللواط والقتل ومعصية العصاة، وكفر الكافرين، وجميع الفواحش القبيحة المذمومة[5]، وهذا يوجب أن تكون جميعها مرضية حسنة [محمودة][6]، أو يكون عن جميعها ساهياً غافلاً[7]، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠]، وخلاف قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وخلاف ما اتفق عليه العقلاء من أن من لم يرد أن يكون القبيح قبيحاً، والمذموم مذموماً، ولم يرد أن يكون كفر الكافرين، ومعصية العصاة، وظلم الظالمين وزناً الزناة مذمومة غير مرضية، كان في السفه [والجاً][8]، وعن حكم الحكمة خارجاً.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إن كثيراً من الأشياء تجب على العبد، من غير أن يكون من أمر الله [تعالى][9] فيه أمر، مثل النظر والاستدلال وشكر المنعم وترك الكفر والكفران، ثم يقولون: إن هذا العبد

---

(١) في (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (س): (يريد).
(٥) في (ك) و (س): (قبيحة مذمومة).
(٦) سقطت من (ك).
(٧) في (ك) و (س): (غافلاً ساهياً).
(٨) سقطت من (س). قال ابن منظور: «وألجَّ القوم: إذا صاحوا». لسان العرب: ٣٥٥/٢.
(٩) سقطت من (ب).

إذا أتى بهذه الأشياء على قضية عقله دون أمر ربه سبحانه، وجب على الله تعالى أن يثيبه، من غير أن يكون من قبله فيه أمر أو خبر، أو وعد أو وعيد، أو تكليف، ثم إذا أتى به وجب على العبد شكره، فإذا شكره وجب على الله ثوابه، وهكذا يدور الأمر بين العبد والرب [٢٨/ب] وهذا يوجب أن لا يتمكن الرب على قولهم، من أن يخرج الرب من[١] واجبات العبد، تعالى الله عن قولهم، من غير أن يكون عليه تكليف أو شريعة مرتبة عليه، وعلى قياس هذا [القول][٢] يكون [فعل][٣] كل واحد منهما مؤدياً للواجب، ولا يكون لأحدهما فضل على الآخر، وزادوا على هذا، فقالوا إذا خلق الله [تعالى][٤] شيئاً من الجمادات[٥] وجب عليه أن يخلق حياً، وأن يتم عقله حتى يستدل ويعتبر ويستحق الثواب [وإذا كان الذي يفعله العبد واجباً عليه كيف يستحق الثواب بأداء المستحق؟ وإذا كان الثواب على الله واجباً، فكيف يستحق الشكر على العبد؟][٦] بأداء المستحق، ومن قضى واجباً لم يستحق عليه شيئاً، كمن يقضي ديناً لم يستحق على صاحبه فضلاً، [ثم ازدادوا][٧] على هذا فقالوا: إن كل ما يناله العبد من ربه من النعم، فإنما يناله باستحقاق منه لا بفضل من الله تعالى، فاستنكفوا من أن يروا لله تعالى فضلاً على أنفسهم، وقالوا: إن أسنى المنازل منزلة الاستحقاق.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إنَّ العبد لا يحصل له صفة الإيمان، حتى يعلم جميع ما هو شرط في اعتقادهم، ويبلغ في معرفته درجة علمائهم، كأبي الهذيل والنظام[٨] وغيرهما، ويقدر فيه على تقرير

---

(١) في (ب): (عن).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) في (ك) و (س): (الجماد).
(٦) سقطت من (ك) و (س).
(٧) زيادة من (ك).
(٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، قال الذهبي: «تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ»، =

الدلالة [وحل الشبه][(١)] ويتمكن من المناظرة والمجادلة، ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافراً، لا يحكم له بالإيمان؛ ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام[(٢)] المسلمين؛ ولذلك زعموا أن علماء مخالفيهم كفرة كلهم، وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم [٢٩/أ] وهذا يوجب أن لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه، وأن يكون منفرداً بدخول الجنة، مع ما ورد من الأخبار في كثرة أهل الجنة؛ ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم: إن المعتزلي بالتقليد كافر بالإجماع.

ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه، فأنكروا من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصاً به زائداً على الأنبياء، كوجود المعراج، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة، ووجود حوض الكوثر، وأنكروا ما ورد في هذه الأبواب من الآثار والأخبار، وأنكروا عذاب القبر أيضاً، وأنكروا قوله [عليه السلام][(٣)]: **«أني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»**[(٤)]، مع اتفاق أهل النقل على رواية هذا الخبر على الاستفاضة، وقول جميع المسلمين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

و[في عذاب القبر][(٥)] قد بلغت الأخبار [في معناه][(٦)] حد التواتر في

= وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، وله تصانيف جمّة، وفاته في حدود سنة ٢٢٠هـ. طبقات المعتزلة: ص ٤٩؛ تاريخ بغداد: ٩٧/٦؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤١/١٠.

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (س): (العوام).

(٣) في (ك) و (س): (قول عمر).

(٤) الحديث أخرجه النسائي من حديث مسلم بن أبي بكرة قال كان أبي يقول دبر الصلاة... يرفعه إلى النبيّ ﷺ، كتاب السهو، باب التعوذ دبر الصلاة: رقم ١٣٤٧؛ أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال إذا أصبح: رقم ٥٠٩٠.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) زيادة من (ب).

المعنى، وإن كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر في اللفظ، وأنكروا[١] ما في ذلك من نصوص القرآن، كقوله تعالى في صفة آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

واعلم أن ما ذكرناه من فضائحهم مما يعم جميعهم، واتفقت عليه كلمتهم، ونذكر بعد هذا ما اختص به كل واحد من فرقهم من المخازي والفضائح إن شاء الله عز وجل، وقد ذكرنا أنهم ينقسمون إلى عشرين فرقة:

الفرقة الأولى: الواصلية[٢]:

منهم الواصلية [٢٩/ب] أتباع واصل بن عطاء الغزال، وهو رأس المعتزلة، وأول من دعا الخلق إلى بدعتهم، وذلك أن معبداً الجهني وغيلان الدمشقي كانا يضمران بدعة القدرية، ويخفيانها عن الناس، وأظهروا[٣] ذلك في [آخر][٤] أيام الصحابة، لم يتابعهم[٥] على ذلك أحد، وصارا مهجورين بين الناس بذلك السبب إلى أيام الحسن البصري، وكان واصل في غمار[٦] من كان يختلف إليه [من][٧] الناس، وكان في السر يضمر اعتقاد معبد وغيلان، وكان يقول بالقدر، والمسلمون كانوا في فساق أهل الملة على قولين، فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنّة يقولون: إنهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية، وإن أفعالهم بأطراف الجوارح[٨] لا ينافي[٩] إيماناً في قلوبهم،

---

(١) في (ك) و (س): (فأنكروا).

(٢) الفرق بين الفرق: ص ٩٦؛ الملل والنحل: ٤٦/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٠؛ المواقف: ٦٥٩.

(٣) في (ك): (ولما أظهرا).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ك) و (س): (يتابعهما).

(٦) في (ك): (غرار).

(٧) زيادة من (س).

(٨) في (ك): (بالأعضاء والجوارح) وفي (س): (بالمراق الجوارح).

(٩) في (ك): (تنافي).

وكان الخوارج يقولون إنهم كفرة مخلدون في النار مع الكفار.

فخالف واصل القولين، وقال: إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، وأنه في منزلة بين المنزلتين، وحكمهم في الآخرة أنهم مخلدون في النار مع الكفار، وأن من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له، فخالف بهذا[١] القول جميع المسلمين، واعتزل به دين المسلمين، فطرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل جانباً مع أصحابه[٢]، فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه، واعتزالهم عن قول المسلمين[٣]، ولما أظهر واصل هذه البدعة، واعتزل جانباً.

وافقه عمرو بن عبيد على هذه البدعة، ولم يقدرا على [إظهار][٤] [٣٠/أ] قولهما، فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر، وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذي ابتدعه في فساق أهل الملة، كانوا يضربون به المثل، ويقولون مع كفره قدري، فصار ذلك مثلاً سائراً بين الناس، [يضربونه][٥] لكل من جمع بين خصلتين فاسدتين، وكان قوله موافقاً لقول الخوارج في تخليد العصاة في النار، مخالفا لهم في القول بمنزلة بين المنزلتين، والمعتزلة بعده تمسكوا بهذا القول؛ ولهذا قيل في المعتزلة أنهم مخانيث الخوارج، ونسبهم إسحاق بن سويد[٦] إلى الخوارج في شعره، فقال:

بَرِئْتُ مِن الخوارجِ لستُ منهم ... من الغَزَّال منهم وَابْنِ بابِ
وَمِن قَوْمٍ إذا ذكروا عَلِياً ... يردُّونَ السَّلامَ على السحابِ[٧]

---

(١) في (ك): (في هذا).
(٢) في (ك) و(س): (اتباعه).
(٣) في (ب): (الناس).
(٤) سقطت من (س).
(٥) سقطت من (س).
(٦) في (س): (زيد). وهو إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي البصري، وثقه جمهور المحدثين، وقد أخرج له البخاري في كتاب الصوم، توفي سنة ١٣١هـ. التعديل والتجريح: ٣٨١/١؛ تهذيب التهذيب: ٢٠٦/١.
(٧) البيان والتبيين: ٢٧/١.

ثم أحدث واصل بدعة ثالثة، وذلك أن المسلمين كانوا في علي وأصحابه، وفي أصحاب الجمل الذين كانت فيهم عائشة وطلحة والزبير على قولين، فكانت الخوارج تقول: إن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم علياً، وكان علي يومئذٍ على الحق، ولكنه كفر بعد ذلك بالتحكيم، وكان الباقون من الأمة يقولون: إن فريقي حرب الجمل كانوا مؤمنين مسلمين، ولكن الحق كان مع علي رضي الله عنه، والآخرون كانوا على خطأ اجتهادي[(١)]، لا يلزم به الكفر ولا الفسق، ولا التبرئ والعداوة.

ثم إن واصل بن عطاء خالف[(٢)] الفريقين، وزعم أن فريقي حرب الجمل كانوا فساقاً لا بعينه، [٣٠/ب] ورتب على هذا فقال: لو شهد عندي رجلان من هذا العسكر [لقبلت، ولو شهد رجلان من ذلك العسكر][(٣)] ورجل من ذلك العسكر لم أقبل، فقيل له: [أرأيت لو][(٤)] شهد من هذا العسكر: علي والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر رضي الله عنهم [أجمعين][(٥)]، ومن ذلك العسكر: عائشة وطلحة والزبير [رضي الله عنهم أجمعين][(٦)] هل تقبل شهادتهم؟ فقال: لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم أقبل.

هذا قول شيخ المعتزلة الذي به يفتخرون في أعلام الدين وأعيان الصحابة، وليس العجب من المعتزلة حين بايعوه وافتخروا به وبقوله[(٧)]، بل العجب من الروافض حين افتخروا بقوله، وانتحلوا مذهبه، وهذا قوله في علي وأصحابه[(٨)]، فكيف[(٩)] يوالون علياً وأولاده؟ ويذهبون إلى مذهب هذا

---

(١) في (ك) و (س): (اجتهاد).
(٢) في (س): (خالط).
(٣) سقطت من (ك) و (س).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ك): (ويقول).
(٨) في (ب): (وأولاده).
(٩) في (ك): (وكيف).

الشيخ الضال، الذي يقول في علي وأولاده ما ذكرناه.

الفرقة الثانية: العمرية[١]:

منهم العمرية، وهم أتباع عمرو بن عبيد مولى بني تميم، وكان يوافق واصلاً فيما ذكرنا من بدعته، وزاد عليه بأن[٢] قال: كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل فسقوا، وهم خالدون مخلدون في النار، وهؤلاء لا يقبلون شهادة واحد من فريقي حرب الجمل.

الفرقة الثالثة: الهذلية[٣]:

منهم الهذلية، وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف، وكان من موالي عبد القيس، وله فضائح كثيرة فيما أحدثه من البدع، حتى كفر بتلك البدع جميع الأمة، وكفر أيضاً سائر المعتزلة، وصنف المردار[٤] من المعتزلة كتاباً في تكفير [٣١/أ] أبي الهذيل (وصنف[٥] الجبائي[٦]، ....

---

(١) فرق الشيعة: ص ١٢؛ الفرق بين الفرق: ص ١٠٠؛ الملل والنحل: ٤٨/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٠؛ المواقف: ص ٦٤٢.

(٢) في (ك) و (س): (بأن).

(٣) الفرق بين الفرق: ص ١٠٢؛ الملل والنحل: ٤٩/١.

(٤) هو أبو موسى عيسى بن صبيح البصري، الملقب بالمردار، قال الذهبي: «من كبار المعتزلة، أرباب التصانيف الغزيرة، أخذ عن بشر بن المعتمر وتزهد وتعبد، وتفرد بمسائل ممقوتة، وقال بكفر من قال القرآن قديم، ويكفر من قال: أفعالنا مخلوقة...»، مات سنة ٢٢٦هـ. طبقات المعتزلة: ص ٧٠؛ الفهرست لابن النديم: ص ٢٠٦؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٨/١٠.

(٥) في (ك): (وكذا).

(٦) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، كان بارعاً في علم الكلام والفلسفة، قال الذهبي: «وكان أبو علي - على بدعته - متوسعاً في العلم، سيال الذهن، وهو الذي ذلل الكلام وسهله، ويسر ما صعب منه»، وفاته سنة ٣٠٣هـ. وفيات الأعيان: ٢٦٧/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٨٣/١٤؛ لسان الميزان: ٢٧١/٥.

[والأسكافي[١] من جملة المعتزلة، لكل واحد منهم كتاباً في تكفير أبي الهذيل])[٢] وذكرا في تصنيفهما أن قوله يؤدي إلى قول الدهرية.

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله، حتى إذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء [ولا يقدر إن يقدر عبده على شيء][٣]، قال: وإذا دخل ذلك الوقت، فنى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة، وتفنى قدرة أهل الجنة، حتى لو كان قد مدَّ واحد من أهل الجنة يده إلى شيء من ثمارها [ودخل تلك الحالة، لم يقدر الباري سبحانه[٤] أن يوصل][٥] تلك الثمرة إلى يده، ولا على أن يقدر العبد على أن يوصل يده إليها، وأهل الجنة كلهم يبقون جموداً هموداً[٦] ساكنين، لا يقدرون على حركة، ولا على نطق، وينقطع عذاب أهل النار في ذلك الوقت.

وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة، ويهدم فائدة الوعد والوعيد، ولئن قصد بعض أصحابه أن يستمر[٧] عليه هذه الفضيحة، ويخفي [عليه][٨] هذه البدعة، لم يمكنه لأنه [ذكره][٩] في تصانيف له مثل

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي ثم الأسكافي المتكلم، قال الذهبي: «كان أعجوبة في الذكاء، وسعة المعرفة، مع الدين والتصوف والنزاهة»، وذكر له ابن النديم مصنفات عدة منها: الرد على من أنكر خلق القرآن، وكان يتشيع، مات سنة ٢٤٠هـ. طبقات المعتزلة: ص ٧٨؛ الفهرست لابن النديم: ص ٢١٣؛ سير أعلام النبلاء: ٥٥٠/١٠.

(٢) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك)، وما بين القوسين ( ) سقطت من (س).

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) في (ك): (تعالى).

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (ك) و (س): (هموداً جموداً).

(٧) في (ك): (يستر).

(٨) في (ك): (وكذا).

(٩) سقطت من (ك).

(كتاب الحجج)[١]، وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية، وطرقهم[٢] بهذه المقالة إلى تمهيد إلحاد الدهرية، وطول لسانهم على المسلمين بإرتكاب[٣] هذه البدعة.

ومن فضائحه قوله بطاعة لا يراد بها الله تعالى، وركب على هذه البدعة، فقال: ليس في الدنيا زنديق [٣١/ب] ولا دهري إلا وهو مطيع[٤] لله تعالى في كثير من الأشياء، و[إن][٥]لم يكن له قصد التقرب إلى الله [تعالى][٦] لأنه لا يعرفه[٧].

ومن فضائحه [قوله][٨] بأن علم الباري هو هو، وقدرته هي هو[٩]، ولو كان كما قاله لم يكن عالماً ولا قادراً، ولكن علمه قدرته، وقدرته علمه، وكان لا يتحقق الفرق بينهما إذا كانا يرجعان إلى ذات واحدة.

ومن فضائحه قوله أن كلام الله تعالى [ما هو إلا][١٠] عرض لا في محل، ولو جاز هذا لجاز أن يكون سائر الأعراض لا في محل، ولكن ما [لا][١١] محل له لا يكون متكلماً به، لا هو [ولا غيره][١٢] ولا يمكنه أن يقول إن فاعل الكلام هو المتكلم به؛ لأن [عنده][١٣] كلام أهل الجنة وأهل

---

(١) ذكر له ابن النديم أكثر من كتاب ولكن بعنوان (كتاب الحجة) و(الحجة على الملحدين). الفهرست: ص ٢٠٣.
(٢) في (ك): (وطرقها).
(٣) في (ك) و (س): (بارتكابهم).
(٤) في (ك) (س): (قطب).
(٥) سقطت من (ب).
(٦) في (ك): (عز وجل).
(٧) في (ك): (يعذبه).
(٨) زيادة من (س).
(٩) في (س): (هي هي).
(١٠) زيادة من (ك).
(١١) زيادة من (ك).
(١٢) زيادة من (ك).
(١٣) زيادة من (ب).

النار وجميع أفعالهم ضرورية في الآخرة[١]، فلا يمكنه أن يقول أنه متكلم بكلامه[٢]، وله من الفضائح ما لا يحتمل هذا المختصر بيانه.

الفرقة الرابعة: النظامية[٣]:

منهم[٤] النظامية أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار، الذي كان يلقب بالنظام، والمعتزلة يقولون إنما سمي نظاماً؛ لأنه كان حسن الكلام في النظم والنثر، وليس كذلك بل[٥] سُمي به؛ لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها، وكان في حداثة سنة يصحب الثنوية[٦] والسمنية[٧]، الذين يقولون بتكافؤ الأدلة، وفي حال كهولته[٨] كان يصحب ملحدة الفلاسفة، وكان قد أخذ منهم قولهم بأن أجزاء الجزء لا تتناهى، ولا يزال يمكن أن يفصل من الخردلة الواحدة شيئاً بعد شيء [ولا يتناهى ذلك][٩] إلى جزء واحد لا جزء له، ولزمه على هذا [القول] بقدم[١٠] العالم، وهذا ركوب منه [لما لا يقبله عقول العقلاء] أصلاً[١١]، إذ لو كان يمكن أن يفصل من الخردلة [٣٢/أ]

---

(١) في (ك): (مخلوقة له تعالى في الآخرة).

(٢) في (ك): (بكلامهم).

(٣) مقالات الإسلاميين: ص ٦١؛ الفصل في الملل: ١٤٧/٤؛ الفرق بين الفرق: ص ١١٣؛ الملل والنحل: ٥٣/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤١.

(٤) في (ك): (وفيهم).

(٥) في (ك) و (س): (وإنما).

(٦) هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، وقالوا أيضاً بتساوي الظلام والنور في القدم، واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. الملل والنحل: ٢٤٤/١.

(٧) قال البغدادي: ومن أصناف الكفرة قبل الإسلام: السمنية القائلون بقدم العالم، مع إنكارهم للنظر والاستدلال، ودعواهم أنه لا يعلم شيء إلا من طرق الحواس الخمس. الفرق بين الفرق: ص ٣٤٦.

(٨) في (ك): (كهوليته).

(٩) في (ك): (ما لا ينتهي) وفي (س): (ولا ينتهي).

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب)، وفي (ك): (قدم).

(١١) في (ك) و (س): (ما لا يقبله عقل)، و(أصلاً) زيادة من (ك).

من الأجزاء ما لا يتناهى، لكان [ذلك][١] ممكناً ذلك في الجبل العظيم، بطل الفرق بينهما، ولا يمكن[٢] أن يعتذر عنه بأن الأجزاء المفصولة من الجبل، تكون أعظم من المفصولة من الخردلة؛ لأن الخردلة إذا كان يمكن أن يفصل عنها ما لا يتناهى، فلا يزال يفصل منها ويجمع حتى يتركب ويتراكم، ويصير مثل الجبل وأضعافه.

وكلّمه أبو الهذيل في هذه المسألة، فقال: لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له، لكانت النملة إذا دبت على النعل[٣] لا تنتهي إلى طرفه[٤]، فقال: إنها تطفر بعضاً وتقطع بعضاً، وهذا منه كلام لا يقبله عقول العقلاء؛ لأن ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفر[٥]، فصار قوله [في][٦] هذا مثلاً سائراً يضرب لكل من تكلم بكلام لا حقيقة[٧] له، ولا يتقرر في العقل معناه.

ومن فضائحه قوله: يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد؛ لأنه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان قد بخل عليه، وركّب على هذا فقال: كل ما فعله الله [تعالى][٨] بالكفار فهو صلاحهم، ولم يكن في مقدوره أصلح مما فعل.

وقد بينا نحن أن الوجوب على الله تعالى محال، وكل عاقل يعلم أن الكافر لا صلاح له في كفره، ولا ما يحل به من تبعات فعله،

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب)، وفي (ك) و (س): (كان).
(٢) في (ك) و (س): (يمكنه).
(٣) في (ك) و (س): (البقلة).
(٤) في (ك) و (س): (طرفها).
(٥) في (ك): (بالطفرة). والطفرة عند النظام: وهي زعمه أنه يجوز أن يكون الجسم الواحد في مكان، ثم يصير إلى المكان الثالث ولم يمر بالثاني على جهة الطفرة. مقالات الإسلاميين: ص٣٢١؛ الفصل: ٤١/٥؛ منهاج السنة النبوية: ٥٣١/٢.
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ك) و (س): (تحقيق).
(٨) زيادة من (ب).

على [أن][١] هذا يجب أن يكون حجة الله منقطعة، حتى لا يكون له على عبيده حجة، ويصور ذلك في ثلاثة ولدوا دفعة واحدة بطناً واحداً، فأمات الله أحدهم في حال الطفولية، وبلغ منهم اثنان فكفر أحدهما وآمن الآخر[٢]، فيدخل الله يوم القيامة في الجنة من مات [٣٢/ب] في حال الطفولية، ولا يبلغه منها الدرجة العظيمة، ويدخل الذي آمن الجنة ويعطيه الدرجة العظيمة، ويدخل الذي كفر النار، فيقول الطفل الذي مات في صغره: لِمَ لم تبلغني درجة الذي آمن بعد البلوغ؟ فيقول له: لأنه آمن وأنت لم تؤمن، فيقول [له][٣] الذي مات طفلاً: هلّا بلغتني حال البلوغ حتى كنت أؤمن بك، كما آمن هو، فيقول الله تعالى له: لم أبلغك حال البلوغ؛ لأني علمت أنك لو بقيت لكفرت، فاخترمتك قبل البلوغ؛ لأن صلاحك كان فيه حتى سلمت من النار، فإذا سمع الذي في النار هذا الكلام يقول: فلِمَ لم تخترمني قبل البلوغ حتى كنت أسلم من النار، وكان يكون فيه صلاحي، ونعوذ[٤] بالله من مذهب يؤدي إلى مثل هذه الرذيلة.

ومن فضائحه قوله: في القرآن [أنه][٥] لا معجزة في نظمه، وكان ينكر سائر المعجزات، مثل انشقاق القمر، وإن كان قد نطق به القرآن [في][٦] قوله [تعالى][٧]: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١][٨]،

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ك): (آخر).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ك): (فنعوذ).
(٥) زيادة من (ك).
(٦) زيادة من (ك) و (س).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه حدثهم: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين للنبي ﷺ أن يريهم انشقاق القمر: رقم ٣٤٣٨، وأخرجه مسلم أيضاً، كتاب صفة القيامة، باب انشقاق القمر، رقم: ٢٨٠٨.

وكذلك كان ينكر تسبيح الحصى في يده[١]، ونبوع الماء من بين أصابعه[٢].

وكان في الباطن يميل إلى مذهب البراهمة[٣]، الذين ينكرون جميع الأنبياء، فتكلم بهذين المذهبين اللذين يبطل أحدهما حدث العالم، والآخر يبطل ثبوت النبوة، وكان لا يقدر على إظهار ما كان يضمره من الإلحاد، وكان لا يعجبه أن يقبل كلف العبادات، وكان يقول إن الإجماع ليس بحجة، والخبر المتواتر ليس بحجة، وكان يرد على الصحابة جميع ما تكلموا فيه واتفقوا عليه [٣٣/أ] وكان سيرته الفسق والفجور، فلا جرم كان عاقبته أنه مات سكران، وكان قد قال صفة حاله:

ما زلتُ آخُذُ رُوحَ الزِّق في[٤] لطفٍ ... وأستبيح دماً مِنْ غَيْرِ مَذْبُوحِ
حتى انتَشَيْتُ وَليّ رُوحانِ في بَدَنٍ ... والزِّقُّ مُطَّرَحٌ جِسْمٌ بلا روحِ[٥]

وكان آخر كلامه وما ختم به عمره، أنه كان يده في القدح، وهو على علية فأنشأ يقول:

اشرب على طرب وقل لمهدد ... هون عليك يكون ما هو كائن

---

(١) حديث تسبيح الحصا بين يدي النبيّ ﷺ، أخرجه البزار من حديث أبي ذر، وفي إسناده مقال. ينظر مسند البزار: ٤٣١/٩؛ مجمع الزوائد: ٢٩٩/٨.

(٢) أخرج البخاري عن أنس أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الضوء فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، حتى توضؤوا من عند آخرهم». كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة: رقم ١٦٧؛ مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبيّ ﷺ: رقم ٢٢٧٩.

(٣) وينسبون إلى برهم، من رجال الهند، وكانوا ينكرون النبوات، وقالوا: لا يتعبد الخالق إلا بما دلت عليه عقولهم. الفصل: ٦٣/١؛ الملل والنحل: ٢٥٠/٢.

(٤) في (س): (من). قال ابن منظور: «الزق: الذي يُسوَّى سقاء أو وطباً أو حميتاً». لسان العرب: ١٤٣/١٠.

(٥) الفرق بين الفرق: ص ١٣٦.

فلما تكلم بهذا الكلام سقط من تلك العلية، ومات بإذن الله [تعالى][(١)].

وفرق الإسلام كلهم يكفرونه [وأسلاف المعتزلة أيضاً يكفرونه][(٢)] وكفره أبو الهذيل في كتاب **(الأعراض)**، وصنف الإسكافي منهم كتاباً في تكفيره، وصنّف جعفر بن حرب[(٣)] أيضاً في تكفيره [كتاباً][(٤)]، فمن وقف من حاله على هذا المقدار[(٥)] الذي وصفناه، استغنى به عن ذكر سائر فضائحه، ونسأل الله تعالى العصمة من كل بدعة.

الفرقة الخامسة: الأسوارية[(٦)]:

منهم الأسوارية، وهم أتباع على الأسواري[(٧)]، وكان من أتباع النظام، موافقاً له في جميع ما ذكرناه من فضائحه وضلالاته، وزاد عليه بأن قال: إن ما علم الله تعالى أن لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى، وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله تعالى متناهية، ومن كانت[(٨)] قدرته متناهية كان ذاته متناهية، والقول به كفر من قائله.

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) سقطت من (س).

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد، قال الذهبي: «كان من نساك القوم، وله تصانيف» ذكر له ابن النديم: (متشابه القرآن) و (الرد على أصحاب الطبائع) و (كتاب الأصول)، وفاته سنة ٢٣٦هـ. طبقات المعتزلة: ص ٧٣؛ الفهرست: ص ٢١٣؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٩/١٠.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ك) و (س): (القدر).

(٦) الفصل في الملل: ١٣٩/٢؛ الملل والنحل: ٣٠/١؛ المواقف: ص ٦٥٤.

(٧) هو علي بن فائد الأسواري (بفتح الهمزة: بطن من تميم) البصري، قال الدارقطني: متروك، وقال ابن المديني: ضعيف عندنا يقول بالقدر، وقال إذنة: يذهب إلى القدر والاعتزال، ولا يقيم الحديث، وله مع عمرو بن عبيد مناظرات، مات في حدود ٢٠٠هـ. لسان الميزان: ٣٧٤/٤؛ الأعلام: ٨٣/٥.

(٨) في (ك) و (س): (كان).

الفرقة السادسة: المعمرية[١]:

منهم المعمرية أتباع معمر بن عباد[٢]، وكان رأساً من رؤوس الضلال والإلحاد، وكان يقول: إنَّ الله تعالى لم يخلق من الأعراض من لون أو كون أو طعم أو رائحة [٣٣/ب] أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وأنه لم يخلق شيئاً من صفات الأجسام، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، وخلاف قوله [تعالى][٣] في صفة نفسه: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد: ٢][٤] [ومن لا يخلق الموت والحياة كيف يحيي ويميت][٥]، وكان يقول هذا الملحد: إنَّ الله تعالى خلق الأجسام [والأجسام][٦] تفعل[٧] الأعراض بطبائعها، فقوله يوجب أن لا يكون لله تعالى كلام [ولا أمر][٨] ولا نهي؛ لأنه لا يقول كلام الله تعالى أزلي، كما يقوله أهل السنة، ولا يقول إنه مخلوق لله تعالى؛ لأن [معتقده لم يخلق الله تعالى إلا][٩] الأجسام، وأنه لا[١٠] يخلق ما ليس بجسم.

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ١١؛ الملل والنحل: ٦٥/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٢؛ المواقف: ص ٦٥٦.

(٢) هو معمر بن عباد السلمي البصري، من غلاة أهل القدر، وانفرد بمسائل منها أن الإنسان يدبر الجسد وليس بحال فيه، وكان يقول: إن الأعراض من اختراعات الأجسام، إما بالطبع وإما بالاختيار، وفاته سنة ٢١٥هـ. لسان الميزان: ٧١/٦؛ اللباب: ١٦١/٣.

(٣) زيادة من (ك).

(٤) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(٥) سقطت من (ك) و (س).

(٦) سقطت من (ك).

(٧) في (ك): (بفعل).

(٨) زيادة من (ب).

(٩) في (ك) و (س): (لأن عنده أنه لم يخلق الأجسام).

(١٠) في (ك) و (س): (لم).

ومن بدعه أنه كان يقول: ليس الإنسان [هذه][١] الصورة التي شاهدناها، وإنما هو شيء في هذه الصورة عالم قادر مختار يدبر البدن[٢]، لا متحرك ولا ساكن ولا متلون ولا مرئي ولا مدرك بالذوق والشم، ولا بشيء من الحواس، وأنه [ليس][٣] في مكان دون مكان، ولم يرد بهذا[٤] إلا [أن][٥] من يصف الإنسان بصفات خالقه، وأن[٦] لا يطلق عليه ما لا يطلقه على خالقه، ويلزم على هذا القول أن لا يكون في الدنيا من رأى إنساناً قط، وهذا يوجب أن يقال إن الصحابة لم يروا رسول الله ﷺ، وان أحداً لم يرَ نفسه[٧]، ولا أباه ولا أمه، ولا رآه غيره، ومن كانت[٨] هذه مقالته لم يكن معدوداً في جملة العقلاء.

وأعجب من ذهابه إلى هذه المذاهب الفاحشة، افتخار الكعبي[٩] [به][١٠] في كتابه، وإثباته إياه في مشايخ المعتزلة، ومثله لا يفتخر إلا بمثله، وكل طير يقع مع شكله، وقد وهبناه له ولأمثاله كما قال الشاعر [٣٤/أ]:

هل مشترٍ والسعيدُ بائعُهُ هل بائعٌ والسعيدُ مَنْ وهُبا[١١]

---

(١) زيادة من (س).
(٢) في (ك) و (س): (التدبير).
(٣) زيادة من (ك).
(٤) في (ك) و (س): (يذكر هذا).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (ك): (ومن).
(٧) في (س): ().
(٨) في (ك): (كان).
(٩) هو أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي، شيخ من شيوخ المعتزلة، وإليه تنسب فرقة الكعبية، وفاته سنة ٣٢٧هـ. وفيات الأعيان: ٤٥/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٥/١٥.
(١٠) زيادة من (ك).
(١١) البيت ينسب لابن الرومي، ديوانه: ٢٠٦/١. ولكن ورد بألفاظ مختلفة:
هل مشتر والسعيدُ بائِعُهُ هل قابلٌ والسعيد من يهبُهْ

الفرقة السابعة: البشرية[1]:

منهم البشرية، وهم أتباع بشر بن المعتمر[2]، ومن فضائحه قوله في باب التولد[3]: إنَّ الإنسان يخلق اللون والطعم والرائحة والسمع والبصر، وجميع الإدراكات على سبيل التولد، وكذلك يخلق الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وهو في هذا القول مخالف لإجماع المسلمين؛ لأن أهل السنَّة لا يقولون بالتولد أصلاً، والمعتزلة الذين يقولون بالتولد لا يفرطون فيه، ولا يقولون بالتولد إلا في الحركات والاعتمادات، فهذه له بدعة زائدة على بدعهم.

ومن ضلاله قوله: إنَّ حركة الجسم [توجد في الجسم][4] في المكان الأول [ولا][5] في مكان ثانٍ ولا واسطة بينهما، وإذا لم يكن بين المكانين واسطة، لم يكن هذا الكلام الذي يقول[6] معقولاً، ولم يكن له حقيقة بحال.

ومن ضلالته قوله: إنَّ الله [تعالى][7] إذا غفر ذنوب عبد من عباده، ثم رجع العبد إلى ذنب عذبه على هذا الذنب الثاني، وعلى ما تقدم من ذنوبه التي غفرها له، فقيل[8] له: فما تقول في كافر تاب عن كفره، ثم شرب

---

(١) الفرق بين الفرق: ص ١٤١؛ الملل والنحل: ص ٦٤؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٢.

(٢) هو أبو سهل بشر بن المعتمر الكوفي ثم البغدادي، شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف، قال الذهبي: «كان أخبارياً شاعراً متكلماً.. وكان أبرص ذكياً فطناً، لم يؤتِ الهدى، وكان يقع في أبي الهذيل العلاف، وينسبه إلى النفاق»، مات سنة ٢٢٠هـ. الفهرست: ص ١٨٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢٠٣/١٠؛ لسان الميزان: ٨٣/٢.

(٣) التولد: هو أن يصير الحيوان بلا أب وأم. التعريفات: ص ٩٨.

(٤) زيادة من (س).

(٥) سقطت من (ك).

(٦) زيادفي (س): (يقوله).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) في (ك): (قيل).

الخمر، ثم مات[١] قبل أن يتوب من شرب الخمر؟ فقال: يعاقب على شرب الخمر، وعلى كفره الذي كان من قبل، فقيل له: أتوجب أن يكون من شرب الخمر من المسلمين، يناله في العاقبة ما ينال الكفار من العقوبة؟ قال: هكذا أقول[٢]، وهذا منه قولٌ بخلاف إجماع المسلمين؛ لأن المعتزلة ـ وإن قالوا بمنـزلة بين المنـزلتين وإن الفاسق مخلد[٣] في النار ـ فإنهم لا يقولون: إنه يعاقب [٣٤/ب] في النار على ما تاب منه من الذنوب والأفعال.

الفرقة الثامنة: الهشامية[٤]:

منهم الهشامية أتباع هشام بن عمرو الفوطي[٥]، وكان من جملة القدرية، وزاد عليهم في بدع كثيرة، منها قوله: إنَّه لا يجوز لواحد من المسلمين أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل[٦]، فخرق بهذا القول إجماع المسلمين، وزعم أنه لا يجوز أن يسمى وكيلاً، خلاف قوله تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمّل: ٩][٧]، وخلاف قول النبيّ ﷺ فيما ذكره من أسمائه سبحانه فإنه عدَّ منها الوكيل، وهذا شيء وقع لهذا الجاهل؛ لشدة غباوته وجهله بمواقع اللغة، فإن الوكيل في اللغة [يكون بمعنى][٨] الكافي، ويكون بمعنى[٩] الحفيظ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ

---

(١) في (ك) و (س): (يموت).

(٢) في (ك) و (س): (هذا قول).

(٣) في (ك) و (س): (يخلد).

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ١٥٨؛ الفصل في الملل: ٣/٣٢؛ الفرق بين الفرق: ص ١٤٥؛ الملل والنحل: ١/٧٢؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٣.

(٥) هو أبو محمد هشام بن عمرو الفوطي الكوفي مولى بني شيبان، من رؤوس المعتزلة، قال عنه الذهبي: «صاحب ذكاء وجدال وبدعة ووبال»، أخذ عنه عباد بن سليمان وغيره، وفاته في حدود سنة ١٦٠هـ. طبقات المعتزلة: ص ٦١؛ الفهرست: ٢١٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٤٧.

(٦) وفسر الفوطي هذه العبارة بـ: (نعم الوكيل، أي المتوكل عليه).

(٧) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

(٨) في (ك) و (س): (بمنزلة).

(٩) في (ك) و (س): (بمنزلة).

عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦]، أي[1]: حفيظ.

ومن بدعه قوله: إنَّ الله تعالى لم يؤلف بين قلوب المؤمنين، ولم يضل الكافرين، وقد[2] قال [الله][3] تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقال [تعالى][4]: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

واعلم أن عباد بن سليمان[5] كان من أصحابه، وزاد عليه بدعة، فقال: ما خلق الله [سبحانه][6] وتعالى كافراً قط؛ قال لأن الكافر يشتمل على ذاته وكفره، وقال[7]: والله [تعالى][8] لا يخلق الكفر عندي، وقياس قوله يوجب أن لا يكون خالقاً لمؤمن؛ لأن إيمان المؤمن لا يكون مخلوقاً عنده [للباري تعالى][9]، وقال أيضاً: [إنَّ[10] الأعراض لا تدل على شيء، وركب عليه فقال: إن][11] انشقاق القمر، وفلق البحر، وقلب العصا حية،

---

(١) في (ك) و (س): (أو).

(٢) في (ك) و (س): (فقد).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ك) و (س)، وقد جاءت الآية في (ب) و (س): ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(٥) هو أبو سهل عباد بن سليمان الضمري (وفي الفهرست: سلمان) البصري المعتزلي من أصحاب هشام الفوطي، كان يخالف المعتزلة في أشياء اخترعها لنفسه، وكان الجبائي يصفه بالحذق في الكلام ويقول: لولا جنونه، وله من الكتب: (إنكار أن يخلق الناس أفعالهم) و (إثبات الجزء الذي لا يتجزأ)، لم أقف على وفاته. طبقات المعتزلة: ص ٧٧؛ الفهرست: ٢١٥؛ سير أعلام النبلاء: ٥٥١/١٠.

(٦) سقطت من (ب).

(٧) في (ك) و (س): (قال).

(٨) زيادة من (ب).

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) في (ك): (لأن).

(١١) سقطت من (س).

لا يدل على شيء من معجزاتهم[١].

ومن فضائح الفوطي وبدعه [٣٥/أ] قوله: إنَّ الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن، وإن كل من قال: إنهما مخلوقتان الآن فهو كافر، وهذا القول منه زيادة [منه][٢] على ضلالة المعتزلة؛ لأن المعتزلة لا يكفرون من قال بوجودهما ـ وإن كانوا ينكرون وجودهما الآن ـ وكل من أنكر كون النار مخلوقة، يقال له يوم القيامة ما أخبر الله [تعالى][٣] عنه[٤]، وهو قوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: ٢٩].

ومن جهالاته قوله: إنَّ الجنة لا يكون فيها افتضاض[٥]، إذ لا يكون هناك ألم، ولم يعرف هذا الأحمق: إنَّ القادر على أن يخلق الجنة ونعيمها، وأن يزينها بالحور العين، قادرٌ على أن يحفظهم من الألم عند الملاقاة، وكان هذا المدبر يجوز قتل مخالفيه غيلة[٦]، ومن جوز هذا في المسلمين لم يتحاش المسلمون عن تجويزه فيه وفي أتباعه.

الفرقة التاسعة: المردارية[٧]:

هم المردارية، أتباع أبي موسى المردار، وكان من رهبان[٨] المعتزلة يشتغل بالرهبنة[٩]، كما كان يشتغل به رهبانية[١٠] النصارى، وكان في

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ١٥٨؛ الفرق بين الفرق: ص ١٤٧؛ الفصل في الملل: ٧٩/٣.
(٢) سقطت من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ك).
(٥) في (س): (اقتصاص).
(٦) في (ك) و (س): (حيلة).
(٧) مقالات الإسلاميين؛ الفرق بين الفرق: ص ١٥١؛ الملل والنحل: ٦٨/١؛ المواقف: ص ٦٦٤.
(٨) في (ك): (يقال له راهب).
(٩) في (ك): (بالترهب).
(١٠) في (ك): (رهبان).

الحقيقة مرداراً حقق[١] الله فيه حقيقة لقبه، كما قال الشاعر:

وقل ما أبصرت عيناك من رجل   إلا ومعناه إن فكرت في لقبه[٢]

وكان من أنواع ما ارتكبه من كفره قوله: إنَّ الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وبما هو أفصح منه، وكان يقول: إنَّ كلَّ من جالس السلاطين فهو كافرٌ، لا يرث المسلمين ولا يرثه المسلمون، والباقون من المعتزلة كانوا يقولون: إنَّ من جالس السلطان، فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر [٣٥/ب] خالدٌ مخلدٌ في النار، وهذا خلاف قول المسلمين قبلهم، وخلاف أصول أهل السنة.

وكان يقول: إنَّ الله قادر على أن يظلم ويكذب، ولو ظلم وكذب كان إلهاً ظالماً كاذباً، وهذا القول لا يليق إلا بدينه الرقيق الذي ليس به تحقيق، وكان يقول: كل من قال بجواز رؤية الباري سبحانه فهو كافرٌ، ومن شك في كفره فهو كافر [ومن شك في كفر من شك في كفره، فهو كافر][٣] لا إلى غاية، وكل من أطلق مثل هذه المقالة، فهو مخذولٌ لا شك في كفره.

الفرقة العاشرة: الجعفرية[٤]:

منهم الجعفرية، وهم أتباع جعفر بن مبشر[٥]، وجعفر بن حرب، وهما كانا أصلين في الجهالة والضلالة، كان جعفر بن مبشر يقول: فساق هذه الأمة شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة، مع قوله بأنهم

---

(١) في (ك): (أحق).

(٢) لم أقف على تصريح لقائله، ولكن أورده المرزباني ونسبه لبعض أصحاب ثعلب في نور القبس: ص ١٢١.

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (ب).

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ٢٧٣؛ الفرق بين الفرق: ص ١٥٣؛ الملل والنحل: ٣١/١.

(٥) هو أبو محمد جعفر بن مبشر الثقفي البغدادي، قال عنه الذهبي: «كان مع بدعته، يوصف بالزهد وتأله وعفة، وله تصانيف جمة، وتبحر في العلوم»، ذكر له ابن النديم كتب عديدة، وفاته سنة ٢٤٣هـ. طبقات المعتزلة: ص ٧٦؛ الفهرست: ص ٢٠٨؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٩/١٠.

موحدون وبالمنزلة[١] بين المنزلتين، لا كافر ولا مؤمن[٢]، وكيف يعقل قول القائل أن الموحد شرٌّ من المشرك، ومن كان هذا قوله كان حقيقاً بأن يقال أنه[٣] شرٌّ من جميع الكفرة.

وكان يقول في الفروع: إن رجلاً لو كان يخطب امرأة واجتمعا للعقد بينهما، فوثب عليها وأطاعته فألَمَّ بها، أن المرأة لا حدَّ عليها، والرجل يجب عليه الحد، وقوله في المرأة خلاف إجماع المسلمين.

وكان جعفر بن حرب على ضلالة أستاذه المردار، وزاد عليه بأن قال: إن بعضاً من الجملة يكون غير الجملة، وهذا يوجب أن تكون الجملة غير نفسها؛ لأن كل بعض منها عنده غيره[٤]، وكان يقول: [٣٦/أ] إن الممنوع من الفعل قادر على الفعل، ولكنه لا يتمكن من الفعل، ولو جاز مثل هذا لجاز أن يقال: إن العالم بالشيء عالم به، ولكنه لا يعرف شيئاً، وهذا متناقض في نفسه.

الفرقة الحادية عشرة: الإسكافية[٥]:

منهم الإسكافية، وهم أتباع محمد بن عبد الله الأسكافي، الذي اقتدى في ضلالة القدرية بجعفر بن حرب، وكان أستاذه ثم زاد عليه، فقال: إنَّ الله تعالى قادرٌ على ظلم الأطفال والمجانين، وليس بقادر على ظلم العقلاء البالغين، ومن خرافاته أنه يقول: إنَّ الله تعالى كلم عبيده[٦]، ولا يجوز أن يقال [إنه] متكلم، فكيف يجوز أن يكون مكلماً، ولم[٧] يجوز أن

---

(١) في (ك): (في منزلة).
(٢) في (ك) و (س): (لا مؤمن ولا كافر).
(٣) في (ك): (بأن).
(٤) في (ك): (غيرها).
(٥) الفرق بين الفرق: ص ١٥٥؛ الفصل في الملل: ٣٤/٣؛ الملل والنحل: ٣١/١.
(٦) في (ك): (عبده).
(٧) في (ك) و (س): (ولا).

يكون متكلماً، فإن منعه لأجل وزنه[١]، لزمه أن يمنع كونه متكلماً[٢]، وقد ورد به القرآن والسنة.

الفرقة الثانية عشرة: الثمامية[٣]:

منهم الثمامية، أتباع أبي معن ثمامة بن أشرس النميري[٤]، وكان من مواليهم لا من نسبهم، وكان زعيم القدرية في أيام المأمون والمعتصم[٥] والواثق[٦]، وزاد على أسلافه من ملاعين المعتزلة بشيئين[٧]:

إحداهما: قوله بأن المعارف ضرورية، كما تقوله الجاحظية، وكان يقول: إن من لم يعرف الله [سبحانه وتعالى][٨] ضرورة، ليس عليه أمر ولا نهي، وإن الله [تعالى][٩] خلقه للسخرة والاعتبار، لا للتكليف

---

(١) في (ك): (رواية) وفي (س): (روية).
(٢) في (ك) و (س): (منكراً).
(٣) مقالات الإسلاميين: ص ٤٠٧؛ الفرق بين الفرق: ص ١٥٧؛ الفصل في الملل: ١٤٩/٤؛ الملل والنحل: ٧٠/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٢.
(٤) البصري المتكلم، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، قال ابن حزم: ذكر عنه أنه كان يقول: العالم هو بطباعه فعل الله، وفاته سنة ٢١٣هـ. تاريخ بغداد: ١٤٥/٧؛ طبقات المعتزلة: ص ٦٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢٠٣/١٠.
(٥) هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد بن هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، الخليفة، ولد سنة ١٨٠هـ، وبويع له بالخلافة في سنة ٢١٨هـ، امتحن الناس في عهده بخلق القرآن، قال الخطيب: لما كثر عسكر المعتصم، وضاقت عليهم بغداد، بنى مدينة سر من رأى، وتحول إليها، وفاته سنة ٢٢٧هـ. تاريخ بغداد: ٣٤٢/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٢٩٠/١٠؛ البداية والنهاية: ٢٩٥/١٠.
(٦) هو أبو جعفر هارون بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي، الخليفة ولي الخلافة بعد أبيه سنة ٢٢٧هـ، قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي داود على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء لخلق القرآن، وفاته سنة ٢٣٢هـ. تاريخ بغداد: ١٥/١٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣٠٦/١٠؛ تاريخ الخلفاء: ص ٣٦٧.
(٧) في (ك) و (س): (شيئين).
(٨) سقطت من (ب).
(٩) زيادة من (ب).

[والاختيار][١] [كما خلق البهائم لذلك، ثم ركب على هذا فقال: عوام الدهرية والزنادقة في الآخرة لا يكونون][٢] في جنة ولا نار، وأن الله يجعلهم في الآخرة تراباً، وكذلك كان يقول فيمن مات في حال الطفولية.

وبدعته الثانية أنه كان يقول: إن الأفعال المتولدة [٣٦/ب] لا فاعل لها، وهذا يؤدي إلى القول بنفي الصانع، إذ لو جاز أن يكون فعل بلا فاعل، لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل، كما لو جاز أن تكون كتابة بلا كاتب، جاز أن تكون كل كتبه[٣] بلا كاتب.

وكان يقول: إن دار الإسلام دار شرك؛ لغلبة من يخالفه في بدعته في دار الإسلام.

وكان يقول: لا يجوز سبي النساء من دار الكفر، وإن من سبى امرأة ثم ألم بها فهو زانٍ، وإن ولده ولد الزنا، هذا منه إقرار بأنه من ولد الزنا؛ لأنه كان من أولاد السبايا.

واعلم أن هذا المبتدع كان يظهر البدعة، وكان في الحقيقة ملحداً، ولكنه كان يستر إلحاده بما كان يظهر من موافقة أهل البدع، ثم كان يتغلب إلحاده الشيء بعد الشيء في الأحايين، كما ذكره عبدالله بن مسلم بن قتيبة[٤] في كتاب (**مختلف الحديث**): أن ثمامة رأى يوماً الناس[٥] يسارعون إلى صلاة الجمعة، مخافة أن تفوتهم الصلاة، فأقبل على عبدٍ كان معه، وقال: انظر إلى هؤلاء الحُمر[٦]، ماذا فعل بهم ذلك العربي، وكان يريد

---

(١) زيادة من (س).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) في (ك): (كتابة).

(٤) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من علماء الحديث والآثار، قال عنه الخطيب: كان ثقة ديناً صالحاً، وقال الذهبي: نزل بغداد، وجمع وصنف، وبعد صيته، وفاته سنة ٢٧٦. تاريخ بغداد: ١٠/١٧٠؛ وفيات الأعيان: ٣/٤٢؛ سير أعلام النبلاء: ١٣/٢٩٦.

(٥) في (ك) و (س): (ناساً).

(٦) في (ك) و (س): (الحمير).

[به][(١)] النبيّ ﷺ[(٢)].

وذكر الجاحظ في كتاب (المضاحك): أن المأمون الخليفة كان قد ركب يوماً، فرأى ثمامة (وهو سكران قد وقع في الوحل، فقال له: [أنت ثمامة؟][(٣)]، فقال [ثمامة][(٤)]: أي والله، فقال له: ألا تستحي؟)[(٥)]، فقال: لا والله، فقال: عليك لعنة الله، فقال: تترى ثم تترى.

وأورد الجاحظ في كتابه من نوادر إلحاده، أن غلام ثمامة قال له [يوماً][(٦)]: قم فصل، فتغافل عنه، فقال له [الغلام][(٧)] ثانياً: قم فصل وتخلص[(٨)]، فقال [له][(٩)]: أما أنا فقد تخلصت إن [كنت][(١٠)] تدعني[(١١)] أنت [٣٧/أ].

وكان من شدة عداوته لأهل السنة؛ أنه أغرى الواثق بأحمد بن نصر[(١٢)] المروزي السني الخزاعي؛ لأجل أنه كان يطعن على القدرية، ووافقه ابن الزيات[(١٣)]، ....

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) تأويل مختلف الحديث: ص ٤٩.
(٣) زيادة من (ك).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) ما بين القوسين ( ) سقطت من (س).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) في (ك): (فتخلص).
(٩) زيادة من (ب).
(١٠) زيادة من (س).
(١١) في (ك): (تركتني).
(١٢) في (ب) و (س): (عامر). وهو أبو عبدالله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي المروزي البغدادي، سمع من: مالك وحماد بن زيد وابن عيينة، وكان قوّالاً للحق، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قال ابن الجنيد، سمعت يحيى بن معين يترحم عليه، وقال: ختم له بالشهادة، قد كتبت عنه، قتله الواثق سنة ٢٣١هـ. تاريخ بغداد: ١٧٣/٥؛ سير أعلام النبلاء: ١٦٦/١١؛ البداية والنهاية: ٣٠٣/١٠.
(١٣) هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن الزيات، وزر للمعتصم والواثق، وكان=

وابن أبي داود[(١)]، لما قتله ندم على قتله وعاتبهم على ذلك، فقال ابن الزيات ـ تطيباً لقلب الواثق ـ: إن لم يكن قتله صواباً، فقتلني الله بين الماء والنار، وقال ابن أبي داود: حبسني الله في جلدي، إن لم يكن قتله صواباً، وقال ثمامة: سلط الله علي السيوف، إن لم يكن قتله صواباً.

فاستجاب الله دعواتهم [فيهم][(٢)]، فأما ابن الزيات فإنه لما دخل الحمام، خسف به الأرض ووقع في الأتون، وهلك فيه بين الماء والنار، [وأما ابن أبي داود، فضربه[(٣)] الفالج، فصار[(٤)] في جلده حبوساً إلى أن مات][(٥)]، وأما ثمامة فرآه بنو خزاعة بمكة، فتبادروا[(٦)]: هذا الذي سعى في دم عالمنا أحمد بن نصر[(٧)]، ثم أحاطوا به وتبادروا بالسيف فقتلوه، ثم أخرجوا جيفته من الحرم حتى أكلته السباع، هذه كانت عاقبته في الدنيا، وسيناله شؤم بدعته في الآخرة كما يستحقه.

الفرقة الثالثة عشرة: الجاحظية[(٨)]:

منهم الجاحظية، وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ، فقد اغتر أصحابه

= يقول بخلق القرآن، وكان معادياً لابن أبي داود، فأغرى الأخير المتوكل، حتى صادر ابن الزيات وعذبه، فسجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسال، وفاته سنة ٢٣٣هـ. تاريخ بغداد: ٢٤٢/٢؛ وفيات الأعيان: ١٨٢/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٧٢/١١.

(١) هو أبو عبدالله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، قال عنه الذهبي: «الجهمي، عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب»، وكان يحرض الخليفة على الإمام أحمد ويقول له: يا أمير المؤمنين اقتله، هو ضال مضل، مات سنة ٢٤٠هـ. تاريخ بغداد: ١٤١/٤؛ وفيات الأعيان: ٨١/١؛ سير أعلام النبلاء: ١٦٩/١١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ك): (فأصابه).

(٤) في (ك): (فبقي).

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (ك) و (س): (وقالوا).

(٧) في (ب): (عاصم).

(٨) مقالات الإسلاميين: ص ٣٤١؛ الفرق بين الفرق: ص ١٦٠؛ الفصل في الملل: ١٤٨/٤؛ الملل والنحل: ٧٥/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٣.

بحسن بيانه[١] في تصانيفه، ولو عرفوا ضلالته، وما أحدثه في الدين من بدعه وجهالاته، لكانوا يستغفرون عن مدحه ويستنكفون عن الانتساب إلى مثله.

فمن جهالاته المعروفة قوله: إن المعارف كلها طباع، وإن كل من عرف شيئاً، فسيعرفه[٢] بطبعه لا بأن يتعلمه، ولا [٣٧/ب] بأن يخلق الله تعالى له علماً به.

ومن جهالاته قوله: إنَّ العباد لا يفعلون إلا الإرادة فقط، لا فعل لهم سواها.

ومن بدعه قوله: لا يبلغ أحد من الناس إلا وهو عالم بالله تعالى.

وهذا يوجب أن يكون جميع المنكرين لله تعالى عارفين به، وهذا خلاف المعقول[٣] والشرع.

وأما قوله: إن العبد لا يفعل إلا الإرادة، فيجب أن لا يكون العبد فعل صلاة [أو صوماً أو][٤] حجاً، وأن لا يكون قد فعل من موجبات الحدود مثل السرقة والزنا شيئاً.

وأما قوله: إن المعارف ضرورية، فإنه يوجب أن لا يكون ثواب ولا عقاب على أفعاله الموجودة منه، وهذا خلاف قول المسلمين، وإنما [صنَّف][٥] كتاب طبائع الحيوان؛ لتمهيد هذه البدعة الشنعاء، أراد أن يقرر [به][٦] في نفس[٧] من يطالعه هذه البدعة ويزينها في عينه، فيغتر بحسن

---

(١) في (س): (بذلته).
(٢) في (ك) و (س): (فإنما يعرفه).
(٣) في (ب): (المنقول).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) سقطت من (س).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ك) و (س): (نفوس).

ألفاظه المبتذلة [له][1] فيها، ويظن أنه إنما جمعه لنشر نوع من العلم، ولا يعلم أنه إنما قصد به تمهيد بدعته[2]، حتى إذا ألفه واستأنس به، واعتقد مقتضاه انسلخ به عن دينه.

وقد ركب الجاحظ على قوله هذا قولاً هو شرٌّ من هذا، فقال: إن الله تعالى لا يدخل أحداً النار، ولكن النار بطبعها تجذب إلى نفسها أهلها، ثم تمسكهم في جوفها خالدين مخلدين[3]، وهذا يوجب أن يقال في الجنة مثل هذا، فقال: إنها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها، فيبطل به الرغبة والرهبة والثواب والعقاب من الله تعالى [وتنقطع الإجابة، وأن لا يفيد دعاء [٣٨/أ] المؤمنين له][4] حيث يقولون[5]: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

واعلم أن الكعبي عده من مشايخ المعتزلة، وافتخر بتصانيفه، وزعم أنه عربي من بني كنانة، ولو كان كما قاله لما صنَّف كتاباً في مفاخر القحطانية على العدنانية والكنانية، وما كان يجمع فيه ما هجا به القحطانية والعدنانية، وكان لا يستجيز إنشادها، فإن من كان لرشده[6] لا يرضى بهجاء أبيه، ولو كان عربياً لما صنَّف كتابه في تفضيل[7] الموالي على العرب.

وأما تصانيفه فمن يعرف عنها[8] وتأمل معانيها ومقاصده فيها، علم أنه لا يشتغل بتصنيف أمثالها، إلا من لا خلاق له [في دين][9] ولا مروءة، فإن أعلى تصانيفه كتاب طبائع الحيوان، وقد بينا مقصوده فيه، وذلك من شرٌّ

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ك): (التمهيد لبدعته).
(٣) في (ك) و (س): (خالداً مخلداً).
(٤) سقطت من (ك).
(٥) في (ك) و (س): (يقول).
(٦) في (ك): (ابن رشده) وفي (س): (كرشده).
(٧) في (ك) و (س): (فضل).
(٨) في (ك): (ما فيها).
(٩) زيادة من (ب).

المقاصد، وكيف ما كان، فقد[١] سرق أصوله من كتاب أرسطاطاليس، ومن كتاب المدائني[٢] الذي صنفه في منافع أصناف الحيوان، ولم يورد فيه شيئاً من كيسه ولا من ذات نفسه إلا أبياتاً ضمها إليها قالتها العرب في معانيها، زين بها حشو كتابه، وأودعه مناظرة الكلب والديك، والكلب والهرة، والكلب والذئب، وما أشبه ذلك، والعاقل لا يضيع وقته بمثله، فإن شغل الوقت بأمثاله نوع من المقت.

ومن كتبه كتاب **(حيل اللصوص)** يعلم اللصوص فيه الحيل التي يتوصلون بها إلى الفساد، ويمدحهم[٣] بالشطارة، ويزعم أنها من مرؤتهم ويمدحهم باختيارهم للغلمان[٤] على النسوان، وبأنهم يلعبون [٣٨/ب] بالنرد والشطرنج، ويحثهم على القمار، ويزعم أنه من المروءة، ومن الآداب المرضية، ومن عدَّ الدعارة والشطارة من المروءة، وزينها وحث عليها، فقد خالف الشريعة والمروءة؛ لأن المسلمين أطبقوا على أن من كانت هذه طريقته، كان مذموماً في الشريعة والمروءة.

[ومن كتبه **(الفتيا)**[٥] طعن فيه على الصحابة، كما يليق بديانته][٦].

ومن كتبه ما صنَّفه في غش الصناعات، أفسد بذلك على المسلمين[٧] أموالهم، وحث بذلك الناس على الغش والخيانة.

---

(١) في (ك) و (س): (وقد).

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني، قال عنه الخطيب: «أحد أئمة الحديث في عصره، والمقدم على حفاظ وقته»، وكان يقال عن مؤلفاته من أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني، وفاته سنة ٢٣٤هـ. الفهرست: ص ١٤٧؛ تاريخ بغداد: ٤٥٨/١١؛ تذكرة الحفاظ: ٤٢٨/١.

(٣) في (ك) و (س): (يمدحهم).

(٤) في (ك) و (س): (الغلمان).

(٥) هو من ضمن القائمة التي أوردها ابن النديم لكتب الجاحظ، ينظر: الفهرست: ص ٢١١.

(٦) زيادة من (س).

(٧) في (ك) و (س): (المفسدين).

ومن كتبه ما صنفه في وصف الكلاب، والقحاب، والمغنين، وحيل المكدّين[(١)].

ولا يفتخر بمثل هذه الكتب إلا من كان مثله، لا خلاق له في دين ولا مروءة، وكان مع هذه البدع الفاحشة الوحشة كريه المنظر، حتى قال في وصفه الشاعر:

لو يُمْسَخُ الخنزيرُ مَسْخاً ثانياً … ما كَانَ إلاَّ دُونَ قُبْحِ الجاحِظِ
شخصٌ ينوب عن الجحيم[(٢)] بنفسِهِ … وهو القَذَى في كُلِّ طرفٍ لاحِظِ[(٣)]

الفرقة الرابعة عشرة: الشحامية[(٤)]:

الشحامية أتباع أبي يعقوب بن الشحام[(٥)]، أستاذ الجبائي في ضلالة القدرية، وجوز هو والعلاف مقدوراً بين قادرين، كما قاله أهل السنة، ولكنهم جوزوا انفراد كل واحد منهما بخلقه [وقالا: لو أراد الله أن ينفرد بخلقه انفرد، ولو أراد العبد أن ينفرد بخلقه انفرد به][(٦)] بخلاف أهل السنَّة وخلاف قول أهل القدر.

الخامسة عشرة: الخياطية[(٧)]:

منهم الخياطية، أتباع أبي الحسين الخياط[(٨)] [٣٩/أ] أستاذ الكعبي في

---

(١) في (ك): (الماكرين).
(٢) في (س): (الجسم).
(٣) القول لأحمد بن سلامة الكتبي، كما في غرر الخصائص الواضحة للوطواط: ص٢٢١.
(٤) مقالات الإسلاميين: ص ١٩٩؛ الفرق بين الفرق: ص ١٦٣؛ الملل والنحل: ٥٣/١.
(٥) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام، من مشايخه: أبو هذيل، قال ابن النديم: انتهت إليه رئاسة المعتزلة بالبصرة في وقته، وذكر أنه كان على ديوان الخراج أيام الواثق، وفاته ٢٨٠هـ. لسان الميزان: ٤٢٠/٦؛ الأعلام: ٢٣٩/٨.
(٦) زيادة من (ب).
(٧) مقالات الإسلاميين: ٥١٨؛ الفرق بين الفرق: ص ١٦٣؛ الفصل في الملل: ١٥٣/٤؛ الملل والنحل: ٧٦/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٤٤.
(٨) هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، قال عنه الذهبي: شيخ المعتزلة=

ضلالته، فقد أفرط في قوله في صفة المعدوم، حتى زاد فيه على جميع القدرية، فوصف المعدوم بأنه جسم، فيلزمه أن يجوز كون المعدوم رجلاً راكباً جملاً، وبيده سيف مصلت يصول به عليه[١]، ويلقنه [مثل][٢] هذه البدع حتى إنه يتلقنها خوفاً منه، ويفصح بها[٣] وينشرها، توقياً من صولته، وقد تبرأ منه صاحبه الكعبي بسبب هذه البدعة واستفظعها منه، وقال: وإن القدرية ـ وإن قالوا في المعدوم أنه شيء وجوهر وعرض وسواد وبياض ـ فإنهم لا يقولون إنه جسم، وإنه للأعراض قابل[٤]، وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة، ويفضي به إلى نفي الصانع، وقد ضلله الكعبي بهذه المسألة، وبإنكاره أخبار الآحاد، وقوله لا يحتج بها[٥] في الأحكام الشرعية[٦]، وكفى الكعبي فخراً أن يكون له مثل هذا الأستاذ، الذي هو عنده ضال مبتدع، وذلك خزي[٧] له في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم.

الفرقة السادسة عشرة: الكعبية[٨]:

منهم الكعبية، أتباع عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف بأبي القاسم الكعبي، وكان يدعي في كل علم، ولم يكن خلص إلى خلاصة شيء من العلوم، بل كان متحلياً بطرف من كل شيء، كان يدعي فيه شيئاً من العلوم، وخالف قدرية البصرة في أشياء:

= البغداديين، له الذكاء المفرط والتصانيف المهذبة، وكان قد طلب الحديث، وكتب عن يوسف بن موسى القطان، مات في حدود ٣٠٠هـ. تاريخ بغداد: ٨٧/١١؛ سير أعلام النبلاء: ٢٢٠/١٤.

(١) في (ك): (مسلط عليه يصول عليه).
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (ك): (عنها).
(٤) في (ك): (قابل للأعراض).
(٥) في (ك): (به).
(٦) في (ك): (أحكام الشريعة).
(٧) في (ك) و (س): (ذل).
(٨) الفصل في الملل: ٦١/٣؛ الملل والنحل: ١٨٤/١.

منها قوله: بأن الله تعالى لا يُرِي نفسه ولا يُرِي غيره.

ومنها قوله: إن الله لا يسمع، وكان يزعم أن معنى وصفه بأنه سميع بصير [أنه][(١)] عالم بالمسموع وبالمرئي.

ومنها: أنه كان يزعم أن الله تعالى لا إرادة له، وأن علمه يغني عن إرادته [٣٩/ب] لأن معلومه كائن[(٢)] لا محالة قصده أو لم يقصده، وهذا القول منه يوجب نفي قدرته[(٣)]، وكونه قادراً، إذاً[(٤)] كان معوله[(٥)] في نفي[(٦)] الإرادة، على أن معوله كائن لا محالة، وأيضاً فإن الشاهد يقضي بخلاف مذهبه، وذلك أن القادر منا قد يقدر على شيء باستطاعة عرفية، ولا يتكون[(٧)] مقدوره [واقعاً][(٨)] حتى يقصد فعله ويريده.

ومنها: أنه كان يقول بإيجاب الأصلح للعبد على الله تعالى، والإيجاب على الله تعالى محال؛ لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئاً.

الفرقة السابعة عشرة: الجبائية:

الجبائية، أتباع أبي علي الجبائي، وهو الذي أغوى أهل خوزستان، وله من البدع الفاحشة ما لا يحصى:

منها: أن شيخ أهل السنَّة أبا الحسن الأشعري[(٩)] رحمه الله تعالى،

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ك): (كان).
(٣) في (ك) و (س): (القدرة).
(٤) في (ك): (إذ).
(٥) في (ك) و (س): (تقوله).
(٦) في (ك) و (س): (نفس).
(٧) في (ك) و (س): (يكون).
(٨) زيادة من (ك).
(٩) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، إمام المتكلمين، كان في بداية حياته معتزلياً، ثم كرهه وتبرأ منه، وأخذ يرد على المعتزلة، ترك عدة مؤلفات قال الذهبي عنها: «يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات»، توفي سنة ٣٢٤هـ. تاريخ بغداد: ٣٤٦/١١؛ وفيات الأعيان: ٢٨٦/٣ سير أعلام النبلاء: ٨٥/١٥.

سأله يوماً عن حقيقة الطاعة؟ فقال: هي موافقة الإرادة، فقال له: هذا يوجب أن يكون الله تعالى مطيعاً لعبده إذا أعطاه مراده، فقال: نعم يكون مطيعاً، وخالف الإجماع بإطلاق هذا اللفظ؛ لأن المسلمين أجمعوا قبله على أن مَنْ قال: إن الباري تعالى[١] مطيع لعبده، كان موصوفاً بالكفر في عقيدته[٢]، ولو جاز أن يقال: إنه لعبده [مطيع؛ لجاز أن يقال: إنه][٣] لعبده خاضع وخاشع.

ومنها أنه كان يقول: إنَّ أسماء الباري ـ تعالى [عن قوله ـ][٤] يجوز أن تؤخذ قياساً، ويجوز أن يشتق له من أفعاله اسماً لم يرد به السمع، ولم يأذن فيه الشرع [وكان يزعم أنه يجوز أن يشتق له من أفعاله اسماً][٥] حتى قيل له: يجوز أن يسمى محبل النساء؟ قال: نعم، وهذه بدعة [٤٠/أ] شنيعة فضيحة.

ومنها أنه كان يقول: إن العرض الواحد يجوز أن يكون في محال كثيرة، وذلك أنه كان يقول: إن الكلام يكتب في محل فيكون عرضاً موجوداً فيه، ثم يكتب في محل ثانٍ، فيصير أيضاً موجوداً فيه من غير أن ينتقل من المحل الأول، أو يعدم فيه.

ومنها أنه كان يقول: إنَّ الله تعالى ليس بقادر على أن يفني شيئاً من أجسام العالم بانفراده، ولكنه إن شاء أفنى العالم بفناء يخلقه لا في محل، فيفني به جميع العالم، وهذا القول منه يوجب تخصيص قدرة الباري ببعض المقدورات، وفيه التنبيه على صحة التثنية، وتجويز[٦] كون الفناء لا في محل فناء للقديم، تخصيصاً لما وجد، لا في محل بما وجد لا في محل،

---

(١) في (ك) و (س): (سبحانه).
(٢) في (ك) و (س): (عقده).
(٣) سقطت من (س).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).
(٦) في (ك): (وجواز).

كما خصوا الإرادة الحادثة لا في محل بالقديم سبحانه لأنه لا في محل.

الفرقة الثامنة عشرة: البهشمية:

منهم الجبائية[١]، أتباع أبي هاشم بن الجبائي، وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبه؛ لأن ابن عباد كان يدعو إلى مذهبه، ويسمى أصحابه الذمية؛ لتجويزه كون العبد مستحقاً للعقاب، لا على فعل فعله، وهذا يوجب أن المرء يكون عاصياً لا على معصية فعلها، ويوجب أن يجوز كونه[٢] مطيعاً لا بطاعة[٣] فعلها، وكافراً لا بكفر فعله[٤].

وكان أبو هاشم هذا يقول: إن من تاب عن ذنب ـ مع إصراره على ذنب آخر ـ لا تصح توبته عما تاب [عنه][٥]، حتى إن يهودياً تاب عن كفره، ولكنه منع حبة مثلاً عن مستحق، لم تصح توبته عن اليهودية، وهذا يوجب أن يؤخذ منه الجزية [٤٠/ب] بعد ما أسلم، وأن لا تحل ذبيحته، ولا مناكحته إذا أسلم عن مجوسيته، مع هذه الحالة، وهذا[٦] خلاف قول[٧] الأمة.

وكان يقول: إن التوبة عن الذنب ـ بعد عجز المذنب عن الذنب ـ لا تقبل، حتى لو كذب، ثم قطع لسانه قبل أن يتوب [أو زنى ثم قطع فرجه قبل أن يتوب][٨] لم تصح توبته، وهذا يوجب أن يكون الظالم الذي ظلمه فقطع[٩] لسانه، منع ربه [تعالى][١٠] عن قبول توبته.

---

(١) في (س): (الهشامية).
(٢) في (ك) و (س): (يكون).
(٣) في (ك) و (س): (على طاعة).
(٤) في (ك) و (س): (لكفر كفره).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (ك) و (س): (فهذا).
(٧) في (ك): (إجماع) وسقطت هذه الكلمة من (س).
(٨) سقطت من (س).
(٩) في (ك) و (س): (بقطع).
(١٠) زيادة من (ب).

وكان أبو هاشم ـ هذا مع إفراطه بالقول في الوعيد[١] ـ أفسق أهل زمانه، حتى قال في صفته شاعر من المرجئة:

يَعيبُ القولَ بالإرجاءِ حتى ... يَرَى بعضَ الرجاء مِن الجرائرِ
وأعظم من ذوي الإرجاء جُرْماً ... وعيديٌّ أصرَّ على الكبائر[٢]

وكان من جهالته قوله بالأحوال، حتى كان يقول: إن العالم له حال يفارق [حال][٣] من ليس بعالم، وللقادر حال به يفارق حال العالم، ثم كان يقول: إن الحال ليست بموجودة ولا معدومة [ولا معلومة][٤] ولا مجهولة، وإن العالم يعلم على حاله [والقادر يقدر على حاله][٥] ولا يعلم حال العالم ولا حال القادر، ولا يمكن الفرق بين حال [العالم وبين حال القادر، إذ لا يعلم حال][٦] واحد منهما، ومن لا يعلم من نفسه ما يقوله[٧] كيف يقدر أن يعلمه غيره، واقتدى في ذلك بقول الباطنية، حيث قالوا: إنَّ الصانع لا معدوم ولا موجود [ثم زعم أن الحال ثابت وليس بموجود، وليت شعري كيف أثبت ثابتاً غير موجود][٨]، وما من ثابت إلا وهو في حقيقة الموجود[٩]، إذ لا واسطة [٤١/أ] بين العدم والموجود، ولو ثبت بينهما واسطة، لجاز أن يخرج الشيء من العدم إلى الثبوت، ثم من الثبوت إلى الوجود، كما جاز أن يخرج من القيام إلى القعود، ثم من القعود إلى الاضطجاع، إذ كان القعود واسطة بين الطرفين.

---

(١) في (ك) و (س): (في القول بالوعيد).
(٢) البيت نسبه الزمخشري لأبي عمرو الباهلي في ربيع الأبرار: ص ٢٥٢.
(٣) في (ك): (به).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) سقطت من (س).
(٧) في (ك) و (س): (يقول).
(٨) زيادة من (ب).
(٩) في (ك) و (س): (حقيقة الموجود).

ومن ضلالاته قوله: إنَّ الطهارة ليست بواجبة، وكان يقول تجوز الطهارة بماء مغصوب، ولا تجوز الصلاة في أرض مغصوبة، وكان يفرق بينهما بأن الطهارة غير واجبة والصلاة واجبة، وهذا القول منه خلاف إجماع الأمة، ثم كان يستدل على أن الطهارة ليست بواجبة لجواز أن يطهر غيره وهو صحيح، ثم كان يرتب على هذا فيقول: إن الوقوف بعرفة والسعي والطواف ليست بواجبة؛ لأن مشي دابة [تركب][1] في جميع ذلك ينوب عن مشيه، ويلزمه[2] على هذا أن يقول: إن الزكوات والكفارات كلها ليست بواجبة، لجواز أدائها بالوكلاء والنائبين، وهذا القول منه كفر[3] خالف فيه جميع الأمة.

وكان[4] مع ارتكابه هذه البدع يكفر المعتزلة ويتبرأ منهم، حتى كان يكفر أباه ويتبرأ[5] منه، ولم يأخذ ميراثه بعد موته لتكفيره إياه، وتبريه منه، وكان سائر المعتزلة يكفرونه أيضاً، وحالهم في هذا المعنى، كما وصفه الله تعالى من حال الكفار، حيث قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦].

ومما يكشف عن افتضاحهم في مذاهبهم وتبرئ بعضهم من بعض، ما حكاه أصحاب [٤١/ب] المقالات من أن سبعة من رؤوس القدرية اجتمعوا في مجلس واحد، وتناظروا في أن الله تعالى هل يقدر على ظلم وكذب يختص به، فافترقوا من ذلك[6] المجلس، وكل [واحدٍ][7] منهم كان يكفر الباقين، وذلك لأن النظام سئل في ذلك المجلس عنه، فقال: إنه ليس بقادر

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ك) و (س): (ويلزم).
(٣) في (ك) و (س): (كفر منه).
(٤) في (ك): (كان).
(٥) في (ك): (وتبرأ).
(٦) في (ك) و (س): (هذا).
(٧) زيادة من (ب).

على ذلك، إذ لو قدر عليه لم نأمن[١] أن يقع منه ظلم، أو كذب فيما مضى، أو يقع ذلك [منه][٢] في المستقبل، أو وقع أو يقع [ذلك][٣] في طرف من أطراف الأرض، فقال له علي الأسواري: ينبغي على هذه العلة أن لا يقدر على خلاف المعلوم والمخبر عنه، فقال: هو لازم، فما تقول أنت؟ فقال الأسواري: أنا أقول إنه لا يقدر على الظلم والكذب، ولا يقدر على خلاف المعلوم، فقال له النظام: هذا الذي تقوله[٤] كفر وإلحاد، ثم قال له أبو الهذيل: ما تقول في فرعون؟ وفي كل من علم الله بأنه[٥] لا يؤمن أو أخبر عنه أنه لا يؤمن؟ إن قلنا[٦] أنه لم يكن مقدوراً لهم أن يؤمنوا، لزمك تكليف ما لا يطاق، وأنت لا تقول به، وإن قلت إنه كان مقدوراً لهم كان محالاً؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون العبد قادراً على تجهيله وتكذيبه، تعالى الله عن قولهم، فقالوا له: هذا الجواب لازم، فما تقول أنت؟ فقال: أنا أقول إنه قادرٌ على أن يظلم ويكذب، وقادر أيضاً على خلاف المعلوم، فقال له: أرأيتك لو ظلم وكذب؟ فقال: إنه محال منه، فقالوا له: ما كان محالاً لم[٧] يكون مقدوراً، فتحير هؤلاء الثلاثة، ولم يدروا كيف سبيل الجواب.

فقال بشر بن المعتمر [٤٢/أ]: كل ما أنتم عليه فهو تخليط، فقالوا له: فأي شيء[٨] تقول أنت؟ هل يقدر على أن يعذب طفلاً ليس له ذنب؟ فقال: يقدر، فقالوا: فلو عذبه كيف [يكون][٩] حكمه؟ قال: يكون الطفل

---

(١) في (ك): (يأمن).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ك).
(٤) في (ك) و (س): (تقول).
(٥) في (ك): (أن).
(٦) في (ك) و (س): (قلت).
(٧) في (ك) و (س): (لا).
(٨) في (ك): (فايش).
(٩) زيادة من (س).

عاقلاً بالغاً عاصياً مستحقاً للعقاب، ويكون الباري عادلاً بتعذيبه، فقالوا له: كيف يكون الطفل بالغاً؟ وكيف يكون من فعل ظلماً(١) عادلاً به؟ فتحير، فقال له المردار منهم: أخذتم على أستاذي بشر شيئا منكراً مستفظعاً(٢)، ولكن يجوز أن يغلط الأستاذ، فقال له بشر: فما تقول أنت؟ قال: أقول إنه قادر على الظلم والكذب، ولو وجد ذلك منه كان إلها [ظالماً](٣) كاذباً، فقالوا له: ومن كان بهذه الصفة هل يكون مستحقاً [للشكر و](٤) العبادة أو يكون مذموماً؟ فقال: لا يكون مستحقاً [للشكر و](٥) العبادة، فقالوا: ومن لا يكون مستحقاً للشكر والعبادة لا يكون إلهاً.

فتحير فقال زعيم من زعمائهم يقال له الأشج: أنا أقول إنه قادرٌ على أن يظلم ويكذب، ولكنه إن ظلم وكذب كان عادلاً صادقاً، فقال الإسكافي: كيف ينقلب الظلم عدلاً والكذب صدقا؟ فتحير، فقال له: ما تقول أنت؟ فقال: أنا أقول إن ظلم أو كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة في تلك الحالة، فلا يتوجه عليه المذمة والملامة؛ لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه، فقال جعفر بن حرب: كأنه يقول إنه قادرٌ على ظلم المجانين، ولا يقدر على ظلم العقلاء، فتحيروا [٤٢/ب] وصاروا كلهم متحيرين منقطعين(٦)، وكان كل واحد يعتقد أن أقوال الباقين كلها كفر.

فلما انتهت زعامتهم إلى الجبائي وابنه أبي هاشم، قالا جميعاً: هذه مسألة لا يمكن أن يجاب عنها ورضيا بالجهل، فيما يرجع إلى وصف الاعتقاد، ولو وافقهم التوفيق، لتمسكوا بمذهب أهل [الحق](٧)، وتركوا

---

(١) في (ك) و (س): (الظلم).
(٢) في (ك): (مستفيضاً).
(٣) سقطت من (س).
(٤) سقطت من (ب).
(٥) زيادة من (ك).
(٦) في (ك) و (س): (منقطعين متحيرين).
(٧) سقطت من (ب).

التردد من باطل إلى باطل، ولم يتمردوا فيه، كما تمردوا في مسألة العالم كانوا لا يزالون يترددون من باطل إلى باطل، حتى انتهوا إلى القول بأحوال مجهولة، واعترفوا بأنهم يهذون[١] بما لا يعرفون، وينتحلون ما لا يعقلون، وكما تمردوا على باطلهم في مسألة الرؤية حتى انتهى بهم الكلام إلى أن قالوا: إنه لا يسمع ولا يبصر ولا يرى نفسه ولا غيره، كما حكيناه عن الكعبي، وكما تمردوا في مسألة خلق الأفعال حتى أودى[٢] بهم [ذلك][٣] إلى أن قالوا بخالقين كثيرين زائدين على ألف ألف [مثلاً][٤]، وزادوا في ذلك على المجوس والثنوية من وجهين:

أحدهما: أن المجوس والثنوية قالوا بخالقين اثنين، وهم بخالقين لا يحصرون.

والثاني: أن الثنوية والمجوس لم ينفوا كون الباري سبحانه خالقاً، وهؤلاء الذين قالوا: إن العبد يسمى خالقاً، والباري [سبحانه][٥] لا يجوز أن يسمى خالقاً، خالفوا به إجماع هذه الأمة، [وإجماع جميع الأمم قبلها][٦].

وكما تمردوا في مسألة القرآن، حتى أدى بهم القول إلى أن قالوا: إنه يخلق كلاماً في محل، فيكون متكلماً بما خلقه في ذلك المحل [٤٣/أ] فلزمهم بذلك[٧] أن لا يكون هو آمراً ولا ناهياً، وأن يكون الأمر والنهي لذلك المحل، وأن لا يكون لله[٨] تعالى على عبده شرع ولا تكليف.

---

(١) في (ك) و (س): (يهرفون).
(٢) في (ك) و (س): (وصل).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) سقطت من (ب).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ب): (من ذلك).
(٨) في (ك): (الله).

وكما تمردوا في مسألة التعديل والتجوير، أنه واجب عليه أن يخلق بعض مقدوراته، وحرام عليه أن يفعل بعضها، فرتبوا عليه شريعة في الواجب والمحظور، أعظم مما رتبه على عبيده؛ لأنهم زعموا أنه لو خالف[١] في شيء مما وجب عليه، أو هو محظور عليه خرج من الحكمة، وسقط به عن منزلة الإلهية والعبد، وإن خالف في شيء مما شرع له لم يسقط عن منزلة العبودية، وإن توجه عليه نوع من العقوبة، ولو أنهم بدل ما تلبسوا به من العتوّ[٢] والتمرد، وراجعوا[٣] مذهب أهل الحق سلموا عن هذه البدع.

غير أن التوفيق أعز من أن يناله أهل الشقاق والعصبية، وفضائحهم أفظع وأكثر من أن يمكن جمعها في مثل هذا الكتاب، وقد جمعنا في تفصيلها كتباً تشتمل على معظمها، وعاداتهم التنقل في أباطليهم، وتكفير بعضهم لبعض في أقاويلهم.

[حتى قلنا في وصف تنقلهم في فاسد مذاهبهم:

قل لأناس لقبوا دينهم	بالعدل والعدل بهم عادلُ
وكل قولٍ قاله بعضهم	كفرهم منهم به قائل
يا أيها القوم لكم مذهب	ليس له في الناس من قائل
هجرتم مذاهب أشياخكم	وقولكم يجهر من قابل [٤٣/ب]
تخبط بين شياطينكم	وسوسة ليس لها طائل
هل تنفع الوثبة من بعد	ما وقعتم في كفر الحابل
هلّا إذا أعوزتم حجة	راجعتم ديننا له حاصلُ

(١) في (س): (خاف).

(٢) في (ك): (العبث).

(٣) في (ك): (رجعوا).

دين إمام الحق شمس الهدى الأشعري الناظرُ الناضلُ][1]

واعلم أن جميع ما ذكرناه من مقالاتهم الشنيعة، ومذاهبهم الفظيعة[2]، لا يخفى على العاقل فسادها، إذا صرف الهمة إلى تأملها، ومن أفظع ما ينتحلونه نسبتهم التقدير إلى أنفسهم لا إلى صانعهم، وقد ورد في ذمهم أخبار كثيرة عن النبيّ ﷺ [وعن سلف هذه الأمة، وعن جميع الأمم الخالية، منها ما روي عن النبيّ ﷺ][3] أنه قال: **«لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً»**[4]، وفي رواية [أخرى: «إن][5] **القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبياً»**[6].

وقال وهب بن منبه[7]: «أنزل الله تعالى على رسله كتباً كثيرة، أكثر من نيف وتسعين كتاباً، فقرأت منها ثمانين كتاباً، فوجدت في جميعها: أن كل من جعل إلى نفسه أمراً أو شيئاً من المشيئة [فهو][8] كافر بالله تعالى»[9].

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (س): (اللفظية).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الدارقطني في العلل، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف (ضعيف الجامع: رقم ١٠١٦٧).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عمر: ١٦٢/٧؛ واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٦٤٣/٤؛ ابن أبي عاصم في السنة: ١٤٢/١؛ البيهقي، الاعتقاد: ص ٢٣٧. قال الشيخ الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم: وإسناده ضعيف.

(٧) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار الذماري اليماني، قال عنه الذهبي: «الإمام العلامة الأخباري القصصي... روايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب»، وفاته سنة ١١٤هـ. طبقات ابن سعد: ٥٤٣/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٤/٤؛ طبقات الحفاظ: ص ٤١.

(٨) زيادة من (ك) و (س).

(٩) اللالكائي، اعتقاد أهل السنة: ٦٤٦/٤؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢٤/٤.

وروي أن النبيّ ﷺ قال: [«القدرية خصماء الله»[(١)]، وإنما قاله لأنهم يقولون نحن نريد ونقدر، والله تعالى يريد ويقدر، فيحصل مرادنا، ولا يحصل مراده، ويتم تقديرنا ولا يتم تقدير الله.

وروي عن النبيّ ﷺ قال][(٢)]: «القدرية مجوس هذه الأمة»[(٣)]، وإنما شبههم بالمجوس؛ لأن المجوس ينسبون [٤٤/أ] بعض التقدير إلى يزدان، وبعضه إلى أهرمن[(٤)]، وهو اسم الشيطان، فأثبتوا تقديراً في مقابلة تقدير الباري جل جلاله، وقالوا بجواز حصول أحد التقديرين [دون الآخر، وكذلك[(٥)] القدرية أثبتوا تقديرين][(٦)] أحدهما للرب تبارك وتعالى والآخر للعبد، وجعلوا [أحد][(٧)] التقديرين في مقابلة الأخر، وجوزوا حصول أحد التقديرين دون الآخر، وزعموا أن تقدير الرب يصير ممنوعاً منه تقدير العبد.

ثم زادوا على المجوس، وذلك أن المجوس جعلوا في مقابلة تقديره

---

(١) الحديث عن ابن عمر عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: ألا ليقم خصماء الله، ألا وهم القدرية». أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٣١٧/٦؛ ابن أبي عاصم في السنة: ١٤٨/٢؛ اللالكائي، اعتقاد أهل السنة: ٦٣٣/٤؛ الديلمي في مسند الفردوس: ٢٥٥/١؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٨٣/٥؛ الجرجاني، تاريخ جرجان: ص ٣٥٦. قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هذا حديث منكر. العلل: ٤٣٥/٢؛ وقال الشيخ الألباني عن الحديث (ضعيف) كما في ضعيف الجامع: رقم ٦٦٣.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) الحديث عن ابن عمر، أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب القدر: رقم ٤٦٩١؛ الحاكم، المستدرك: ١٥٩/١؛ ابن أبي عاصم، السنة: ١٤٩/١. والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

(٤) تدور عقائد المجوسية على قاعدتين الأولى: بيان سبب امتزاج النور والظلمة، وسبب خلاص النور من الظلمة، الثانية: الاعتقاد بوجود إلهين أحدهما نور وهو مبدأ الخير كله ويمسى (اهورامزدا) والثاني ظلام وهو مبدأ الشر كله ويسمى (اهرمان). موسوعة الأديان والمذاهب: ٣٩/١.

(٥) في (ك): (فكذلك).

(٦) سقطت من (س).

(٧) سقطت من (س).

تقديراً واحداً، وهم جعلوا في مقابلة تقديره تقدير جميع الحيوانات من الآدمي وغير الآدمي، حتى البقة والبعوضة والنملة والنحلة والسمكة والدودة، وقالوا: تقدير الدودة يحصل وتقدير القديم تعالى[١] لا يحصل، فإن الدودة تمنعه بتقدير نفسها عن تقديره، وقد ورد الرد عليهم في كتاب الله سبحانه بأصرح ما يكون، حيث قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ومن عرف معنى هذه الآية، وما ورد في معانيها من السلف، علم في الحقيقة أن القدري من يجعل لنفسه شيئاً من القدر، وينفيه عن ربه تعالى الله عن قولهم، وتحقق [له أنه ليس بقدري، من أثبت القدرة لله ونفاها عن نفسه، كما بينه الله تعالى في هذه الآية، وتقرر][٢] عنده أن من قال بالتسليم الكلي، وفوض الأمر إلى الرب القوي، [فهو][٣] من أهل السنَّة والجماعة، فمن اعتقد أن شيئاً من أفعاله لا يكون ظلماً ولا باطلاً، [وأنه][٤] لا اعتراض عليه في شيء مما يأتيه أو يذره، ولا يقولون[٥] كما يقول القدرية إن له أن يفعل كذا، وليس له أن يفعل كذا [٤٤/ب] وبنوا عقائدهم[٦] على قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، لم يكن قدرياً، وكان من المقاتلة والمخاصمة[٧] برياً، وأي تسليم وبراءة من الخصومة أكبر[٨] من قول أهل السنة: إن كل ما جرى على العبد من [الطاعات فهو خلق الله تعالى، وهو من الله تعالى فضل، ومن العبد طاعة، وكلها تجري على العبد من][٩] المعاصي، فهو خلق

(١) في (ك) و (س): (سبحانه).
(٢) سقطت من (ك).
(٣) سقطت من (ب).
(٤) زيادة من (ك).
(٥) في (ك): (يقول).
(٦) في (ك): (وبنى عقائده).
(٧) في (ك) و (س): (والخصومة).
(٨) في (ب): (أكثر).
(٩) زيادة من (ب).

من الله [تعالى][١]، وهو عدل منه سبحانه ومعصية من العبد [وكل ما جرى من العبد من الطاعات، فهو خلق من الله تعالى، وهو من الله فضل][٢] فهماً من العبد طاعة ومعصية، ومن الرب فضل وعدل.

وقد بيّن رسول الله ﷺ في خبر جبريل عليه السلام أصل الكلام في القدر، فقال في جواب جبريل عليه السلام: **«الإيمان أن تؤمن بالله [تعالى][٣] وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله»**[٤]، فبين أن القدر كله من الله، وأن لا قدر للعبد في شيء [من][٥] الأشياء، وكان سبب نزول قوله [تعالى][٦]: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، إن مشركي قريش جاؤوا إلى النبيّ ﷺ، وكانوا يخاصمونه في القدر، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾ [القمر: ٤٧] إلى آخر السورة، وقال قوم من المفسرين إن وفد بني نجران وردوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: أما الآجال والأرزاق، فبتقدير الله [تعالى][٧]، وأما أعمال العباد فليست بتقدير الله تعالى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾ [القمر: ٤٧] إلى آخر السورة[٨].

وروى عن عمرو[٩] بن زرارة أنه قال سمعت أبي يقول: كنت جالساً

---

(١) زيادة من (ك) و (س).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) زيادة من (ك).

(٤) زيادة من (ك) و (س).

(٥) أخرجه الطبراني بهذا اللفظ، المعجم الأوسط: ١١٣/٣؛ ابن حبان، الصحيح: ٣٩٠/١؛ البيهقي، شعب الإيمان: ٢٠٢/١؛ اللالكائي، اعتقاد أهل السنة: ٥٨٩/٤؛ ابن أبي عاصم، السنة ٧٦/١.

(٦) سقطت من (ك).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) تفسير الطبري: ١١١/٢٧.

(٩) في (ب) و (س): (عمر). والذي في (ك) أصح. وهو عمرو بن زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي العدائي، له ذكر في فتنة عثمان، وقيل إنه أول من خلع. تبصير المنتبه: ٣٤٢/١.

عند رسول الله ﷺ [٤٥/أ]، فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ إلى آخر السورة، ثم قال: **«إنما نزل هذا في ناس يكونون في آخر أمتي يكذبون بالقدر»**.

وقيل لابن عباس أن قوماً يتكلمون في القدر، فقال: «فيهم نزل[1] قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]، إن مرضوا لا تعودوهم، وإن ماتوا لا تصلوا على جنائزهم، ولو أريتموني[2] واحداً منهم لقلعت بهاتين الإصبعين عينيه»[3].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ قيل لرسول الله ﷺ: ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ[4]: **«اعملوا فكل ميسر لم خلق له»**[5].

قال علي [بن أبي طالب][6] رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله [تعالى][7] قدر المقادير[8]، ودبر التدابير قبل أن خلق آدم عليه السلام بألفي سنة»**[9]، ولو يرد بها تخصيص هذه المدة[10]، ولكنه أراد أن يقدر في نفوس السامعين أن المقادير[11] كانت سابقة في المعلوم، قبل خلق آدم عليه السلام.

---

(١) في (ك): (نزل فيهم).
(٢) في (ك) و (س): (أرى).
(٣) اللالكائي، اعتقاد أهل السنة: ٧١٢/٤؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٢٠٥/١٠.
(٤) في (ب): (عليه السلام).
(٥) أخرجه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره: ١١٠/٢٧.
(٦) سقطت من (ب).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) في (ك) و (س): (التقادير).
(٩) في (ك) و (س): (عام). ولم أجده بهذا اللفظ ولكن روى مسلم بلفظ قريب حديثاً بهذا المعنى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخميسن ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»**. كتاب القدر، باب حجاج موسى وآدم: رقم ٢٦٥٣.
(١٠) في (ك) و (س): (الأمة).
(١١) في (ك) و (س): (التقادير).

وروى أبو هريرة [رضي الله عنه][(١)] أن النبيّ ﷺ قال: «**الإيمان بالقدر يذهب الغم**»[(٢)].

وقال ابن عباس لما كثرت القدرية[(٣)] بالبصرة: «خربت البصرة»[(٤)]، أو لفظ هذا معناه.

وروي عن جماعة السلف الصالح أنهم قالوا: «إذا سلم عليك القدري، فأجب كما تجيب اليهود، وقل: وعليك».

وقد بين الله تعالى الرد عليهم بأشفى البيان[(٥)] في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فبين أن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى وإرادته.

وقد أورد [٤٥/ب] أبو القاسم بن حبيب[(٦)] في (تفسيره)[(٧)] بإسناده، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأله سائل عن القدر، فقال: طريق دقيق لا تمش فيه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر (فقال: بحر عميق لا تخض فيه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: سرٌّ خفي لله [تعالى][(٨)] لا تفشه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن أبي هريرة بلفظ: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن»: ١٨٧/١. قال عنه الشيخ الألباني: (ضعيف) في السلسلة الضعيفة: رقم ٨٠٤.

(٣) في (س): (الخبرية).

(٤) لم أقف عليها.

(٥) في (ك) و (س): (بيان).

(٦) هو أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، صنف في التفسير والآداب، قال السيوطي: «كان أديباً نحوياً عارفاً بالمغازي والقصص والسير، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير»، وفاته سنة ٤٠٥هـ سير أعلام النبلاء: ٢٣٧؛ طبقات المفسرين: ص ١١.

(٧) واسمه (التنزيل وترتيبه) كما في الموسوعة الميسرة: ٧١١/١.

(٨) زيادة من (ب).

عن القدر)[١] فقال علي رضي الله عنه: يا سائل إن الله تعالى خلقك كما شاء، أو كما شئت؟ فقال: كما شاء، فقال[٢]: إن الله [تعالى][٣] يبعثك يوم القيامة كما يشاء، أو كما تشاء[٤]؟ فقال: كما يشاء، فقال: يا سائل لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته أو دون مشيئته؟ فإن قلت: مع مشيئته ادعيت الشركة معه، وإن قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته، وإن قلت فوق مشيئة [الله][٥] كانت مشيئتك غالبة على مشيئته، ثم قال: ألست تسأل الله [تعالى][٦] العافية [فقال: نعم][٧] فقال: فعن ماذا تسأله العافية، أمن بلاء هو ابتلاك به، أو من بلاء غيره ابتلاك به، قال: من بلاء ابتلاني به، فقال: ألست تقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال: بلى، قال: تعرف تفسيرها، فقال: لا يا أمير المؤمنين علمني مما علمك الله، فقال: تفسيره إن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا على معصيته إلا بالله عزَّ وجلَّ، يا سائل إن الله [عزَّ وجلَّ][٨] يسقم ويداوي منه الداء، ومنه الدواء اعقل عن الله، فقال السائل: عقلت، فقال له: إلا صرت مسلماً قوموا إلى أخيكم المسلم وخذوا بيده، ثم قال علي [رضي الله عنه][٩]: لو وجدت رجلاً من أهل القدر، لأخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه، فإنهم يهود هذه الأمة [ونصارى هذه الأمة، ومجوس هذه الأمة][١٠].

---

(١) ما بين القوسين (...) سقطت من (ب).
(٢) في (ك): (قال).
(٣) زيادة من (ك).
(٤) في (ك): (كما شئت أو كما يشاء).
(٥) في (ك): (مشيئته).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) سقطت من (س).
(٩) زيادة من (ب).
(١٠) زيادة من (ب).

وقد قال الشافعي رحمه الله[(١)] في هذا المعنى الذي إليه أشار أمير المؤمنين [رضي الله عنه][(٢)] [٤٦/أ]:

مـا شِـئْـتَ كَـانَ وإنْ لـم أشـا ... وَمَا شِئْتُ إنْ لـم تَشَـأ لـم يكُـنْ
خَلَقْتَ العبَادَ عَلى ما عَلِمْتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنّ
عـلـى ذا مـننـت وهـذا خـذلـت ... وهـذا أعـنـتَ وذا لَـمْ تـعـنِ
فـمـنـهـم شـقـي ومـنـهـم سـعـيـد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن[(٣)]

فقوله [في البيت الثاني][(٤)]: ففي العلم يجري الفتى والمسن، رد على المعتزلة في جميع ما يوردونه من الشبه في التعديل والتجوير؛ لأنهم وإن خالفوا في الإرادة لم يمكنهم الخلاف في العلم؛ لإطباق الأمم على استحالة الخلاف في المعلوم.

وقد ورد في الأخبار: إن الله تعالى لما أمر موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون، فقال: «كيف أذهب وأنت تعلم أنه لا يؤمن؟ فقال: افعل ما تؤمر، فإن في السماء اثني عشر [ألف][(٥)] ملك يريدون أن يدركوا علم القدر[(٦)] ولم يدركوه»[(٧)]، وإنما قاله على معنى أنهم كانوا يطلبون علة[(٨)] قوله ولا يدركون علة[(٩)] فعله [إذ لا علة لفعله ولا لميّة عليه، بل][(١٠)] يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد.

---

(١) في (ب): (رضي الله عنه).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) مناقب الشافعي: ١٠٩/٢.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (س): (القدرة).
(٧) لم أقف عليه، وهو يدخل في باب الإسرائيليات.
(٨) في (ك) و (س): (علم).
(٩) في (ك) و (س): (علم).
(١٠) زيادة من (ب).

وروي عن ابن عباس [رضي الله عنه][(١)] أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينادي يوم القيامة منادٍ: أين خصماء الله؟، فيقوم القدرية، ووجوههم سود، وأعينهم زرق، وأفواههم عوج يسيل منها اللعاب، وهم يقولون بالله[(٢)] ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً [ولا صنماً][(٣)] ولم[(٤)] نتخذ دونك إلهاً»**، فقال ابن عباس: صدقوا بالله، فيما قالوا ولكن أتاهم الشرك من حيث لم يعلموا[(٥)]، ثم تلا ابن عباس [٤٦/ب] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨][(٦)]، ثم قال ثلاث [بالله][(٧)] مرات أنهم القدرية»[(٨)].

واعلم أن الذين ذكرناهم من فرقهم يعدون في فرق الإسلام، وبقي منهم فريقان آخران لا يعدون من فرق الإسلام، نذكرهم فيما بعد من الفرق الذين لا يعدون في فرق الإسلام، إن شاء الله عزَّ وجلَّ[(٩)].



---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ك) و (س): (تالله).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ك) و (س): (ولا).

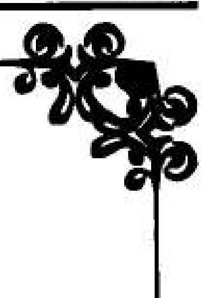
(٥) في (ك) و (س): (لا يعلمون).

(٦) في (ب) و (س) جاءت الآية الكريمة: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

(٧) زيادة من (ب).

(٨) السيوطي، الدر المنثور: ٦٨٦/٧.

(٩) في (ك) و (س): (تعالى).

الباب السادس

في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم

وجملة المرجئة[١] ثلاث فرق يقولون بالإرجاء في الإيمان، غير أن فريقاً منهم وافقوا القدرية في القول بالقدر، مثل غيلان الدمشقي، وأبي شمر المرجئي، ومحمد بن شبيب البصري، وهؤلاء داخلون في قول النبيّ ﷺ: **«إن القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبياً»**، فيستحقون اللعن من وجهين: من جهة القول بالإرجاء، ومن جهة القول بالقدر.

ووافق (فريق منهم الجهمية في القول بالجبر، فجمعوا بين بدعة[٢] الجبر [وبدعة][٣] الإرجاء، وانفرد فريق)[٤] منهم بالإرجاء المحض، لا يقولون بالجبر ولا بالقدر.

واعلم أن الإرجاء في اللغة: هو التأخير[٥]، وإنما سموا مرجئة؛ لأنهم يؤخرون العمل من الإيمان، على معنى أنهم يقولون لا تضر المعصية مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر، وقولهم بالإرجاء خلاف قول

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ١٣٢؛ الفرق بين الفرق: ص ١٩٠؛ الفصل في الملل: ١٠٩/٣؛ الملل والنحل: ١٣٩/١.

(٢) في (ك): (دعوى).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) ما بين القوسين ( ) سقطت من (س).

(٥) لسان العرب، مادة رجأ: ٨٤/١.

المسلمين قبلهم، وهؤلاء افترقوا خمس فرق:

الفرقة الأولى: اليونسية[(١)]:

وهم أتباع يونس بن عون[(٢)]، [وكان يقول][(٣)]: إنَّ الإيمان في القلب وفي اللسان، وحقيقة المعرفة بالله سبحانه والمحبه له، والخضوع له، والتصديق لرسله وكتبه، قال: [٤٧/أ] ومعرفة تفاصيلها ليس بإيمان ولا من جملة الإيمان[(٤)]، وكان [يقول: إن][(٥)] كل خصلة من خصال الإيمان [ليس بإيمان، ولا بعض إيمان، وجملتها إيمان][(٦)].

الفرقة الثانية: الغسانية[(٧)]:

وهم أتباع غسان المرجئي، الذي يقول: الإيمان إقرار بالله، ومحبة لله تعالى وتعظيم له، وهو يقبل الزيادة ولا يقبل النقصان، [على][(٨)] خلاف ما قاله أبو حنيفة (رحمه الله)[(٩)]، حيث قال: لا يقبل الزيادة ولا النقصان[(١٠)]، وكان يقول: [إنَّ][(١١)] كل خصلة من خصال الإيمان [بعض من إيمان][(١٢)] بخلاف ما حكيناه عن اليونسية.

---

(١) الفرق بين الفرق: ص ١٩١؛ الملل والنحل: ١٤٠/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٠.
(٢) لم أقف على ترجمة له.
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (ك): (ومعرفتها في الجملة إيمان...).
(٥) سقطت من (ك).
(٦) سقطت من (س).
(٧) الفرق بين الفرق: ص ١٩١؛ الملل والنحل: ١٤١/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٠.
(٨) زيادة من (ك).
(٩) زيادة من (ك).
(١٠) في (ك): (لا يزيد ولا ينقص).
(١١) سقطت من (ك).
(١٢) سقطت من (ك).

الفرقة الثالثة: التومنية[١]:

أصحاب أبي معاذ التومني، الذي كان يقول: الإيمان [ما وقاك عن الكفر، وإن][٢] الإيمان اسم يقع على خصال كثيرة، كل من ترك خصلة منها كفر، والخصلة الواحدة منها لا تسمى إيماناً ولا بعض إيمان، وكان يقول: لو ترك فريضة مما تعد في الإيمان عنده، يقال فيه فسق، ولا يقال فاسق، وكان يقول: إن الفاسق على الإطلاق من ترك جميع خصال الإيمان وأنكرها كلها.

الفرقة الرابعة: الثوبانية[٣]:

أصحاب أبي ثوبان المرجئ، الذي كان يقول: الإيمان إقرار ومعرفة بالله وبرسله[٤]، وبكل شيء يقدر وجوده في العقل، فزاد هذا القائل [في][٥] القول بالواجبات العقلية بخلاف الفرق الباقية [منهم][٦].

الفرقة الخامسة: المريسية[٧]:

منهم المريسية، أصحاب بشر المريسي[٨]، ومرجئة بغداد من أتباعه،

---

(١) الفرق بين الفرق: ص ١٩٢؛ الملل والنحل: ١٤٤/١؛ المواقف: ص ٧٠٦.
(٢) سقطت من (س).
(٣) الفرق بين الفرق: ص ١٩٢؛ الملل والنحل: ١٤٢/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٠.
(٤) في (س): (برسوله).
(٥) سقطت من (ك).
(٦) سقطت من (ك).
(٧) الفرق بين الفرق: ص ١٩٢؛ الملل والنحل: ١٤٢/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٠.
(٨) هو أبو عبدالرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي، قال عنه الذهبي: «كان بشر من كبار الفقهاء... ثم نظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عالم الجهمية في عصره، فمقته أهل العلم، وكفره عدة»، وفاته سنة ٢١٨هـ.تاريخ بغداد: ٥٦/٧؛ وفيات الأعيان: ٢٧٧/١؛ سير أعلام النبلاء: ١٩٩/١٠.

وكان يتكلم في الفقه[(١)] على مذهب أبي يوسف القاضي[(٢)]، ولكنه خالفه بقوله: إن القرآن مخلوق [وهجره أبو يوسف بسببه [٤٧/ب] وضلله جميع الصفاتية، وكان يقول بخلق الأفعال، وكان يضلله المعتزلة بسببه ويهجرونه][(٣)] وكان مهجوراً من الفريقين، وهو الذي ناظر الشافعي رضي الله عنه في أيامه.

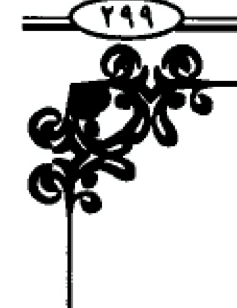
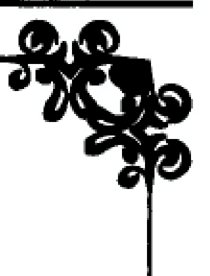
هذه فرق المرجئة المحضة الذين يتبرؤون عن القول بالجبر والقدر.



(١) في (ك): (بالفقه).

(٢) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد الأنصاري الكوفي، كان أبو يوسف التلميذ الأشهر لأبي حنيفة، وكان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب والفقه، قال عنه ابن معين: صاحب حديث وصاحب سنة، وفاته سنة ١٨٢هـ تاريخ بغداد: ٢٤٢/١٤؛ وفيات الأعيان: ٣٧٨/٦؛ سير أعلام النبلاء: ٥٣٥/٨.

(٣) سقطت من (ك).

الباب السابع

في تفصيل مقالات النجارية[(١)] وبيان فضائحهم

وهم أتباع الحسين بن محمد النجار[(٢)]، وهؤلاء يوافقون أهل السنَّة في بعض أصولهم، مثل خلق الأفعال والاستطاعة والإرادة، وأبواب الوعيد، ويوافقون القدرية في بعض الأصول، مثل نفي الرؤية، ونفي الحياة والقدرة، ويقولون بحدوث الكلام، والقدرية يكفرونهم بسبب [مخالفتهم إياهم في بعض المسائل، وأهل السنَّة يكفرونهم بسبب][(٣)] ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل.

ومما أطبق عليه [جميع][(٤)] النجارية قولهم: إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله، وبالفرائض التي أجمع عليها المسلمون، وبالخضوع[(٥)] لله

(١) الفرق بين الفرق: ص ١٩٦؛ الملل والنحل: ٨٦/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٨.

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، أحد كبار المتكلمين، وله مناظرات مع النظام، وذكر له ابن النديم اسماء تصانيف منها: (إثبات الرسل)، (القضاء والقدر)، (الإرادة الموجبة) وغيرها، وفاته في حدود سنة ٢٢٠هـ. الفهرست: ص ٢٢٩؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٤/١٠.

(٣) سقطت من (ك).

(٤) سقطت من (ك) و (س).

(٥) في (ك): (والخضوع).

والإقرار بجميع ذلك باللسان، وقالوا: إن كل خصلة من خصال الإيمان تكون طاعة، ولا تكون إيماناً، وإن الإيمان يزيد وينقص[(١)]، ويقولون: إن حقيقة الجسم أعراض مجتمعة، كاللون والطعم والرائحة [٤٨/أ] وما لا يخلو عنه الجسم من جملة الأعراض.

ويقولون: إن هذه الأعراض إذا اجتمعت كانت جسماً، وربما قالوا: كانت جوهراً[(٢)]، وهذا متناقض؛ لأن الجسم والجوهر[(٣)] لا يكون إلا قائماً بنفسه [وما لا يقوم بنفسه لا يصير قائماً بنفسه][(٤)]، والعرض لا يكون قائماً بنفسه.

ويقولون: إن كلام الله [تعالى][(٥)] إذا قرئ فهو عرض، وإذا كتب فهم جسم، قالوا: ولو كتب بالدم على موضع صار ذلك الدم كلام الله، تعالى [عن قولهم][(٦)].

واختلف أصحاب النجار في العبارة عن قولهم بخلق القرآن، بعد اتفاقهم على أنه مخلوق، وفي غيره اختلافاً كثيراً، فأشهرهم ثلاث فرق.

الفرقة الأولى: البرغوثية[(٧)]:

أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث[(٨)]، وكان على مذهب الحسين

---

(١) في (ك) و (س): (ولا ينقص).
(٢) في (ك): (والجواهر).
(٣) في (ك) و (س): (أو الجوهر).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) سقطت من (ك) و (س).
(٦) سقطت من (ك).
(٧) مقالات الإسلاميين: ص ٢٨٤؛ الفرق بين الفرق: ص ١٩٧؛ الملل والنحل: ١٣٧/١؛ بيان تلبيس الجهمية: ٤٦٦/١.
(٨) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الجهمي، قال عنه الذهبي: «رأس البدعة.. كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة»، له مصنفات عدة منها: (كتاب الاستطاعة)، و(كتاب المقالات)، و(كتاب الرد على جعفر بن حرب)، ومات سنة ٢٤٠هـ. سير أعلام النبلاء: ٥٤٤/١٠.

النجار، إلا أنه خالفه في قوله إن المكتسب لا يكون فاعلاً على الحقيقة، وكان يقول: إنَّ الأفعال المتولدة فعل الله تعالى لا باختيار منه، لكنه بإيجاب الطبع والخلقة، وكان يخالف به النجار، إذ كان النجار يوافق أهل السنَّة في قولهم[(١)]: إنَّ الأفعال المتوالدة فعل الله تعالى [باختياره][(٢)] لا بإيجاب الطبع والخلقة.

الفرقة الثانية: الزعفرانية[(٣)]:

أتباع الزعفراني، الذي كان بالري، وكان يعبر عن مذاهبهم[(٤)] بعبارات متناقضة، وكان[(٥)] يقول: كلام الله تعالى غيره، وإن كل ما هو غيره فهو مخلوق، ثم كان يقول: الكلب خير ممن يقول [إن][(٦)] كلام الله مخلوق، ومن كان كلامه على هذا النمط، فإن[(٧)] الكلام في عقله لا في دينه.

الفرقة الثالثة: المستدركة[(٨)]:

وهم قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم؛ لأنهم زعموا [أنهم][(٩)] استدركوا [٤٨/ب] على أسلافهم ما خفي عليهم، ثم افترقوا فرقتين:

فقالت فرقة منهم: إن النبيّ ﷺ قال: كلام الله تعالى مخلوق، وقالوا قاله على هذا الترتيب بهذه الحروف، قالوا: وكل من لم يقل أن النبيّ ﷺ قال هذا فهو كافر.

وقالت الفرق الأخرى: إن النبيّ ﷺ لم يقل أن كلام الله تعالى

---

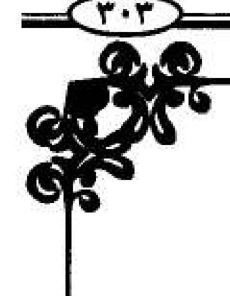
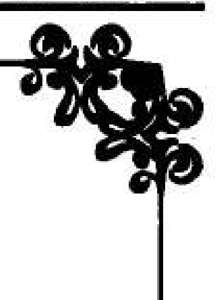
(١) في (ك): (قوله).
(٢) سقطت من (ك).
(٣) الفرق بين الفرق: ص ١٩٧؛ الملل والنحل: ٨٩/١.
(٤) في (ك): (مذهبهم).
(٥) في (ك): (فكان).
(٦) زيادة من (ك).
(٧) في (ك): (كان).
(٨) الفرق بين الفرق: ص ١٩٨؛ المواقف: ص ٧١٠.
(٩) سقطت من (س).

مخلوق، ولم يتكلم بهذه الكلمة على هذا الترتيب، ولكنه يعتقد أن كلام الله تعالى مخلوق، وتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق [قالوا: وكل من قال إنه قال: إن القرآن مخلوق بهذا اللفظ فهو كافر][1].

ومن المستدركة أقوام يقولون: إن أقوال مخالفيهم كلها كذب، وكان واحد من أهل السنَّة يناظر[2] واحداً من هؤلاء[3]، فقال له السني: أنت رجل عاقل ابن حلال لرشدة، فقال له صاحبه: أنت كاذب في هذا القول، فقال له السني: أنت صادق في وصفك قولي هذا بأنه كذب، فانقطع خصمه.



(١) سقطت من (ك).
(٢) في (ك): (يباطن).
(٣) في (ك): (منهم).

الباب الثامن

في تفصيل مقالات الضرارية(١) وبيان فضائحهم

وهم أتباع ضرار بن عمرو(٢)، وهو موافق لأهل السنة في القول بخلق الأفعال، وفي نفي التولد، وهو موافق لأهل القدر في قولهم إن الإستطاعة قبل الفعل، لكنه زاد عليهم بأن قال: [إنه](٣) يجب أن يكون مع الفعل أيضاً، وفارقهم أيضاً بقولهم بأن(٤) الإستطاعة بعض من المستطيع(٥)، ووافق النجار في قوله إن الجسم أعراض مجتمعة، وزاد على الجميع بأن قال: إن الله [تعالى](٦) يرى بحاسة سادسة، خلاف الحواس الخمس التي هي معقولة(٧) للخلق فيما بينهم.

وكان [٤٩/ أ] يقول: إن لله تعالى ماهية يرى هو في تلك الماهية،

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٢٨١؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٠١؛ الملل والنحل: ١/ ٩٠.

(٢) أبو المعتمر ضرار بن عمرو البصري السلمي مولاهم العطار، اختلف مع معتزلة البصرة بأشياء استنكروها عليه ففر إلى بغداد، ثم كان بينه وبين النظام مناظرات ومنازعات، وله تصانيف في الكلام، مات سنة ٢١٥هـ. طبقات المعتزلة: ص ٥٤؛ الفهرست: ٢٠٧؛ سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٤٤.

(٣) سقطت من (ك).

(٤) زيادة من (ك).

(٥) في (ك): (المطيع).

(٦) سقطت من (ك).

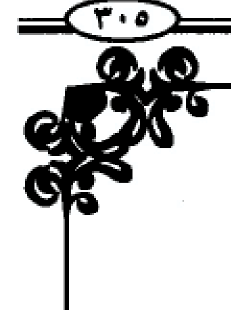
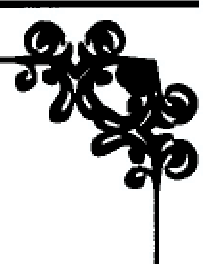
(٧) في (ك) و (س): (مستعملة).

وكان ينكر قراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب، وكان يقول أشهد أن الله تعالى ما أنـزل ذلك على الخلق، وكان يضلل هذين الإمامين من أعلام الصحابة في مصحفيهما، وكان يقول لا أدري أن عوام المسلمين كفار أو مسلمون، وكان لا يحكم بظاهر حالهم، وكان يقول لعل سرائرهم كلها شرك وكفر، وهذا خلاف إجماع أهل السنة، حيث قالوا: إنا نقطع إن في عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك.

وكان يقول: إن الله تعالى يسمى حياً عالماً قادراً، على معنى أنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز، لا على معنى أن له صفة ترجع إلى ذاته، وهذا الكلام منه يوجب أن يكون العرض حياً عالماً قادراً؛ لأنه ليس بميت [ولا جاهل][1] ولا عاجز.



(١) زيادة من (ك).

الباب التاسع[(١)]

في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم

وهم أتباع رجل اسمه بكر ابن أخت عبدالواحد بن زيد[(٢)]، وكان في أيام النظام، وكان يوافقه في قوله إن الإنسان هو الروح [لا هذا القالب الذي تكون الروح][(٣)] فيه، وكان يقول في التولد بقول أهل السنة، وكان ينفرد بضلالات تكفره بها الكافة.

منها قوله: إن الله تعالى يُرى يوم القيامة في صورة يخلقها يكون [هو][(٤)] فيها، ويكلم العباد من تلك الصورة[(٥)].

ومنها أنه كان يقول: من وجدت[(٦)] منه كبيرة من أهل القبلة، فهو

(١) في (ك) و (س): جاءت مقالات الجهمية قبل البكرية، ولكنا التزمنا بترتيب النسخة الأم.

(٢) كذا يرد اسمه في كتب التراجم، وكذا ذكره ابن حزم في الفصل، وعده من الخوارج، إلا أن البعض جعل البكرية من فرق المرجئة، وهو الراجح، وليس هناك تفاصيل كثيرة عن حياته، سوى ما ورد من ذكر لمقالاته في كتب الملل والنحل. لسان الميزان: ٦٠/٢.

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (س).

(٤) سقطت من (ك).

(٥) في (س): (ويعلم العباد عن تلك...).

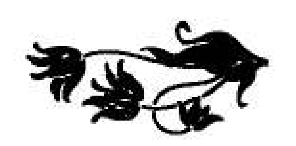
(٦) في (ك) و (س): (وجد).

منافق وعابد الشيطان، وإن كان من أهل القبلة، ويكون في الدرك الأسفل من النار مع المنافقين خالداً مخلداً، ومع هذا [٤٩/ب] كان يقول إنه مؤمن مسلم.

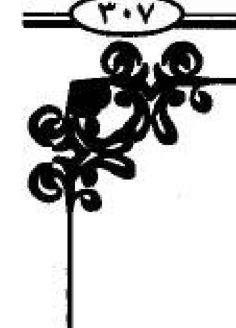
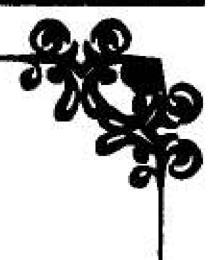
وكان يقول في علي وطلحة والزبير: إنهم أذنبوا ذنوباً كفروا بذلك، وصاروا مشركين، ولكن الله [تعالى][1] يغفر لهم؛ لأن النبيّ ﷺ قال: «**إن الله تعالى اطلع على أهل بدر، وقال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[2].

وكان يقول مقالاً لا يقبله عقل العاقل، وذلك أنه كان يقول: إن الصبيان [في المهد][3] لا يجدون ألماً، حتى لو حرقوا، وقطعوا وقرضوا بالمقاريض[4]، وهم يبكون ويضجون ويصيحون، ولا ينالهم من ذلك ألم بحال، وكان مع هذه البدع يتكلم في الفقه ويقول بتحريم الثوم والبصل.

وكان يقول: متى ما تحرك في الجوف ريح[5] وجب به الطهارة، ومن كان هذا حاله في انتحال مثل هذه البدع، لم يعد خلافه [خلافاً][6] في الشريعة، ونسأل الله سبحانه وتعالى العصمة من مثل هذه الأقوال الفظيعة.



(١) سقطت من (ك) و (س).
(٢) هو جزء من حديث طويل في قصة حاطب بن أبي بلتعة، أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس: رقم ٢٨٤٥؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر: رقم ٢٤٩٤.
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (ك) و (س): (بالمقراض).
(٥) في (ك) و (س): (ريح في الجوف).
(٦) زيادة من (ك) و (س).

الباب العاشر

في تفصيل مقالات الجهمية[١] وبيان فضائحهم

وهم أتباع جهم بن صفوان[٢]، وكان من مذهبه أن لا اختيار[٣] لشيء من الحيوانات في شيء مما يجري عليهم، وإنهم[٤] كلهم مضطرون، لا استطاعة لهم بحال، وإن كل من نسب فعلاً إلى أحد غير الله، فسبيله سبيل المجاز، وهو بمنزلة قول القائل سقط الجدار، ودارت الرحى، وجرى الماء، وانكسفت[٥] الشمس، وهذا القول خلاف ما يجده العقلاء في أنفسهم؛ فإن[٦] كل من يرجع[٧] إلى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه، من أمر ضروري لا اختيار له فيه، وبين ما يختاره ويضيفه إلى نفسه، كما

---

(١) مقالات الإسلاميين: ١٤٨؛ الفرق بين الفرق: ص ١٩٩؛ الفصل في الملل: ١٥٥/٤؛ الملل والنحل: ص ٨٦؛ اجتماع الجيوش الإسلامية: ص ١٣٩.

(٢) هو جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، قال عنه الذهبي: «الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً»، قتل على يد الأمير نصر بن سيار سنة ١٢٨هـ ميزان الاعتدال: ١٥٩/٢؛ لسان الميزان: ١٤٢/٢.

(٣) في (س): (الاختيار).

(٤) في (ك) و (س): (فإنهم).

(٥) في (ك) و (س): (وانخسفت). وما في (ب) هو الأصح في اللغة، ينظر لسان العرب، مادة كسف: ٢٩٨/٩.

(٦) في (ك) و (س): (لأن).

(٧) في (ك): (رجع).

أن كل عاقل يفرق بين كل حركة [٥٠/أ] ضرورية، كحركة المرتعش، وحركة المختار يجد العاقل في نفسه فرقاً بينهما، ومن أنكر هذه التفرقة لم يعد من العقلاء، وكل ما ورد في القرآن من قوله: يعملون، ويعقلون، ويكسبون، ويصنعون، حجة عليهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨].

ولو لم يكن للعبد اختيارٌ كان الخطاب معه محالاً، والثواب والعقاب عنه ساقطٌ[١] كالجمادات، وقد ردَّ الله تعالى على الجبرية والقدرية في آية واحدة، حيث قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ومعناه: وما رميت من حيث الخلق، إذ رميت من حيث الكسب ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب، خلقه خلقاً لنفسه كسباً، فهو مخلوق لله تعالى من وجهين.

ومن ضلالات جهم قوله: إن الجنة والنار يفنيان، كما يفنى سائر الأشياء.

ومن جهالاته[٢] قوله: إن علم الله [تعالى][٣] حادث، وإنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وكان يقول: إن الله تعالى لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد، فلا يجوز أن يقال في وصفه[٤]: إنَّه حيٌّ أو عالمٌ أو مريدٌ أو موجودٌ؛ لأن هذه صفات تطلق[٥] على العبيد، وقال [: إنما يقال في وصفه: إنّه قادرٌ موجدٌ فاعلٌ خالقٌ محيي ومميت؛ لأن هذه الصفات لا تجوز[٦] على العبيد][٧].

---

(١) في (ك) و (س): (ساقطين).
(٢) في (ك): (ضلالاته) وقد سقطت (من جهالاته) من (س).
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (ك) و (س): (حقه).
(٥) في (س): (لا تطلق).
(٦) في (ك): (تطلق).
(٧) سقطت من (س).

وكان يقول: كلام الله حادث، ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه، ومع هذه البدع التي حكيناها [عنه][(١)] كان يدعي الثقافة[(٢)]، وتعاطي السلاح، وكان يحمل السلاح ويخرج على السلطان، وينصب القتال معه، ورافق سريج [٥٠/ب] بن الحارث[(٣)] وبايعه[(٤)]، وخرج على نصر بن سيار حتى قتله سلم بن أحوز المازني في آخر أيام المروانية، وأكثر أتباعه اليوم بنواحي تَرمِذ[(٥)]، وأهل السنَّة يكفرونهم؛ لقولهم بأن علم الله [تعالى][(٦)] حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وإن كلامه حادث، وأهل[(٧)] القدر أيضاً يكفرونهم[(٨)]؛ لقولهم بخلق الأفعال.



---

(١) زيادة من (ك) و (س).

(٢) في (ك): (يعاني الخروج).

(٣) كذا في الأصول، وفي تاريخ الطبري الحارث بن سريج التميمي، من سكان خراسان، وخرج على أميرها سنة ١١٦هـ، فلبس السواد خالعاً الطاعة لابني أمية، وداعياً إلى الرضا، وقاتل نصر بن سيار فهزمه، وعظم أمره، وكثر جنده، إلى أن انهزم على أبواب مرو، فمكث في بلاد الترك اثني عشرة سنة، ثم عاد فخرج سنة ١٢٨هـ مرة أخرى في خراسان، فقتل هناك. ينظر: تاريخ الطبري: ١٥٤/٤؛ البداية والنهاية: ٢٦/١٠.

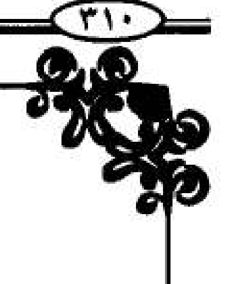
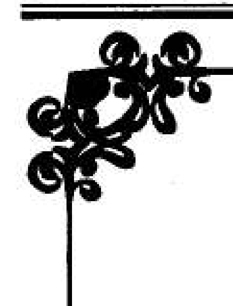
(٤) في (ك): (في وقائعه)؛ وفي (س): (وقائمه).

(٥) قال ياقوت: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي. معجم البلدان: ٢٦/٢.

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) في (ك): (أهل).

(٨) في (ك): (يكفرون)، وسقطت من (س).

الباب الحادي عشر

في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم

وجملة الكرامية ثلاث فرق: حقائقية، وطرائقية، وإسحاقية.

ويعد جميعهم فريقاً واحداً، إذ لا يكفر بعضهم بعضاً، وزعيمهم محمد بن كرام[١] كان من سجستان، فنفي عنها فوقع في غرجستان[٢]، فاغتر بظاهر عبادته أهل شورمين وافنسين[٣]، وانخدعوا بنفاقه، وتابعوه[٤] على خرافاته، وخرج معه قوم إلى نيسابور في أيام محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر، فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد، فدعاهم إلى بدعه، وأفشى فيهم ضلالاته، ونبغ[٥] بها قوم من أتباعه، وتمردوا على نصرة جهالاته، وما أحدثه من البدع في الإسلام أكثر من أن

(١) شيخ الكرامية، قال عنه الذهبي: «خذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها.. كان يقول الإيمان نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد القلب وعمل الجوارح»، قال الحاكم: مكث في سجن نيسابور ثماني سنين، ومات بأرض بيت المقدس سنة ٢٥٥هـ. سير أعلام النبلاء: ١١/٥٢٣؛ لسان الميزان: ٥/٣٥٣.

(٢) قال ياقوت هي (غَرْشِستان)، والعوام يسمونها (غرجستان): وهي ولاية غرب هراة، والغور في شرقها، ومرو الروذ عن شمالها وغنة عن جنوبها. معجم البلدان: ٤/١٩٣.

(٣) في ك: (شومين وافشين)، وفي (س): (الشومين وافشين).

(٤) في (ك) و (س): (وبايعوه).

(٥) في (ك) و (س): (واتبع).

يمكن جمعه في [مثل][١] هذا المختصر، ولكننا نذكر من كل نوع شيئاً يتنبه به العاقل عن فساد ما كان ينتحله.

منها: أنه كان يسمى معبوده جسماً، وكان يقول له حد واحد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش، ولا نهاية له من الجوانب الأخر، كما قالت الثنوية[٢] في معبودهم: إنه نور متناه من الجانب الذي يلي الظلام، فأما من الجوانب الخمس الأخر فلا تتناهى[٣] [٥١/أ].

وقد ذكر في كتاب (**عذاب القبر**) أن معبوده أحدي الذات، أحدي الجوهر، وأطلق عليه اسم الجوهر، كما أطلقه النصارى، وأتباعه [اليوم][٤] يتبرأون من إطلاق اسم الجوهر، ويطلقون عليه سمة[٥] الجسم، كامتناع المعروف بشيطان الطاق من الروافض من إطلاق سمة[٦] الجسم عليه، ثم قوله على أنه صورة إنسان، فكان ما فروا إليه شراً مما فروا عنه، ومما ذكره[٧] في ذلك الكتاب قوله: إن الله[٨] تعالى مماس[٩] للعرش، والعرش مكان له، ولما نظر أتباعه إليه، فروا مما فيه من الشنعة، فقالوا: لا نقول أنه مماس[١٠] للعرش، ولكنا نقول أنه ملاق للعرش، وليت شعري أي تفرقة بينهما، لولا غباوة القوم[١١] وغفلتهم عن التحقيق.

---

(١) سقطت من (ك).
(٢) وهم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام. الملل والنحل: ٢٤٤/١.
(٣) في (ك): (يتناهى) وسقطت من (س).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) في (ك) و (س): (اسم).
(٦) في (ك) و (س): (اسم).
(٧) في (ك): (ذكر).
(٨) في (ك): (إنه).
(٩) في (س): (ما بين).
(١٠) في (س): (ما بين).
(١١) في (ك) و (س): (الخلق).

وسأل بعض أتباع الكرامية في مجلس محمود بن سُبُكْتِكين[(١)]، سلطان زمانه رحمه الله، إمام زمانه أبا إسحاق الأسفراييني (رحمة الله عليه)[(٢)] عن هذه المسألة، فقال: هل يجوز أن يقال الله سبحانه [وتعالى][(٣)] على العرش، وأن العرش مكان له؟ فقال: لا، وأخرج يديه ووضع إحدى كفيه على الأخرى، وقال: كون الشيء على الشيء هكذا يكون[(٤)]، ثم لا يخلوا [من][(٥)] أن يكون مثله، أو [يكون][(٦)] أكبر منه، أو أصغر منه [وأي هذه الثلاثة كان][(٧)] فلا بد من مخصص خصه، وكل مخصوص متناهي[(٨)]، والمتناهي لا [يجوز أن][(٩)] يكون إلهاً؛ لأنه يقتضي[(١٠)] مخصصاً ومنهياً[(١١)]، وذلك علم الحدوث، فلم يمكنهم أن يجيبوا عنه، فأغروا به رعاعهم، حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه، ولما[(١٢)] دخل عليه [٥١/ب] وزيره أبو العباس

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن سبكتكين التركي، يمين الدولة، فاتح الهند، قال عبدالغفار الفارسي في ترجمته: «كان صادق النية في إعلاء الدين مظفراً كثير الغزو، وكان ذكياً بعيد الغور، صائب الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء»، ولد في غزنة سنة ٣٦١هـ، ووفاته فيها سنة ٤٢١هـ. وفيات الأعيان: ١٧٥/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٤٨٣/١٧؛ البداية والنهاية: ٣١/١٢.

(٢) في (ك) و (س): (رحمه الله). هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الأسفراييني المتكلم الأصولي، الفقيه الشافعي، قال عنه الذهبي: الإمام العلامة الأوحد، الأستاذ.. صاحب المصنفات الباهرة، وفاته سنة ٤١٨هـ. وفيات الأعيان: ٢٨/١؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥٣/١٧؛ طبقات الشافعية: ١٧١/٢.

(٣) زيادة من (ك) و (س).

(٤) في (ك) و (س): (يكون هكذا).

(٥) سقطت من (ك).

(٦) زيادة من (ك).

(٧) سقطت من (ك).

(٨) في (ك) و (س): (يتناهى).

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) في (س): (يقتصر).

(١١) في (ك): (ومتهى).

(١٢) في (ك) و (س): (فلما).

الأسفراييني (رحمه الله)[(١)] قال له محمود: (كجابودي أين هم شهرى توخداي كراميان رابسرايشان به زد).

ولما ورد عليهم هذا الإلزام تحيروا، فقال قوم منهم: إنه أكبر من العرش، وقال قوم: إنه مثل العرش، وارتكب ابن المهاجر منهم قوله: أن عرضه عرض العرش، وهذه الأقوال كلها متضمنة لإثبات النهاية، وذلك علم الحدوث، ولا يجوز أن يوصف به صانع العالم.

ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم ـ لعلمهم بافتضاحه ـ هو قولهم: إن[(٢)] معبودهم محل الحوادث، تحدث في ذاته أقواله وإرادته، وإدراك المسموعات[(٣)] والمبصرات، وسموا ذلك سمعاً وتبصُّراً، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا أن هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم، قالوا: إن هذه الحوادث هي الخلق والقدرة تتعلق بهذه الحوادث، والمخلوق يقع تحت الخلق لا تتعلق به القدرة، فالخلق عندهم هو القدرة على التخليق، وهو قوله لما يريد أن يخلقه: كن جوهراً، وهذا يوجب أن يحدث في ذاته كاف ونون وجيم وواو وهاء وراء وألف [وتسمّع وتبصّر][(٤)] وإرادة، قالوا: وإذا أراد إعدام شيء يقول له افن، فيصير الشيء فانياً، والإفناء والإعدام يكونان في ذاته لا يفنيان، وهذا يوجب أن يكون الشيء موجوداً مفنياً[(٥)] لوجود الإعدام، والإيجاد في ذاته [٥٢/أ] على زعمهم، فإن قالوا: إنهما يفنيان عن ذاته حكموا بتعاقب [الحوادث][(٦)]، وهو أول ما يستدل به على حدوث الأجسام، كيف وقولهم يوجب أن [تكون][(٧)]

(١) سقطت من (ك) و (س)، لم أقف على ترجمة له.
(٢) في (ك) و (س): (بأن).
(٣) في (ك): (وإدراكه للمسموعات).
(٤) في (ك) و (س): (وسمع).
(٥) في (ك): (معنى).
(٦) زيادة من (ك) و (س).
(٧) سقطت من (ك) و (س).

الحوادث في ذاته سبحانه [وتعالى][(١)] أضعاف الحوادث في العالم، فإذا دلت حوادث العالم على حدوثها[(٢)]، فما[(٣)] هو أضعاف من[(٤)] الحوادث أولى أن يدل على حدوث محلها.

ولم يجد هؤلاء في الأمم من يكون [قدوة][(٥)] لهم القول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس، فرتبوا مذهبهم على قولهم، وذلك أن المجوس قالوا: تفكر[(٦)] يزدان في نفسه أنه يجوز أن يظهر له منازع ينازعه في مملكته، فاهتم لذلك فحدثت في ذاته عفونة[(٧)] بسبب هذه الفكرة، فخلق منها الشيطان، فلما سمعت الكرامية هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث في ذاته سبحانه تعالى الله عن قولهم، فلزمهم أن يجوزوا حلول الألم واللذة والشهوة والموت والعجز والمرض عليه، فإن ما[(٨)] كان محلا للحوادث لم يستحل عليه هذه الحوادث كالأجسام.

ومما أحدثوه من البدع قولهم: إن كل اسم يشتق له [من فعل][(٩)] من أفعاله [فيها لا يزال][(١٠)] كان ذلك الاسم ثابتاً له في الأزل، مثل الخالق والرازق والمنعم، وقالوا: إنه كان خالقاً قبل أن خُلق، ورازقاً قبل أن رُزق، ومنعماً قبل أن أنعم، فقيل لهم: إذا لم يكن [له][(١١)] خلق، فبماذا يكون خالقاً؟ فقالوا: خالق بخالقية ورازق برازقية، ثم طردوا سخنة

---

(١) سقطت من (ك).
(٢) في (ك): (حدوثه).
(٣) في (س): (مما).
(٤) في (ك): (تلك).
(٥) سقطت من (ك) و (س).
(٦) في (س): (بكفر).
(٧) في (س): (عقوبة).
(٨) في (ك) و (س): (من).
(٩) سقطت من (ك) و (س).
(١٠) سقطت من (ك).
(١١) سقطت من (ك).

أعينهم[١]، فقالوا: عليم بعالمية، قادر بقادرية، لا يعلم ولا يقدر[٢]، وإن كان له علم وقدرة، فلحقوا بالمعتزلة [٥٢/ب] في قولهم إنه عالم [لا بعلم][٣] [قادر لا بقدرة][٤]، وزادوا عليهم قولهم إن له علماً، ثم امتنعوا أن يقولوا إنه في الأزل خالق بخلقه، أو لخلقه [قالوا: إذا لم يكن خلق لا يمكن أن يقال إنه خالق بخلقه][٥]، وهذا يوجب عليهم أن لا يمكنهم[٦] القول بأنه خالق في الأزل، إذ لا خالق بلا خلق، كما لا يمكنهم القول بأنه خالق بخلقه[٧]، إذ لا خالق بلا خلق، وكما لا خالق للخلق إلا بخلق.

وقولهم بالخالقية والعالمية إحداث لفظ لم يتكلم به عربي ولا عجمي، ولا تعجب منهم أن يحدثوا مثل هذه العبارة، وقد تكلم زعيمهم في كتاب [عذاب][٨] القبر بما[٩] هو أعجب منه، فقال باب كيفوفية الله، فلا يدري [العاقل][١٠] أيتعجب[١١] من لفظه الذي أطلقه، أو من حسن معرفته بمواقع[١٢] العربية، وليت شعري كيف أطلق الكيفية عليه [وهي من صفات المحدثات، ومن لا يجوز عليه التشبيه لا يجوز الكيفية عليه][١٣]

---

(١) في (ك): (سخنت عيونهم)، وفي (س): (سحر عيونهم)، قال ابن منظور: «سخنت عينه سخنةً وهي نقيض قرت». لسان العرب، مادة سخن.

(٢) في (ك) و (س): (لا بعلم ولا بقدرة).

(٣) سقطت من (س).

(٤) زيادة من (ك) و (س).

(٥) زيادة من (ك) و (س).

(٦) في (س): (يمكنه).

(٧) في (ك) و (س): (لخلقه).

(٨) سقطت من (ك).

(٩) في (ك) و (س): (مما).

(١٠) زيادة من (ك).

(١١) في (ك): (مم يتعجب).

(١٢) في (ك) و (س): (بمواضع).

(١٣) سقطت من (ك) و (س).

ولعله أراد أن يخترع من نفسه عبارة لم يسبق إليها، [مما][١] تليق بعقله، فإنه قد قال في هذا الكتاب ـ لما أراد أن يعبر عن مكان معبوده ـ فقال له: حيثوثية تختص به[٢]، وأراد أن يتكلم على مخالفيهم[٣]، فقال: إذا [قال][٤] لك الشكاك باحموقيتهم.

وهذا الكتاب الملقب بعذاب القبر أصل مذهبهم، وحاله في اللفظ والمعنى[٥]، كما وصفته[٦] لك، وإنما[٧] اغتر بهم بعض أغمار الولاة، نفق لهم سوق تطاولوا به على [بعض][٨] الرعايا، فلحق بهم أقوام مسهم شيء من الفضل في باب الأدب، فاستحيوا من إظهار كتابه[٩] الملقب بـ (عذاب القبر) فوضعوا كتاباً آخراً سموه بهذا الاسم، ونسبوه إليه وهم يظهرونه [٥٣/أ] وأخفوا أصله الذي صنفه.

واعلم أن من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام، وقولهم أن كلام الله قديم، وقوله حادث وليس بمحدث، وقوله[١٠] حروف وأصوات [وكلامه ليس بحرف ولا صوت][١١]، وإنما هو قدرته على التكليم والتكلم، وأي عاقل يسوّغ تفسير الكلام بالقدرة، وقالوا: كلامه ليس بمسموع وقوله مسموع، ومن شرِّ اختياراتهم[١٢] لحقوقهم بالمعتزلة في

---

(١) سقطت من (ك).
(٢) في (ك) و (س): (يختص بها).
(٣) في (ك) و (س): (مخالفيه).
(٤) سقطت من (س).
(٥) في (ك) و (س): (وحكمه في الوصف والمعنى).
(٦) في (ك) و (س): (ذكرت).
(٧) في (ك) و (س): (ولما).
(٨) سقطت من (ك) و (س).
(٩) في (ك): (كتاب).
(١٠) في (ك): (وله).
(١١) سقطت من (ك) و (س).
(١٢) في (ك) و (س): (سوء اختارهم).

القول بالواجبات العقلية قبل ورود الشريعة[١]، وفي القول بإيجاب أشياء وحظر أشياء على الله تعالى، وترتيبهم عليه شريعة، كما رتبها عليهم، ومن كانت هذه مقالته لم يكن في نفسه الانقياد للعبودية، وإنما يطلب درجة المساواة معه، ونعوذ بالله من قول يؤدي إلى ذلك.

ومن بدعهم في باب النبوة والرسالة [قولهم: إن النبوة][٢] والرسالة عرضان حالان في الرسول، والنبي ليس هو المعجزة[٣]، ولا الوحي ولا العصمة، ويزعمون أن من حصل فيه ذلك المعنى، وجب على الله تعالى أن يرسله إلى الخلق [فيكون قبل أن يرسله إلى الخلق][٤] رسولاً بذلك المعنى، فإذا أرسله يكون مرسلاً، ولم يكن قبله مرسلاً؛ ولهذا المعنى يقولون أن النبيّ ﷺ في القبر رسول، وليس بمرسل، والذي عليه أهل السنَّة أنه في القبر رسول ومرسل، على معنى أن الله تعالى أرسله، وأنه أدى رسالته، وهذا الاسم مستحق له، وإن كان قد فرغ من ذلك الفعل، كما [٥٣/ب] أن المؤمن في قبره مؤمن، على معنى أن هذا الاسم مستحق له، فيما تقدم من فعله، وكذلك في العرف والعادة، يطلق اسم ما فعله الإنسان من [حسن أو][٥] قبيح، وإن كان قد فرغ من فعله، كما يسمى حاجاً وغازياً وسارقاً وزانياً[٦]، وإن كان قد فرغ من فعله، وكذلك أسماء[٧] الحرف كالنجار والخياط[٨] والصفار، وإن كان فارغاً من فعله، ولا عاقل يستجيز أن يقول إن المسمى بالرسول مشتغل بأداء رسالته في قبره، كما أن المسمى بهذه[٩]

---

(١) في (ك) و (س): (الشرع).
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (ك) و (س): (ليست هي المعجزة).
(٤) سقطت من (ك).
(٥) سقطت من (ك) و (س).
(٦) في (ك) و (س): (أو سارقاً أو غازياً).
(٧) في (ك) و (س): (اسم).
(٨) في (ك) و (س): (كالخياط والنجار).
(٩) في (ك): (لهذا).

الأسماء التي عددناها لا يكون مشتغلاً بفعله الذي سمي به، ولكنه يكون مستحقاً لوصفه بما سبق منه من فعله.

واعلم أن[(١)] هذا الذي قالوه في وصف الرسول بأن[(٢)] هذا المعنى فيه عندهم عرض خلق فيه قبل أن أوحى إليه ليس بكسب، ولا له فيه كسب، وما لا يتعلق بكسب[(٣)] لا يكون له عليه أجر بحال كخلقه وخلقه ولونه وكونه.

ومن بدعهم في باب الإمامة [قولهم][(٤)]: إن علياً ومعاوية [رضي الله عنهما][(٥)] كانا إمامين محقين في وقت واحد (وكان واجباً على [كل أحد])[(٦)] اتباع كل واحد منهما طاعة أميره، ولو كان ـ كما قالوا ـ لوجب أن يكون كل واحدٍ منهما ظالماً في مقاتلة صاحبه؛ لأن من زاحم إماماً عادلاً محقاً كان مبطلاً ظالماً.

ومن بدعهم في باب الإيمان قولهم: إن الإيمان قول مجرد، لا هذا القول الذي يقوله القائل الآن أنه لا إله إلا الله، ولكن هذا القول الذي صدر عن ذرية آدم في وقت[(٧)] الميثاق، حين قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢][(٨)]، ويقولون: إن ذلك القول [٥٤/أ] قول باقٍ أبداً، لا يزول حكمه إلا بأن يرتد عنه، فحينئذٍ يزيلون[(٩)] حكمه.

---

(١) في (ك) و (س): (بأن).
(٢) في (ك) و (س): (من أن).
(٣) في (ك): (بكسبه).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) سقطت من (ك) و (س).
(٦) سقطت من (ك)، وما بين ( ) سقط من (س).
(٧) في (ك) و (س): (بعث).
(٨) في (ب) جاءت الآية الكريمة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].
(٩) في (ك): (يزول).

وقالوا: إن الزنديق والمنافق[١] إذا قال بلسانه لا إله إلا الله، وفي قلبه النفاق والزندقة، فهو مؤمن حقاً [وإيمانه كإيمان الأنبياء والمرسلين، وقالوا:][٢] إن المنافقين الذين كانوا في عهد النبيّ[٣] ﷺ كان إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل وجميع الأنبياء والأولياء.

ومن خرافاتهم في باب الفقه قولهم: إن الصلاة جائزة في أرض نجسة، في مكان نجس، في ثياب نجسة، وإنها جائزة، وإن كان بدنه نجساً، وزعموا أن الطهارة من النجاسة ليست بواجبة، ولكن الطهارة من الحدث واجبة، وزعموا أن غسل الميت ليس بواجب، إن الصلاة عليه ليست بواجبة، ولكن[٤] تكفينه ودفنه واجب، وزعموا أن الصلاة المفروضة والحج المفروض لا يحتاج[٥] إلى النية، ويكفي فيهما النية السابقة في الذر الأول، وكذلك في جميع الفرائض، ولكن النوافل تجب فيها النية؛ لأنهم لم يقبلوها في الذر الأول، وليتهم علموا من أين يقولون هذا؟ ومن أين علموا أنه قد عرضت عليهم الفرائض بتفاصيلها وقبولها؟ فإن كانوا يبنون هذا على ما في القرآن، وليس في القرآن أكثر من عرض كلمة الإيمان عليهم.

ومن حماقاتهم مع ما حكيناه من جهالاتهم في الفروع والأصول: إن زعيماً من زعمائهم كان يريد تفصيل الكلام على الفقه، وكان يقول إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا تخرج من سراويل [٥٤/ ب] امرأة، ومن تكلم على سبيل التحقير على علم الشريعة، وقصد الإزراء بأئمة الدين، وتكلم فيهم وفي علم الشريعة بمثل هذا الكلام، كان بعيداً من أن يكون له حظاً [في[٦] الديانة.

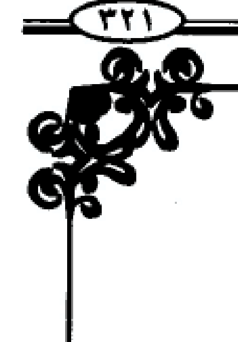
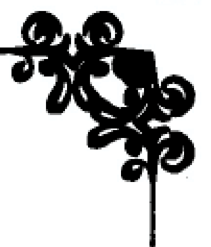
---

(١) في (ك): (أو المنافق).
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (ك) و (س): (رسول الله).
(٤) في (س): (ويمكن).
(٥) في (ك) و (س): (يحتاجان).
(٦) في (ك): (من).

وكان][1] من متأخريهم رجل يقال له إبراهيم بن مهاجر، وكان يقول إن الاسم عرض في المسمى قائم به، وكان مع ذلك يقول: إن الله تعالى جسم، وكان يقول: إن قول القائل: الله الرحمن الرحيم الخالق الرازق، كلها أعراض في المسمى، وكان يجري ذلك في أسماء الناس، وكان يقول: إن الزاني ليس بجسم بل هو (عرض [في جسم])[2]، وأن الحد يكون حداً على الجسم لا على الزاني، وهكذا كان يقول في السارق وغيره من الأسماء، وهذا يوجب أن يكون معبوده عرضاً لا ذات الباري جلَّ جلاله، ومن أراد أن يجمع كتاباً يحصر فيه فضائحهم، يطول[3] عليه الأمر، ويعذر عليه الحصر، فنسأل الله [تعالى][4] التوفيق والعصمة من كل الحاد وبدعة.



(١) سقطت من (س).
(٢) زيادة من (ك). وما بين القوسين ( ) سقطت من (س).
(٣) في (ك) و (س): (طال).
(٤) سقطت من (ك) و (س).

الباب الثاني عشر

في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم

وجملة المشبهة صنفان: صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات، وصنف منهم يشبه ذواته بذوات أغياره(١).

وأول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة:

السبائية من الروافض(٢): الذين قالوا بإلهية علي (كرم الله وجهه)(٣) حتى أحرق علي [رضي الله عنه](٤) قوماً منهم، فازدادوا بعده عتواً في ضلالتهم، وقالوا: الآن علمنا على الحقيقة أنه إله(٥)؛ لأن النبيّ ﷺ قال: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**»(٦).

---

(١) في (ك) و (س): (وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره).

(٢) فرق الشيعة: ص ٢٢؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٢٤؛ الملل والنحل: ١٧٤/١؛ منهاج السنة النبوية: ٤٥٩/٣.

(٣) زيادة من (ك).

(٤) سقطت من (ك) و (س).

(٥) في (ك) و (س): (الإله).

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار: رقم ٢٦٧٣؛ مسند أحمد: ٤٩٤/٣؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٧٢/٩.

ثم **البيانية**(١): أتباع [٥٥/ب] بيان بن سمعان، الذي كان يقول: إن معبوده نور، صورته صورة إنسان، وله أعضاء كأعضاء الإنسان، وإن جميع أعضائه تفنى إلاَّ الوجه.

ثم **المغيرية**(٢): أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، الذي كان يقول: إن لمعبوده(٣) أعضاء، وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء.

ثم **المنصورية**(٤): [أتباع أبي منصور](٥) العجلي، الذي كان يقول: إنه صعد إلى السماء إلى معبوده، وإن معبوده مسح [بيده](٦) على رأسه، وقال: يا بني بلغ عني.

ثم **الخطابية**(٧): الذين كانوا يقولون بإلهية الأئمة، وكانوا يقولون: إن أبا الخطاب الأسدي(٨) إله.

ثم **الحلولية**(٩): الذي كانوا يقولون: إن الله تعالى يحل في صورة الحسان، ومتى ما رأوا صورة حسنة سجدوا لها.

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٩؛ فرق الشيعة: ص ٣٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٣٤؛ الملل والنحل: ١٧٨/١؛ منهاج السنة النبوية: ٥٠٥/٢.

(٢) في (س): (المتعزلة).

(٣) في (ك) و (س): (للمعبود).

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ٩؛ فرق الشيعة: ص ٣٨؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٨؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٣٤؛ الملل والنحل: ١٧٨/١؛ منهاج السنة النبوية: ٥٠٥/٢.

(٥) سقطت من (س).

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) مقالات الإسلاميين: ص ١٠؛ فرق الشيعة: ص ٦٩؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٣٣/٢؛ الملل والنحل: ١٧٩/١؛ منهاج السنة النبوية: ٥٠٢/٢.

(٨) هو أبو الخطاب محمد بن أبي زينب (واسمه مقلاص) الأسدي الكوفي ترجمته عند الإمامية، قال المجلسي: «كان في أول أمره من أجلاء أصحاب الصادق ج ثم ارتد وابتدع مذاهب باطلة ولعنه الصادق ج وتبرأ منه.. واختلف الأصحاب فيما رواه حال استقامته، والأكثر على جواز العمل بها..». بحار الأنوار: ٢٢٠/٦٩؛ أعيان الشيعة: ٣٤٨/٢.

(٩) الفرق بين الفرق: ص ٢١٥؛ الملل والنحل: ١٠٧/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٣؛ التنبيه والرد على أهل الأهواء: ص ٢٢.

ومن جملة المشبهة:

المقنعية(١): وهم مشبهة(٢) ما وراء النهر [يدعون](٣) إلٰهية المقنع(٤).

ومن جملتهم:

الهشامية(٥): أتباع هشام بن الحكم الرافضي، الذي كان يقيس معبوده على الناس، وكان يزعم أن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه [كما أن كل إنسان يكون سبعة أشبار بشبر نفسه](٦) وأنه يتلألأ، كما تتلألأ النقرة البيضاء من كل جانب.

ومن جملتهم **الهشامية**(٧) **[الثانية]**(٨): وهم أتباع هشام بن سالم الجواليقي، الذي كان يزعم أن معبوده على صورة إنسان، ولكن نصفه الأسفل مصمت، ونصفه الأعلى مجوف، وله شعر أسود على رأسه [وهو نورٌ أسود](٩)، وأن قلبه منبع الحكمة [تنبع منه الحكمة كما](١٠) ينبع الماء من العيون.

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٩؛ الفصل في الملل: ١٤٣/٤؛ الفرق بين الفرق: ص٢١٥.

(٢) في (ك) و (س): (مبيضة).

(٣) سقطت من (س).

(٤) لا يعرف اسمه بالتحديد، قيل عطاء وقيل حكيم، ويعرف بالمقنع الخراساني، من أهل مرو وكان يعرف شيئاً من السحر، فادعى الربوبية من طريق المناسخة، يقال إنه اتخذ قناعاً من ذهب لقبحه، تبعه خلق كثير، وقتل سنة ١٦٣هـ. تاريخ الطبري: ٥٦٠/٤ وما بعدها؛ وفيات الأعيان: ٢٦٣/٣.

(٥) مقالات الإسلاميين: ٣١/١؛ الفرق بين الفرق: ص ٢١٦؛ الملل والنحل: ٧٢/١.

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) مقالات الإسلاميين: ص ٣٤؛ الفرق بين الفرق: ص ٤٧؛ الملل والنحل: ١٨٥/١؛ تلبيس إبليس: ص ١٠٤.

(٨) سقطت من (ك) و (س).

(٩) سقطت من (ك) و (س).

(١٠) سقطت من (ك) و (س).

ومن جملتهم اليونسية[١]: أتباع يونس بن عبدالرحمٰن [٥٥/ب] القمي[٢]، الذي كان يقول حملة عرش الرحمٰن يحملونه، وإن كان هو أقوى منهم، كما أن رجل الكركي تحمل بدنه، وإن كان بدنه أقوى من رجله.

وكان داود الجواربي من جملة المشبهة (يثبت لمعبوده جميع أعضاء الإنسان، وكان يقول اعفوني عن الفرج واللحية[٣].

و[اعلم أن][٤] الكرامية من جملة المشبهة)[٥]؛ لقولهم: إنه[٦] جسم، و[أن][٧] له حد ونهاية، وأنه محل الحوادث، وأنه مماس للعرش ملاقٍ له.

فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات.

وأما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية، الذين أثبتوا إرادات[٨] حادثة كإرادات الإنسان، قالوا: إنها من جنس إرادتهم، وشبهوا كلامه بكلام الخلق، وقالوا: إنه عرض حال في جسم، وكذلك الكرامية شبهوا [في][٩]

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص ٣٥؛ الفرق بين الفرق: ص ٥٢؛ الملل والنحل: ١/١٨٨؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٦٥.

(٢) ذكره أهل السنّة في كتب الملل والنحل على سبيل الذم فقد زعم أن الله تعالى يحمله حملة عرشه، وإن كان هو أقوى منهم. مقالات الإسلاميين: ص٣٥؛ الفرق بين الفرق: ص ٥٢؛ الملل والنحل: ١/١٤٠. أما الشيعة الإمامية فعدوه من رواتهم الثقات، قال عنه النجاشي: «كان وجهاً في أصحابنا متقدماً عظيم المنزلة»، وذكره ابن المطهر الحلي في القسم الأول من خلاصته، مات سنة ٢٠٨هـ. رجال النجاشي: ٢/٤٢٠؛ الخلاصة: ص ١٨٤.

(٣) الملل والنحل: ١/١٠٥؛ بيان تلبيس إبليس على الجهمية: ١/٤٠٩؛ منهاج السنة النبوية: ٢/٦١٧.

(٤) سقطت من (ك).

(٥) ما بين القوسين ( ) سقطت من (س).

(٦) في (ك) و (س): (بأن).

(٧) سقطت من (ك) و (س).

(٨) في (ك) و (س): (إرادة).

(٩) زيادة من (ك) و (س).

الصفات، فقالوا: إن إرادته وقوله عرض حادث [عرض][١] من جنس كلام الخلق وإراداتهم.

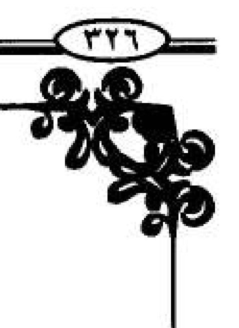
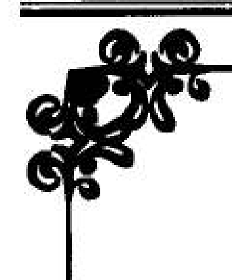
والزرارية: من الروافض، أتباع زرارة بن أعين، زعموا أن حياته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره كحياة الخلق، وعلمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم، وزعموا أنها كلها حادثة مثل صفات الأجسام.

والشيطانية: من الروافض زعموا أن الله[٢] تعالى لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون، وإن علمه محدث كعلوم العباد.

ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة، علم كفرهم وضلالاتهم[٣]، ولم يبق له في ذلك شبهة، فاستغنى بذكرها عن إقامة الحجة عليها.



(١) سقطت من (ك).
(٢) في (س): (أنه).
(٣) في (ك) و (س): (وضلاتهم).

الباب الثالث عشر

في بيان فرق [أهل البدع](١) الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون في زمرة المسلمين

ولا يكونون [٥٦/أ] من جملة الاثنين والسبعين، وهم أكثر من عشرين فرقة [جملة، وتفصيلاً](٢).

الفرقة الأولى: السبائية:

منهم السبائية أتباع عبدالله بن سبأ، وقد ذكرنا من مقالتهم طرفاً، ونـزيدها شرحاً وبياناً، وذلك أنه كان ذلك أنه كان من غلاة الروافض، وكان يقول في أول أمره إن علياً كان نبياً، ثم زاد على ذلك فقال: كان إلهاً، وكان يقول هو الإله في الحقيقة، وكان يدعو الخلق إلى مقالته [هذه](٣) فأجابته جماعة إليها في وقت علي (رضي الله عنه)(٤)، فلما رفع خبره إلى علي أمر بحفر حفرتين، وكان يحرقهم فيهما، حتى قال الشاعر في معناه:

---

(١) زيادة من (ك) و (س).

(٢) سقطت من (ك) و (س).

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) في (ك): (كرم الله وجهه).

لِتَرمِ بِيَ الحوادِثُ حَيثُ شاءَت ... إذا لَم تَرمِ بي في الحُفرتينِ[(١)]

ولما أحرق علي رضي الله عنه بعضهم[(٢)]، نفى عبدالله بن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قتل علي، قال عبدالله بن سبأ: إن علياً حي لم يمت ولم يقتل[(٣)]، وإنما [الذي][(٤)] قتل شيطان تصوّر بصورته [قال][(٥)] وتوهّمت الناصبة[(٦)] أنه قتل، كما توهّم اليهود والنصارى أن المسيح [عليه السلام][(٧)] قتل، [قال][(٨)]: وهذا التوهم منهم خطأ، وهذا القول منهم كذب، بل هو في السماء، وعن قريب ينزل وينتقم من أعدائه، وقال قوم منهم[(٩)]: إنه في الغيم والرعد صوته [والبرق سوطه][(١٠)]، وإذا سمعوا سوط الرعد، قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وقال إسحاق بن سويد العدوي في صفتهم:

برِئت من الخوارج لستُ منهم ... مِنَ الغَزّال منهم وابنِ بابِ
ومِن قومٍ إذا ذَكَروا علياً ... يَردُّون السَّلامَ على السَّحابِ
ولكنّي أحبّ بكلِّ قلبي ... وأعلَمُ أنّ ذاكَ من الصَّوابِ
رسولَ اللهِ والصِّدّيقَ حُبّاً ... به أرجُو غداً حُسْنَ الثوابِ [٥٦/ب][(١١)]

(١) البيت ينسب لقبيصة. ابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف: ص ٢٢٩.
(٢) في (ك) و: (ولما أحرقهم علي رضي الله عنه).
(٣) في (ك) و (س): (لم يقتل ولم يمت).
(٤) زيادة من (ك).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (ك): (الناس)، وسقطت من (س).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) زيادة من (ك).
(٩) في (ك): (بعضهم).
(١٠) زيادة من (ك) و (س).
(١١) وردت الأبيات الشعرية في (ب) البيت الأول والثاني فقط وبينهما عبارة: «وقد سبق الشعر سوى قوله...»، وذكر البيت الأخير. وقد تقدم التعريف بالشاعر وعزو الأبيات الشعرية ص ٢٥٠.

ووافق ابن السوداء عبدالله بن سبأ بعد وفاة علي [رضي الله عنه][(١)] في مقالته[(٢)] هذه، وكانا يدعوان الخلق إلى ضلالتهما، ويقولان: إذا نزل من السماء تفتح له في مسجد الكوفة عينان[(٣)]، إحداهما من العسل، والأخرى من السمن وشيعته يأكلون منها[(٤)].

واعلم أن ابن السوداء كان رجلاً يهودياً، وكان قد تستر بالإسلام، وأراد[(٥)] أن يفسد الدين على المسلمين، فتعلق بهؤلاء ووافقهم فيما كانوا فيه لهذا الغرض الفاسد، والعجب من هؤلاء [أنهم][(٦)] يلعنون ابن ملجم، ويزعمون أن الذي قتله ابن ملجم كان شيطاناً، ومن قتل شيطاناً كان محموداً، فكيف يلعنونه مع هذه العقيدة؟.

الفرقة الثانية: البيانية:

منهم البيانية أتباع ابن سمعان التميمي، الذين كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية، وقد ذكرناهم قبل، غير أن كثيراً من أتباعه يقولون إنه كان نبياً، وأنه نسخ بعض شريعة محمد [ﷺ][(٧)]، وقالوا: هذا هو المراد بقوله [تعالى][(٨)]: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقوم من أتباعه قالوا: إنه كان إلهاً، وقالوا: إنه روح الإله قد حلَّ فيه، وأنه يحل في الأنبياء والأئمة، وينتقل من واحد إلى واحد [آخر][(٩)]، وقالوا: إن روح الإله قد انتقل من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إلى بيان، وكان يدعي

---

(١) سقطت من (ك).
(٢) في (س): (مقالاته).
(٣) في (س) و(ك): (تفتح له عينان...).
(٤) الذي يقرأ كلام المؤلف يظن أن ابن السوداء هو شخص آخر غير عبدالله بن سبأ، والصحيح أنهما شخص واحد.
(٥) في (ك) و (س): (أراد).
(٦) سقطت من (ك) و (س).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) سقطت من (ك) و (س).
(٩) زيادة من (ك).

لنفسه الإلٰهية على معنى الحلول، وكان يدعي أنه يعرف اسم الله الأعظم، وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه، ولما وصل خبره إلى [خالد بن][١] عبدالله القسري[٢] صلبه، وكفى الناس[٣] شره.

الفرقة الثالثة: المغيرية:

منهم المغيرية، أتباع مغيرة بن سعيد العجلي، وكان في الابتداء يدعي [٥٧/أ] موالاة الإمامية، وكان يقول بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين[٤] بن علي، وكان يستدل بما روي أن النبيّ ﷺ قال: «**إن المهدي يوافق اسمه [اسمي][٥] واسم أبيه اسم أبي**»[٦].

وكان يقول: إن هذا محمد بن عبدالله [والنبي ﷺ[٧] محمد بن عبدالله][٨]، فلما استقام له التقدم في[٩] الروافض، ادعى النبوة لنفسه، وكان يدّعي أنه يعرف اسم الله الأعظم، وأنه يحيي به الموتى، ويهزم به الجيوش، وكان يقول: إن معبوده رجلٌ من نور، على رأسه تاج من نور، وله خرافات كثيرة، كان يلبس بها على أتباعه، ولما رفع خبره إلى خالد بن

---

(١) سقطت من (س).

(٢) في (ب): (القشيري). هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي، أمير العراقين لهشام بن عبدالملك، قال الذهبي: «كان جواداً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف»، وفاته سنة ١٢٦هـ. وفيات الأعيان: ٢٢٦/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٢٥/٥؛ البداية والنهاية: ١٧/١٠.

(٣) في (ك) و (س): (الله).

(٤) في (ك): (الحسن). وهو المعروف بالنفس الزكية، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) سقطت من (س).

(٦) الحديث عن ابن مسعود، أخرجه أبو داود، السنن: ١٠٦/٤؛ ابن حبان، الصحيح: ٢٣٦/١٥؛ الحاكم، المستدرك: ٤٤٨/٤؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ٥١٣/٧؛ الطبراني، المعجم الكبير: ١٣٣/١٠.

(٧) في (ك): (عليه السلام).

(٨) سقطت من (س).

(٩) في (ك): (بين).

عبدالله القسري[١] صلبه، ويعرف[٢] أتباعه اليوم بمحمدية الروافض؛ لقولهم[٣] بإمامة محمد بن عبدالله.

الفرقة الرابعة: الحربية[٤]:

منهم الحربية [من الغلاة][٥] أتباع عبدالله [بن عمرو][٦] بن حرب الكندي، وكان على دين البيانية، وكان يدعي أن روح الإله انتقل من[٧] عبدالله بن محمد الحنفية إليه، وكان يدعي لنفسه الإلهية [على][٨] معنى الحلول.

الفرقة الخامسة: المنصورية[٩]:

منهم المنصورية، وهم أتباع أبي منصور العجلي، وكان يدعي أن الإمامة انتقلت إليه من الباقر، وكان يدعي أنه رفع إلى السماء، وأن الله مسح على رأسه، وأنزله إلى الأرض، وكان يقول: إنما هو الكسف الذي في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطور: ٤٤].

---

(١) في (ب): (القشيري). عن أبي بكر بن عياش قال: «رأيت خالداً القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأصحابه، وكان يريهم أنه يحيي الموتى، فقتل خالد واحداً منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه، فقال: والله ما أحيي الموتى، قال: لتحيينه أو لأضربن عنقك، ثم أمر بطن من قصب فأضرموه، وقال: اعتنقه، فأبى، فعدا رجل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر: فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك، ثم قتله وقتل أصحابه». سير أعلام النبلاء: ٤٢٦/٥.

(٢) في (ك) و (س): (وتعرف).

(٣) في (ك) و (س): (لقوله).

(٤) مقالات الإسلاميين: ص ٦؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٣٣.

(٥) سقطت من (ك) و (س).

(٦) زيادة من (ك).

(٧) في (ك): (عن).

(٨) سقطت من (س).

(٩) مقالات الإسلاميين: ص ٩؛ فرق الشيعة: ص ٣٨؛ الفرق بين الفرق: ٢١٤؛ الملل والنحل: ١٧٨/١.

وهذه الفرقة ينكرون القيامة والجنة والنار، ويقولون: إن الجنة نعيم الدنيا، والنار محن الدنيا، وعادتهم الخنق [٥٧/ب] يستحلون خنق مخالفيهم، وبقيت فتنتهم[١] إلى أيام يوسف بن عمر الثقفي وإلى العراق، فلما عرف حالهم صلب العجلي، وانقطعت فتنتهم.

الفرقة السادسة: الجناحية[٢]:

منهم الجناحية، وهم من جملة الغلاة، أتباع عبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب[٣]، يزعمون أن روح الإله تحل في الأنبياء والأئمة، وتنتقل من بعضهم إلى بعض، وكانوا ينكرون القيامة والجنة والنار، ويستحلون الزنا واللواط[٤]، وشرب الخمر، وأكل الميتة، ولا يرون وجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج، ويؤولون ذلك على موالاة قوم من أهل البيت، ويدعون أن عبدالله بن معاوية[٥] لم يمت، وأنه في جبل [من جبال][٦] أصفهان إلى أن يخرج، والمشهور أن أبا مسلم ـ صاحب دولة بني العباس ـ بعث إليه عسكراً [فصلبوه][٧] وقتلوه.

الفرقة السابعة: الخطابية:

هم الخطابية، أتباع [أبي][٨] الخطاب الأسدي، وهم خمس فرق،

---

(١) في (س): (قتلتهم).
(٢) اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٩؛ الفرق بين الفرق: ص٢٢٥؛ تلبيس إبليس: ص١١٩.
(٣) في (ب) و (س): الملقب بذي الجناحين (عبدالله بن المغيرة....). قال الزبير بن بكار: «كان جواداً شاعراً، وكان قد طلب الخلافة وثار في أواخر دولة بني أمية، وتابعه جماعة»، ثم لما آل الأمر لبني العباس قبض عليه أبو مسلم الخراساني وسجنه، فمات في سجنه سنة ١٣١هـ، قال ابن حزم: «وكان عبدالله بن معاوية رديء الدين معطلاً يصحب الدهرية». تاريخ الطبري: ٢٧٥/٤ وما بعدها؛ لسان الميزان: ٣٦٣/٣.
(٤) في (ك) و (س): (واللواطة).
(٥) في (س): (عبدالله بن المغيرة).
(٦) سقطت من (ك).
(٧) زيادة من (ك) و(س).
(٨) سقطت من (س).

كلهم[١] يقولـون: إن الإمامة كانت في أولاد علي، إلى أن انتهى ذلك[٢] إلى محمد بن جعفر الصادق، ويقولـون: إن الأئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يقول في أيامه أن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباؤه، وكان يقول: إن جعفراً إله، فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده، وكان أبو الخطاب يدعي بعد ذلك الإلٰهية [لنفسه][٣].

وكان أتباعه يقولون إن جعفراً [كان][٤] إلٰهاً، إلا أن أبا الخطاب كان أفضل منه، والخطابية يرون شهادة[٥] الزور لموافقيهم على مخالفيهم، وخرج أبو الخطاب على والي [٥٨/أ] الكوفة في أيام المنصور، فبعث [إليه المنصور][٦] عسكراً إليه فأسروه، وأمر بصلبه في كناسة الكوفة، وأتباعه كانوا يقولون ينبغي أن يكون في كل وقت إمام ناطق وآخر ساكت، والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب.

ويقولون: إن علياً كان في وقت النبيّ [ﷺ][٧] صامتاً، وكان النبيّ ﷺ ناطقاً، ثم صار علي بعده ناطقاً، وهكذا يقولون في الأئمة إلى أن انتهى [الأمر][٨] إلى [أبي][٩] جعفر، وكان أبو الخطاب في وقته إماماً صامتاً، وصار بعده ناطقاً، وأتباع أبي الخطاب افترقوا بعد صلبه خمس فرق:

- **منهم المعمرية**[١٠]: كانوا يقولون إن الإمام بعد أبي الخطاب رجل

---

(١) في (ك): (هم).
(٢) في (ك): (انتهت)، وفي (س): (انتهى إلى...)
(٣) سقطت من (ك) و (س).
(٤) زيادة من (ك).
(٥) في (س): (الشهادة).
(٦) سقطت من (ك) و (س).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) سقطت من (س).
(٩) سقطت من (ك).
(١٠) مقالات الإسلاميين: ص ١١؛ الملل والنحل ١/٦٥؛ المواقف: ص٦٦٧؛ منهاج السنة النبوية: ٢/٥٠٧.

[كان][(١)] اسمه معمراً، وكانوا يعبدونه، كما [كانوا][(٢)] يعبدون أبا الخطاب، وكانوا يقولون: إن الدنيا لا تفنى، وكانوا ينكرون القيامة، ويقولون بتناسخ الأرواح.

- **ومنهم البزيغية**[(٣)]: أتباع أبي بزيغ[(٤)]، وكان يقول إن جعفراً كان إلهاً، ولم يكن جعفر ذلك الذي يراه الناس، بل كان ما يراه الناس في صورة مثاله، وكانوا يقولون: إنه لا مؤمن[(٥)] إلا والله [تبارك][(٦)] تعالى يوحي إليه، وعلى هذا المعنى [كانوا][(٧)] يتأولون قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وكان يقول معناه بوحي الله، وكان يقول إذا جاز أن يوحي [الله تعالى][(٨)] إلى النحل، كما ورد في قوله [تعالى][(٩)]: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨][(١٠)]، لِمَ لا يجوز أن يوحى إلينا؟ وكان يقول: قد يكون فيما بينهم من هو أفضل من جبريل وميكائيل ومحمد [٥٨/ب] [عليهم السلام][(١١)] وإن الواحد منهم إذا انتهى [إلى النهاية رفع إلى الملكوت، وهم يرون الذين رفعوا][(١٢)] إلى الملكوت غدوة وعشياً.

---

(١) سقطت من (ك).
(٢) سقطت من (ك) و (س).
(٣) مقالات الإسلاميين: ١٢/١؛ الفرق بين الفرق: ص ١٢؛ الملل والنحل: ١٨٠/١.
(٤) في (ك) و (س): (الربيعية: اتباع أبي ربيع). ذكره الأشعري باسم بزيغ بن موسى، وذكر ابن حزم بأنه كان حائكاً بالكوفة، لم أقف على وفاته. مقالات الإسلاميين: ص ١٢؛ الفصل: ١٤٢/٤؛ الملل والنحل: ١٨٠/١
(٥) في (س): (يؤمن).
(٦) سقطت من (ك) و (س).
(٧) سقطت من (س).
(٨) سقطت من (ك) و (س).
(٩) سقطت من (س).
(١٠) جاءت الآية الكريمة في (ب) و (س): ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].
(١١) زيادة من (ك) و (س).
(١٢) زيادة من (ك) و (س).

- **ومنهم العميرية**[١]: أتباع عمير[٢] بن بيان العجلي، وهؤلاء كانوا يعبدون جعفراً، ويرونه إلٰهاً.

- **ومنهم المفضلية**[٣]: أتباع مفضل الصيرفي، وكانوا يقولون[٤] بإلٰهية جعفر ويتبرأ من أبي الخطاب.

- **ومنهم الخطابية المطلقة**: وكانوا يقولون إنه لم يكن بعد أبي الخطاب إمام.

الفرقة الثامنة: الغرابية[٥]:

وكانوا يقولون: إن الله تعالى بعث جبريل إلى علي، فغلط [وجاء إلى محمد ﷺ، قالوا: وإنما غلط][٦] لأنه كان يشبه محمداً ﷺ، وكان أشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، من أجل هذا سموا غرابية، وهؤلاء كانوا يلعنون صاحب الريش، يعنون به جبريل [عليه الصلاة والسلام][٧] وقد أنزل الله تعالى[٨] في صفة اليهود حين قالوا: إن جبريل عدو لنا، ولم يكونوا يلعنوه[٩] قوله [تعالى][١٠]: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ

---

(١) مقالات الإسلاميين: ص١٢؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٣٦؛ الملل والنحل: ١٨٠/١.
(٢) في (ك): (المعمروية: أتباع عمرو...) وفي (س): (العمرية: أتباع عمر...).
(٣) مقالات الإسلاميين: ص ١٣؛ الفرق بين الفرق: ص٢٣٦؛ الملل والنحل: ١٨١/١.
(٤) في (ك) و (س): (وكان يقول).
(٥) الفرق بين الفرق: ص٢٣٧؛ الملل والنحل: ١٧٦/١؛ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٥٩؛ المواقف: ص ٦٧٣.
(٦) زيادة من (ك) و (س).
(٧) زيادة من (ك) و (س).
(٨) في (ك) و (س): (سبحانه).
(٩) في (ك) و (س): (يلعنونه).
(١٠) زيادة من (ك) و (س).

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨][١]، وهؤلاء [أولى][٢] بهذه الصفة؛ لأنهم يلعنونه، واليهود ما كانوا يلعنونه.

واعلم أن من هؤلاء الغرابية قوم يقال لهم المفوضة[٣]، كانوا يقولون: إن الله تعالى خلق محمداً ﷺ، وفوض إليه تدبير العالم، فكان هو الخالق للعالم، ثم إنه فوض بعده إلى علي تدبير العالم، فهؤلاء القوم شرٌّ من المجوس، الذين قالوا: إن (الله [تعالى])[٤] خلق الشيطان وفوض إليه الأمر، فكان الشيطان يخلق الشرور؛ لأن هؤلاء قالوا [٥٩/أ] بالتفويض في الشر والخير، وهؤلاء شر من النصارى حين قالوا: إن عيسى كان إلٰهاً، وكان المدبر الثاني للعالم؛ لأن هؤلاء نقلوه من شخص إلى شخص، وأولئك اقتصروا[٥] على المسيح.

ومن الغرابية أيضاً قوم يقال لهم الذمية[٦]، كانوا يقولون: إن علياً بعث محمداً حتى يدعو الخلق إلى إلٰهيته، فجاء محمد وادعى الرسالة من إلٰه آخر، ويذمون محمداً ﷺ بهذا السبب، ولهذا سموا الذمية.

الفرقة التاسعة منهم الشريعية والنميرية:

والشريعية أتباع رجل كان يدعي شريعاً[٧]، وكان يقول: إن الله تعالى حل في خمسة أشخاص في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وكانوا يقولون إن هؤلاء آلهة، ولهؤلاء الخمسة خمسة أضداد، ثم كان قوم منهم يقولون [إن أضدادهم مذمومون، وقوم منهم يقولون][٨] أنهم لا يذمون؛ لأن

---

(١) في (ك) و (س) وردت الآية (٩٨) فقط.
(٢) زيادة من (ك) و (س).
(٣) الفرق بين الفرق: ص ٢٣٨؛ المواقف: ص ٦٨٤.
(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من (ك)، وما بين القوسين ( ) سقطت من (س)
(٥) في (س): (اقتصر).
(٦) الفرق بين الفرق: ص٢٣٨؛ الملل والنحل: ١٧٦/١؛ المواقف: ص ٦٧٣.
(٧) في (ك): (سريعاً). مقالات الإسلاميين: ص ١٥؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٣٩.
(٨) زيادة من (ك) و (س).

فضل هؤلاء [لا][1] يتبين إلا بأضدادهم، وهذا الشريعي كان يدعي لنفسه الإلٰهية.

وكان النميري خليفته[2]، كان يدعي لنفسه مثله بعده.

وجملة النميرية والشريعية والخطابية وكانوا يدعون إلٰهية جعفر الصادق، وكانوا يقولون: إن جعفراً دفع إليهم جلداً مكتوباً فيه كل علم يحتاجون إليه [وكانوا يسمون ذلك الجلد جفراً][3] وكانوا يقولون: لا يقرأ ما في ذلك الجلد إلا من كان على دينهم، وقال هارون بن سعد العجلي[4] في صفتهم:

ألم تَرَ أن الرافِضين تَفَرّقُوا	فكُلهُمُ في جَعْفرٍ قال مُنْكَرَا
فطائفة قالوا إلهٌ ومنهمُ	طوائف سَمّتْهُ النبيَّ المُطهَرَا [٥٩/ب]
ومن عَجب لم أقْضِهِ جِلْدُ جَفْرِهم	بَرِئتُ إلى الرحمن ممن تَجَفرا[5]
بَرِئت إلى الرحمن من كل رافضٍ	بَصيرٍ بباب الكُفْر، في الدين أعورا
ولو قال إن الفِيلَ ضب لصدّقوا	ولو قال زِنْجِي تحوَّل أحْمَرَا
وأخْلَفُ من بَوْل البَعِير فإنه	إذا هو للإقبال وُجه أدْبَرا[6]

الفرقة العاشرة: الحلولية:

منهم الحلولية، وهم فرق ظهروا[7] في دولة الإسلام، كان غرضهم

---

(١) زيادة من (ك) و (س).

(٢) مقالات الإسلاميين: ص ١٥؛ فرق الشيعة: ٩٣.

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) هو هارون بن سعد العجلي، قال عنه الذهبي: «صدوق في نفسه، لكنه رافضي بغيض، قال ابن معين: هارون بن سعد من الغالية في التشيع». ميزان الاعتدال: ٦١/٧.

(٥) في (ك): (تجعفرا).

(٦) تأويل مختلف الحديث: ص ٥٨؛ وفيات الأعيان: ٢٤٠/٣.

(٧) في (ك): (ظهرت).

إفساد التوحيد على المسلمين، فمن جملتهم من[١] ذكرناهم من غلاة الروافض الذين ادعوا حلول الإله في الأئمة، كما حكيناه عنهم من قبل، وحدث بعدهم أقوام من الحلولية، كالمقنعية [بما][٢] وراء النهر، والرزامية والبركوكية [والحلمانية][٣] والحلاجية والعذافرة[٤]:

ـ **إما الرزامية[٥]**: فإنهم فرطوا[٦] في موالاة أبي مسلم صاحب الدولة العباسية، وقالوا: إن الإمامة انتقلت من أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، إلى محمد [بن علي][٧] بن عبدالله بن عباس بوصية أبي هاشم، ثم انتقلت من محمد إلى ابنه إبراهيم، ثم من إبراهيم إلى عبدالله الذي كان يدعي أبا العباس السفاح، ثم منه[٨] إلى أبي مسلم، وهؤلاء يعترفون بموت أبي مسلم [إلا فريق منهم اسمهم أبو مسلمية، قالوا: إن أبا مسلم][٩] حي، وإن[١٠] روح الإله انتقلت إليه، وهم على انتظاره، ويقولون: إن الذي قتله أبو جعفر المنصور كان شيطاناً تصور بصورة أبي مسلم.

ـ **وأما المقنعية**: فهم مبيضة ما وراء النهر، وكان زعيمهم رجلاً كان يعرف بالمقنع، وكان رجلاً قصاراً أعوراً من قرية من قرى مرو، كان قد نظر في شيء من الهندسة والنيرنجات[١١]، وكان على دين الرزامية ثم ادعى

---

(١) في (ك): (ما).
(٢) سقطت من (س).
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (ك): (العذاقرة).
(٥) مقالات الإسلاميين: ص ٢١؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٤٢؛ الملل والنحل: ١/١٥٣.
(٦) في (ك): (أفرطوا).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) في (ك) و (س): (ومنه).
(٩) سقطت من (س).
(١٠) في (ك): (وإنه).
(١١) جمع: نيرج، أشياء تشبه السحر، وليست بحقيقته ولا كالسحر، إنما هو تشبيه وتلبيس. لسان العرب، مادة نرج: ٢/٣٧٦.

لنفسه الإلٰهية، واحتجب عن[١] الناس، فاغتر به جماعة من أهل [السُغد][٢] والإيلاق[٣]، ودامت فتنته أربع عشرة سنة، ووافقه جماعة من الأتراك على كفره، وكانوا يغيرون على المسلمين ويهزمون عساكر المسلمين في أيام المهدي بن المنصور، وكان المقنع أحل المحرمات لأتباعه، وأسقط عنهم[٤] الصلاة والصوم وجملة الفرائض، وكان يقول لأتباعه: إنه هو الإله، وإنه يظهر مرة بصورة آدم، وكان ظهر[٥] بعده في صورة كل واحد من الأنبياء، وظهر في صورة علي، ثم في صورة أولاده على الترتيب الذي ذكرناه، ثم في صورة أبي مسلم، وقد ظهر الآن في صورة هشام بن الحكم، يعني [به][٦] نفسه.

وكان يقول: إنما يظهر في هذه الصورة؛ لأن عبيده لا يطيقون أن يروه في صورته الأصلية، وإن من رآه في صورته الأصلية احترق فألح عليه قومه، وقالوا: نحن نريد أن نراك في الصورة[٧] الأصلية، فقال: هذا شيء سأله قوم موسى فاحترقوا، وذلك في القرآن في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥]، فقال قوم منهم رضينا بذلك، ويجوز لنا أن نراك ونحترق، فوعدهم يوماً، وأمر فوضع له منبر في مقابلة الشمس [في][٨] وقت الضحى[٩]، وعلق مرآة مقعرة من الحديد [٦٠/ب] الصيني فوق المنبر، بحيث يكون

---

(١) في (ك) و (س): (من).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (ك): (جبل ابلاق)، وفي (س): (اهل الاملاق). قال ياقوت الحموي: وإيلاق: مدينة من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك على عشرة فراسخ من مدينة الشاش. معجم البلدان: ٢٩١/١.

(٤) في (ك) و (س): (منهم).

(٥) في (ك) و (س): (يظهر).

(٦) زيادة من (ك) و (س).

(٧) في (س): (صورة).

(٨) سقطت من: (ك) و (س).

(٩) في (ك) و (س): (الضحوة).

شعاعه[١] الخارج منها[٢] بالزاوية القائمة في مقابلة الباب الذي يدخلون منه، ثم أذن لهم بعد ارتفاع النهار، وأمر برفع الستر، فلما وقع عليهم الشعاع، احترق منهم قوم، وهرب الباقون من ذلك المكان، فاغتر به القوم ولم يطالبوه بعد ذلك بالرؤية، وكانوا يتابعونه بعد فيما يأمرهم به.

واتخذ حصناً [بناحية كش] وتحسب[٣]، وكان عرض جداره مائة آجرة، وكان قد أصلح[٤] قدام الجدار ثلاثة خنادق بين كل خندقين جدار، فبعث المهدي [إليه][٥] جنداً فيهم سبعون ألف مقاتل، وأتبعهم سعد بن عمرو الحارثي[٦] مع عسكر آخر، وكانوا يقاتلون المقنع سنين، فأمر هو بإصلاح سلالم من الخشب ومن الحديد، وكان يضعها[٧] على عرض ذلك الخندق[٨]، وبعث إلى مُوْلتان[٩] حتى حمل إليه عدد كثير من [جلود][١٠] الجواميس، فملأها رملاً وطرحها في الخندق ليعبر عليه العسكر، فلما رأوا تلك الحال استأمن إليه ثلاثون ألفا منهم، وقتل الباقون.

وكان المقنع [في حصاره][١١] قد أصلح تنوراً أذاب فيه السكر والقطران، فلما ضاق به الأمر، طرح نفسه فيه حتى ذاب، ولم يبقَ منه

---

(١) في (ك): (شعاعها).
(٢) في (ك): (بينها).
(٣) في (ك): (حصاراً بكش)، وما بين المعقوفتين سقطت من (س). قال ياقوت الحموي: «قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل ينسب إليها». معجم البلدان: ٤٦٢/٤.
(٤) في (ك): (أحدث).
(٥) سقطت من (ك).
(٦) في (ك) و (س): (الجرشي).
(٧) في (ك): (يصنعها).
(٨) في (ك) و (س): (تلك الخنادق).
(٩) قال ياقوت: وربما سميت ملتان، بلد في بلاد الهند على سمت غزنة. معجم البلدان: ١٨٣/٥.
(١٠) سقطت من (س)
(١١) سقطت من (ك) و (س).

شيء يظهر، فلما طلبه من بقي من أتباعه لم يجدوا منه شيئاً، قالوا: إنه رفع إلى السماء، وأتباعه اليوم أكثر تلك القرى، بجبل[١] إيلاق لا يصلون [ولا يصومون][٢]، ولهم مساجد بنوها يستأجرون من يؤذن لهم فيها، يستحلون أكل الميتة والخنزير والزنا، حتى أن كل واحد منهم [٦١/أ] يستحل حليلة صاحبه، ويخفون هذه الأحوال عن عوام إيلاق.

وأما الحلمانية[٣]: أتباع رجل يقال له أبو حلمان الدمشقي، وكان أصله من فارس، ولكنه أظهر بدعته في دمشق، وكان يقول: [إن][٤] كل شخص حسن فروح الإله حال فيه، وقومه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها، وكان يقول: إن كل من كان اعتقاده مثل اعتقادي، فلا تكليف عليه، وكل ما يشتهيه فهو حلال له.

وأما الحلاجية: فهؤلاء[٥] ينتسبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور [المعروف][٦] الحلاج، من أرض فارس من بلد يقال له بيضاء، وكان في أول أمره يتكلم على لسان الصوفية، ويتعاطى العبارات التي تسميها الصوفية الشطح، وهو أن يتكلم بكلام يحتمل معنيين أحدهما مذموم والآخر محمود، وكان يدعي في كل علم، فافتتن[٧] به أهل العراق، وجماعة من

---

(١) في (ك): (بجبال).

(٢) زيادة من (ك) و (س).

(٣) الفرق بين الفرق: ص ٢٤٥.

(٤) سقطت من (ك) و (س).

(٥) في (ك): (فهم). وينظر الفرق بين الفرق: ص ٢٤٦؛ الفصل في الملل: ٢٠٣/٤؛ الملل والنحل: ٧٦/١.

(٦) سقطت من (ك) و (س). هو الحسين بن منصور بن محمي الفارسي البيضاوي الصوفي، قال الذهبي: تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، قتل بأمر من الخليفة المقتدر سنة ٢٩٧هـ. تاريخ بغداد: ٣٨٤/٩؛ وفيات الأعيان: ٤٥/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣١٣/١٤.

(٧) في (ك) و (س): (وافتتن).

أهل طالقان[١] خراسان، واختلف المتكلمون والفقهاء والصوفية في حاله.

أما المتكلمون فأكثرهم على أنه من الحلولية، وكان محتالاً ممخرقاً، وإليه ذهب القاضي أبو بكر (رضي الله عنه)[٢] وحكى في كتابه كثيراً من حيله، وجماعة من متكلمي [أهل][٣] البصرة ـ يقال لهم السالمية وهم من جملة الحشوية يتكلمون ببدع متناقضة ـ قبلوه، وقالوا: إنه كان صوفياً محققاً، وله كلام في معانٍ دقيقة في [حقائق الصوفية][٤]، [تكلم بها على لسانهم][٥].

وكذلك الفقهاء اختلفوا في حاله، سئل أبو العباس بن سريج[٦] عن حاله لما أريد قتله، فتوقف فيه، وأفتى أبو بكر بن داود[٧] [٦١/ب] بجواز

---

(١) قال ياقوت: «بلدتان إحداهما بخراسان، بين مرو الروذ وبلخ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل، قال الأصطخري هي أكبر مدن طخارستان». معجم البلدان: ٦/٤.

(٢) سقطت من (ك) و (س). هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري المتكلم، قال الذهبي: «كان ثقة بارعاً، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة الأشعري»، وفاته سنة ٤٠٣هـ. تاريخ بغداد: ٣٧٩/٥؛ ترتيب المدارك: ٥٨٥/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٩٠/١٧.

(٣) سقطت من: (ك) و (س).

(٤) زيادة من (ك) و (س).

(٥) سقطت من (ك) و (س).

(٦) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي القاضي الشافعي، صاحب التصانيف، ولد في حدود ٢٤٠هـ، وتفقه بأبي القاسم الأنماطي الشافعي، صاحب المزني، وبه انتشر مذهب الشافعي ببغداد وتخرج به الأصحاب، وفاته سنة ٣٠٣هـ. تاريخ بغداد: ٢٨٧/٤؛ وفيات الأعيان: ٦٦/١؛ سير أعلام النبلاء: ٢٠١/١٤.

(٧) هو أبو بكر محمد بن داود بن علي الظاهري، قال الذهبي: «كان يضرب المثل بذكائه، وهو مصنف كتاب الزهرة في الآداب والشعر»، تصدر للفتيا بعد والده، وكان يناظر أبا العباس بن سريج ولا يكاد ينقطع معه، وفاته في رمضان سنة ٢٩٧هـ. تاريخ بغداد: ٢٥٦/٥؛ وفيات الأعيان: ٢٥٩/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٠٩/١٣.

قتله، وكذلك أهل التصوف اختلفوا في حاله، فرده عمرو بن عثمان المكي[(١)]، وأبو يعقوب الأقطع[(٢)]، ورووا[(٣)] من كلامه أنه قال يوماً للجنيد[(٤)]: [أنا الحق][(٥)]، فقال له الجنيد: أنت بالحق أي خشبة تفسد، فظهرت فراسته عليه[(٦)]، حتى صلب بعد ذلك.

وقبله[(٧)] أبو العباس بن عطاء[(٨)]، وأبو عبدالله بن خفيف[(٩)] وأبو

---

(١) هو أبو عبدالله عمرو بن عثمان المكي الزاهد، كان له علم بالفقه والأحوال، وله تصانيف في الطريق، سمع من يونس بن عبد الأعلى، والربيع المرادي، وسليمان بن سيف الحراني، وكان ينكر على الحلاج ويذمه، وفاته بعد ٣٠٠هـ. تاريخ بغداد: ٢٣٣/١٢؛ سير أعلام النبلاء: ٥٧/١٤.

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد الصوفي، صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، وجاور الحرم مدة، ووفاته بمكة، قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت في مشايخنا أنور منه، وفاته سنة ٣٠٣هـ. طبقات الصوفية: ص ٣٧٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢٣٢/١٥.

(٣) في (ك) و (س): (وردوا).

(٤) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، شيخ الصوفية، ولد سنة ٢٢٢هـ، تفقه على أبي ثور، وسمع من السري القسطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضاً الحرث المحاسبي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله وتعبد، ونطق بالحكمة، وقل ما روى، وفاته سنة ٢٩٧هـ. طبقات الصوفية: ص ١٥٥؛ تاريخ بغداد: ٢٤١/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٦٦/١٤.

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (س): (فيه). والرواية في سير أعلام النبلاء: ٣٣٠/١٤.

(٧) في (س): (وقتله).

(٨) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي، الزاهد العابد، حدث عن: يوسف بن موسى القطان، وعنه محمد بن علي بن حبيش، وقال: كان له في كل يوم ختمة، وفاته سنة ٣٠٩هـ. طبقات الصوفية: ص ٢٦٥؛ تاريخ بغداد: ٢٦/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٥/١٤.

(٩) هو أبو عبدالله محمد بن خفيف بن أسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، شيخ الصوفية، ولد قبل سنة ٢٦٧هـ، وتفقه على أبي العباس بن سريج، قال السلمي: أقام بشيراز، وهو اليوم شيخ المشايخ، وتاريخ الزمان، وهو من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، متمسك بالكتاب والسنة، وفاته سنة ٣٧١هـ. طبقات الصوفية: ص ٤٦٢؛ حلية الأولياء: ٣٨٥/١٠ ح سير أعلام النبلاء: ٣٤٢/١٦.

القاسم النصرآباذي[١] وفارس الدينوري[٢]، وقالوا أظهر الله [تعالى][٣] عليه أحوالاً من الكرامات، وكان من حقه أن يحفظ سره فيها، فعاقبه الله تعالى بتسليط من كان يرده عليه، حتى بقي حاله مشكلاً ملتبساً[٤]، قالوا: والدليل على صحة باطنه أنه كان يقطع يده ورجله، ويقول حسب الواحد [إفراد الواحد][٥].

وحكي عنه أنه سئل يوماً عن دينه، فقال: ثلاث أحرف لا عجم فيها، ومعجومان وانقطع الكلام، قالوا: أراد به التوحيد، والذين قالوا بتكفيره، إنما قالوه لما حكوا عنه أنه كان يقول كل من هذب نفسه في الطاعة[٦]، وصبر على اللذة [والشهوة][٧] وصفاً حتى لا يبقى فيه شيء من البشرية، حل فيه روح الإله كما حل في عيسى عليه السلام، ولا يريد شيئاً [إذ ذاك][٨] إلا كان كما أراده[٩]، ويكون جملة فعله قول الله تعالى، وكان يدعي لنفسه هذه المنزلة.

ووجدت[١٠] له كتب كتبها إلى أتباعه عنوانها: من الهو هو رب الأرباب [المتصور في كل صورة][١١] إلى عبده فلان، وأتباعه كانوا يكتبون

---

(١) في (ك): (النصرباذي). هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه النيسابوري الزاهد الواعظ، شيخ الصوفية في خراسان في عصره، كان مشاركاً في علوم جمّة، وفاته سنة ٣٦٨هـ. طبقات الصوفية: ص ٣٦٢؛ العبر: ٣٤٩/٢.

(٢) هو فارس بن عيسى وقيل: ابن محمد أبو الطيب الصوفي صحب الجنيد وأبا العباس بن عطاء وغيرهما، وانتقل إلى خراسان، فنزلها وكان له لسان حسن، وفاته بسمرقند سنة ٣٤٠هـ. تاريخ بغداد: ٣٩٠/١٢.

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) في (ك): (ملبسا).

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (س): (طاعة).

(٧) سقطت من (ك) و (س).

(٨) سقطت من (ك).

(٩) في (ك): (أراد) و (س).

(١٠) في (ك): (ووجد) و (س).

(١١) زيادة من (ك).

إليه: يا ذات الذات، ومنتهى غاية اللذات، نشهد أنك تتصور فيما شئت من الصور [٦٢/أ] وأنك الآن متصور في صورة الحسين بن منصور [الحلاج](١)، ونحن نستجير بك(٢) [ونرجو رحمتك](٣) يا علام الغيوب.

ويقال: إنه اختدع جماعة من خواص المقتدر(٤)، فخاف المقتدر فتنة، فعرض الحال(٥) على الفقهاء واستفتى فيه الفقهاء، فوافق مراده فتوى أبي بكر بن داود، فأمر [به](٦) حتى ضرب ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه وصلب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع(٧) وثلاثمائة(٨)، ثم أمر حتى أنزل من خشبته وأحرق، وطرح رماده في دجلة، والذين [انتسبوا إليه](٩) من أهل طالقان قالوا: أنه حي، وإن الذي قتل كان شخصاً ألقى عليه شبهه، والله أعلم بحقيقة الأمر.

وأما العذافرة: فهم أتباع رجل ظهر في أيام الراضي بن المقتدر(١٠)

---

(١) سقطت من (ك) و (س).

(٢) في (ك) و (س): (نستجيرك).

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل بالله، الخليفة العباسي، بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، قال الذهبي: «وما ولي قبله أصغر منه، وانخرم نظام الإمامة في أيامه وصغر منصب الخلافة»، وكان مائلاً للشهوات، قتل سنة ٣٢١هـ. تاريخ بغداد: ٥٠١/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٣/١٥.

(٥) في (ك) و (س): (حاله).

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) في (ب): (تسعين).

(٨) الذي في كتب التاريخ أن قتله كان سنة ٢٩٧هـ. ينظر تاريخ بغداد: ٣٨٤/٩؛ وفيات الأعيان: ٤٥/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣١٣/١٤.

(٩) في (ك) و (س): (واتباعه الذين).

(١٠) أبو إسحاق محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله الهاشمي العباسي الخليفة، ولد سنة ٢٧٩هـ، واستخلف بعد القاهر سنة ٣٢٢هـ، قال الخطيب: كان سمحاً جواداً أديباً فصيحاً محباً للعلماء، سمع من البغوي، وفاته سنة ٣٢٩هـ. تاريخ بغداد: ١٤٢/٢؛ سير أعلام النبلاء: ١٠٣/١٥.

[سنة اثنين وعشرين وثلثمائة، هو أبو العذافر محمد][1] بن علي [الشلمغاني][2]، وكان يدعي أن روح الإله قد حل فيه، وكان يسمي نفسه روح القدس، وكان قد وضع لأصحابه كتاباً سماه كتاب **(الحاسة السادسة)**، وكان قد أباح لهم اللواط[3] في ذلك الكتاب، وأتباعه كانوا يبيحون له حرمهم، وكانوا يقولون: إنه إذا ألمَّ بشخص وصل نوره إليه، فقتله الراضي بالله، وظفر بجماعة من أصحابه مثل الحسين بن القاسم بن عبدالله[4]، وأبي عمران إبراهيم بن محمد بن المسبح[5]، ووجد الكتب التي كتبوها إليه، فوجد فيها أنهم قالوا في وصفه: إنه قادرٌ على كل شيء، فعرضوا على الفقهاء الذين كانوا في زمانه مثل [أبي العباس][6] ابن سريج [وأبي الفرج المالكي][7] فأظهروا التوبة [٦٢/ب] فأفتى أبو العباس بن سريج بقبول توبتهم، كما هو مذهب الشافعي، وأفتى أبو الفرج المالكي على مذهب مالك أنه لا تقبل توبتهم إذا عثر عليهم، وإنما تقبل إذا أظهروا حالهم على الابتداء، فأمر الراضي بالله بقتلهما مع أبي العذافر، وطرح رمادهم في دجلة

---

(١) سقطت من (س).

(٢) زيادة من (ك). قال ابن الأثير: ابن أبي القراقر، وقال ابن كثير: هو ابن عرفة، قال الأول: أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهة فيه، فقتل صبراً في سنة ٣٢٢هـ. الكامل في التاريخ: ٢٩٠/٨؛ البداية والنهاية: ٢٠٣/١١. أما نسبته فإلى شلمغان: وهي من قرى واسط. ينظر معجم البلدان: ٣٥٩/٣.

(٣) في (ك) و (س): (اللواطة).

(٤) هو أبو علي الحسين بن القاسم الجمّال، وزر للمقتدر سنة ٣١٠هـ، ولقبوه بعميد الدولة، وعزل بعد سبعة أشهر وسجن، ولما ظهرت بدعة الشلمغاني ظهرت رقعه يخاطبهُ بها بالإلهية، وأنه يحييه ويميته، فقتل سنة ٣٢٢هـ. الكامل في التاريخ: ١٠٣/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٥٦٨/١٤.

(٥) في (ك): (المنجم). وهو ابن أبي عون كما في الكامل في التاريخ: ١٠٣/٧.

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) سقطت من (ك) و (س). وهو عمرو بن محمد بن عمرو الليثي البغدادي المالكي القاضي، نشأ ببغداد، وأصله من البصرة، كان فصيحاً لغوياً فقيهاً متقدماً، ولم يزل قاضياً إلى وفاته سنة ٣٣١هـ. الديباج المذهب: ١١٥/٢.

[بعد إحراق جثثهم][(١)].

الفرقة الحادية عشرة: الخرمية[(٢)]:

منهم **الخرمية** وهم فرقتان، فرقة منهم كانوا قبل دولة الإسلام، وهم المزدكية[(٣)] كانوا يستحلون المحرمات كلها، وكانوا يقولون: إن الناس كلهم شركاء في الأموال والحرم، وقتلهم أنوشروان[(٤)] في أيام مملكته.

والفريق الثاني من الخرمية، ظهروا في دولة الإسلام كالبابكية والمازيارية، ويسمون المحمرة:

فالبابكية[(٥)]: أتباع [رجل يقال له][(٦)] بابك الخرمي[(٧)]، الذي ظهر بناحية أذربيجان، وكثر[(٨)] أتباعه، وكان يستحل المحرمات كلها، وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة، إلى أن أسر مع أخيه إسحاق، وصلب بسر من رأى في أيام المعتصم.

---

(١) زيادة من (ك). وينظر الكامل في التاريخ: ١٠٤/٧.

(٢) فرق الشيعة: ص ٤٧؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٥١؛ الملل والنحل: ١٧٩/١.

(٣) هم أصحاب مزدك، وقد ظهر في أيام قباذ والد أنو شروان، وكان يقول إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق، والخبط لا بالقصد والاختيار، ومذهبه في الأصول والأركان إنها ثلاثة الماء والكلأ والنار. تاريخ الطبري: ٤٢٢/١؛ الملل والنحل: ٢٤٩/١.

(٤) أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد، من مشاهير ملوك الفرس قبل الإسلام، تولى الملك سنة ٥٢٣م، ومات في عام الفيل سنة ٥٧٠م. تاريخ الطبري: ٥٢٩/١؛ تاريخ ابن خلدون: ١٧٦/٢.

(٥) الفرق بين الفرق: ص ٢٥١؛ الفصل في الملل: ٣٦/١.

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) أصله من مجوس فارس، ادعى أنه دخل في الإسلام وتسمى الحسين، ثم خرج على بني العباس، ولجأ بجبال فارس، واستمر عصاينه أكثر من عشرين سنة (٢٠١ - ٢٢٣هـ) هزم خلالها عدد من جيوش بني العباس، حتى أرسل له المعتصم قائده الأفشين، فهزمه وقبض عليه ثم أرسله إلى المعتصم الذي صلبه. تاريخ الطبري: ٢١٠/٥، مروج الذهب: ٥٥/٤.

(٨) في (ك) و (س): (وكثرت).

وأما **المازيارية**[(١)]: [فهم أتباع مازيار][(٢)] فإنهم يدعون[(٣)] إلى دين المحمرة[(٤)]، وظهر له أتباع في جبال طبرستان، وإليهم تنسب قنطرة المحمرة بجرجان، وذلك من آثارهم، وقبض عليه أيضاً في أيام المعتصم، وصلب أيضاً بسر من رأى في مقابلة بابك الخرمي.

وللبابكية في تلك الجبال ليلة يجتمعون فيها، على كل نوع من الفساد من الخمر والزمر وغير ذلك، ويجتمع فيها الرجال والنساء، ثم يطفئون السراج والنيران [٦٣/أ] ويقوم كل واحد منهم إلى واحدة[(٥)] من النساء اللاتي جلسن معهم كيفما يقع.

وهؤلاء الخرمية يدعون أنه كان لهم ملك في الجاهلية اسمه شروين، ويفضلونه على الأنبياء، ومتى [ما][(٦)] ناحوا على ميت لهم أجروا[(٧)] باسمه ندبة ونياحاً تفجعاً عليه.

الفرقة الثانية عشرة منهم: أهل التناسخ[(٨)]:

وهم قوم من الفلاسفة قبل الإسلام، وكان سقراط منهم[(٩)]، وكان في

---

(١) تاريخ الطبري: ٢٤٨/٥؛ الكامل في التاريخ: ٥٠/٦.

(٢) زيادة من (ك). قال الذهبي: واسمه محمد بن قارن، وكان صاحب جبل طبرستان، خرج على المعتصم سنة ٢٢٤هـ، فبعث إليه والي خراسان عمه الحسن بن الحسن، فقبض عليه وصلب مع بابك الخرمي. الوافي بالوفيات: ٣٣٧/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣٠١/١٠.

(٣) في (ك): (فإنه كان يدعو) وفي (س): (فإنه يدعو).

(٤) هو اللقب الثاني الذي أطلق على أصحاب مازيار، سمو بذلك لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك، ولبسوها، وكان ذلك شعارهم، وقيل سببه أنهم يقررون أن كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير، والأصح هو التأويل الأول، كذا قال الغزالي في فضائح الباطنية: ص١٧.

(٥) في (ك) و (س): (بواحدة).

(٦) زيادة من (ك) و (س).

(٧) في (ك): (أخذوا).

(٨) الفرق بين الفرق: ص ٢٥٣؛ الفصل في الملل: ٧٧/١؛ الملل والنحل: ٥٥/٢.

(٩) في (ك) و (س): (من جملتهم).

دولة الإسلام من أهل التناسخ فريقان، فريق من جملة القدرية، وفريق من غلاة الروافض، وماني[1] الثنوي قال بالتناسخ في بعض كتبه، وذكر أن أرواح الصديقين إذا خرجت من أبدانهم اتصلت بعمود الصبح، إلى أن تبلغ النور الذي فوق الفلك، ويكونون في السرور دائماً، وأرواح أهل الضلالة تتناسخ في أجسام الحيوانات[2]، فلا تزال تنتقل من حيوان إلى حيوان، إلى أن يصفو من ظلمها[3]، [فحينئذ تتصل][4] بالنور الذي فوق الفلك.

وقوم من اليهود أيضاً يقولون بتناسخ الأرواح، ويقولون: إنهم وجدوا في كتاب دانيال أن الله تعالى مسخ بخت نصر في سبع صور، من صور الدواب والسباع.

وأما الذين يقولون بالتناسخ من القدرية، فهم أتباع أحمد بن خابط[5]، وكان [أحمد بن خابط][6] من أصحاب النظام، وكان ينسب إليه القول بالطفرة[7]، وبالجزء[8] الذي لا يتجزىء، وكان يقول: إن قدرة الله تعالى تنقطع حتى لا يقدر على أن يزيد في نعيم أهل الجنة شيئاً، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار شيئاً [٦٣/ب] وكان انتسابه إليهم بهاتين المقالتين، ثم زاد عليهم القول بمذهب أهل التناسخ.

---

(١) هو ماني بن فاتك الحكيم ظهر في زمن سابور بن أدرشير، في حدود القرن الثاني الميلادي، كان في الأصل مجوسياً، ثم أحدث ديناً مزج فيه بين النصرانية والمجوسية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقر بنبوة موسى عليه السلام. الفرق بين الفرق: ص ٣٤٩؛ الملل والنحل: ١/٢٤٤.

(٢) في (ك) و (س): (الحيوان).

(٣) في (ك) و (س): (ظلمته).

(٤) في (ك): (يتوصل)، وما بين المعقوفتين سقطت من (س).

(٥) كان من أصحاب النظام، وطالع كتب الفلاسفة أيضاً، ثم زعم أن المسيح تدرع بالجسد الجسماني، وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى. الفصل في الملل: ٤/١٥٠؛ الملل والنحل: ١/٦٠.

(٦) سقطت من (ك) و (س).

(٧) في (ك) و (س): (ينتسب إليه ويقول...).

(٨) في (ك): (وينفي الجزء).

وكان أحمد بن نانونس[١] من أصحابه، وكان ينتسب إليه ويقول بالتناسخ، وبينهما خلاف كثير في مواضع، وكان أحمد بن محمد القحطبي في زمان الجبائي، يجمع بين القول بالاعتزال والتناسخ، [وكان عبدالكريم ابن أبي العوجاء[٢]، خال معن بن زائدة[٣] في السر على دين المانوية، وكان يقول بالتناسخ][٤] وكان في الظاهر ينتسب إلى القدرية والرافضة، ووضع كثيراً من الأحاديث اغتر بها الروافض، وأفسد على الروافض صومهم، ووضع لهم حساباً يعتبرون[٥] به رؤوس الشهور، ونسب ذلك إلى جعفر بن محمد الصادق [رضي الله عنه][٦]، ولما ظهر خبر [وضع الحساب][٧] أمر بقتله أبو جعفر محمد بن سليمان الهاشمي[٨]، فصلب.

وبينهم خلاف [كثير][٩] في معنى التناسخ، كان أحمد بن خابط يقول:

---

(١) في (ك) و (س): (بانوش). وينظر الفصل في الملل: ٧٧/١.

(٢) مشهور بالزندقة، قال ابن عدي: لما أخذ ليضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلالف حديث أحرم فيه الحلال وأحلل الحرام، قتله محمد بن سليمان العباسي أمير البصرة في حدود ١٦٠هـ. ميزان الاعتدال: ٣٨٦/٤؛ لسان الميزان: ٥١/٤.

(٣) هو أبو الوليد معن بن زائدة الشيباني، أحد أبطال الإسلام، اشتهر بقتال الراوندية فقدمه المنصور وولاه اليمن وغيرها، وله أخبار في السخاء وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد، ولي سجستان، فوثب عليه الخوارج فقتلوه غيلة سنة ١٥٢هـ. تاريخ بغداد: ٢٣٥/١٣؛ وفيات الأعيان: ٢٤٤/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٩٧/٧.

(٤) سقطت من (س).

(٥) في (ك) و (س): (يغيرون).

(٦) زيادة من (ك) و (س) وقد ورد الاسم في الأولى: (جعفر بن محمد بن جعفر الصادق).

(٧) زيادة من (ك)، وفي (ب): (خبره أمر...).

(٨) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي، كان فارس بني هاشم، وهو الذي قتل إبراهيم بن عبد الله الخارج على المنصور، فولاه الأخير البصرة، ثم ولاه فارس، وكان جواداً ممدحاً، قال الخطيب: كان عظيم قومه، وكان رقيق القلب، وفاته سنة ١٧٣هـ. تاريخ بغداد: ٢٩١/٥؛ الوافي بالوفيات: ١٢١/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٢٤٠/٨.

(٩) زيادة من (ك) و (س).

إن الله [تعالى][(١)] خلق الخلق في أبدان صحيحة وعقول تامة في [دار ليست][(٢)] دار الدنيا، وخلق لهم المعرفة به، وأتم نعمته عليهم وأمرهم بشكره، وكان يقول: إن الإنسان في الحقيقة هو الروح، لا هذا القالب الذي نشاهده، وإن الروح: حيٌّ[(٣)] عالمٌ قادرٌ.

وكان يقول: إن الحيوانات كلها جنس واحد، وإن جميع الحيوانات في محل التكليف، ثم كان يقول: إن من أطاعه في تلك الدار أقره هناك، ومن عصاه هناك أخرجه منها إلى النار، وكل من عصاه في البعض وأضاعه في البعض بعثه إلى دار الدنيا، وألبسه هذه القوالب، وابتلاهم تارة بالشدة وتارة بالراحة، وتارة بالألم [٦٤/أ] وتارة باللذة، وجعل قوماً منهم في صورة الناس، وقوماً في صورة الطيور، وقوماً في صورة السباع، وقوماً في صورة الدواب، وقوماً في صورة الحشرات كالحية وما أشبه ذلك، وكانت درجاتهم في هذا المعنى على مقدار[(٤)] معاصيهم، فمن كانت معصيته أقل في تلك الدار كانت صورته في الدنيا أحسن، ومن كانت معصيته هناك أكثر كان قالب روحه في الدنيا أقبح، ويقولون إن الحيوان في الحقيقة هو الروح، ولا يزال في دار الدنيا ينتقل من قالب إلى قالب، على مقدار الطاعات والمعاصي من قوالب الناس والدواب، حتى تتمحص طاعاته، فينقل إلى دار النعيم أو معاصيه فينقل إلى دار الجحيم، وخالفه أحمد بن نانونس، فقال: متى كان في صورة بهيمة لا يكون عليه تكليف، وكان أحمد بن خابط يقول بل يكون عليه التكليف، ويكون التسخير للذبح والركوب عقوبة له، وكان أحمد بن نانوس يقول: من المكلفين من يكثر[(٥)] طاعاته حتى يصير مستحقاً لأن يصير نبياً أو ملكاً.

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) زيادة من (ك) و (س).

(٣) في (ك): (هي).

(٤) في (ك) و (س): (قدر).

(٥) في (ك): (يكرر).

وكان القحطبي منهم يقول: إن الله تعالى لم يكلفهم ابتداء، ولكنهم سألوا أن يكلفهم ليرفع به درجاتهم؛ لأن الله تعالى عرفهم أنهم لا يدركون الدرجات إلا بالتكليف، وأنهم إن عصوا يستحقون العقوبة، وقالوا: رضينا به، وكان يقول: هذا معنى قوله [تعالى][١]: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢][٢].

وكان أبو مسلم الحراني[٣] منهم يقول: إن الله تعالى خلق أرواحهم وكلف [به][٤] من علم أنه [يطيعه [٦٤/ب] من جملتهم، ولم يكلف من علم أنه][٥] لكنهم عصوا على الابتداء، فنقلهم بالمسخ والنسخ إلى قوالب مختلفة على مقدار[٦] معاصيهم.

الفرقة الثالثة عشرة: خابطية القدرية:

أصحاب أحمد بن خابط، وقد ذكرنا قوله في التناسخ، وكان مشاركاً للفضل الحدثي[٧] في ضلالته، وهو أنه كان يقول: [بأن][٨] للخلق إلٰهين: أحدهما قديم والآخر محدث وهو عيسى ابن مريم [وكان يقول عيسى ابن مريم] ابن الله لا على معنى الولادة، ولكن على معنى أنه تبناه، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، ويقول فيه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، قال: وقد خلقه الله على صورة نفسه.

---

(١) زيادة من (ك).
(٢) في (س) جاءت الآية محرفة.
(٣) لم أقف على ترجمته.
(٤) زيادة من (ك) و (س).
(٥) سقطت من (ك) و (س).
(٦) في (ك) و (س): (قدر).
(٧) في (ب): (الحارثي).
(٨) سقطت من (ك) و (س).

قال: وهو المراد بقول النبيّ ﷺ: **«ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»**[(١)]، ولقوله[(٢)] عليه الصلاة والسلام: **«إن الله [تعالى][(٣)] لما خلق العقل، وقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال له: ما خلقت خلقا أكرم منك، بك أعطي، وبك آخذ»**[(٤)]، وقولهم هذا شرٌّ من قول الثنوية، حين أضافوا الأفعال إلى فاعلين قديمين[(٥)].

الفرقة الرابعة عشرة: الحمارية القدرية[(٦)]:

وهم قوم من المعتزلة يسكنون عسكر مُكْرَم[(٧)]، واختاروا من بدع القدرية ما هو شر وأقبح لركاكة عقولهم، وسخافة معارفهم، فأخذوا القول بالتناسخ من أحمد بن خابط، وأخذوا من عباد بن سليمان الضمري قوله: إن الذين مسخهم الله قردة [٦٥/أ] وخنازير كانوا ناساً بعد المسخ، وأخذوا من جعد بن درهم، الذي قتله خالد بن عبدالله القسري[(٨)]، قوله: إن النظر الأول الذي تحصل [به][(٩)] المعرفة فعل لا فاعل له، وكان يقول: إن الخمر ليست[(١٠)] من فعل الله، ولكنها من فعل الخمّار، وكان يقول: إن من وضع

---

(١) الحديث ورد بألفاظ مختلفة، منها ما أخرجه البخاري، في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر: رقم ٥٢٩؛ مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما: رقم ٦٣٣.

(٢) في (ك): (وبقوله) و (س).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٢٣٥/٢؛ الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٣٥٤/٢. ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن عدي قوله: «هذا الحديث باطل». لسان الميزان: ٤١٩/٥.

(٥) في (ك): (اثنين)، وسقطت من (س)

(٦) في (س): (الحمارية من القدرية).

(٧) قال ياقوت: «بلد مشهور من نواحي خوزستان، منسوب إلى مكرم بن معزاء». معجم البلدان: ١٢٣/٤.

(٨) في (ب): (القشيري).

(٩) زيادة من (ك).

(١٠) في (ك) و (س): (ليس).

اللحم حتى يدود كان الدود من خلقه، ومن دفن الآجر والتبن حتى تولد منه العقرب كان العقرب من فعله، ومن دفن الكمأة حتى صارت حية كانت الحية من فعله، فنسبوا خلق الدود والحية والعقرب إلى الإنسان في هذه المواضع.

الفرقة الخامسة عشرة: يزيدية الخوارج[(١)]:

أتباع يزيد الخارجي، وكان من البصرة، ثم رجع إلى جور فارس، وكان على رأي الأباضية من الخوارج، وكان يقول: إن الله تعالى يبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً ينسخ به شريعة محمد ﷺ، وكان يقول أتباعه يكونون في الصائبة المذكورة في القرآن.

الفرقة السادسة عشرة: ميمونية الخوارج[(٢)]:

وهم أتباع رجل كان اسمه ميموناً، وكان على مذهب العجاردة، ثم خالفهم ورجع إلى مذهب القدرية في باب القدر والإرادة والاستطاعة، ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات البنات وبنات البنين، وأباح لأتباعه التزوج بهن، وكذلك أباح لهم التزوج ببنات الأخوة والأخوات، وكان ينكر سورة يوسف، ويقول إنها ليست من القرآن.

الفرقة السابعة عشرة: الباطنية[(٣)]:

منهم الباطنية، وفتنتهم على المسلمين شرٌّ من فتنة الدجال، فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوماً [٦٥/ب] وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون، وهي قائمة بعد، وإنما ظهرت فتنتهم عن تدبير جماعة، وهم عبدالله بن ميمون القداح[(٤)]، وكان مولى جعفر بن محمد الصادق، ومحمد بن الحسين

---

(١) الفرق بين الفرق: ص ٢٦٣؛ الملل والنحل: ١/١٣٦.
(٢) الفرق بين الفرق: ص ٢٦٤؛ الملل والنحل: ١/١٢٩.
(٣) الفرق بين الفرق: ص٢٦٥؛ الملل والنحل: ١/١٦٧؛ فضائح الباطنية: ص١٦.
(٤) المخزومي مولاهم، أصله من الأهواز، كان من الزنادقة انسلك في خدمة جعفر الصادق، ثم ابنه إسماعيل، فلما مات الأخير لزم خدمة محمد، ثم ادعى بأنه وصي علي بن محمد وتبنى فكرة الباطنية ودعى إليها، تركه المحدثون من أهل السنّة قال البخاري والترمذي: =

المعروف بدندان[١]، وجماعة كانوا يدعون (الجهاربجة)[٢] الذين كانوا مع الملقب بدندان، ومع ميمون بن ديصان كلهم اجتمعوا في سجن العراق، ووضعوا مذهب الباطنية، فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم.

وأول من قام بها محمد بن الحسين المعروف[٣] بدندان، ابتدأ الدعوة في أكراد بجبل نود[٤]، حتى دخل في دعوته جماعة من أهل بذين، ثم إن ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب، وانتسب إلى عقيل بن أبي طالب[٥]، فلما أجابته جماعة، ادّعى أنه من أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن إسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب، وهذا شيء قد اتفق عليه النساب[٦].

ثم ظهر في أتباعه رجل اسمه حمدان قرمط[٧]، فدعا أهل البحرين،

= منكر الحديث، وقال أبو زرعة واهي الحديث، وضعفه غيرهم. اعتقادات فرق المسلمين: ص ٧٦؛ الفرق بين الفرق: ص ٢٦٧؛ تهذيب التهذيب: ٤٤/٦.

(١) كذا ذكره وفي كتب التراجم هو أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد بن مهران أبو جعفر الأهوازي، من كبار الشيعة يلقب دندان، كان كثير التصانيف، قال أبو جعفر الطوسي: وذكروا أنه غالٍ، وحديثه يعرف وينكر، أخذ عن أكثر شيوخ أبيه. ميزان الاعتدال: ١٥٧/١.

(٢) أي الغلمان الأربعة، كذا فسرها الأستاذ كمال الحوت في تعليقه على الكتاب.

(٣) في (ك) و (س): (الملقب).

(٤) في (ك) و (س): (بجبال توز).

(٥) هو أبو يزيد عقيل بن أبي طالب الهاشمي، شهد بدراً مشركاً، وأخرج إليها مكرهاً فأسر، ثم أسلم في أو سنة ثمان وهاجر إلى المدينة، وشهد مؤتة، وقد أطعمه الرسول ﷺ بخيبر مئة وأربعين وسقاً كل سنة، وفاته في حدود سنة ٦٠هـ. سير أعلام النبلاء: ٢١٨/١؛ الإصابة: ٣١/٧.

(٦) في (ك) و (س): (النسابة).

(٧) يقال أن اسمه حمدان بن الأشعث وهو رجل من سواد الكوفة كان يحمل الغلة فالتفت حوله جماعة من العامة، ظهر سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد، وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل، ولهم مقالات كثيرة. تاريخ الطبري: ٦٠٣/٥؛ الكامل في التاريخ: ٣٦٤/٦.

وكان أبو سعيد الجنابي[١] الذي تغلب على أهل البحرين من أتباعه، وأجابه جماعة.

ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح إلى المغرب، وغير اسمه ونسبه فقال: أنا عبدالله[٢] بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأجابه جماعة من أهل المغرب.

ثم خرج منهم رجل كان يدعي أبا حاتم إلى أرض الديلم، فأجابه[٣] منهم جماعة، ودخل في دعوتهم من أهل خراسان [٦٦/أ] الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى [ولاية][٤] هراة ومرورروذ، ولما قتل [هو][٥] قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفي المعروف بالبزدوي، وأبو يعقوب السجزي أقام دعوته بناحية سجستان، وهذا البزدوي صنف لهم كتباً سمى واحداً منها كتاب **(المحصول)**، وآخر كتاب **(أساس الدعوة)**، وآخر كتاب **(كشف الأسرار)**، وآخر كتاب **(تأويل الشريعة)**.

وذكر أهل التاريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في أيام المأمون، وانتشرت في أيام المعتصم، ودخل في دعوتهم من حشم المعتصم رجل يقال له أفشين[٦]، وكان بسببه يداهن بابك الخرمي حتى هزم عدداً من عساكر

---

(١) هو الحسن بن بهرام، كبير القرامطة ومعلن مذهبهم، كان من أهل فارس، ثم أقام بالبحرين تاجراً فدعى إلى نحلته وعظم أمره فاستولى على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، هلك سنة ٣٠١هـ. البداية والنهاية: ٩٢/١١.

(٢) في (ك): (عبيدالله).

(٣) في (ك): (فأجابته).

(٤) سقطت من (ك) و (س).

(٥) سقطت من (ك) و (س).

(٦) هو حيدر بن كاوس الفارسي الأصل، من قواد المعتصم المشهورين، اتهم بالبابكية عند المعتصم وأنه باق على أشياء من دين أجداده، فسجنه وقتله في سنة ٢٢٨هـ. وفيات الأعيان: ٢٥٠/٢؛ البداية والنهاية: ٣٢١/١٠.

المسلمين، حتى اجتمع أبو دلف العجلي[(١)]، وقواد عبدالله بن طاهر، وهزموا بابك الخرمي، وأسروه وصلب بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وذكر أهل التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين، فوضعوا قواعد على موافقة [أساس][(٢)] ما وضعوه، حتى تغتر به الإغمار، وذلك أن الثنوية قالوا: إن للعالم صانعين أحدهما النور يكون منه الخير[(٣)] والمنافع، والآخر الظلمة ومنه يكون[(٤)] الشرور والمضار.

وقالوا: إن جملة الأجسام امتزجت منهما، ثم قالوا: إن كل واحد من هذين الأصلين له طبائع أربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ثم اقتدى بهم [٦٦/ب] المجوس، وقالوا: إن للعالم صانعين يزدان واهرمن، ثم غيرت[(٥)] الباطنية عبادتهم[(٦)]، فقالوا: إن الله تعالى خلق النفس، وكان [الله هو][(٧)] الأول، والنفس هو الثاني، وربما قالوا العقل هو الأول والنفس هو الثاني، وزعموا أن هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة، والطبائع الأربعة وهذا بعينه قول المجوس، حيث قالوا: إن مدبر العالم اثنان، أحدهما: قديم والآخر: حادث، حدث من فكرته، إلا أن المجوس قالوا:

---

(١) هو عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ معاوية، أبو دلف العجلي، أحد قواد المأمون والمعتصم، قال ابن كثير: كان أبو دلف هذا كريماً جواداً، وكانت لديه فضلية في الأدب والغناء، وصنف كتباً منها في سياسة الملوك، وفاته سنة ٢٢٥هـ. البداية والنهاية: ٣٢٣/١٠.

(٢) زيادة من (ك).

(٣) في (ك) و (س): (الخيرات).

(٤) في (ك) و (س): (يكون منه).

(٥) في (س): (عبرت).

(٦) في (ك) و (س): (عبارتهم).

(٧) زيادة من (ك) و (س).

هما يزدان واهرمن، والباطنية قالوا: هما العقل والنفس، وقد كان منهم من جملة البرامكة من احتال[(١)] في إظهار عبادة النار [فيما][(٢)] بين المسلمين، فقالوا[(٣)] لهارون الرشيد: ينبغي أن [تأمر حتى][(٤)] يرتب في الكعبة إحراق العود والند [دائماً][(٥)]، ليكون ذلك أثراً زائداً [لك][(٦)] على من [كان][(٧)] قبلك، وأرادوا[(٨)] بذلك أن يجعل الكعبة بيت نار، فلما وقف عليه علماء زمانهم عرفوا الخليفة حاله، وصرفوه عن ذلك الرأي.

وكما أن الباطنية احتالوا في أصول الدين، احتالوا في إخداع أتباعهم واستمالة قلوبهم، فأباحوا لهم جملة اللذات والشهوات، وأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات، وتأولوا أركان الشريعة، فقالوا: معنى الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم، ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبي بكر وعمر، وكل من خالف مذهب الباطنية.

وكانوا يؤولون الملائكة على دعاتهم الذين يدعون إلى بدعتهم، وقالوا: إن الشياطين هم الذين [٦٧/أ] لا يكونون على مذهبهم من المسلمين من علماء أصحاب الحديث والرأي، وكانوا يسمون موافقيهم على بدعهم المؤمنين ومخالفيهم الحمير والظاهرية.

وكان من جملتهم رجل اسمه عبيدالله بن الحسن[(٩)] القيرواني، كتب

---

(١) في (ك): (سعى).
(٢) سقطت من (ك).
(٣) في (ك): (فقال) و (س).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) سقطت من (ك) و (س).
(٦) سقطت من (ك).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) في (ك) و (س): (وأراد).
(٩) في (س): (الحسين). وهو صاحب الدعوة العبيدية، قال ابن خلكان: وجدت في نسبه اختلافاً كثيراً، وهو يدعي أنه يعود بالنسب للبيت العلوي، ولا يصح ذلك، أقام خلافة له بأفريقية، وبنى له مدينة سماها المهدية، مات سنة ٣٢٢هـ. وفيات الأعيان: ١١٧/٣.

رسالة إلى سليمان بن الحسن القرمطي[١]، وكتب فيها: أوصيت إليك[٢] بتشكيك الناس في التوراة والإنجيل والقرآن، فإنه أعظم عون لك على القول بقدم العالم، وأوصيت إليك بأن تعرف مخاريق الأنبياء والأمور التي ناقضوا فيها، كما قال [أن][٣] عيسى [قال][٤] لليهود: أنا لا أرفع شيئاً من شريعتكم[٥] ولا أنسخُهُ[٦]، ثم رفع السبت ووضع بدله الأحد، وغير قبلة موسى، فلما عثر اليهود منه على هذه المناقضة قتلوه، وينبغي أن لا تكون كصاحب الأمة المنكوسة لما سألوه عن الروح لم يدرِ ما يقول فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥][٧]، وهم قبلوا منه ذلك، وينبغي أن لا تكون كموسى ادعى ما ادعاه، ولم يكن له برهان سوى المخرقة، وحيل الشعبذة، وذلك[٨] المحق في زمانه قال: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣﴾ [النازعات: ٢٣][٩] وإنما سماه محقاً على مذهبه، على معنى أنه كان صاحب زمانه في دوره.

وذكر في تلك الرسالة فقال: وأعجب من هذا في دينهم أن الواحد

---

(١) أبو طاهر سليمان بن حسن القرمطي الجنابي، قال عنه الذهبي: «عدو الله ملك البحرين الزنديق الأعرابي»، سار إلى مكة في سبعمائة فارس فاستباح الحجيج كلهم في الحرم، واقتلع الحجر الأسود، وردم بئر زمزم، وبقي الحجر عند القرامطة نيفاً وعشرين سنة، مات بالجدري سنة ٣٠٢هـ. الكامل في التاريخ: ١٤٣/٨؛ وفيات الأعيان: ١٤٨/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٣٢٠/١٥.

(٢) في (ك) و (س): (أوصيك).

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) سقطت من (ك).

(٥) في (س): (شيء بعلمه).

(٦) في (ك) و (س): (انسخ).

(٧) في (ب) و (س): جاءت الآية الكريمة: ﴿ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. والحديث ورد عن ابن مسعود، أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً: رقم ١٢٥.

(٨) في (ك) و (س): (وذلكم).

(٩) في (ب): جاءت الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾.

منهم يكون له بنت[١] حسناء، يحرمها على نفسه ويبيحها للأجنبي، ولو كان له عقل لكان يعلم[٢] أنه أولى بها من الرجل الأجنبي، لكنهم قوم خدعهم رجل بشيء لا يكون أبداً، خوفهم بالقيامة والنار ومناهم الجنة، واستعبدهم بهذا[٣] السبب، فكيف لم يخف في نفسه مما خوفهم به حين استعبدهم في العاجل [٦٧/ب] ولم يبال به ثم ذكر المدبر في آخر هذا الكتاب: إنك وأخوانك هم الوارثون الذين ورثوا الفردوس، وأراد بإخوانه الباطنية، وزعم أنهم هم الذين يرثون الفردوس، ثم فسر الفردوس، فقال: هو نعيم الدنيا ولذاتها التي حرمها على هؤلاء الجهال، الذين تمسكوا بشرايع قوم من المتنبئين، هنيئاً لكم الراحات التي وصلتم إليها، والخلاص من التكليفات التي ابتلوا بها.

واعلم أن أول ما يحتال[٤] به هؤلاء على السلاطين، والعوام الذين لا يخبرون العلوم[٥]، تقبيحهم العلماء في أعين العوام، يقولون للواحد منهم: إن علماءكم لا يعرفون شيئاً، ولو شئتم لجربتموهم وعرفتم من حالهم ما يقولون، سلوهم لم وجب غسل الوجه في الوضوء؟ والحدث خرج من موضع آخر؟ وأي حكمة [فيه][٦]؟ وأي عاقل يستحسن مثل هذا، ولم وجب غسل جميع البدن من قطرة مني خرجت منه، ولم يجب على كثير من الحدث والبول يخرج منه، إلا غسل أعضاء من البدن، قالوا: وهذا بالعكس أولى.

واسألوهم: لِم كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة الصبح ركعتين كل واحد منهما في طرف من طرفي النهار، ولِم كان الركوع

---

(١) في (ك): (ابنة).
(٢) في (ك) و (س): (العلم).
(٣) في (ك) و (س): (لهذا).
(٤) في (ك) و (س): (يحتالون).
(٥) في (ك) و (س): (خبرة لهم في).
(٦) سقطت من (ك).

واحداً، والسجود اثنين، ولِم [لم][١] يقطع فرج الزاني وتقطع يد السارق؟ وهما جميعاً آلة الخيانة، واسألوهم لِم كان اللسان واحداً والأذن اثنتين، والذكر واحداً والخصيتان[٢] اثنتين، ولِم كانت الأهداب ثابتة على جفن الإنسان، ولا يكون لسائر الحيوانات [الأهداب][٣] إلا على أحد الجفنين، ولِم كان ثدي الإنسان على صدره، وثدي سائر الحيوانات على بطنها [٦٨/أ] ولِم كان بعض الحيوانات يبيض وبعضها يلد.

وإذا ظفروا بواحد من السلاطين والمحتسبين، قالوا له: وضعت هذه الشريعة للحُمُر[٤] والعوام، وأنت[٥] من جملة الخواص، ينبغي أن يكون لدينك خاصية تخالف دينهم، ويقولون: إن النبيّ ﷺ لم يكن نبياً ولا رسولاً، ولكنه كان حكيماً، أراد أن يستعبدهم[٦]، فكلفهم هذه التكاليف، ولا بد للخواص أن يتميّزوا عنهم ولا ينقادوا لشيء لا أصل له.

وإذا وردت هذه الأسئلة على العامي تحير فيها، ورجع إلى واحد من أهل العلم، فيقول العالم لا تسمع هذا الكلام ولا تغتر به؛ لأنه كلام الباطنية، وهذا الذي تسألني [عنه][٧] إنما هي[٨] أمور أمر الله [تعالى][٩] بها، ولا اعتراض عليه، ولو أمر بخلافها[١٠] لكان يجوز، وأشياء خلقها الله [تبارك وتعالى][١١] كان يجوز أن يخلق بخلاف ذلك[١٢]؛ لعموم قدرته، ألا

---

(١) زيادة من (س).
(٢) في (ك) و (س): (والخصية).
(٣) زيادة من (ك) و (س).
(٤) في (ك) و (س): (للحمير).
(٥) في (ك) و (س): (أنتم).
(٦) في (ك) و (س): (يستعبد العوام).
(٧) زيادة من (ك) و (س).
(٨) في (ك): (هو).
(٩) سقطت من (ك) و (س).
(١٠) في (ك) و (س): (بخلافه).
(١١) سقطت من (ك) و (س).
(١٢) في (ك) و (س): (بخلافها).

ترى أن الله تبارك وتعالى خلق بعض الحيوانات على رجلين، وبعضها على أربع، وبعضها خلق بلا رجل [فهي][(١)] تمشي على بطنها، ومنها[(٢)] ما يطير بالجناح، وخلق بعضها [بحيث][(٣)] يمشي على البر، ولو سقط في الماء هلك، وبعضها يعيش في البر والبحر [جميعاً][(٤)] وخلق بعض الأجسام بحيث ترسب في الماء مثل الحجر والحديد، وبعضها يطفو على الماء كالخشب وغيره، فهذا كله دليل عموم قدرة الله تعالى وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فإذا رجع العامي إلى من لقنه تلك الأسئلة، وذكر له الجواب الذي وصفه، قال له: قد علمت الآن أن عالمك لا يعرف[(٥)] شيئاً [٦٨/ب] فشككه في أمر الدين وفي حال العالم، فأوهموا عند ذلك[(٦)] الغر الغمر أن تحتها حكم[(٧)] عظيمة يعرفونها هم[(٨)]، ويقولون للعامي: إذا تحير[(٩)] لا يعرف أسرار هذه الأمور غيرنا، فإذا طالبهم العامي ببيانه يقولون: ليس هذا من الأسرار التي تفشى بلا عهد ولا ميثاق، فإنها أسرار يعرفها الخواص فيحلفونه بالله وبالرسول وبالطلاق والعتاق[(١٠)] وتسبيل المال والنعم، وإن كان هذا اليمين لا حظ[(١١)] لها عندهم، فإنهم لا يؤمنون بالله وبالرسول، ولكنهم يريدون التهويل على المسلم، ويقولون أيضاً لا نظهره إلا بتقديم

---

(١) سقطت من (ك).
(٢) في (ك) و (س): (وفيها).
(٣) سقطت من (ك) و (س).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) في (ك) و (س): (أنك لا تعرف).
(٦) في (ك): (فأوهم بذلك).
(٧) في (ك) و (س): (حكمة).
(٨) في (ك) و (س): (يعرفها).
(٩) في (ك) و (س): (إذا تحير العامي).
(١٠) في (ك) و (س): (وبالعتاق والطلاق).
(١١) في (ك) و (س): (خطر).

خير عليه، فيطلبون [منه][(١)] مائة وتسعة عشر درهماً من السبيكة الخالصة، ويقولون هذا تأويل قول الله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١٨]، [ويقولون: إن][(٢)] الحاء والسين والنون والألف إذا جمع [عددهم][(٣)] بحساب الجمل، يكون مبلغه مائة وتسعة عشر، فإذا سمع الغر هذا الكلام وبذل لهم [هذا][(٤)] العهد، وأعطى هذا المال قال لهم: لم يبقَ إلا أن تهدوني إلى طريقكم، وتفشوا علي[(٥)] أسراركم، فيخافوا[(٦)] أن يظهروا له حقيقة ما هم عليه، فيظهرون له [شيئاً][(٧)] ما يشبه أن يكون ظاهرة [من][(٨)] دين الإسلام، حتى لا يبادر إلى الإنكار عليهم، ويستقر [عنده][(٩)] مع ذلك المقدار من خرافاتهم، ثم يلقون الأمر إليه درجة درجة حتى يسلخونه[(١٠)] [من الدين سلخاً][(١١)].

فمما يلقونه إلى المبتدئ قولهم: إن الله تعالى خلق ذوات الأربع من الحيوانات، فاختار منها واحدة وهي[(١٢)] الظبية، جعلها محلاً للمسك الذي [فيه][(١٣)] تكون هذه الروائح الطيبة فيه [٦٩/أ] في هذه الجنة، ويعنون بالجنة دار الدنيا ونعيمها، وخلق [الله][(١٤)] ذوات الأجنحة من الحيوانات، واختار

---

(١) سقطت من (ك) و (س).
(٢) سقطت من (ك) و (س).
(٣) زيادة من (ك) و (س).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) في (ك) و (س): (إلي).
(٦) في (ك) و (س): (فيخافون).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) سقطت من (ك) و (س).
(٩) سقطت من (ك) و (س).
(١٠) في (ك) و (س): (فيسلخونه).
(١١) سقطت من (س).
(١٢) في (ك) و (س): (وهو).
(١٣) زيادة من (ك) و (س).
(١٤) سقطت من (ك) و (س).

منها واحدة، وهي النحلة، وجعلها محلاً للشهد الذي منه أطيب الحلاوات في هذه الجنة، وخلق الحيوانات التي تمشي وتتحرك على بطنها، فاختار واحدة وهي دودة القز، وجعلها [محلاً] للإبريسم[١] الذي منه زينة هذه الجنة، وخلق الناس واختار منهم [واحداً وهو][٢] محمد [المصطفى][٣] ﷺ.

فيستحسن المبتدئ هذا الكلام الذي يلقيه إليه، ثم يقول [له][٤]: أتدري من محمد؟ فيقول [له][٥]: نعم محمد رسول الله، خرج من مكة وادعى النبوة، وأظهر الرسالة، وعرض المعجزة، فيقول ليس هذا الذي تقول إلا كقول هؤلاء الحمير، يعنون به المؤمنين من أهل الإسلام، إنما محمداً أنت، فيستعيذ السامع، ويقول: لست أنا محمداً، فيقول له: الله [تبارك][٦] تعالى وصف في هذا القرآن فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨][٧]، وهؤلاء الحمير يقولون من مكة، فيقول له الغر الغمر على أي معنى تقول أنا محمد، فيقول: خلقك وصورك خلقة محمد، فالرأس بمنزلة الميم، واليدان بمنزلة الحاء، والسرة بمنزلة الميم، والرجلان بمنزلة الدال، وكذلك أنت علي أيضاً، عينك هي العين، والأنف هي اللام، والفم هي الياء، ثم يقول: إن الله ما خلق شيئاً إلا على صورة محمد وعلي، حتى الفارة خلقها على هذه [الصورة][٨]، يوهمه أنه المراد

(١) في (ك) و (س): (وجعل منها الإبريسم).
(٢) سقطت من (ك) و (س).
(٣) سقطت من (ك) و (س).
(٤) في (ك) و (س): (ويقول).
(٥) في (ك) و (س): (إلي).
(٦) سقطت من (ك) و (س).
(٧) في (ب) جاءت الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].
(٨) زيادة من (ك) و (س).

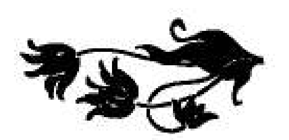
بقول القائل[١] محمد ﷺ وعلي (رضي الله عنه)[٢] لا لشخصين من الأشخاص المعينة، يريد [به نفي][٣] النبيّ ﷺ والمسمى بعلي [٦٩/ب] رضي الله عنه.

وكذلك يقولون: إن المراد [من][٤] إثبات الرب[٥] يرجع إلى نفسك، ويؤولون عليه قوله [تعالى][٦]: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ [قريش: ٣]، ويقولون: الرب هو الروح، والبيت هو البدن يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن، على [هذا][٧] التصوير الذي صوره، حتى يقرروا عنده أن لا تكليف عليه ولا قطع له عن الراحة البشرية، ويبتدؤن بالدعاء إلى أهل[٨] البيت، ويختمون[٩] بالسلخ عن الديانة، وربما دعوا إلى الأئمة السبعة أو الأئمة الاثني عشر، فإذا أجابهم الجاهل، وأنس بهم، قالوا: هؤلاء[١٠] الأئمة ناس مثلك، أي شرف لهم عليك؟[١١] هذه أسماء تذكر ولها سرٌّ معلومٌ [وهي المراد بالاثني عشر البروج الاثنا عشر، والمراد بالسبعة: هي الكواكب السبعة، ويزعمون][١٢] أنها هي المدبرة[١٣] للعالم بطباعها، فيخرجونه عن الدين بمثل هذه الحيل، وأين[١٤] صادفوا من

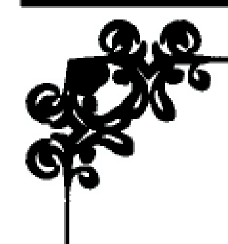
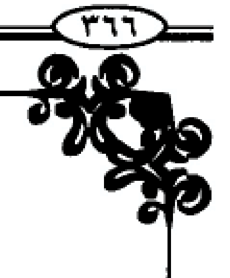
---

(١) في (ك) و (س): (بأن المراد قول القائل).
(٢) زيادة من (ك).
(٣) سقطت من (ك) و (س).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) في (ك): (بإثبات الذات).
(٦) زيادة من (ك) و (س).
(٧) سقطت من (ك) و (س).
(٨) في (ك) و (س): (لأهل).
(٩) في (ك) و (س): (ويجتمعون).
(١٠) في (ك) و (س): (هذه).
(١١) في (ك) و (س): (ليس لهم شرف عليك).
(١٢) سقطت من (ك) و (س).
(١٣) في (س): (المسيرة).
(١٤) في (ك): (وإن).

يحرص(١) على التنسك والعبادة كلفوه [الصلوات المتصلة ليلاً ونهاراً، وكلفوه](٢) الوصال في الصوم أياماً، حتى إذا ضعف المسكين وملَّ عن جميعه، ورأوا منه السئامة(٣) الظاهرة دعوه إلى ترك العبادات والإقبال على اللذات، وصوروا له أن الأصل لهذه التكليفات والأوامر(٤) الشرعية، مثل ما ذكرنا من طريقتهم(٥)، وربما صوروا للغر طريق التناسخ، كما وصفناه قبل ثم يختمون كلامهم بنفي الشريعة، ونفي الرسول والمرسل نسأل الله [سبحانه](٦) وتعالى أن يكفي المسلمين شرهم، فما هم إلا كما قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ [٧٠/ب] قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨].



(١) في (ك) و (س): (له حرص).
(٢) سقطت من (ك) و (س).
(٣) في (ك) و (س): (السلامة).
(٤) في (ك) و (س): (والأمور).
(٥) في (ك) و (س): (ذكرناه بشرط تفهم).
(٦) زيادة من (ك) و (س).

الباب الرابع عشر

في بيان مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام والله أعلم بعددهم ونذكر[١] منهم ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات

منهم[٢] قوم كانوا يعبدون صنماً مصوراً [وقوم كانوا يعبدون حجراً][٣]، وقوم كانوا يعبدون إنساناً مثل الذين كانوا يعبدون جمشيد [والذين كانوا يعبدون نمرود بن كنعان][٤] والذين كانوا يعبدون فرعون[٥]، وما أشبه ذلك.

ومنهم قوم كانت[٦] عاداتهم عبادة ما يستحسنونه من الصور المختلفة، وهم من جملة الحلولية.

ومنهم قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب، وقوم كانوا يعبدون بعض الكواكب، مثل الشعري والجوزاء، وقوم كانوا يعبدون

---

(١) في (ك) و (س): (وإنما).
(٢) في (ك) و (س): (فمنهم).
(٣) سقطت من (ك) و (س).
(٤) سقطت من (س).
(٥) في (ك) و (س): (فرعون وهامان). ينظر الفرق بين الفرق: ص ٣٤٥.
(٦) في (ك) و (س): (كان).

الملائكة، ويقولون: إنهم بنات الله، وهم الذين قال الله تعالى في حقهم[(١)]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النجم: ٢٧].

وقوم كانوا يعبدون شيطاناً[(٢)]، وقوم كانوا يعبدون البقر[(٣)].

ومنهم قوم كانوا قبل الإسلام يدعون السوفسطائية[(٤)]، ينفون الحقائق، وقوم يسمون السمنية[(٥)]، ينفون النظر والاستدلال، ويقولون بقدم العالم، وقوم يقال لهم الدهرية، يقولون: بقدم العالم وينكرون الصانع.

ومنهم قوم يدعون أصحاب الهيولى[(٦)]، يقولون بقدم أصل العالم، ويقرون بحدوث الأعراض [٧٠ /ب] وقوم من الفلاسفة يقولون [بقدم العالم وينفون الصانع، وقوم من الفلاسفة يقرون][(٧)] بأن للعالم صانعاً قديماً، ولكن يقولون إن العالم أيضاً قديم، كما أن صانعه قديم، ويقولون بقدم الصنع[(٨)] والصانع، وعلى هذا المذهب كان برقلس[(٩)].

وقوم من الفلاسفة يقولون: إن الطبائع الأربع قديمة [وإن العناصر الأربعة قديمة][(١٠)]: وهي الأرض والماء والنار والهواء، وزاد على هؤلاء قوم منهم، فقالوا: إن هذه الأربعة قديمة، والأفلاك والكواكب أيضاً قديمة،

---

(١) في (ك) و (س): (وصفهم).
(٢) في (ك) و (س): (حيطاناً).
(٣) في (ك) و (س): (البقرة).
(٤) وهم الذين ينكرون الحقائق ولا يؤمنون بشيء. الفصل في الملل: ٩/١.
(٥) أصل هذه الفرقة من الهند، من أتباع بوذا، وكانوا يقولون بقدم العالم مع إنكارهم للنظر والاستدلال ودعواهم أنه لا يعلم شيء إلا من طرق الحواس الخمسة. الفرق بين الفرق: ص ٣٤٦.
(٦) وكانو يعنون بالهيولى أنها كانت في الأزل جوهراً خالياً من الأعراض، ثم حدثت الأعراض فيها، وهي لا تخلو منها في المستقبل. الفرق بين الفرق: ص ٢٠٥؛ الملل والنحل: ٦٧/٢.
(٧) سقطت من (ك).
(٨) في (ك): (الصنعة).
(٩) كان من تلاميذ أفلاطون، وصنف كتاباً في قدم العالم وأزلية الحركات بعد إثبات الصانع، والقول بالعلة الأولى. الملل والنحل: ١٤٩/٢.
(١٠) سقطت من (ك) و (س).

وزاد قوم منهم طبيعة خامسة زعموا أنها قديمة.

ومنهم قوم يقال لهم المجوس، وهم أربع فرق: مسخية والزروانية وخرم دينية وافريية[(١)]، وهؤلاء كلهم على مذهب المجوس يقولون: بيزدان وأهرمن[(٢)].

منهم قوم يقال لهم الصابئة، وهؤلاء قوم ينتحلون مذهب أصحاب الهيولى، كما وصفناه، ومنهم قوم يقال لهم البراهمة[(٣)]، ينكرون جميع الأنبياء، ولكنهم يقولون بحدث العالم، وتوحيد الصانع، ومنهم قوم يقال لهم اليهود، وقد ورد عن النبيّ ﷺ أنهم يفترقون على إحدى وسبعين فرقة.

واعلم أن سبب تفرقهم ما ذكره جمهور المفسرين أن قوماً من بني إسرائيل، لما طالت عليهم المدة وقست قلوبهم، تكلفوا ووضعوا كتباً كما كانوا يشتهونه، وكانوا يدعون أن تلك الكتب من عند الله، وكانوا يقولون إن من خالفنا في هذا قتلناه، ثم تفكروا فقالوا: جميع بني إسرائيل لا يمكن قتلهم، ولكن لبني إسرائيل [٧١/أ] عالم هو حبرهم فيما بينهم كبير نعرض ما وضعناه عليه، فإن قبله، قبله أتباعه[(٤)]، وإن لم يقبله قتلناه حتى يصير جميع بني إسرائيل تبعاً لنا، فراسلوه فعلم الرجل ما في أنفسهم، فكتب كتاب الله في رق رقيق [بخط دقيق][(٥)] ووضع ذلك في قرن، ثم تقلد ذلك القرن، ولبس فوقه الثياب، ثم جاء إليهم فعرضوا عليه ما كان عندهم، ودعوه إلى الإيمان به، فأشار إلى صدره حيث كان ذلك القرن، وقال: نعم آمنت بهذا، وما لي لا أؤمن به، وكان له [أصحاب كانوا يراعون حاله][(٦)]

---

(١) في (ك) و (س): (الزروانية، والمسخية، والخرم دينية، والبة آفريدية).
(٢) الفرق بين الفرق: ص ٣٤٧؛ الملل والنحل: ٢٣٣/١.
(٣) من حكماء الهند الذين أنكروا النبوات، ومنهم من يميل إلى رأي الدهرية، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ومنهم حكماء على طريق اليونانيين علماً وعملاً. الملل والنحل: ٢٥٠/٢.
(٤) في (ك) و (س): (صار من أتباعنا).
(٥) زيادة من (ك) و (س).
(٦) سقطت من (س).

حتى مات، فوجدوا معه ذلك القرن، فقالوا: إنه إنما قال لهذا القرن آمنت به واختلف القوم فيه[(١)]، ووقع الخلاف بسببه في بني إسرائيل، حتى صاروا إحدى وسبعين فرقة، خيرهم أصحاب القرن.

وعلى الجملة جميع اليهود في أصل الدين فريقان:

فريق[(٢)] منهم ينكرون نبوة المصطفى[(٣)] ﷺ [وقوم لا ينكرون.

وفريق منهم يقولون بنبوة نبينا ﷺ][(٤)] وهم العيسويون، ويكونون بإصبهان يقولون إنه كان نبياً، ولكنه كان مبعوثاً للعرب دون العجم[(٥)].

واعلم أن [جميع][(٦)] اليهود في أصول التوحيد فريقان: فريق منهم المشبهة وهم الأصل في التشبيه، وكل من قال [قولاً][(٧)] في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسخ على منوالهم، وأخذ مقالة من مقالهم [من][(٨)] الروافض وغيرهم؛ ولهذا قال النبيّ ﷺ: **«الروافض يهود هذه الأمة»**؛ لأنهم أخذوا التشبيه من اليهود.

الفريق [٧١/ب] الثاني منهم: هم القدرية ينكرون الرؤية، ويقولون [بخلق كلام الله تعالى ويقولون][(٩)]: بأن الحيوانات يخلقون أفعالهم، وأكثر الأمم كانوا[(١٠)] فيما بينهم جماعة من القدرية؛ ولهذا قال النبيّ ﷺ: **«لعنت**

---

(١) في (ك) و (س): (واختلفوا فيه).
(٢) في (ك) و (س): (قوم).
(٣) في (ك): (محمد).
(٤) سقطت من (س).
(٥) في (ك) و (س): جاءت العبارة مضطربة. وينظر الفصل في الملل: ١٤٧/١؛ الجواب الصحيح: ٤٦١/٣.
(٦) زيادة من (ك) و (س).
(٧) زيادة من (ك) و (س).
(٨) سقطت من (ك) و (س).
(٩) سقطت من (ك) و (س).
(١٠) في (ك) و (س): (كان).

القدرية على لسان سبعين نبياً»، والقدرية الذين ظهروا في دولة الإسلام أخذوا طريقهم من قدرية اليهود، وقد كان في عصرنا جماعة ممن ينتسب إلى أصحاب الرأي ويتستر بمذهبهم، وهو يضمر الإلحاد والقول بالقدر، وكان يراجع اليهود ويتعلم منهم الشبه التي يغرون بها العوام، وكفاهم خزياً تعلمهم من اليهود واقتداؤهم بهم، والله [سبحانه وتعالى][(١)] يكفي المسلمين شرهم.

ومنهم قوم يقال لهم النصارى، وقد روينا في الخبر أن النبيّ ﷺ قال: «**إنهم يفترقون على اثنتين وسبعين فرقة**»، [وكان سبب تفرقهم ما ذكره المفسرون وأصحاب التواريخ، وذلك أنهم قالوا: إن النصارى][(٢)] كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام، بعد ما رفع إلى السماء إحدى وثمانين[(٣)] سنة، وكانوا يجرون[(٤)] على الاستقامة إلى أن وقع بينهم وبين اليهود حرب.

وكان في اليهود رجل اسمه بولس[(٥)] قتل منهم مقتلة عظيمة، ثم قال [لليهود][(٦)]: إن كان قوم عيسى على الحق ونحن قد كفرنا بهم، يكون علينا غبن عظيم، فإنهم يدخلون الجنة ونحن ندخل النار، ولكني احتال بحيلة[(٧)] حتى أفسد عليهم دينهم [٧٢/أ] وكان له فرس اسمه عقاب، وكان يقاتل

---

(١) زيادة من (ك) و (س).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) في (ك) و (س): (وثلاثين).

(٤) في (ك): (يجبرون).

(٥) كان اسمه في اليهودية شاؤل، ثم تسمى باسم بولس في النصرانية، وتشكل رسائله ثقلاً مهماً عند النصارى، كان من أشد الناس اضطهاداً للنصارى في فلسطين، ثم ادعى أن صوتاً من السماء ناداه بضرورة الكف عن ذلك، فيقال إنه تنصر، وله شأن عظيم عند النصارى، مات في حدود سنة ٦٥م. الفصل في الملل والنحل: ١٦٤/١؛ هداية الحيارى: ص ١٧١.

(٦) زيادة من (ك) و (س).

(٧) في (ك) و (س): (حيلة).

عليه، فقام وعقر ذلك الفرس، ثم أظهر[(١)] الندم على ما كان منه، وحثى[(٢)] التراب على رأسه، ثم جاء إلى النصارى متندماً بظاهره، فقالوا له: من أنت؟ فقال [لهم][(٣)]: أنا بولس كنت أشد عدواً عليكم[(٤)]، ولكني سمعت من السماء نداء: أن توبتك لن[(٥)] تقبل إلا أن تتنصر، والآن تبت ورجعت إلى دينكم، فأكرموه وأدخلوه كنيستهم، فلازم بيتاً من بيوتهم لم يخرج منه ليلاً ولا نهاراً، حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج وقال: سمعت من السماء أن توبتك قد قبلت، وإن صدقك قد عرف، وإنك قد أحببت وقبلت، ثم خرج إلى بيت المقدس، واستخلف رجلاً اسمه نسطور[(٦)]، وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم خرج إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: لهم إن عيسى لم يكن ناساً ثم صار ناساً، ولم يكن جسماً ثم صار جسماً، وكان ابن الله، وعلم يعقوب هذا القول، ثم دعا رجلاً كان اسمه ملكاء وقال له: إن الإله الذي لم يزل ولا يزال هو عيسى، ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة، وقال له: أنت صاحبي خالصاً، وإني[(٧)] أريد أن أفضي إليك سراً، ينبغي أن لا تترك نحلتك هذه، وتدعو الخلق إليها، فقد رأيت [عيسى عليه السلام][(٨)] البارحة في المنام، وكان راضياً عني [وأنا أريد أن أتقرب إليه بقربان بحق رضاه عني][(٩)] فينبغي أن لا ترجع عن نحلتك

---

(١) في (ك) و (س): (فأظهر).

(٢) في (ك) و (س): (ونثر).

(٣) سقطت من (ك) و (س).

(٤) في (ك) و (س): (لكم).

(٥) في (ك) و (س): (لا).

(٦) في (ك) و (س): (من نسطور). كان بطريكاً بالقسطنطينة، وزعم أن المسيح له جوهران وأقنومان إله تام بأقنومه وجوهره، وإنسان تام بأقنومه وجوهره، وأن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لأن الأب عندهم ولد إلهاً ولم يلد إنساناً ومريم ولدت إنساناً ولم تلد إلهاً. الفصل: ٤٨/١؛ الملل والنحل: ٢٢٤/١؛ الجواب الصحيح: ٢٤٩/٤.

(٧) في (ك) و (س): (فإني).

(٨) زيادة من (ك) و (س).

(٩) سقطت من (س).

بحال، فإني أريد أن أذبح نفسي قرباناً، ثم قام ودخل المذبح فذبح نفسه(١).

فلما كان اليوم [٧٢/ب] الثالث من وفاته، قام كل واحد من أولئك الثلاثة، يدعو(٢) الناس إلى نحلته، وتبع كل واحد منهم جماعة من الناس، وكانوا يتقاتلون فيما بينهم، وبقي منهم(٣) ذلك الخلاف [إلى اليوم](٤)، ولم يزالوا يختلفون حتى بلغ عدد فرقهم، مثل ما نطق به الخبر المروي في هذا الباب(٥).

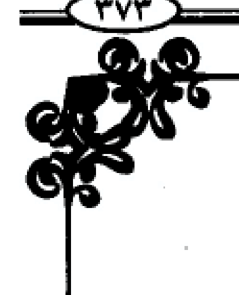
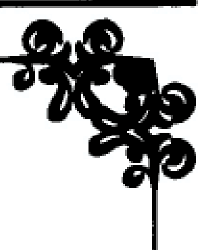
[ومنهم قوم يقال لهم الصابئة](٦)، وكان مذهبهم مذهب أصحاب الهيولى، وكانوا في بعض دينهم مع اليهود، وفي بعضه مع النصارى، وابتدعوا من عند أنفسهم أمورا كثيرة تخالف الفريقين.

ومنهم قوم يقال لهم السامرة(٧): وهم من جملة اليهود، لكنهم خالفوا في أشياء.

واعلم أن جميع من ذكرناهم في هذا الباب من الفرق كفار، إلا أن أحكامهم في كفرهم مختلفة في الشريعة، كما ذكر(٨) في كتب الفقه.



(١) في (ك) و (س): (جاءت العبارة فيها تقديم وتأخير).
(٢) في (ك) و (س): (ودعا).
(٣) في (ك) و (س): (بينهم).
(٤) سقطت من (ك) و (س).
(٥) ينظر الفصل في الملل: ٤٧/١؛ الجواب الصحيح: ٨٥/٤.
(٦) سقطت من (ك).
(٧) الملل والنحل: ٢١٨/١؛ الفصل في الملل: ١٤٥/١.
(٨) في (ك) و (س): (نذكره).

الباب الخامس عشر

في اعتقاد أهل الحق وملة الإسلام

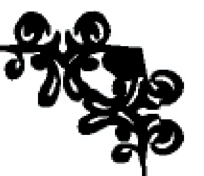
وقد نـزههم الله تعالى عن جميع هذه الفضائح والرذائل التي سردناه، وجروا في اعتقادهم على ظاهر الكتاب والسنة وإجماع الأئمة، والخلاف بينهم رجع إلى فروع الدين، وإلى أمور يسيرة الخطب، لا توجب تكفيراً ولا ابتداعاً، ولا يليق تفصيل الاعتقاد بهذا الكتاب، فإنه إنما رسم لنبين به الفرق بين فرق الحق والضلال، وقد بينا بما ذكرناه، وتحقيق عقيدة أهل الحق مدوناً مبرهناً أوضح من الشمس، كالتمهيد للباقلاني، والشامل والإرشاد وغيرهم مما لا تحصر بمثل هذا الكتاب بحمد الله.

ومنه فصلوا على خير خلقه محمد وآله وصحبه[١].



(١) هنا انتهت نسخة (ب) وهي الأصل الذي اعتمدنا عليه.



الباب الخامس عشر

في بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم

ويقع في هذا الباب فصول ثلاثة:

أحدها: في بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة.

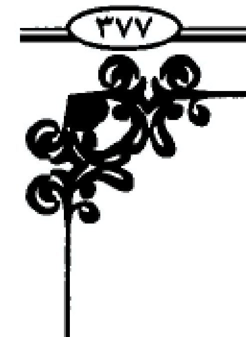
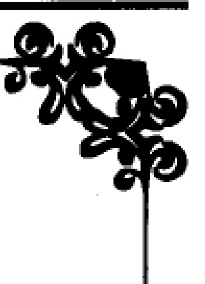
الثاني: في بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التي ننبه عليها.

الثالث: في بيان فضائلهم.







الفصل الأول

في بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة السليم عن جميع ما ذكرناه من الضلالات

١ ـ فهو أن تعلم أن العالم بجميع أركانه وأجسامه، وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات، وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كلها مخلوق، كائن عن أول حادث بعد أن لم يكن شيئاً، ولا عيناً ولا ذاتاً ولا جوهراً ولا عرضاً، والدليل [٩٧/ب] على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات، وتخرج من حال إلى حال، وحقيقة التغيرات أن تبطل حالة وتحدث أخرى، فأما الحالة التي حدثت، فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة، وما كان ضرورياً لم يفتقر إلى الاستدلال عليه، ولا يجوز أن يقال أنها انتقلت من باطن الجسم إلى ظاهره؛ لاستحالة[١] الانتقالات على الصفات، وأما الحالة التي بطلت لو كانت قديمة لم تبطل، فبطلانها يدل على حدوثها؛ لأن القديم لا يبطل، وإنما قلنا إن القديم لا يبطل؛ لأن خروج الذات عن صفة واجبة له في حال محال؛ لأنها لو جاز خروجها عن تلك الصفة، لصارت جائزة الوجود، وما كان واجب الوجود لا يصير جائز الوجود، كما أن جائز الوجود لا يصير واجب الوجود بحال؛ لأنهما صفتان متناقضتان، وإذا تقرر هذه الجملة أن صفات الأجسام مخلوقة، ثبت

(١) في (س): (لاستحلال).

أن الأجسام مخلوقة؛ لأن ما لا يخلو من الحوادث [لا يسبقها وما][١] لا يستحق أن يكون محدِثاً (بالكسر) وما لا يستحق أن يكون محدثاً [كان محدَثاً (بالفتح)][٢] مثلها، وقد نبه الله تعالى في كتابه على تحقيق هذه الدلالة، وأثنى عليها وسماها حجة [٩٨/أ] ومنَّ على الخليل إبراهيم عليه السلام بإلهام هذه الدلالة إياه، وجعلها سببا لرفع درجته حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] إلى قوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣]، استدل بالتغير على حدوث الكواكب والشمس والقمر، ثم إن الله تعالى نبه على هذه الطريقة من الاستدلال والاحتجاج، فقال: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤][٣].

٢ ـ وأن تعلم أن المخلوق لا بدَّ له من خالق؛ لأن الأجسام لو كانت بأنفسها مع تجانس[٤] ذواتها لم تختلف بالصفات والأوقات والأحوال والمحال، فلما اختلفت علمنا أن لها مخصصاً قدّم ما قدّم، وأخر ما أخر، وخص كل واحد منها بما اختص به من الصفات، لولاه لم يقع الاختصاص في شيء من الأوصاف؛ لأن الاختصاص بأحد الجائزين يقتضي مخصصاً، لولاه لم يقع التخصيص [٩٨/ب] به، وقد نبه الله تعالى على أصل هذه الدلالة بقوله: [﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥]

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س) جاءت الآية الثانية إلى قوله تعالى: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

(٤) في (س): (مجانس).

معناه][١] أم خلقوا من غير خالق، كأنه قال: من غير شيء خلقهم، لما تقرر من استحالة [ثبوت][٢] ما ثبت بوصف [الخلق من غير خالق خلق، ولا صانع دبر وصنع][٣].

٣ ـ وأن[٤] تعلم أيضاً أن خالق الخلق قديم؛ لأنه لو كان محدثاً لافتقر إلى محدث، وكان حكم الثاني والثالث، وما انتهى إليه كذلك، وكان كل خالق يفتقر إلى خالق آخر لا إلى نهاية، وكان يستحيل وجود المخلوق والخالق جميعاً؛ لأن ما شرط وجوده بوجود ما لا نهاية له من الأعداد قبله لم يتقرر وجوده؛ لاستحالة الفراغ عما لا نهاية له لتنتهي النوبة إلى ما بعد، وأصل هذه الدلالة في القرآن وهو قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣][٥]، فبين أنه كان قبل ما يشار إليه بأنه محدث وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢]، والقيوم مبالغة من القيام، وهو الثبات والوجود، وهذا دليل على اتصافه بالوجود في جميع الأحوال، وأنه لا يجوز وصفه بالعدم بحال، وذلك حقيقة القدم وقوله: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، و﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، فإن البركة هي الثبات [٩٩/أ] وأصله من البرك والبركة، والبروك وتبارك مبالغة في معناه، وهذا يوجب له الوجود في جميع الأحوال، لم يزل ولا يزال، وقد ورد في خبر عمران بن حصين أن النبيّ ﷺ قال: **«كان الله ولم يكن معه شيء»**[٦]، وهذا يوجب الكون في جميع الأحوال.

---

(١) سقطت من (س).

(٢) سقطت من (س).

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (ك): (وأنت).

(٥) في (س) وردت الآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين عن النبيّ ﷺ بلفظ: **«كان الله ولم يكن شيء غيره»**. كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، رقم ٣٠٢٠.

٤ ـ وأن تعلم أن خالق العالم واحد؛ لأنه لو كان اثنين ولم يقدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه، كانت قدرتهما ناقصة متناهية، وأن قدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه، كان علم كل واحد منهما ناقصاً متناهياً، ومن كان علمه أو قدرته متناهياً ناقصاً، لم يكن إلهاً صانعاً، بل كان مخلوقاً مصنوعاً، وقد نبه الله على هذه الدلالة بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢]، وفي تحقيق التوحيد وردت سورة الإخلاص إلى آخرها، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٥ ـ وأن تعلم أن الخالق [الشيء][1] ثابت موجود، لا يجوز وصفه بالعدم؛ لأن الخالق لا يكون خالقاً [٩٩/ب] إلا بأن يكون قادراً، ولا يكون قادراً إلا والقدرة قائمة، والمعدوم لا يقبل هذه الصفات، وقال الله في تحقيقه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، وذلك يوجب الثبات والقيام والوجود في جميع الأحوال، من غير تغير ولا زوال.

٦ ـ وأن تعلم أن الباري سبحانه وتعالى لا يجوز وصفه بالحاجة، فإنه يلزمه أن يخرج من وصف الحاجة إلى وصف الاستغناء، وذلك يتضمن بطلان صفة وحدوث صفة، والقديم سبحانه وتعالى لا يجوز عليه البطلان ولا الحدوث، وأصله قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، بيَّن بهذا أن صفة الحاجة والافتقار عليه محال.

٧ ـ وأن تعلم أن خالق العالم قائم بنفسه، ومعناه أنه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه، وعن محل يحله، وعن مكان يقله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢]، مبالغة عن القيام والثبات على الإطلاق، من غير حاجة إلى صانع يصنعه، أو موجد يوجده، أو مكان يحله.

---

(١) زيادة من (ك).

٨ ـ وأن تعلم أن القديم سبحانه يرى وتجوز رؤيته [١٠٠/أ] بالأبصار؛ لأن ما لا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات، ودلائل هذه [المسألة][1] في كتاب الله [تعالى][2] كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، واللقاء إذا أطلق في اللغة وقع على الرؤية، خصوصاً حيث لا يجوز فيه التلاقي بالذوات والتماس بينهما، ومنها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، ومنها قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦][3]، ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الرب جل جلاله، وقد ورد عن الرسول تفسير هذه الآية بذلك[4]، ومنها قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة، وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى قال في جوابه: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل لن أرى، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى؛ لأنه لو كان لا يصح رؤيته، لكان يقول لن أرى، ولما خص نفي الرؤية به، ومنها قوله تعالى [١٠٠/ب]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يبين أن جميع الأبصار لا تدركه مفهومة: أن بعضها يدركه، ثم يبين الله سبحانه من يدرك ومن لا

---

(١) زيادة من (ك).

(٢) زيادة من (س).

(٣) في (س) وردت الآية الكريمة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

(٤) فقد أخرج مسلم من حديث صهيب عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً احب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم ١٨١؛ وأخرجه أيضاً الترمذي، في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب جل جلاله: رقم ٢٥٥٢؛ ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية: رقم ١٨٧.

يدرك[1]، فقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وإن الوجوه الباسرة محجوبة عنه، كما فرق بين الفريقين في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فالوجوه السود محجوبة عنه، والوجوه البيض الناضرة ناظرة إليه، ثم أن النبيّ ﷺ خص لأصحابه هذه الحالة فقال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون ولا تضارون في رؤيته**»[2]، وفي الحديث قيد تحمل عليه آية الرؤية، فكأنه قال: لا تدركه الأبصار [في غير القيامة][3]، وتدركه يومئذٍ فإن المطلق يحمل على المقيد.

٩ ـ وأن تعلم أن الخالق لا يشبه الخلق في شيء؛ لأن مثل الشيء ما يكون مشاركاً له في جميع أوصافه الجائزة والواجبة والمستحيلة، ويعبر عنه بأن المثلين كل شيئين ينوب أحدهما مناب صاحبه ويسد مسده، وأصله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ [١٠١/أ] وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية، أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه، كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى قال أكلها ترى؟ قال: لا، ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال أنه أدركها، وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية... عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم أنه أدركه، وهذا لا سبيل إليه كيف وبين لفظ الرؤية، ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراك لفظي، فقد تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد، كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه ولم يره، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ⑥①﴾ [الشعراء: ٦١]، ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح؛ لأن النفي المحض لا يكون مدحاً إن لم يتضمن أمراً ثبوتياً». دقائق التفسير: ١٢٦/٢.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٥٢.

(٣) سقطت من (س).

١٠ ـ وأن تعلم أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية؛ لأن الشيء لا يكون مخصوصاً بحد إلا أن يخصه مخصص بذلك الحد، ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه، والصانع لا يكون مصنوعاً ولا محدوداً ولا مخصصاً[(١)]، وأصله في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧]، مع قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، ومع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ولو كان مخصوصاً بحد ونهاية، وجملة لم يجز أن يكون منسوباً إلى أماكن مختلفة متضادة، وكان لا يجوز أن يكون مع كل واحد، وأن يكون على العرش، وأن يأتي ببنيان قوم سلط عليهم الهلاك، فجاء من الجمع بين هذه الآيات تحقيق القول بنفي الحد والنهاية، واستحالة كونه مخصوصاً بجهة من الجهات، وفي الجمع بين هذه الآيات دليل على أن [١٠١/ب] معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، إنما هو بمعنى العلم بأسرارهم، ومعنى قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، أي: خلق في بنيان القوم معنى من زلزلة ورجف يكون ذلك سبب خرابه[(٢)]، كما قال: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾، وأن معنى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، معناه قصد إلى خلق العرش، كما قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، ويكون معنى على في هذا الموضع بمعنى إلى، أو يكون العرش في هذه الآية بمنزلة المملكة، كما يقال ثل عرش فلان[(٣)]، إذا زال ملكه، وكما قال الشاعر:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولسنا نعني بقولنا ليس في العالم ولا خارج العالم نفي وجوده تعالى، كما نسبتنا إلى ذلك المجسمة، وإنما نعني به إثبات وجود غير محدود بوجه، ومن أثبت للَّه حداً ونهاية من وجه، فيلزمه إثبات النهاية من سائر الجهات، فإن قول القائل إنه في العالم أو خارج العالم، يقتضي حداً ونهاية يصح لأجلهما عليه الدخول في العالم أو الخروج منه». بيان تلبيس الجهمية: ٣٤٥/١.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأتى الله بنيانهم من القواعد، يعني: مكره من قبل قواعد بنيانهم فخر عليهم السقف من فوقهم». درء تعارض العقل والنقل: ٦٨/٢.

(٣) قال ابن منظور: «وثُلَّ عرشه: هدم ما هو عليه من قوام أمره». لسان العرب: ٣١٤/٦.

قـد نـال عـرشـاً لـم يـنـلـه نـائـل ... جـــن ولا أنــــس ولا ديــــار[١]

وقد روي في الخبر عن النبيّ ﷺ ما تحقق به المعنى الذي بينا على هذه الظواهر، وذلك أنه قال: **«كان ملك يجيء من السماء [وآخر][٢] من الأرض السابعة، فقال: كل واحد منهما لصاحبه من أين تجيء، قال: من عند الله»**[٣]، ولو كان له حد ونهاية استحالَ كونه في جهتين مختلفتين، فتقرر به استحالة الحد [١٠٢/أ] والنهاية، وأن جملة الملكوت تحت سلطانه وقدرته وعلمه ومعرفته.

١١ ـ وأن تعلم أن القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر؛ لأن الجسم يكون فيه التأليف، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال، وكل ما كان له الاتصال، أو جاز عليه الاتصال، يكون له حد ونهاية، وقد دللنا على استحالة الحد والنهاية على الباري سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله تعالى في صفة الجسم الزيادة، فقال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فبين أن ما كان جسماً، جازت عليه الزيادة والنقصان [ولا تجوز الزيادة والنقصان][٤] على الباري سبحانه[٥].

١٢ ـ وأن تعلم أن القديم سبحانه ليس بعرض؛ لأن العرض مما يستحيل بقاؤه، ولا يكون الخالق إلا باقياً أيضاً، فإن العرض لا يقوم بنفسه، ولا يكون الخالق إلا قائماً بنفسه، ودليله من كتاب الله تعالى، فإنه

---

(١) لم أقف على قائله.
(٢) سقطت من (س).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) سقطت من (س).
(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجمهور المسلمين الذين يقولون: ليس بجسم، يقولون: من قال إنه جسم وأراد بذلك أنه موجود أو قائم بنفسه أو نحو ذلك أو قال إنه جوهر، وأراد بذلك أنه قائم بنفسه، فهو مصيب في المعنى لكن أخطأ في اللفظ، وأما إذا أثبت أنه مركب من الجواهر الفرده ونحو ذلك، فهو مخطئ في المعنى، وفي تكفيره نزاع بينهم». منهاج السنة النبوية: ٥٥٢/٢.

سبحانه أطلق اسم العرض على شيء يقل بقاؤه، أو لا يعد باقياً في العرف والعادة، حيث قال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، و﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤][(١)].

١٣ ـ [وأن تعلم][(٢)] أن الباري سبحانه وتعالى يستحيل عليه [١٠٢/ب] الولد والزوجة؛ لأن ذلك لا يكون إلا بالاتصال والمماسة، وذلك يوجب الحد والنهاية، وقد بينا استحالته عليه سبحانه وتعالى، وحقق الله ذلك بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [الإخلاص: ٣].

١٤ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك [له][(٣)] في المملكة؛ لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثاني له، والمملوك يستحيل أن يكون خارجاً من ملك الخالق، وهذا تحقيق قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝﴾ [الإسراء: ١١١].

١٥ ـ وأن تعلم أن الحركة والسكون والذهاب والمجيء والكون في المكان، والاجتماع والافتراق والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والإنفصال والحجم والجرم والجثة والصورة والحيز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب، والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى؛ لأن جميعها يوجب الحد والنهاية، وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى، وأصل هذا في كتاب الله تعالى، وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب [١٠٣/أ] والشمس والقمر: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلما كانت الصفة التي تسمى العرض تحايث محلها الذي يسمى الجسم، وتحايث عرضاً آخر كان من المعلوم أن مثل هذا منتف عن الله سبحانه وتعالى، فانه ليس بعرض ولا صفة من الصفات بل هو قائم بنفسه مستغن عن محل يقوم به فلا يجوز عليه محايثة المخلوقات والحلول إذ القول بنفي الجسم مع إثبات هذا التقسيم تناقض بين». مجموع الفتاوى: ٥/٢٦٩.

(٢) في (س): (ولما كان الباري...).

(٣) سقطت من (س).

﴿ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، فبين أن ما جاز عليه [تلك][1] الصفات لا يكون خالقاً[2].

١٦ ـ وأن تعلم أن كل ما تصور في الوهم من طول وعرض وعمق وألوان وهيئات مختلفة، ينبغي أن تعتقد أن صانع العالم بخلافة، وأنه قادر على خلق مثله، وإلى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه بقوله: «العجز عن درك الإدراك إدراك»[3]، ومعناه إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق، صح عندك أنه خلاف المخلوقات، وتحقيقه: أنك إذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله، صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وما كان مصوراً لم يكن مصوراً، كما أن من كان مخلوقاً لم يكن خالقاً.

١٧ ـ وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته؛ لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل كان محدثاً مثلها [١٠٣/ب] ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، بين [به أن من حل][4] به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال، كان محدثاً لا يصح أن يكون إلهاً.

١٨ ـ وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد والنهاية

---

(١) سقطت من (س).

(٢) هذا هو قول الأشاعرة، الذين ينفون الصفات الفعلية عن الذات الإلهية، وهو خلاف ما ذهب إليه جمهور المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جمهور أهل السنَّة والحديث المتبعون للسلف والأئمة من السلف والخلف، مع كثير من طوائف الكلام، وأكثر الفلاسفة يجوزون أن يقوم بالقديم ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغير الأفعال». درء تعارض العقل والنقل: ٣٢٦/٨.

(٣) لم أجده عند المتقدمين، وقد أورد المناوي هذه الرواية أن الصديق سئل: بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي، فقيل: هل يمكن لبشر أن يدركه؟ فقال: «العجز عن درك الإدراك إدراك». المناوي، فتح القدير: ١٨/٦.

(٤) سقطت من (س).

والمكان والجهة والسكون والحركة، فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى؛ لأن ما لا يكون محدثاً لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث، وعليه يدل ما ذكرناها قبل في قصة الخليل عليه السلام.

١٩ ـ وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص والآفة؛ لأن الآفة نوع من المنع، والمنع يقتضي مانعاً وممنوعاً، وليس فوقه سبحانه مانع، وقد نبه الله تعالى عليه بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]، والسلام هو الذي سلم من[١] الآفات والنقائص، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع، ويعلم[٢] بذلك أن لا طريق للآفات والنقائص والموانع إليه، وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥]، والمجد في كلام العرب كمال الشرف، ومن كان لنوع من النقص إليه طريق [١٠٤/أ] لم يكمل شرفه، ولم يجز وصفه بقوله مجيد، فلما اتصف به سبحانه علمنا أنه لا طريق [للنقص][٣] إليه.

٢٠ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية؛ لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان، وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه، ونفي المكان والجهة، ونفي الابتداء والأولية، وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له: «أين الله؟ فقال: إن الذي أين الأين لا يقال له أين، فقيل له: كيف؟ فقال: إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف»[٤]، [وسأله آخر فقال: ما وجه الله؟ فأمر حتى أتى

---

(١) في (س): (عن).

(٢) في (س): (ويقدر).

(٣) سقطت من (س).

(٤) ابن حيان، كتاب العظمة: ٤٠٤/١.

بشمعة ـ وروي بأنبوبة قصب ـ فقال للسائل: ما وجه هذه الشمعة، وبأي جانب تختص، فقال له السائل: ليس مختص بجانب دون جانب، فقال: ففيم السؤال إذاً؟. ومعناه أنه إذا جاز أن يكون في المخلوقات [١٠٤/ب] شيء لا اختصاص له بجهة دون جهة، لِمَ لا يجوز أن يكون خالق الخلق غير مختص بجهة دون جهة][1].

٢١ ـ واعلم أن الله تعالى ذكر في سورة الإخلاص، ما يتضمن إثبات جميع صفات المدح والكمال، ونفي جميع النقائص عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في هذه السورة بيان ما ينفي عنه من نقائص الصفات، وما يستحيل عليه من الآفات بل في كلمة من كلمات هذه السورة وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، والصمد في اللغة على معنيين:

أحدهما: أنه لا جوف له، وهذا يوجب أن لا يكون جسماً ولا جوهراً؛ لأن ما لا يكون بهذه الصفة جاز أن يكون له جوف[2].

والمعنى الثاني للصمد: هو السيد الذي يرجع إليه في الحوائج، وهذا يتضمن إثبات كل صفة لولاها لم يصح منه الفعل، كما نذكره فيما بعد؛ لأن من لا تصح منه الأفعال المختلفة لم يصح الرجوع إليه في الحوائج المتباينة[3].

---

(١) سقطت من (ك). هذا القول هو قول المعتزلة ومن وافقهم، قد رده المصنف هنا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما علماء المسلمين فليس عندهم ولله الحمد من ذلك ما هو خفي، بل لفظ المكان قد يراد به ما يكون الشيء فوقه محتاجاً إليه، كما يكون الإنسان فوق السطح ويراد به ما يكون الشيء فوقه من غير احتياج إليه، مثل كون السماء فوق الجو، وكون الملائكة فوق الأرض والهواء، وكون الطير فوق الأرض». منهاج السنة النبوية: ٣٥٦/٢.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «نقل عن الصحابة والتابعين من أن الصمد هو الذي لا جوف له، فإن أكثر الصحابة والتابعين فسروه بهذا، وهم أعلم باللغة وبتفسير القرآن، ودلالة اللفظ على هذا أظهر من دلالتها على السؤدد». بيان تلبيس الجهمية: ٥٩/٢.

(٣) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عباس في تفسير قل هو الله أحد الله الصمد: «إن الصمد هو المستحق للكمال، وهو السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكم الذي قد كمل في=

وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بين صفات النفي والإثبات، وقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقد نبه عليه الرسول ﷺ فقال [١٠٥/أ]: «من عرف نفسه، فقد عرف ربه»[(١)]، معناه من عرف نفسه بالعجز والضعف والنقص والقصور، عرف أن له رباً موصوفاً بالكمال، يصح منه جميع الأفعال، فلولاه لم يتم بالعبد العاجز شيء من الواردات عليه، وفي هذا المعنى ورد قول النبيّ ﷺ: «تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله»[(٢)]، أي: ابتدئوا بالفكرة في خلق الله، حتى إذا عرفتم الخلق بالعجز، عرفتم أن له خالقاً قادراً موصوفاً بأوصاف الكمال، ومن ابتدأ بالنظر في الخالق، أداه إلى ما لا يصح من تشبيه أو تعطيل.

٢٢ ـ وأن تعلم أن صانع العالم حيٌّ قادرٌ عالمٌ مريدٌ متكلمٌ سميعٌ بصيرٌ؛ لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفاً بأضدادها، وأضدادها نقائص وآفات تمنع صحة الفعل، فصحت ثبوت هذه الصفات له من وجهين: أحدهما دلالة الفعل، والثاني نفي النقائص، وقد دلت على إثبات هذه ظواهر نصوص القرآن، وردت جميعها في الأسماء التسعة والتسعين التي استفاضت بها الأخبار في أسماء الرب جل جلاله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ [١٠٥/ب] ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال: ﴿لَا

= حكمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الشريف الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه وتعالى». مجموع الفتاوى: ٧٢/٦.

(١) قال أبو المظفر بن السمعاني: لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكي عن يحيى بن معاذ الرازي من قوله، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت. المقاصد الحسنة ١٩٨/١.

(٢) هو حديث يروى عن ابن عباس، أخرجه اللالكائي، اعتقاد أهل السنة: ٥٢٤/٣؛ ابن حيان العظمة: ٢١٥/١؛ الديلمي في الفردوس: ٥٦/٢؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٦٧/٦. قال عنه الألباني (حسن). صحيح الجامع: رقم ٥٢٨٧.

يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سبأ: ٣]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، والحكيم من وقع أفعاله على موافقة إرادته، وجاء في صفته: الرحمن والرحيم، والغفار والغفور، والكريم والتواب، وكل ذلك يرجع إلى إرادته للتوبة والنعمة والمغفرة، ويدل على إرادته، ومما يدل على إثبات كونه متكلماً، قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والإذن من صفات الكلام، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، و ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، وشكره للعباد مدحه إياهم على طاعته، وذلك من صفات الكلام، وورد في أسمائه المجيب، وذلك يتم بالكلام، ومن أسمائه الباعث، وذلك مما يدل على الكلام، ولا يتم بعث الرسل إلا بالكلام، وكذلك الشهيد معناه أنه يشهد أنه أرسله بالصدق يوم القيامة، وذلك لا يتم إلا بالكلام، وكذلك المؤمن ومعناه أنه يصدق أنبياءه، ولا يتم ذلك [١٠٦/أ] إلا بالكلام، وورد السميع والبصير في الكتاب والسنة أظهر من أن يخفى.

٢٣ ـ وأن تعلم أن له حياة وقدرة وعلماً وإرادة وكلاماً وسمعاً وبصراً؛ لأن من كان [موصوفاً][1] بهذه الأوصاف ثبتت له هذه الصفات، ولا يجوز أن يكون [غير][2] الموصوف بها موصوفاً بهذه الصفات، كما لا يجوز أن توجد الصفات من غير أن يكون الموصوف بتلك الأوصاف موصوفاً بها، وقد ورد في إثبات العلم له آي كثيرة، كقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وورد في إثبات القدرة له: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، والقوة والقدرة واحدة في العربية، وورد في إثبات الإرادة: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فيه دليل على إثبات الإرادة والمشيئة.

٢٤ ـ وأن تعلم أن صانع العالم باقٍ؛ لأنا قد دللنا على أنه قديم،

---

(١) سقطت من (س).

(٢) سقطت من (س).

ولا يكون القديم إلا باقياً، وقد ورد في أسمائه البديع الباقي، وورد في أسمائه الحي القيوم، والقيوم مبالغة من القيام، وذلك يتضمن كونه باقياً.

٢٥ ـ وأن تعلم أن له بقاء؛ لأن ما[١] وصف بكونه باقياً ثبت له [١٠٦/ب] [البقاء، وما لا بقاء له][٢] لا يكون باقياً بحال؛ لأن الموجود لو كان باقياً بلا بقاء، لكان مستغنياً عن القدرة، ولوجب منه أن يكون كل موجود في أول حال وجوده قديماً، والمحدث لا يجوز أن يكون قديماً بحال، وينبه على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٧].

٢٦ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز فيما ذكرناه من صفات القديم سبحانه أن يقال: إنها هي هو أو غيره، ولا هي هو ولا هي غيره، ولا أنها موافقة أو مخالفة، ولا إنها تباينه أو تلازمه أو تتصل به أو تنفصل عنه أو تشبهه أو لا تشبهه، ولكن يجب أن يقال: إنها صفات له موجودة به، قائمة بذاته مختصة به، وإنما قلنا إنها [لا][٣] هي هو؛ لأن هذه الصفات لو كانت هي هو، لم يجز أن يكون هو عالماً ولا قادراً ولا موصوفاً بشيء من هذه الأوصاف؛ لأن العلم لا يكون عالماً، والقدرة لا تكون قادرة، ولا موصوفاً بشيء من هذه الصفات، وإنما قلنا: لا يقال: إنها غيره؛ لأن الغيرين يجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر، ولما استحال هذا المعنى في الذات والصفات، لم يجز فيه الخلاف المغاير، وإنما قلنا: لا هي هو ولا هي غيره؛ لأن في نفي كل واحد منهما [١٠٧/أ] إثبات الآخر، وقد بينا استحالة الإثبات فيه، وإنما قلنا: لا يقال: إنها توافقه أو تخالفه أو تباينه أو تشبهه؛ لأن جميع ذلك يتضمن المغايرة، وذلك يتضمن جواز عدم أحدهما مع وجود الآخر، وذلك محال.

٢٧ ـ وأن تعلم أن ما يمتنع إطلاقه من هذه العبارات التي ذكرناها

---

(١) في (س): (وما).
(٢) سقطت من (س).
(٣) سقطت من (س).

على الذات، والصفات [يمتنع][١] إطلاقها أيضاً على كل صفة منها مع سائر الصفات، فلا يجوز أن يقال: علمه قدرته، ولا أن يقال إنه غيرها أو يخالفها أو يوافقها أو يشبهها أو لا يشبهها؛ لأن جميع ذلك يتضمن إثبات المغايرة، وذلك يتضمن جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر، وذلك محال في الصفات بعضها مع بعض، وقد نبه رسول الله ﷺ في خبر عمران بن الحصين ـ على ما يتضمن هذا المعنى ـ الذي وصفناه حين قال: **«كان الله ولم يكن معه شيء غيره»**، وذلك إثبات الصفات ونفي المغايرة بينها، [وهو الذات][٢].

٢٨ ـ وأن تعلم أن كل صفة قامت بذات الباري جل جلاله لم تكن إلا أزلية قديمة؛ لما قد بينا قبل أن حدوث الحوادث [١٠٧/ب] في ذاته لا يجوز.

٢٩ ـ وأن تعلم أن العدم لا يجوز عليه، ولا على شيء من صفاته؛ لأنا قد دللنا على قدم ذاته وصفاته والقديم لا يبطل، وقد دللنا عليه؛ لأن البطلان علم الحدوث، ولهذا قال إبراهيم الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، استدل بأفوله وبطلانه على حدوثه.

٣٠ ـ وأن تعلم أن علمه سبحانه عام في جميع المعلومات، وقدرته عامة في جميع المقدورات، وإرادته عامة في جميع الإرادات، علمها على ما هي عليه، وأراد أن يكون ما علم أن يكون، وأراد أن [لا يكون ما علم][٣] أن لا يكون، ولا يجري في مملكته ما لا يريد كونه؛ لأن شيئاً من صفاته هذه لو اختص ببعض لما صح أن يكون عاماً [فيه][٤]، وما كان مختصاً به متناهياً في ذاته، اقتضى مخصصاً يخصه بما اختص به، وذلك علم الحدوث، ومما يدل على أوصافه من كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَمَا

---

(١) سقطت من (س).
(٢) سقطت من (ك).
(٣) سقطت من (س).
(٤) سقطت من (ك).

يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى [في معنى القدرة: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله تعالى][1]: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وهل يكون الخلق إلا بالقدرة، وذلك يدل على عموم القدرة في جميع المقدورات، وجاء في عموم الإرادة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ [١٠٨/ب] إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، وفي هذه الآية دليل على عموم إرادته، وعلى أن كلامه قديم؛ لأنه بين أنه لا يخلق شيئاً إلا أن يقول له كن، ولو كان ذلك محدثاً، لكان مفعولاً له بكن، وكذلك الثاني والثالث ويتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية له، ومما يدل على عموم كلامه في متعلقاته، ونفي النهاية عنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، وإذا تقرر عموم قدرته وعلمه، فاعلم أنه يجوز أن يقال في وصفه سبحانه أنه عالم بكل شيء، كما يجوز أن يقال أنه عالم بجميع المعلومات، ويجوز أن يقال أنه سبحانه وتعالى قادر على جميع المقدورات، ويستحيل أن يقال إنه قادر على كل شيء على هذا الإطلاق؛ لأن القديم شيء يستحيل أن يتعلق به القدرة، والذي جاء في القرآن من إطلاق القول بأنه على: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دخله ضرب من التخصيص [ومعناه على كل شيء مقدور قدير؛ ولهذا قال أهل المعرفة إن آية العلم لم يدخلها التخصيص، وآية القدرة دخلها تخصيص، فأما كون العلم والقدرة لم يدخلهما التخصيص، فبمعنى][2] أن يقال في العلم: إنه عام في جميع المعلومات، وفي القدرة أنها عامة في جميع المقدورات.

٣١ ـ وأن تعلم أن [١٠٨/ب] كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت؛ لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه، وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا

---

(١) سقطت من (س).
(٢) سقطت من (س).

نهاية لها، دليل على أنه ليس بحرف ولا صوت، لوجوب التناهي فيما صح وصفه به.

٣٢ ـ وأن تعلم أن كلام الله قديم، وكلام واحد أمر ونهي وخبر واستخبار على معنى التقرير[١]، وكل ما ورد في الكتب من الله تعالى باللغات المختلفة العبرية والعربية والسريانية، كلها عبارات تدل على معاني[٢] كتاب الله تعالى، ولو جاء أضعاف أضعافه لم تستغرق معاني كلامه، فمعاني كلام الله تعالى لا تستغرقها عبارات المعبرين، كما أن معلومات علم الله لا يستغرقها عبارات المعبرين، ومقدروات قدرته لا يمكن ضبطها بالحصر والتحديد، وعلى هذه الجملة يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الآية [الكهف: ١٠٩]، كما وصفناه قبل.

٣٣ ـ وأن تعلم أنه إذا تقرر استحالة التخصيص على صفاته القائمة بذاته، ووجوب عمومها [١٠٩/أ] في متعلقاتها، ثبت به عموم قدرته في جميع مقدوراته[٣]، وثبت أنه سبحانه قادر على إماتة جميع الخلق، وإبطال جميع الموجودات، وعلى أن يخلق أضعاف ما خلق كيف شاء، ومتى شاء وأين شاء، وأنه سبحانه وتعالى قادر على بعث الرسل، وإنزال الكتب، وإظهار المعجزات الدالة على صدقهم، فإنه قادر على الحشر والنشر، وثواب أهل الطاعات، وعقاب أهل المعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: ٤]، وقال جل جلاله: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ

---

(١) في (ك): (التقدير).
(٢) في (ك): (معنى).
(٣) في (ك): (مقدوراتها).

جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٨].

٣٤ ـ وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى لا اعتراض عليه في جميع ما يأتيه أو يذره، لا يقال فيما فعله لِمَ فعله، ولا فيما تركه لِمَ تركه؛ لأن الإعتراض إنما يتوجه إلى من صدر قوله عن أمر آمر، ونهي ناه، وزجر زاجر، وإنما يتوجه الأمر على من إذا خالف كان للعقوبة إليه سبيل [١٠٩/ب] ولا سبيل للعقوبة إلى الله تعالى، فلا يتوجه عليه الأمر، وإذا لم يتوجه عليه الأمر استحال عليه الإعتراض، ولهذه النكتة قلنا إنه لا يجوز عليه سبحانه حظر ولا وجوب، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى بقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٧٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٣٥ ـ وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى حكيم في جميع أفعاله، وحقيقة الحكمة في أفعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقة لعلمه وإرادته، وهو الحكمة في أفعال الحكماء في الشاهد؛ لأن من فعل فعلاً لا يقع على موافقة إرادته، يقال: إنه لم يرتبه على حكمة منه فيه، فإذا حصل مراده فيه يقال إنه حكيم في فعله، ولا يمكن أن يقال في شيء من أفعاله أنه كان ينبغي أن يوقعه على خلاف وصفه[1]؛ لأنه يتصرف في ملكه، ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الإعتراض في فعله؛ ولهذا قلنا: إن شيئاً من أفعاله لا يكون ظلماً، وأنه سبحانه يستحيل [١١٠/أ] الظلم في وصفه؛ لأنه لا يتصرف في غير ملكه [ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله، ومن تصرف في ملكه][2] فليس بظالم في أفعاله، قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:

---

(١) في (ك): (ما أوقعه).

(٢) سقطت من (س).

٤٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٣٦ ـ وأن تعلم أن الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة، والمعجزة فعل يظهر على يدي مدعي النبوة، بخلاف العادة في زمان التكليف، موافقاً لدعواه، وهو يدعو الخلق إلى معارضته، ويتحدّاهم أن يأتوا بمثله، فيعجزوا عنه، فيبين به صدق من يظهر على يده، وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيداً بمعجزة، أو معجزات كثيرة تدل على صدقه، وقد أخبر الله تعالى عن كثير منها، فذكر في قصة موسى عليه السلام، فلق البحر، وقلب العصا حية، واليد البيضاء، وفي قصة داود وسليمان، تليين الحديد، وتسخير الريح والشياطين والطيور، وجميع دواب الأرض في البر والبحر، وفي قصة عيسى عليه السلام إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وذكر في صفة المصطفى ﷺ أنه يدعو [١١٠/ب] مخالفيه إلى معارضة ما أتى به من القرآن أو سورة منه، فقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، فكان القرآن معجزة له قاهرة لأعدائه، إلى معجزات كثيرة سواها ظهرت على يده بخلاف العادة مثل تكليم الذراع، وتسبيح الحصى في يده ونبوع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع عند مفارقته وإجابة الشجرة عند دعوته، وانشقاق القمر في وقته كل ذلك قريب من مائتي معجزة، ذكرنا أكثرها في (الأوسط)، كل ذلك مشهور في كتب الأخبار والتواريخ مذكور، اتفق أهل النقل على وجودها ونقولها بطرق يجب القطع على معناها.

٣٧ ـ وأن تعلم أن المعجزة لا يجوز ظهورها على أيدي الكذابين؛ لأن التفرقة بين الصادق والكاذب من حيث الدليل أمر متوهم، ولا سبيل إليه إلا بتخصيص الصادق بالمعجزة، فلو أنها ظهرت على يد الكاذب بطريق التفرقة، وجب به تناهي القدرة، وذلك مستحيل في الحقيقة، وأيضاً فإن حقيقة المعجزة هي الدلالة على صدق صاحب المعجزة، ومن المحال الذي لا يعقل خروج الشيء عن حقيقته، فكيف يظهر دليل الصدق على [١١١/ب] يد من هو كاذب في قوله، وذلك متضمن لقلب الحقائق، وقد

بين الله تعالى في كتابه أن المعجزة حجة الصادقين، حيث قال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، ولو أنها ظهرت على أيدي الكذابين لم تكن دلالة الصدق.

٣٨ ـ وأن تعلم أنه لا يجب على الخلق شيء إلا بأمر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول مؤيد بالمعجزة، وإن كل من أتى فعلاً أو ترك أمراً لم يقطع له بثواب ولا عقاب، من قبل الله تعالى، إذ لا طريق في العقل إلى معرفة وجوب شيء على الخلق؛ لأنه لو كان [في][1] العقل طريق إلى معرفة الوجوب في كل شيء، فإن الوجوب له حقيقة واحدة، فلو جاز معرفته مضافاً إلى شيء، جاز معرفته مضافاً إلى كل شيء، وكان يجب أن يعرف بالعقل جميع الواجبات من غير ورود شرع، وأصله في كتاب الله [تعالى][2] وهو قوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فأمن من العقوبة من قبل الرسل، فلو تقرر قبله، وجوب واجب لم يؤمن [١١١/ب] العقوبة على تركه، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [القصص: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑧﴾ [الملك: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ إلى قوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٤، ١٦٥]، فبين أن لا دليل على الخلق إلا قول الرسل، فبان به أن مجرد العقول لا دليل فيه على الخلق من قبل التعبد، والذي يؤيد قولنا فيه أن من زعم أن العقل يدل على وجوب شيء، يفضي به الأمر إلى إثبات الوجوب على الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم يقولون إذا شكر العبد الله وجب على الله الثواب، ثم

---

(١) سقطت من (س).
(٢) سقطت من (ك).

لا يزال الوجوب دائراً بينهما، وذلك يؤدي إلى ما لا يتناهى، وأي عقل يقبل توجه الوجوب عليه، ولا واجب إلا بموجب وليس فوقه سبحانه موجب.

٣٩ ـ وأن تعلم أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب [١١٢/أ] وبين الثواب والعقاب، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة، وكل ما قالوه فهو صدق وكل ما فعلوه فهو حق، والعلم الدال على وصفهم ذلك قيام المعجزات الظاهرة الدالة على صدقهم وصحة قولهم، وقد أخبر عنه سبحانه [أنه][١] أوجب التوحيد والشريعة، وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه جملة وتفصيلاً، فالجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٤]، أما التفصيل ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [هود: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [يونس: ٧٥]، وقد نبه على الجملة أيضاً في قوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

٤٠ ـ وأن تعلم أن محمداً ﷺ رسول رب العزة، جاءنا بالصدق في رسالته، وفي جميع أفعاله وأقواله، وكان معجزته القرآن تلاه على الخلق، وتحدّاهم إلى معارضته، وطلب [١١٢/ب] الطاعة منهم، وقال لهم: متى أتيتم بسورة من مثله، فلا طاعة لي عليكم، فاجتهد أهل اللغة في إسقاط طاعته عن أنفسهم، وعن أموالهم وذراريهم، فلم يمكنهم، ولو أمكنهم أن يدفعوه عن أنفسهم وأموالهم وأهاليهم، بكلام يأتون به لما قصدوا الحرب والمسايفة التي فيها القتل والأسر والاسترقاق والنهب والغصب والسلب في الذخائر والأموال، فلما لم يأتوا علمنا أنهم [إنما][٢] أعرضوا عن الإتيان به للعجز عنه، كما أن سحرة فرعون في زمان موسى عجزوا عن معارضته،

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) سقطت من (ك).

فبان به كونه محقاً في دعوته، وكما أن عيسى عليه السلام في أيامه أعجز الأطباء عن مثل ما أتى به، واعلم أن تحقيق نبوة المصطفى ﷺ ظاهرة في كتاب الله تعالى حين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحيث قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وذلك مذكور [١١٣/أ] في غير موضع من الكتاب، وقال في وصف معجزته: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ [البقرة: ٢٣] الآيتين.

٤١ ـ وأن تعلم أن الذي بعث به المصطفى ﷺ هو الإسلام، وأن معجزته دليل على صدقه في جميع ما أخبر به، فمما أخبر به قوله [ﷺ](١): **«أن لا نبي بعدي»**(٢)، وقوله ﷺ: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً»**(٣)، وبين أنها واجبة إلى يوم القيامة لا تنقطع ولا ترتفع، وأخبر أنهم يحيون في القبور، ويسألون عن الدين، ثم يعاقب العصاة، وينعم أهل الطاعات إلى وقت المحشر [ومما بعده](٤)، ومما أخبر عنه هو الحشر والنشر وإقامة القيامة، وأنها كائنة لا يعرف وقتها إلا الله، وأن الخلق يحشرون ويحاسبون، ثم يخلد أهل الجنة في الجنة في نعيم دائم، وأنهم يرون ربهم زيادة في كرامتهم، وإتماماً لفضله عليهم، ويخلد

---

(١) سقطت من (س).

(٢) الحديث عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»**. كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بين إسرائيل: رقم ٣٢٦٨؛ مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم: ١٨٤٢.

(٣) الحديث عن ابن عمر، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس: رقم ٨؛ مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام: رقم ١٦.

(٤) سقطت من (س).

الكفار والمرتدون في عذاب [١١٣/ب] جهنم لا محيص لهم عنها بحال، وإن قوماً من العصاة يعاقبون في النار، ثم يخرجون منها بشفاعة المصطفى ﷺ وبشفاعة العلماء والزهاد والعباد، وشفاعة أطفال المؤمنين، فمن لم تسعه شفاعة هؤلاء، وكان قد سبق لهم الإيمان، فإنه يخرج من النار برحمة الله جل جلاله، وكثير من عصاة المؤمنين يغفر لهم قبل إدخال النار، إما بشفاعة الرسول ﷺ، وإما برحمة الجبار، ولا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، واعلم أن المؤمن لا يصير كافراً بالمعصية، ولا يخرج بها عن الإيمان؛ لأن معصيته كائنة في طرف من الأطراف، لا تنافي إيماناً في القلب، وقد قال الله [سبحانه و][1] تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال ﷺ: **«لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر»**[2]، أي: من الكفر، ومثقال ذرة من الإيمان اعتقاد مستخلص عن الشرك والإفك والشك والشبهة، كما وصفناه ومتى ما اختلط [١١٤/أ] به شائب من شوائب الكفر والبدع لم يستحق صاحبه اسم الإيمان، كما بينه الشافعي رحمه الله في قوله: «الشرك يشركه الشرك، والإسلام لا يشركه الشرك»[3]، وقوله الحلف في الصفة كالحلف في العين، وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، فتقرر به أن العقائد المشروطة في وصف الإيمان ـ ما لم تسلم عن أنواع البدع والإلحاد ـ لم يكن إيماناً على الحقيقة، وقد ورد في معنى الشفاعة قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقد روى أنس بن مالك أن النبيّ ﷺ قال في تفسير هذه الآية: **«إذا جاء يوم القيامة طلب الخلق الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام، فيقولون عليهم السلام: اذهبوا لمحمد عليه الصلاة والسلام، فإنه قد غفر الله له ما**

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ عن ابن مسعود، الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر: رقم ١٩٩٩؛ أحمد في المسند: ٣٩٩/١؛ الحاكم، المستدرك: ٧٨/١.

(٣) مختصر المزني: ص ١٧٤.

تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتيه الخلق ويسألونه الشفاعة، قال: فأستأذن على الله، فيأذن لي، فأسجد ويلهمني الله محامد لم يلهمني مثلها قبله، فأحمده، ثم أرفع رأسي من السجود، فيقال لي: قل يسمع لك، وسل تعط واشفع تشفع، فلا أزال أشفع حتى أخرج من النار [١١٤/ب] كل من قال لا إله إلا الله»[(١)]، وورد في شفاعة الأطفال: **«يظل السقط**[(٢)] **محبنطئاً**[(٣)] **على باب الجنة يقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي»**[(٤)]، وقال النبيّ ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[(٥)]، فبين أن أهل الكبائر يومئذٍ لا ييأسون من رحمة الله تعالى، والأخبار في هذا الباب ظاهرة مستفيضة لا ينكرها من له معرفة بموارد الأخبار.

وقد ورد في وصف الحساب والميزان قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقد ورد في الأخبار أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الذي يوزن به الأعمال، فلما رآه سقط وغشي عليه، فلما أفاق قال: «من ذا الذي يطيق أن يملأ هذا[(٦)] من الحسنات، فقال: يا داود إذا رضيت عن عبدي، ملأت هذا بثمرة واحدة»[(٧)]، ومما

---

(١) هو جزء من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه: رقم ٣١٦٢؛ مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم: ١٩٣.

(٢) في (ك): (الفرط).

(٣) قال ابن الأثير: «المحبنطئ: المتغضب المستبطئ للشيء». النهاية: ٣٣١/١.

(٤) الحديث يروى عن علي بن الربيع بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أخرجه الطبراني، المعجم الكبير: ٤١٦/١٩؛ قال ابن حبان: وهذا حديث منكر لا أصل له، وعلي هذا يروي المناكير، فلما كثرت روايته للمناكير بطل الاحتجاج به. المجروحين: ١١١/٢؛ وقال الشيخ الألباني عن الحديث (موضوع). الضعيفة: رقم ١٤١٣.

(٥) الحديث عن أنس، أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة: رقم ٢٤٢٥؛ أبو داود، كتاب السنة، باب الشفاعة، رقم: ٤٧٣٩؛ ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم: ٤٣١٠.

(٦) في (ك): (ما).

(٧) لم أقف عليه.

جاء في الحساب قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ [١١٥/أ] وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: ٦، ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٨ ـ ١١]، وقد ورد في الخبر عن المصطفى ﷺ إن صحف الأعمال توزن، فمن زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة.

وقد ورد في معنى الحوض قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، وقد روى أنس رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ نعس نعسة، ثم رفع رأسه فضحك، وتبسم ثم قال: **«أتعرفون لماذا ضحكت؟»** فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: **«نزلت علي في هذه الساعة سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، أتعرفون ما الكوثر؟ الكوثر نهر في الجنة أعده الله لي، ولذلك النهر حوض تأتيه أمتي يوم القيامة، وأوانيه عدد الكواكب أو أكثر، وقد يأتيه من يمنع من ذلك فأقول: يا رب أنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك»**[1]، ثم وصف النبيّ ﷺ ذلك الحوض في أخبار كثيرة، فقال: **«حصاه من الياقوت [١١٥/ب] الأحمر والزبرجد الأخضر والدر والمرجان، وحمأته من المسك وترابه من الكافور، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج خروجه يكون من تحت سدرة المنتهى، طوله وعرضه ما بين المشرق والمغرب من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ومن توضأ منه لم يشعث أبداً، تحوم حوله طيور أعناقها كأعناق الإبل»**، فقال أبو بكر

(١) أخرجه مسلم عن أنس، كتاب الصلاة، باب حجة من قال أن البسملة آية من كل سورة، رقم: ٤٠٠؛ النسائي، كتاب الافتتاح، باب القراءة، رقم: ٩٠٤.

وعمر: ما أنعم تلك الطيور، فقال النبيّ ﷺ: **«أنعم منها من يأكلها»**[(١)].

وقد ورد في معنى ما ذكرناه من أن المؤمن لا يكون بالمعاصي كافراً، ولا يخرج من الإيمان ولا يكون خالداً مخلداً في النار واحد من المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال النبيّ ﷺ: **«لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»**[(٢)].

وقد ورد في معنى إحياء الموتى في القبور ما لا يحصى من الآي والأخبار والآثار، حتى لا يوجد موافق ولا مخالف إلا [١١٦/أ] وهو يقرأ في التشهد: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار[(٣)]، ومر المصطفى ﷺ بقبرين فقال: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنـزه من البول»**[(٤)].

وقد ورد في الدعوات المأثورة عن المصطفى ﷺ: **«أعوذ بالله من الكفر والفقر وعذاب القبر»**[(٥)]، وقد وردت أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ في صفة منكر ونكير، وذكر أنهما يسألان في القبر فقال عمر رضي الله عنه: **«أو يكون معي عقلي، قال: نعم، قال: أنا أكفيهما»**[(٦)]، وإنما أراد بهذا الكلام أني أصف لهم الإيمان، وكل من خرج من الدنيا على صفة الإيمان،

---

(١) الحديث عن أنس، أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٣٦/٣؛ النسائي في السنن الكبرى، رقم ٥٢٣/٦؛ الطبري، التفسير: ٣٢٤/٣٠.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وورد في معناه أحاديث كثيرة.

(٤) أخرجه عن ابن عباس البخاري في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم ٢١٥؛ مسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول: ٢٩٢.

(٥) أخرجه النسائي، كتاب السهو، باب التعوذ في دبر الصلاة، رقم: ١٣٤٧؛ أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: ٥٠٩٠.

(٦) لم أقف عليه فيما وقع تحت يدي من الأصول، ولكن أورده القرطبي بصيغة التمريض في تفسيره: ٣٦٤/٩.

ووصف لهما دينه لم يتعرضا[١] له، وكانا له مبشراً وبشيراً، وقالا له: **«نم نومة العروس إلى يوم القيامة»**، فإن وصف بخلافه والعياذ بالله منه، قالا له: **«نم نومة المنهوش»**[٢]، وقد ورد في الخبر الظاهر أن المنكر والنكير قد يسألان بعضهم فيقولان: **«من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: من رسولك؟ فيقول: محمد عليه [١١٦/ب] السلام، فيسألانه عن صفة الرب وصفة الرسول ﷺ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولونه، وكنت أقول معهم، فيقولون له: لا دريت»**[٣]، ويعذبانه فيمن يعذب، وأصل هذه المسألة في كتاب الله تعالى في قوله سبحانه في صفة آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦][٤]، ولو كان المراد بالأول عذاب النار لما ورد القيامة بعده بالذكر، وقوله سبحانه في صفة المؤمنين: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى خبراً عنهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١]، وأراد به الإماتة عند الخروج من الدنيا والإحياء في القبر، ثم الإماتة في القبر[٥]، ثم الإحياء يوم

---

(١) في (ك): (يستعرضا).

(٢) قال الهيثمي، أخرجه البزار عن أبي هريرة ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: ٥٣/٣؛ قال الألباني (صحيح) في الصحيحة، رقم: ٢٦٢٨. قيل لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذي ينهشه الدواب والحيات.

(٣) هو جزء من حديث البراء بن عازب الطويل في فتنة القبر، أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٨٧/٤؛ الحاكم، المستدرك: ٩٤/١؛ البيهقي، شعب الإيمان: ٣٥٦/١.

(٤) وقد استدل البخاري بهذه الآية في إثبات عذاب القبر من صحيحه، فجعلها عنواناً لباب ما جاء في عذاب القبر، من كتاب الجنائز: ٤٦١/١.

(٥) في (ك): (فيه). قال القرطبي: «اختلف أهل التأويل في معنى قولهم: أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين، فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم، ثم أماتهم الموتة التي لا بدَّ منها في الدنيا، ثم أحياهم للبعث والقيامة، فهاتان حياتان وموتتان، وهو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، وقال السدي: أميتوا في الدنيا، ثم أحياهم في القبور للمسألة، ثم أميتوا ثم أحيوا في الآخرة». الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٧/١٥.

الحشر والنشر، ولا يمكن حمله إلا على الإحياء [الأول][(١)] بعد حلول الموت، والمواتية لا تسمى موتاً في عرف أهل اللغة، ولا ينكر ما استفاض [١١٧/أ] به الإخبار ونطقت به الآيات من الأحياء في القبر إلا من ينكر عموم قدرة الله تعالى، ومن أنكر عموم قدرته سبحانه وتعالى كان خارجاً عن زمرة أهل الإسلام.

٤٢ ـ وأن تعلم أن الصراط حق، والجنة والنار مخلوقتان، وكل ذلك وارد في القرآن، وفي الأخبار الظاهرة عن المصطفى ﷺ على وجه لا يبقى شكاً ولا شبهة لمن ترك العصبية، وقد صرح الله تعالى بذكر النار والجنة ووجودهما، وإعداد الجنة للمؤمنين [والنار للكافرين][(٢)] وإنزال آدم عليه السلام في الجنة، ثم إخراجه منها وإهباطه إلى الأرض، وما ورد عن الرسول ﷺ أنه دخل الجنة ليلة المعراج، ورأى فيها قصراً لعمر رضي الله عنه، وقال لعمر: «**ما منعني أن أدخله إلا غيرتك**، فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: أو عليك كنت أغار يا رسول الله»[(٣)]، وقال: «**سمعت خشفة**[(٤)]، **فالتفت فإذا هو بلال**»[(٥)]، وكان ذلك من صفات الموجودات، فإن المعدوم لا يتصف بهذه الصفات [١١٧/ب] ومن تأمل ما ورد فيه من الآي والأخبار والآثار لم يستجز إنكاره.

٤٣ ـ وأن تعلم أن الإجماع حق، وما اجتمع عليه الأمة يكون حقاً

(١) سقطت من (ك).

(٢) سقطت من (س).

(٣) أخرجه عن جابر البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم: ٣٤٧٦؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، رقم: ٢٣٩٤.

(٤) في (ك): (حسة)، وفي (س): (حشفة). والتصحيح من كتب الحديث. قال ابن الأثير: «الخَشْفة: الحس والحركة، وقيل هو الصوت». النهاية: ٣٤/٢.

(٥) أخرجه عن أنس مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أم سليم أم أنس بن مالك وبلال، رقم: ٢٤٥٦؛ الإمام أحمد في مسنده: ٨٠/١؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣٣٧/١.

مقطوعاً على حقيقته، قولاً كان أو فعلاً؛ لقوله ﷺ: **«لا تجتمع أمتي على الضلالة»**(١)، ولو جاز اتفاقهم بأجمعهم على الكذب لجاز اتفاقهم على كتمان شيء من الشريعة، ولبطل به الاعتماد على الدلالة الموصلة إلى التكاليف الشرعية [ولسقط التكليف والشريعة](٢) ولكان العلم بالبلدان النائية والقرون الخالية والملوك الماضية متعذراً، إذ لا سبيل إلى معرفتها إلا بالنقل على التظاهر والتواتر، والاتفاق عليه من أهل النقل، وأصل الإجماع من كتاب الله تعالى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

٤٤ ـ وأن تعلم أن من جملة ما اجتمع عليه المسلمون أن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من أهل الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمٰن بن عوف [١١٨/أ] وأبو عبيدة الجراح رضي الله عنهم أجمعين، وأجمعوا أيضاً على أن نساءه وأولاده وأحفاده كلهم كانوا من أهل الجنة، وأنهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا من أعلام الدين لم يكتموا شيئاً من القرآن، ولا من أحكام الشريعة، وكذلك أجمعوا على خلافة الخلفاء الأربعة بعد الرسول ﷺ، وعلى أنهم لم يكتموا شيئاً من القرآن والشريعة، بل ساروا أحسن سيره، ووفقوا بحسن السعي في تثبيت المسلمين على الدين، وقد أثنى الله تعالى في كتابه عليهم حيث قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) الحديث يروى عن كعب بن عاصم عن النبيّ ﷺ بلفظ: **«إن الله تعالى قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة»**. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٤١/١. قال الشيخ الألباني (حسن). الصحيحة: رقم ١٣٣١.

(٢) سقطت من (س).

وقال في صفة أبي بكر وعمر [رضي الله عنهما: **«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر»]**[(١)] وقال في صفة عثمان رضي الله عنه: **«ألا أستحي [ممن تستحي][(٢)] منه الملائكة»**[(٣)]، وقال في صفة علي رضي الله عنه: **«أقضاكم علي»**[(٤)]، وقال: في صفة الحسن والحسين رضي الله عنهما: **«إنهما سيدا شباب أهل الجنة»**[(٥)]، وقال في فاطمة رضي الله عنها: **«سيدات نساء العالمين أربع فاطمة وخديجة وآسية ومريم بنت [١١٨/ب] عمران»**[(٦)]، و**«فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**[(٧)]، وأخرج هذا الكلام مخرج عادة العرب في تفضيلهم

---

(١) سقطت من (س). والحديث أخرجه عن أنس الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل: رقم ٣٧٩٠؛ ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضائل خباب، رقم: ١٥٥؛ الإمام أحمد، المسند: ٢٨١/٣؛ الحاكم، المستدرك: ٤٧٧/٣؛ الطبراني، المعجم الصغير: ٣٣٥/١. والحديث (صحيح) كما قال الشيخ الألباني في الصحيحة، رقم: ١٢٢٤.

(٢) سقطت من (س).

(٣) الحديث عن عائشة، أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عثمان بن عفان، رقم: ٢٤٠١؛ الإمام أحمد، المسند: ٧١/١؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٥٤/١١.

(٤) هو قطعة من حديث أخرجه عن أنس الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل: رقم ٣٧٩٠؛ ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضائل خباب، رقم: ١٥٥؛ الحاكم، المستدرك: ٤٧٧/٣.

(٥) الحديث عن أبي سعيد الخدري، أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، رقم ٣٧٦٨؛ ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل علي بن أبي طالب، رقم: ١١٨؛ الإمام أحمد، المسند: ٦٢/٣؛ الحاكم، المستدرك: ١٨٢/٣.

(٦) ورد الحديث عن ابن عباس بلفظ: «أفضل نساء أهل الجنة...»، أخرجه الإمام أحمد، المسند: ٢٩٣/١؛ ابن حبان، الصحيح: ٤٧٠/١٥؛ الحاكم، المستدرك: ٥٣٩/٢؛ النسائي، السنن الكبرى: ٩٣/٥؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣٣٦/١١.

(٧) هو جزء من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، رقم: ٣٢٣٠؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين، رقم: ٢٤٣١.

الثريد، حتى قالوا: أثردوا[١] ولو بالماء، وقال [ﷺ: **«أُطلبوا ثلث دينكم عند عائشة رضي الله عنها»** وقال][٢] في عائشة: **«إنها لفقيهة»**[٣]، وقال في وصف فاطمة: **«إن فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها ويسوؤني ما يسوؤها»**[٤]، وقال في فضل أصحابه أجمعين: **«كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم»**[٥]، وقال في وصف ابن مسعود رضي الله عنه: **«رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد»**[٦]، وقال في وصف أبي ذر الغفاري: **«ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء [بعد النبيّين أمرءاً][٧] أصدق لهجة من أبي ذر»**[٨]، وقال في صفة أبي عبيدة الجراح: **[«أبو عبيدة][٩] أمين أمتي»**[١٠]، وقال في الزبير: **«إن في كل أمة حواري وحواري أمتي**

---

(١) في (ك): (ثردوا).

(٢) سقطت من (ك). الحديث يروى بلفظ: «خذوا شطراً دينكم عن الحميراء»، قال الحافظ ابن حجر: لا أعرف له إسناداً ولا رأيته في كتب الحديث. كشف الخفاء: ٤٤٩/١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه بلفظ قريب من هذا عن المسور بن مخرمة، البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ، رقم: ٣٥١٠؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبيّ ﷺ، رقم: ٢٤٤٩.

(٥) قال العجلوني رواه البيهقي وأسنده الديلمي (كشف الخفاء: ١٤٧/١)، وقال عنه الشيخ الألباني (موضوع) كما في الضعيفة: رقم ٥٨.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٥٩/٣؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٨٠/٩؛ البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى: ص ١٣٨. قال الشيخ الألباني (صحيح)، الصحيحة: رقم ١٢٢٥.

(٧) سقطت من (س).

(٨) هو جزء من حديث طويل عن أبي ذر، أخرجه ابن حبان، الصحيح: ٧٦/١٦؛ الحاكم، المستدرك: ٣٨٥/٣؛ الترمذي، السنن: ٦٦٩/٥؛ الإمام أحمد، المسند: ١٦٣/٢. والحديث (صحيح) كما قال عنه الشيخ الألباني في الصحيحة، رقم: ٢٣٤٣.

(٩) سقطت من (ك).

(١٠) الحديث عن أنس أن النبيّ ﷺ قال: **«إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»**. أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح، رقم: ٣٥٣٤؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي عبيدة بن الجراح، رقم: ٢٤١٩.

الزبير»[(١)]، [وقال: **«أحكم أمتي معاوية»**[(٢)]، ثم دعا له فقال: **«اللَّهمَّ اجعله هادياً مهدياً واهدي به»**][(٣)] والأخبار في فضل الصحابة رضي الله عنهم، أكثر من أن يحتمله هذا المختصر، والمقصود [١١٩/أ] ههنا أن تعلم أن الخلفاء الراشدين كانوا على الحق، وإن جملة أصحاب رسول الله ﷺ كانوا محقين مؤمنين مخلصين صادقين، وكان تقديمهم لمن قدموه، وتقريرهم في ما قرروه حقاً وصدقاً، وكلهم كانوا يقولون لأبي بكر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين[(٤)]، وكانوا يخاطبون عمر وعثمان وعلياً وكذلك علي رضي الله عنه كان يخاطبهم بذلك، وكان يخاطب بمثله في أيامه.

٤٥ ـ وأن تعلم أن كل من تدين بهذا الدين ـ الذي وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية ـ فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم، فمن بدّعه فهو مبتدع، ومن ضلله فهو ضال، ومن كفره فهو كافر؛ لأن من اعتقد أن الإيمان كفر، وأن الهداية ضلالة وأن السنة بدعة، كان اعتقاده كفراً وضلالة وبدعة، وأصل هذا مأخوذ من قول النبيّ ﷺ: **«من قال لأخيه المسلم: يا**

---

(١) الحديث عن جابر، أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، رقم: ٢٦٩١؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير، رقم: ٢٤١٥.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة بشير بن زاذان، روى عن عمر بن صبح عن ركن بن شداد بن أوس ورفعه: **«أبو بكر أوزن أمتي، وخير أمتي، وعثمان أحكم أمتي، قال: ومعاوية أحكم أمتي»**، قال الحافظ: ولا يتابع على هذا، ولا يعرف إلا به. لسان الميزان: ٣٧/٢.

(٣) سقطت من (س). والحديث أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان، رقم ٣٨٤٢؛ الإمام أحمد، المسند: ٢١٦/٤؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ٢٠٥/١؛ ابن حبان، الصحيح: ١٧٦/١٦؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٣٥٨/٨. قال الشيخ الألباني (صحيح)، الصحيحة، رقم: ١٩٦٩.

(٤) المعروف تاريخياً أن لقب أبي بكر الصديق في خلافته كان (خليفة رسول الله)، فلما جاء عمر بن الخطاب، قال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمي أمير المؤمنين.

كافر فقد باء به أحدهما»(١)، فجاء من هذه الجملة أنا لا نبدع إلا من بدعنا، ولا نضلل [١١٩/ب] [إلا](٢) من ضللنا، ولا نكفر إلا من كفرنا: «وقد أنصف القارة من راماها»(٣).

٤٦ ـ وأن تعلم أن كل ما يجب معرفته في أصول الاعتقاد، يجب على كل بالغ عاقل أن يعرفه في حق نفسه معرفة صحيحة، صادرة عن دلالة عقلية لا يجوز له أن يقلد فيه، ولا أن يتكل فيه الأب على الابن، ولا الابن على الأب، ولا الزوجة على الزوج، بل يستوي فيه جميع العقلاء من الرجال والنساء، وأما ما يتعلق بفروع الشريعة من المسائل، فيجوز له أن يقلد فيه من كان من أهل الاجتهاد، فإن في تكليف التعليم، وتحصيل أوصاف المجتهدين على العموم، قطع الخلق عن المعاش ثم المعاد، وما كان في أثباته سقوطه وسقوط غيره، كان ساقطاً في نفسه، وقد ذكر الله تعالى الأصول والفروع، فذم التقليد [في الأصول، وحث على السؤال في الفروع، فأما مذمة التقليد](٤) في الأصول، ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢]، وفي آية أخرى: ﴿مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وأما الحث على السؤال في الفروع، ففي قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

٤٧ ـ وأن تعلم أن السؤال واجب عند الحاجة ووقوع الحادث [١٢٠/أ] لأنه لو لم يسأل وعمل من ذات نفسه وأخطأ أو أصاب، لم يكن فعله امتثالاً لأمر الله تعالى، ولم يجز أن يكون عبادة يتقرب بها المتعبد،

---

(١) الحديث عن أبي هريرة، أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل، رقم: ٥٧٥٢؛ مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه يا كافر، رقم: ٦٠.

(٢) زيادة من المحقق غير موجودة في الأصول يقتضيها السياق.

(٣) في (س): (تراها). مثل يضرب لمساواة الرجل صاحبه فيما يدعوه إليه، والقارة: قبيلة من الهون بن خزيمة، وسموا قارة لاجتماعهم والتفافهم، وكانوا رماة الحدق. مجمع الأمثال: ١٠٠/٢.

(٤) سقطت من (س).

ولهذا أمر الله بالسؤال في قوله: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ وهذا كما أن المسلمين أجمعوا على أن الأعمى يسأل عن القبلة ثم يصلي إليها، فإن لم يسأل وأصاب لم يعتد بصلاته، وكانت الإعادة واجبة عليه، كذلك العامي إذا عمل من ذات نفسه، أو سأل من ليس من أهل السؤال، فأصاب في عبادته لم يعتد له بفعله، وكانت الإعادة واجبة عليه، هذا في العبادات على قول أكثر أهل السنة، فأما في العقود إذا وافق الشرط المعتبر فيه من غير سؤال كان جائزاً؛ لأن النية فيها غير معتبرة، وهي في العبادة معتبرة، وحقيقة النية أن يوقع فعله امتثالاً لأمر الآمر بطريقة، فإذا عدل عن الطريق المأمور به، لم يكن امتثالاً لأمر الآمر، فلم يصح الاعتداد به.

٤٨ ـ وأن تعلم أن من كان من أهل التقليد [١٢٠/ب] في أحكام الشريعة، فإنه يجب عليه السؤال، ولا يجوز له أن يسأل كل أحد، إذ لو جاز ذلك لجاز أن يعمل من ذات نفسه، إذ لا فرق بين شخص وشخص، إذ[1] لم يعتبر فيه صفات المجتهدين؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال ﷺ: «**إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم**»[2]، فثبت بهذا أن على العامي إذا أراد السؤال ضرباً من الإجتهاد، حتى يميز بين من يكون أهلاً لمعرفة ما يسأل عنه، وبين من لا يكون أهلاً له، ويحصل له المعرفة بطول الدراية والتسامع.

٤٩ ـ وأن تعلم أن من حصل له ما ذكرناه من المعارف المشروطة في صحة الاعتقاد، فواجب عليه إظهاره والإقرار به عند الحاجة إليه والمطالبة به، ولا يجوز له جحوده ولا كتمانه، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وحقيقة الإيمان [١٢١/أ] أن تصحح[3] المعرفة بما ذكرناه من شروط الإيمان، ويقر به عند التمكن منه والأمان على النفس والمال والحرم

---

(١) في (ك): (إذا).

(٢) هو من قول ابن سيرين، ولا يصح مرفوعاً، سنن الدارمي: ١/١٢٤.

(٣) في (ك): (يصحح).

والأسباب، وإن أنكره عند المخافة من غير أن يغير من اعتقاده شيئاً، فلا حرج عليه فيه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

٥٠ ـ واعلم أن جميع ما ذكرناه من صفات عقائد الفرقة الناجية، يجب معرفته في صحة الإيمان، وقد شرحناه وقرنا كل واحد منها بدليل عقلي وآخر شرعي؛ ليورد من أحكمه على الخصم المقر بالشريعة الأدلة الشرعية، وعلى الخصم المنكر للشريعة ـ من طبقات الملحدين ـ الأدلة العقلية، فيقوى على الفريقين بما جمعناه من الطريقين، ولا تكاد تنفذ عليه حيل أهل الإلحاد والبدعة والخدعة عن الديانة.

واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة، فلا خلاف في شيء منه بين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله، وجميع أهل الرأي والحديث [١٢١/ب] مثل: مالك، والأوزاعي[١]، وداود[٢]، والزهري[٣]، والليث بن سعد[٤]، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري[٥]،

---

(١) هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، عالم أهل الشام، ولد سنة ٨٨هـ في بعلبك ثم انتقل مرابطاً إلى بيروت حتى وفاته، وكان خيراً فاضلاً مأموناً كثير العلم والحديث والفقه، حجة، وفاته سنة ١٥٧هـ. حلية الأولياء: ١٣٥/٦؛ وفيات الأعيان: ١٢٧/٣؛ سير أعلام النبلاء: ١٠٦/٧.

(٢) هو داود الظاهري، وقد تقدمت ترجمته ص ٣٤١.

(٣) هو أبو بكر محمد بن شهاب الزهري القرشي المدني، من مشاهير الحفاظ التابعين، روى عن ابن عمر وجابر بن عبدالله وسهل بن سعد وأنس بن مالك وغيرهم، قال ابن المديني: له نحو ألفي حديث. وفاته سنة ١٢٤هـ. حلية الأولياء: ٣٦٠/٣؛ وفيات الأعيان: ١٧٧/٤؛ تذكرة الحفاظ: ١٠٨/١.

(٤) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبو الحارث الفهمي، فقيه الديار المصرية، أصله فارسي من أهل أصبهان، ولد بمصر سنة ٩٤هـ، سمع من خلق كثير قال عنه الذهبي: «كان الليث رحمه الله فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها»، وفاته سنة ١٧٥هـ. طبقات ابن سعد: ٥١٧/٧؛ حلية الأولياء: ٣١٨/٧؛ سير أعلام النبلاء: ١٣٦/٨.

(٥) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ثقة حافظ وربما دلس، وفاته سنة ١٦١هـ. تذكرة الحفاظ: ٢٠٣/١؛ تهذيب التهذيب: ٩٩/٤.

وسفيان بن عيينة[١]، ويحيى بن معين[٢]، وإسحاق بن راهويه[٣]، ومحمد بن إسحاق الحنظلي[٤]، ومحمد بن أسلم الطوسي[٥]، ويحيى بن يحيى[٦]، والحسين بن الفضل البجلي[٧]، وأبي يوسف، ومحمد[٨]،

---

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي الكوفي، الحافظ الكبير، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وطلب الحديث وهو حدث، ولقي الكبار فأتقن وجود وجمع وصنف، وعمر وانتهى إليه علو الإسناد، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز، وفاته سنة ١٩٨هـ. طبقات ابن سعد: ٤٩٧/٥؛ تاريخ بغداد: ١٧٤/٩؛ سير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٨.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن معين المري مولاهم البغدادي، من مشاهير حفاظ الحديث، وحجة في علم الرجال، قال الخطيب: كان إماما ربانياً عالماً حافظاً ثبتاً متقناً، وفاته سنة ٢٣٣هـ. تاريخ بغداد: ١٧٧/١٤؛ تذكرة الحفاظ: ٤٢٩/٢؛ تهذيب التهذيب: ٢٤٦/١١.

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن راهويه الحنظلي، قال الذهبي: «الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ»، ولد سنة ١٦١هـ قال الحاكم: إمام عصره في الحفظ والفتوى، سكن نيسابور، وبها وفاته سنة ٢٣٨هـ. تاريخ بغداد: ٣٤٥/٦؛ وفيات الأعيان: ١٩٩/١؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥٨/١١.

(٤) هو ابن راهويه الذي تقدمت ترجمته قبل قليل، سمع من أبيه وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني وجماعة، ولي قضاء مرو، ثم قضاء نيسابور، قتلته القرامطة بطريق مكة سنة ٢٩٤هـ. طبقات الحنابلة: ٢٦٩/١؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٤/١٣.

(٥) هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الطوسي، ولد سنة ١٨٠هـ، قال عنه الحاكم: كان من الأبدال المتتبعين للآثار، وله كتاب في الرد على الجهمية، وفاته سنة ٢٤٢هـ. حلية الأولياء: ٢٣٨/٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٩٥/١٢.

(٦) هو أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبدالرحمن المنقري النيسابوري الحافظ، شيخ البخاري ومسلم، قال ابن راهويه: ما رأيت مثل يحيى بن يحيى، ولا أحسب أن أرى مثل نفسه، قال الذهبي: لم يكن بخراسان مثله إلا إسحاق، وفاته سنة ٢٢٦هـ. سير أعلام النبلاء: ٥١٢/١٠؛ شذرات الذهب: ٥٩/٢.

(٧) هو أبو علي الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، قال الحاكم: المفسر إمام عصره في معاني القرآن، أقدمه ابن طاهر معه بنيسابور، وابتاع له دار عزرة، فسكنها وكانت محلاً للفتوى إلى أن توفي سنة ٢٨٢هـ. سير أعلام النبلاء: ٤١٤/١٣؛ طبقات المفسرين: ١٥٦/١.

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي=

وزفر[١]، وأبي ثور[٢] وغيرهم من أئمة الحجاز والشام والعراق، وأئمة خراسان وما وراء النهر، ومن تقدمهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

ومن أراد أن يتحقق أن لا خلاف بين الفريقين في هذه الجملة، فلينظر فيما صنفه أبو حنيفة رحمه الله في الكلام، وهو (كتاب العلم)، وفيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة، وقد تكلم في شرح اعتقاد المتكلمين، وقرر أحسن طريقة في الرد على المخالفين، وكتاب الفقه الأكبر الذي أخبرنا به الثقة بطريق معتمد، وإسناد صحيح عن نصير بن يحيى [عن أبي مطيع][٣] عن أبي حنيفة، وما جمعه أبو حنيفة في الوصية التي كتبها إلى أبي عمرو عثمان البتي[٤]، ورد فيها على المبتدعين، ولينظر فيما صنفه الشافعي في مصنفاته، فلم يجد بين مذهبيهما تبايناً بحال، وكل ما حكى عنهم [١٢٢/أ] خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم، فإنما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجاً لبدعته، ومن لا يبالي أن يتدين بما لا حقيقة له في دينه لم يبالِ[٥]

= أبي يوسف، ولي القضاء للرشيد بعد أبي يوسف، وكان مع تبحره بالفقه، يضرب بذكائه المثل، وفاته سنة ١٨٩هـ. تاريخ بغداد: ١٧٢/٢؛ وفيات الأعيان: ١٨٤/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٣٤/٩.

(١) هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم، ولد سنة ١١٠هـ، وحدث عن الأعمش وأبي حنيفة ومحمد بن إسحاق وطبقتهم، قال الذهبي: هو من بحور الفقه، وأذكياء الوقت تفقه بأبي حنيفة وهو من أكبر تلامذته وكان يجمع بين القول والعمل، وفاته سنة ١٥٨هـ. طبقات ابن سعد: ٣٨٧/٦؛ وفيات الأعيان: ٣١٧/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٣٨/٩.

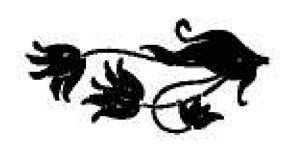
(٢) هو أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الفقيه، ولد في حدود سنة ١٧٠هـ، سمع من سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وابن علية والشافعية وجماعة، قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً، صنف الكتب، وفرّع السنن، وذب عنها، وفاته سنة ٢٤٠هـ. تاريخ بغداد: ٦٥/٦؛ وفيات الأعيان: ٢٦/١؛ سير أعلام النبلاء: ٧٢/١٢.

(٣) زيادة من محقق نسخة (ك). هو أبو مطيع الحكم بن عبدالله بن سلمة بن عبدالرحمن البلخي القاضي الفقيه، تفقه عليه أهل بلاده، وكان الراوي لكتاب أبي حنيفة الفقه الأكبر، وفاته سنة ١٩٧هـ.

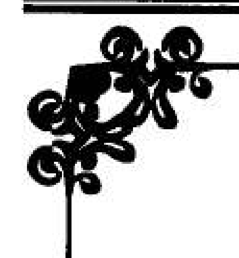
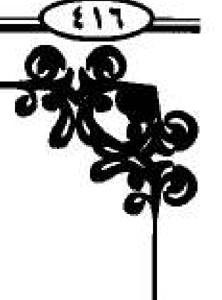
(٤) لم أقف على ترجمة له.

(٥) في (ك): (لا يبالي).

نسبة الخرافات إلى أئمة الدين؛ لأن من كذب على الله تعالى ورسوله لا يبالي أن يكذب على أئمة المسلمين، وقد تبع[(١)] [من][(٢)] أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض، مقلداً فيها وإذا خاف سيوف أهل السنَّة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة، تستراً به، فلا يغرنك ما ادعوه من نسبتها إليه، فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه إليه، والله تعالى يعصم أهل السنَّة والجماعة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلالة، وبالله التوفيق.



(١) في (ك): (نبغ).
(٢) زيادة من (ك).

الفصل الثاني

في طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة في العاقبة

إعلم أن الذي تحقق لهم هذه الصفة أمور:

منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، والمحبة من الله تعالى في متابعة الرسول ﷺ سبب محبة الرب للعبد[1]، فكل من كان متابعته للرسول ﷺ [١٢٢/ب] أبلغ وأتم، كانت المحبة له من الله أكمل وأتم، وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ، وأكثر تبعاً لسنته من هؤلاء؛ ولهذا سموا أصحاب الحديث وسموا بأهل السُّنَّة والجماعة.

ومنها: أن النبيّ ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**، وهذه الصفة تقررت لأهل السنة؛ لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج والروافض، ولا من قال من القدرية: إن شهادة اثنين من أهل صفين غير مقبولة على باقة بقل، ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعاً لهم ـ ولا ملابساً بسيرتهم.

ومنها: ما جاء في رواية أخرى أنه سئل عن الفرقة الناجية فقال: **«الجماعة»**، وهذه صفة مختصة بنا؛ لأن جميع الخاص والعام من أهل

---

(١) في (س): (العبد).

الفرق المختلفة يسمونهم أهل السنَّة والجماعة، وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج، وهم لا يرون الجماعة والروافض، وهم لا يرون الجماعة والمعتزلة، وهم لا يرون صحة الإجماع وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها الرسول ﷺ.

ومنها: أنهم يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وإجماع الأمة والقياس، ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة، ويحتجون بجميعها، وما من فريق من فرق مخالفيهم إلا وهم يردون شيئاً من هذه الأدلة، فبان أنهم أهل النجاة باستعمالهم جميع أصول الشريعة دون تعطيل شيء منها.

ومنها: أن أهل السنَّة مجتمعون فيما بينهم، لا يكفر بعضهم بعضاً، وليس بينهم خلاف يوجب التبريء والتفكير، فهم إذاً أهل الجماعة قائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، قال المفسرون: أراد به الحفظ عن التناقص[1]، وما من فريق [من فرق][2] المخالفين إلا وفيما بينهم تكفير وتبرئ، يكفر بعضهم بعضاً، كما ذكرنا من الخوارج والروافض والقدرية، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد، فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً [١٢٣/ب] [كما ذكرنا][3] وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفّر بعضهم بعضاً، حتى قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ومنها: أن فتاوى الأمة تدور على أهل السنَّة والجماعة، فريقي الرأي والحديث، ومعظم الأئمة ينتحلون مذهبهم، ويجتمعون على طريقهم، وهو الغالب على بلاد المسلمين، فهم إذاً أهل الجماعة من سائر الوجوه، وكلهم

---

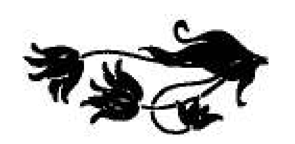
(١) في (ك): (التناقض).

(٢) سقطت من (س).

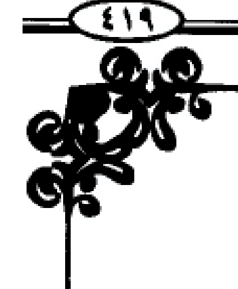
(٣) سقطت من (ك).

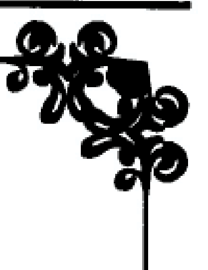
متفقون على رد مذهب الروافض والخوارج والقدرية، من أهل الأهواء والبدع.

ومنها: أن عبدالله[١] بن عمر رضي الله عنه، روى عن النبيّ ﷺ في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، إن الذين تبيض وجوههم هم الجماعة، والذين تسود وجوههم هم أهل الأهواء، وأهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ولا السنة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فتبين أن [١٢٤/أ] الذين فارقوا دينهم [أو فرقوا دينهم][٢] هم ليسوا على طريق الحق، وجميع من ذكرناهم من فرق المخالفين يفرقون فيما بينهم، كما وصفناه من اختلافهم، فبان به أنهم مفارقون للدين، وأهل السنّة والجماعة متمسكون بعروة[٣] الإسلام وحبل الدين، مجتمعون في أصولهم غير متفرقين، فكانوا هم أهل النجاة دون من خالفهم في هذه الصفة.



(١) في (س): (عبدالرحمن).
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (ك): (به بعروة).





الفصل الثالث

من فصول المفاخر لأهل الإسلام وبيان فضائل أهل السنَّة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم

إِعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الإسلام، من المعارف والعلوم وأنواع الإجتهادات، إلا ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح المعلى والسهم الأوفر:

أما العلوم **فأولها** [الرقي][١] في مدارج الفضل والأدب، هو ترجمان جميع العلوم، ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدنيا والآخرة، إذ لا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول ﷺ إلا بمعرفة الأدب، وجملة الأئمة في النحو واللغة من أهل البصرة والكوفة في دولة الإسلام، كانوا من أهل [١٢٤/ب] السنة والجماعة، وأصحاب الحديث والرأي ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية، مثل أبي عمرو بن العلاء[٢]، الذي قال له عمرو بن عبيد القدري: قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد، والله تعالى يصدق وعده ووعيده، فأراد بهذا

---

(١) سقطت من (س).

(٢) هو أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي البصري، شيخ القراء والعربية، برز في الحروف وفي النحو وتصدر للإفادة مدة، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم، قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، وفاته سنة ١٥٧هـ. وفيات الأعيان: ٤٦٦/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٤٠٧/٦.

الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون، فقال أبو عمرو: فأين أنت من قول العرب أن الكريم إذا وعد عفا، وإذا وعد وفى، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد، حيث قال:

وإنِّـــي إذا أوعـــدتُـــهُ أوْ وعَـــدتُـــهُ　　لمخلفُ إيعادي ومنجزُ مَوعِدِي[١]

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم، وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد، وبعد من بدعهم بعيد مثل: الخليل بن أحمد[٢]، ويونس بن حبيب[٣]، وسيبويه[٤]، والأخفش[٥]، والزجاج[٦]، ....

---

(١) البيت لعامر بن الطفيل، وقد ورد مع القصة في عيون الأخبار للدينوري: ٦٥/٢.

(٢) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي البصري، قال الذهبي: كان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً قانعاً متواضعاً، كبير الشأن، وهو صاحب العروض وكتاب العين في اللغة، وفاته سنة ١٧٥هـ. وفيات الأعيان: ٢٤٤/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٩٢/٧؛ تهذيب التهذيب: ١٤١/٣.

(٣) أبو عبدالرحمٰن يونس بن حبيب الضبي مولاهم البصري، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، وعنه الكسائي، وسيبويه والفراء وآخرون، له تصانيف في القرآن واللغات، وفاته سنة ١٨٣هـ. الفهرست: ص ٤٢؛ وفيات الأعيان: ٢٤٤/٧؛ سير أعلام النبلاء: ١٩١/٨.

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، قال عنه الذهبي: طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل عصره، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، عاش في العراق، ووفاته في الأهواز سنة ١٨٠هـ. تاريخ بغداد: ١٩٥/١٢؛ وفيات الأعيان: ٤٦٣/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥١/٨.

(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري، إمامٌ في النحو، وله كتب كثيرٌ في النحو والعروض ومعاني القرآن، قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدرياً رجل سوء، كتابه في المعاني صويلح، وفيه أشياء في القدر، وفاته سنة ٢٩٣هـ. وفيات الأعيان: ٢٨٠/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢٠٦/١٠؛ شذرات الذهب: ٣٦/٢.

(٦) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري، عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد، ونشأ وتعلم فيها، توفي سنة ٣١١هـ. تاريخ بغداد: ٨٩/٦؛ إنباه الرواة: ١٥٩/١.

والمبرد[١]، وأبي حاتم السجستاني[٢]، وابن دريد[٣]، والأزهري[٤]، وابن فارس[٥]، والفارابي[٦]، وكذلك من كان من أئمة النحو واللغة، مثل: الكسائي[٧]، والفراء[٨]، ....

---

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الأزدي البصري النحوي، صاحب كتاب (الكامل في الأدب)، قال الذهبي: كان إماماً، علامة، مفوهاً موثقاً، صاحب نوادر وطرف، وكان المبرد أكثر تفنناً في جميع العلوم من ثعلب، وفاته سنة ٢٨٦هـ. تاريخ بغداد: ٣٨٠/٣؛ وفيات الأعيان: ٣١٣/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٥٧٦/١٣.

(٢) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري المقرئ اللغوي، كان له باع طويل في اللغات والشعر والعروض واستخراج المعمى، وله أكثر من ثلاثين مصنفاً، وفاته سنة ٢٥٥هـ. وفيات الأعيان: ٤٢٠/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢٦٨/١٢.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري، قال الذهبي: تنقل في فارس وجزائر البحر يطلب الآداب ولسان العرب، ففاق أهل زمانه، ثم سكن بغداد، وفاته سنة ٣٢١هـ. تاريخ بغداد: ١٩٥/٢؛ وفيات الأعيان: ٣٢٣/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٩٦/١٥.

(٤) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري اللغوي الهروي، إمام جليل جمع فنون الأدب والعربية، وصنف في اللغة والتفسير والقراءات والنحو، وهو حجة فيما يقوله، وفاته سنة ٣٧٠هـ. وفيات الأعيان: ٣٣٤/٤؛ البلغة: ص ١٨٦.

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني الرازي المالكي اللغوي، كان رأساً في الأدب بصيراً بفقه مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، وكان من رؤوس أهل السنَّة المجودين على مذهب أهل الحديث، وفاته سنة ٣٩٥هـ. ترتيب المدارك: ٦١٠/٤؛ وفيات الأعيان: ١١٨/١؛ سير أعلام النبلاء: ١٠٣/١٧.

(٦) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي الفارابي الفيسلوف، له تصانيف مشهورة، وكان يتزهد زهد الفلاسفة، ولا يحتفل بملبس ولا منزل، وله تصانيف كثيرة في الفلسفة والمنطق، وفاته سنة ٣٣٩هـ. وفيات الأعيان: ١٥٣/٥؛ سير أعلام النبلاء: ٤١٦/١٥.

(٧) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن الكوفي، إمام الكوفة وقارئها، لقب بالكسائي: لكساء أحرم به، قال الشافعي: من أراد أن يتبحر بالنحو فهو عيال على الكسائي، توفي سنة ١٨٩هـ. غاية النهاية: ٥٣٥/١؛ سير أعلام النبلاء: ١٣١/٩.

(٨) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، قال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي لكفى، وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وفاته سنة ٢٠٧هـ. تاريخ بغداد: ١٤٦/١٤؛ سير أعلام النبلاء: ١١٨/١٠.

والأصمعي[(١)]، وأبي زيد الأنصاري[(٢)]، وأبي عبيدة[(٣)] [١٢٥/أ] وأبي عمرو الشيباني[(٤)]، وأبي عبيد القاسم بن سلام[(٥)]، وما منهم أحد إلا وله في تصانيفه تعصب لأهل السنة والجماعة، ورد على أهل الإلحاد والبدعة، ولم يقر واحد في شيء من الأعصار من أسلاف أهل الأدب بشيء من بدع الروافض والقدرية، غير أن جماعة من المتأخرين من أهل الأدب تدنسوا بشيء من ذلك تقرباً إلى ابن عباد[(٦)] طمعاً في شيء من الدنيا والرياسة، وأظهروا شيئاً من الرفض والاعتزال، ومن كان متدنساً بشيء من ذلك[(٧)]،

---

(١) هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك الأصمعي البصري اللغوي الإخباري، أحد الأعلام، قال ابن معين: كان الأصمعي من أعلم الناس في فنه، وقال المبرد: كان الأصمعي بحراً في اللغة، وفاته سنة ٢١٥هـ. تاريخ بغداد: ٤١٠/١٠؛ وفيات الأعيان: ١٧٠/٣؛ سير أعلام النبلاء: ١٧٥/١٠.

(٢) هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أحد أئمة الأدب واللغة من أهل البصرة ووفاته بها، كان يرى رأي القدرية، وهو من ثقات المحدثين، توفي سنة ٢١٥هـ. تاريخ بغداد: ٧٧/٩؛ وفيات الأعيان: ٣٧٨/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٩٤/٩.

(٣) هو معمر بن المثنى التيمي، من مشاهير علماء اللغة والأدب، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، وفاته سنة ٢١١هـ. تاريخ بغداد: ٢٥٢/١٣؛ تذكرة الحفاظ: ٣٧١/١؛ تهذيب التهذيب: ٢٢١/١٠.

(٤) هو إسحاق بن مرار الكوفي الأحمر، قال ابن الجوزي: كان عالماً باللغة، ثقة فيما يحكيه، خيراً فاضلاً، جمع أشعار العرب ودونها، وفاته سنة ٢١٣هـ. تاريخ بغداد: ٣٢٩/٦؛ وفيات الأعيان: ٢٠١/١.

(٥) هو أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الرومي، ولد سنة ١٥٧هـ، قال ابن سعد: كان أبو عبيد مؤدباً صاحب نحو وعربية، وطلب للحديث والفقه، وقدم بغداد ففسر بها غريب الحديث، وصنف كتباً وحج، فتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. طبقات ابن سعد: ٣٥٥/٧؛ تاريخ بغداد: ٤٠٣/١٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٩٠/١٠.

(٦) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني، وزير الملك مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة، قال الذهبي: «كان شيعياً معتزلياً مبتدعاً، تياهاً صلفاً جباراً»، وله مصنفات في الأدب والإمامة، وقيل إنه تاب في أواخر حياته، وكان يتفقد علماء بغداد في السنة بخمسة آلاف دينار، وفاته في سنة ٣٨٥هـ. وفيات الأعيان: ٢٢٨/١؛ سير أعلام النبلاء: ٥١١/١٦.

(٧) في (س): (منه).

لم يجز الإعتماد عليه في رواية أصول اللغة، وفي نقل معاني النحو، ولا في تأويل شيء من الأخبار، ولا في تفسير آية من كتاب الله تعالى.

وثانيها: علم تفسير القرآن، ولم يكن في جميع من نسب إليه شيء من أصول تفسير القرآن، من وقت الصحابة إلى يومنا هذا، من تلوث بشيء من مذهب القدرية والخوارج والروافض، مثل الخلفاء الراشدين الذين تكلموا في التفسير، ومثل عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت [رضي الله عنهم](١) ومثل المشاهير من التابعين، وأتباع التابعين الذين [١٢٥/ب] تكلموا في التفسير: كسعيد بن جبير(٢)، وقتادة(٣) وعطاء(٤)، وعكرمة(٥)، ومكحول(٦)، ....

(١) زيادة من (ك).

(٢) هو سعير بن جبير الأسدي، من خيار التابعين ومشاهيرهم، قال عنه ابن حبان: «كان فقيهاً عابداً فاضلاً ورعاً»، وذكر له ابن النديم تفسيراً حمل اسمه، وفاته سنة ٩٥هـ. طبقات ابن سعد: ٢٥٦/٦؛ تذكرة الحفاظ: ٧٦/١.

(٣) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي الضرير المفسر قال عنه الذهبي: الحافظ العلامة، وفاته سنة ١١٧هـ. تذكرة الحفاظ: ١٢٢/١؛ تهذيب التهذيب: ٣١٥/٨.

(٤) هو عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم أبو محمد المكي، روى عن ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير ومعاوية وجماعة، قال ابن سعد: «كان من مولدي الجند ونشأ بمكة، وهو مولى لبني فهر وانتهت إليه فتوى أهل مكة»، وفاته سنة ١١٤هـ. طبقات ابن سعد: ٤٦٧/٥؛ تهذيب التهذيب: ١٧٩/٧.

(٥) أبو عبد الله عكرمة القرشي مولاهم المدني البربري الأصل، سمع من عائشة وأبي هريرة وأبي قتادة وعبدالله بن عمرو وابن عمر وابن عباس، قال علي بن أبي طالب: لم يكن في موالي ابن عباس أغزر علماً من عكرمة، قال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة، وفاته سنة ١٠٤هـ. طبقات ابن سعد: ٣٨٧/٥؛ سير أعلام النبلاء: ١٢/٥؛ تهذيب التهذيب: ٢٦٣/٧.

(٦) هو أبو عبدالله مكحول الأزدي البصري، روى عن أنس وابن عمر، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: لا بأس به، قال سعيد بن عبدالعزيز: لم يكن عندنا أحد أحسن سمتاً في العبادة من مكحول، وفاته سنة ١١٢هـ. التاريخ الكبير: ٢٢/٨؛ سير أعلام النبلاء: ١٦٠/٥.

وعطية[١]، ومن كان بعدهم: كالواقدي[٢]، ومحمد بن إسحاق بن يسار[٣]، والسدي[٤] وغيرهم، ممن كان بعدهم إلى أن انتهت النوبة إلى محمد بن جرير الطبري[٥] وأقرانه، وكان الزجاج رأساً في نصرة أهل السنَّة والرد على أهل البدعة، وكذا الفراء قبله، وقد ردا في كتابيهما المصنفين في المعاني على القدرية والخوارج والروافض، وصنف بعض متأخري القدرية في تفسير القرآن على موافقة بدعتهم، وذلك لا يتداوله من أهل صنعة التفسير إلا مخذول، وقد جمعنا في كتابنا المعروف (بتاج التراجم) [ما][٦] هو المعتمد من أقوال المفسرين نفياً[٧] عما أحدثه فيه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف.

---

(١) هو أبو يحيى عطية بن قيس الكلبي الدمشقي، عرض على أم الدرداء، وكانت عارفة بالتنزيل، قد أخذت عن زوجها أبي الدرداء، وكان مشهوراً بالقراءة والتفسير، وفاته سنة ١٢١هـ. طبقات ابن سعد: ٤٦٠/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٣٢٤/٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه، قال الذهبي: جمع فأوعى وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة وأخبارهم، وفاته سنة ٢٠٧هـ. طبقات ابن سعد: ٤٢٥/٥؛ تاريخ بغداد: ٣/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٩.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، صاحب السيرة قال الذهبي: حبراً في المغازي، هو صدوق ربما يدلس كما قال ابن حجر، وفاته سنة ١٥١هـ. تذكرة الحفاظ: ١٧٢/١؛ تقريب التقريب: ٤٦٧/١.

(٤) هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، ويعرف بالسدي الكبير، أخذ التفسير عن ابن عباس، وروى عن أنس، ورأى عدداً آخراً من الصحابة، اختلف في حاله، فضعفه بعض العلماء، ووثقه البعض الآخر، وفاته سنة ١٢٧هـ. طبقات ابن سعد: ٣٢٣/٦؛ تهذيب التهذيب: ٣٧٣/١.

(٥) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، قال الذهبي: مولده سنة ٢٢٤هـ، وطلب العلم بعد ٢٤٠هـ، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاء وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، وفاته سنة ٣١٠هـ. تاريخ بغداد: ١٦٢/٢؛ وفيات الأعيان: ١٩١/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤.

(٦) سقطت من (س).

(٧) في (ك): (ابتعاداً).

وثالثها: العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ، والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات، ومعرفة السلف الصالح، ولا يدخل في تلك الصنعة إلا أهل السنَّة والجماعة، وكذلك علوم القرآن لا حظ في شيء منها لأحد من الخوارج والروافض والقدرية، وكيف يكون [١٢٦/أ] فيه حظ لمن يدعي أن في القرآن زيادةً ونقصاً، ويقدح في الصحابة الذين عليهم مدار الأحاديث، بل لا يبالي بأن يقدم عليهم بالتضليل والتكفير، ولو[(١)] ندر فيما بين أهل القرآن والحديث من يتلبس بصنعتهم، وهو يضمر سوء بدعته، فإنه يندر سوء سريرته[(٢)] لا نعتد به.

ورابعها: علوم الفقه، ويختص بالتبحر فيه أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، ولم يكن قط [للروافض][(٣)] والخوارج والقدرية تصنيف معروف يرجع إليه في تعرف شيء من الشريعة، ولا كان لهم إمام يقتدى به من فروع الديانة.

وخامسها: علوم المغازي والسير والتواريخ والتفرقة بين السقيم والمستقيم، وليس لأهل البدعة من هو رأس في شيء من هذه العلوم، فهي مختصة بأهل السنَّة والجماعة.

وسادسها: علم التصوف والإشارات، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق، لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة، وقد ذكر أبو عبدالرحمن السلمي[(٤)] من مشايخهم قريباً من ألف، وجمع إشاراتهم وأحاديثهم، ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية [١٢٦/ب]

---

(١) في (ك): (وقد).

(٢) في (ك): (ونحن نذره وسوء سريرته).

(٣) سقطت من (س).

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري الصوفي، ولد سنة ٣٢٥هـ، قال عنه الخطيب: صنف للصوفية سنناً وتفسيراً وتاريخاً، قال الذهبي: وله تفسير سماه (حقائق التفسير) ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة، وفاته سنة ٤١٢هـ. تاريخ بغداد: ٢٤٨/٢؛ البداية والنهاية: ١٤/١٢.

والروافض والخوارج، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء، وكلامهم يدور على التسليم والتفويض، والتبرئ من النفس، والتوحيد بالخلق والمشئية، وأهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير إلى أنفسهم، وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد.

وسابعها: أن لأهل السنَّة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين، منها ما هو مبسوط يكثر علمه، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه، في أعصار مختلفة من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، في نصرة الدين والرد على الملحدين، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين، ولم يكن لواحد من متقدمي القدرية والروافض والخوارج تصنيف في هذا النوع يظهر ويتداول، وهل كان لهم علم حتى يكون لهم فيه تصنيف، بلى قوم من متأخريهم تكلفوا جمع شبهه[1]، يخادعون به القوم عن أديانهم وصنفوا فيها تصانيف، أكثرها لا يوجد إلا بخط المصنف، إذ كان الاشتغال بنقلها من قبيل تعطيل الوقت بالمقت.

وقيض الله تعالى في عصرنا في كل إقليم من أقاليم العالم سادة من أعلام أئمة [١٢٧/أ] الدين صنفوا في نصرة الدين، وتقوية ما عليه أهل السنَّة والجماعة والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه، مثل القاضي: الإمام أبي بكر الأشعري، وله قريب من خمسين ألف ورقة من تصانيفه في نصرة الدين والرد على أهل الزيغ والبدع، لا تكاد تندرس إلى يوم القيامة، مثل كتاب (الهداية)، وكتاب (نقض النقض)، وكتاب (التقريب في الأصول)، والكتاب (الكبير في الأصول)، يشتمل على عشرة آلاف ورقة، وكتاب (الكسب) وكتاب (التمهيد) وغير ذلك من التصانيف التي لا يكاد يتفق مثلها إلا لمن وافقه التوفيق.

ومثل الإمام أبي إسحاق الأسفراييني[2] (رحمه الله) الذي عقمت النساء عن أن يلدن مثله، ولم ترَ عيناه في عمره مثل نفسه، وكان شديداً على

---

(١) في (ك): (شبه).

(٢) تقدمت ترجمته في المقدمة: ص.

خصمه، يفرق الشيطان من حسه قدس الله روحه، وله تصانيف في أصول التوحيد، وأصول الفقه، كل واحد منها معجز في فنه منها كتاب (الجامع)، وهو كتاب لم يصنف في الإسلام مثله، ولم يتفق لأحد من الأئمة في شيء من العلوم مثل ذلك الكتاب، ومن حسن أحكامه أنه لا طريق لأحد من المخالف والموافق إلى نقضه؛ لحسن تحقيقه [١٢٧/ب] وإتقانه، ولا يتجاسر أحد لأن يتصدى لنقضه للطف صنعته في وضعه، وله في دقائق الفقه والمقدرات كتاب حير به الأفهام، ولا يهتدي لحله إلا من أنفق دهره على حسه، وله عدد كثير من لطائف التصانيف يهتدي بها الناس في أصول الدين مثل: (المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر)، ولم يوجد في الإسلام كتاب مثل حجمه، يجمع ما يجمعه من النكت في الرد على أهل الزيغ والبدع، وكتاب (الوصف والصفة) لم ير كتاب في مثل حجمه [يجمع][1] من الفوائد في أصول الدين ما يجمعه، وكتاب (تحقيق الدعاوي) وهو في لطافة حجمه يتضمن الطرق التي يتوصل [بها][2] إلى إبانة بطلان الباطل من المقالات، وتصحيح الصحيح منها جميعاً في سبع طرق من يهذي إليها، لم تخف عليه كيفية الرد على شيء من مقالات الملحدين والمبتدعين، وكتاب (شرح الاعتقاد) الذي لا يطلع على علومه أحد إلا استبان له طريق أهل السنَّة على وجه لا يتخالجه فيه شيء من الشك والشبهة، وله في الأصول كتاب (ترتيب المذهب)، وكتاب (المختلف في الأصول) [١٢٨/أ] [لم يجمع مثلهما في علم أصول][3] الفقه بعد الشافعي.

ومثل الأستاذ أبي بكر بن فورك الأصفهاني[4] رضي الله عنه، الذي لم

---

(١) سقطت من (س).
(٢) سقطت من (س).
(٣) سقطت من (س).
(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، شيخ المتكلمين في عصره، قال الذهبي: كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام، وله مصنفات كثيرة، وكان شديد الرد على كرامية سجستان، مات مسموماً سنة ٤٠٦هـ. تبيين كذب المفتري: ٢١٤/١٧؛ وفيات الأعيان: ٢٧٢/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢١٤/١٧.

يرَ مثله في نشر دينه، وقوة يقينه، وله أكثر من مائة وعشرين تصنيفاً في نشر الدين والرد على الملحدين، وتحقيق أصول الدين وله في الإسلام آثار ظاهرة.

ولو لم يخرج من مجلسه من المتبرزين[(١)] والأقوياء في نصرة الدين، إلا الأستاذ الإمام أبو منصور الأيوبي[(٢)] رضي الله عنه، وهو الذي كان يفر من حسه شيطان كل ملحد على وجه الأرض؛ لقوة نظره وحسن عبارته ولطافته في الرد على خصمه، وله [تصنيف][(٣)] (كتاب التلخيص)، ولو لم يكن لأهل السنَّة والجماعة في الرد على أهل الإلحاد والبدعة، سوى ذلك الكتاب في حسن بيانه، ولطافة ترتيبه وتهذيبه، كان فيه الكفاية في حسنه مع ما له من التصانيف الأخر التي تداولتها أيدي أهل الأقاليم بحسن البيان ولطافة التنميق.

ولو لم يكن لأهل السنَّة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم - على الخصوص والعموم - إلا من كان فرد زمانه وواحد أقرانه في معارفه وعلومه، وكثرة الغرر [١٢٨/ب] من تصانيفه، وهو الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي قدس الله روحه، وما من علم من العلوم إلاَّ وله فيه تصانيف، ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) في أصول الدين، وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أنه يتمكن من مثله؛ لكثرة ما فيه من فنون علمه وتصانيفه في الكلام والفقه والحديث والمقدرات التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر، لم يسبق إلى مثل كتبه في هذه الأنواع، مع حسن عبارته وعذوبة بيانه ولطافة كلامه في جميع كتبه.

---

(١) في (ك): (المتزهدين).

(٢) هو أبو منصور محمد بن الحسن بن أبي أيوب الأيوبي النيسابوري، حجة الدين، كان صاحب حجة وبيان، وله ذكاء وفطنة عظيمة، مع فقر حاله وزهده في الدنيا، وفاته سنة ٤٢١هـ. تبيين كذب المفتري: ص ٢٤٩؛ سير أعلام النبلاء: ٥٧٣/١٧.

(٣) سقطت من (ك).

وقد تأملنا ما جمعه هؤلاء الأئمة في أصول التوحيد من الكتب البسيطة والوجيزة، ومن تقدم من سادة الأئمة وأعيان أهل السنَّة والجماعة، فجمعنا نكتهم في كتاب (الأوسط) بعبارات قريبة وألفاظ وجيزة، اتباعاً لآثارهم وبناء على مقالاتهم، والله تعالى قد ينفع بجميع ما تيسر من التصانيف في الفقه والفرائض والمقدرات والكلام والتفسير والتعبير بالفارسية ما شاء الله بفضله وجوده.

وأما أنواع الاجتهادات الفعلية التي مدارها على أهل السنَّة والجماعة [١٢٩/أ] في بلاد الإسلام، فمشهورة مذكورة، مثل المساجد والرباطات المثبتة في بلاد أهل السنة، أما في أيام بني أمية، وأما في أيام بني العباس مثل مسجد دمشق المبني في أيام [الوليد بن][(١)] عبدالملك[(٢)]، وكان سنياً قتل في أيامه ما شاء الله من الخوارج والروافض والقدرية، وبني أخوه مسلمة بن عبدالملك[(٣)] المسجد بالقسطنطينية، وما قام إلى هذه المدة بعمارة مسجد مكة والمدينة إلا من كان من أهل السنَّة والجماعة، لم يكن لواحد من أهل بدع الخوارج والروافض والقدرية فيه سعي، وكان بعض المصريين يتغلبون ويسعون في عمارة شيء منه، لكن لا موقع لما كانوا يفعلونه مع سوء اعتقادهم، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة ١٧]، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة: ٥٣]، وقد

---

(١) سقطت من (س).

(٢) أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي الخليفة، بويع له بالخلافة في شوال سنة ٨٦هـ، قال الذهبي: وكان مترفاً دميماً سائل الأنف قليل العلم، وفي عهده بني المسجد الأموي، وفاته سنة ٩٦هـ سير أعلام النبلاء: ٣٤٧/٤؛ البداية والنهاية: ٧٠/٩.

(٣) هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، قائد الجيوش، ويلقب بالجرادة الصفراء، قال الذهبي: له مواقف مشهودة مع الروم، وهو الذي غزا القسطنطينية، وقد ولي العراق لأخية يزيد، ثم أرمينية، ثم قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر أخوته، وفاته سنة ١٢٠هـ. تاريخ خليفة: ص ٣٠١؛ سير أعلام النبلاء: ٢٤١/٥.

تكلمنا قبل على سوء طريقهم وعظم فتنتهم فيما بين المسلمين، ومن كانت هذه طريقته، لم يكن له بعمارته المسجد موقع عند الله تعالى، وعند المسلمين ومن آثارهم الاجتهادية سدهم ثغور الإسلام، والمرابطة بها في أطراف [١٢٩/ب] الأرض، مثل ثغور الروم وثغور أرمينية، وانسداد جميعها ببركات أصحاب الحديث، وأما ثغور بلاد الترك فمشتركة بين أهل الحديث والرأي، وليس لأهل الأهواء في شيء من الثغور مرابطة ولا أثر ظاهر، بل هم أشد ضلالة [على الروافض والخوارج والقدرية][1]، فبان لك بما ذكرناه من مساعي أهل السنَّة والجماعة في العلوم والاجتهادات، أنهم أهل الإجتهاد والجهاد، والجهاد في الدين يكون تارة بإقامة الحجة في الدعوة إلى المحجة، ويكون تارة باستعمال السيف مع المجاهدين ضد أهل الخلاف من الأعداء، وببذل الأموال والمهج وقد خص الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وإذا كان في الجهاد في النوعين صادراً منهم كانت الهداية مختصة بهم: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقد عصمهم الله أن يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً أو يطعنوا فيهم طعناً، فلا يقولون في المهاجرين والأنصار وأعلام الدين، ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان إلا أحسن المقال، ولا في جميع من شهد النبيّ ﷺ لهم بالجنة، ولا في أزواج [١٣٠/أ] النبيّ ﷺ وأصحابه وأولاده وأحفاده، مثل الحسن والحسين والمشاهير من ذرياتهم، مثل عبدالله بن الحسن وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا، ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغير ولا في الخلفاء الراشدين، ولم يستجيزوا أن يطعنوا في واحد منهم، وكذلك في أعلام التابعين وأتباع التابعين، الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع، وإظهار شيء من المنكرات ولا يحكمون في عوام المسلمين إلا بظاهر إيمانهم، ولا يقولون بتكفير واحد منهم، إلا أن يتبين منه ما

---

(١) سقطت من (ك).

يوجب تكفيره، ويصدقون بقول النبيّ ﷺ: **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في عدد ربيعة ومضر»**(١)، ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة، كما أمر الله تعالى في كتابه، حيث قال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ [١٣٠/ب] رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

تم الباب وتم بتمامه الكتاب، والحمد لله على نعمه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى أزواجه أمهات أهل الإسلام، وحسبنا الله وكفى(٢)(٣).



(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرج الشطر الثاني من الرواية الإمام أحمد في مسنده: ٢١٢/٤.

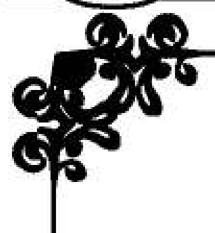
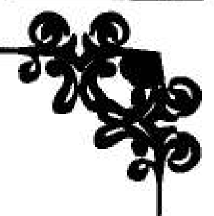
(٢) وفي نسخة (س): (في تاريخ سنة ألف وتسع وعشرين من الهجرة النبوية عليه الصلاة والسلام).

(٣) قال المحقق: وانتهيت من تحقيقها عند منتصف الليل من يوم السبت ٣ جمادى الأولى سنة ١٤٢٨هـ.




الفهارس العامة



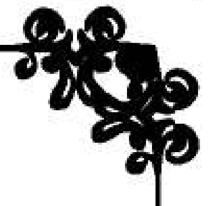




فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية | الصفحة

سورة البقرة



فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	الصفحة

(أ)

الحديث	الصفحة

(ب)

(ت)

(ح)

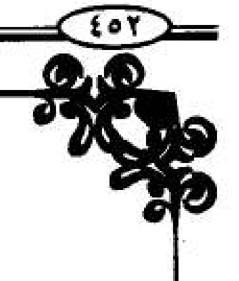
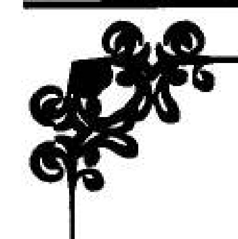
(خ)

الحديث	الصفحة

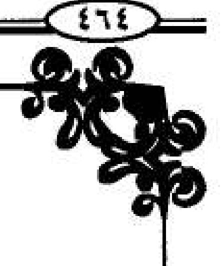
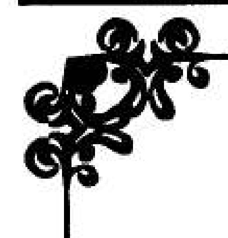
الحديث | الصفحة

(ي)

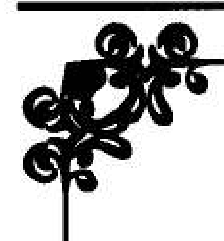
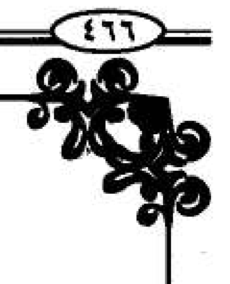


فهرس الأعلام

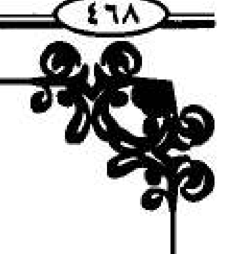
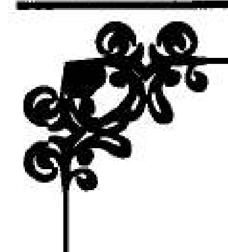



فهرس الأماكن

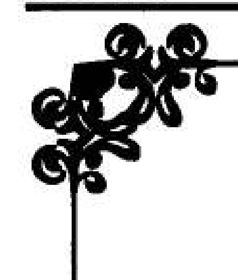
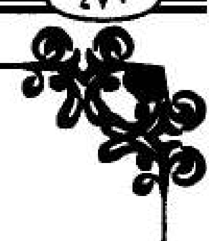
فهرس الكتب



فهرس الشعر



مصادر التحقيق ومراجعه

ابن أبي عاصم، عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ):
١ - السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ).
ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ):
٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة (مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م).
٣ - الكامل في التاريخ (دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م).
ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ):
٤ - النهاية في غريب الأثر، (دار الفكر بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
الأزدي، أبو عبدالرحمٰن محمد بن الحسين بن موسى (ت٤١٢هـ):
٥ - طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).
الأسفراييني، طاهر بن محمد (ت٤٧١هـ):
٦ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ):
٧ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣).
الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ):
٨ - الأغاني (دار الكتب، القاهرة، ١٩٦١م).
البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ):
٩ - التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي (دار الفكر، بيروت، لا. ت)

١٠ ـ الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، (دار ابن كثير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
١١ ـ خلق أفعال العباد، تحقيق: د.عبدالرحمٰن عميرة (دار المعارف الإسلامية، الرياض، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد البابانى (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م):
١٢ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (استنبول، ١٩٦٠).

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٣٢٩هـ):
١٣ ـ الفرق بين الفرق، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ):
١٤ ـ الاعتقاد، تحقيق: أحمد الكاتب (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ).
١٥ ـ سنن البيهقي الكبرى، (مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
١٦ ـ شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
١٧ ـ المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: د.محمد ضياء الله المباركفوري (دار الخلفاء، الكويت، ١٤٠٤هـ).

ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٥هـ):
١٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة).

ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت٧٢٧هـ):
١٩ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: د.علي حسن ناصر وآخرون (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ).
٢٠ ـ درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د.محمد رشاد سالم (الرياض، ١٣٩١هـ).
٢١ ـ مجموع الفتاوى، جمع: عبدالرحمٰن بن قاسم (الرياض، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).
٢٢ ـ منهاج السنة النبوية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم (الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

الثعالبي، عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف (ت٤٢٤هـ):
٢٣ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي، بيروت، لا. ت).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ):
٢٤ ـ البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، (دار صعب، بيروت، ١٩٦٨هـ).

الجرجاني، أبو القاسم حمزة بن يوسف (ت٣٤٥هـ):
٢٥ ـ تاريخ جرجان، تحقيق: د.محمد عبدالمعيد خان (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٦م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ):

٢٦ ـ التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

ابن الجوزي، عبدالرحمٰن بن علي (ت٥٩٧هـ):

٢٧ ـ تلبيس إبليس، تحقيق: د.السيد الجميلي، (دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٢٨ ـ العلل المتناهية، تحقيق: خليل الميس (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٢٩ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (دار صادر، بيروت، ١٣٥٨).

٣٠ ـ الموضوعات، تحقيق: عبدالرحمٰن محمد عثمان (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي عبدالكريم بن عبدالله بن يوسف (ت٤٧٨هـ).

٣١ ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن (ت نحو ٣٢٠هـ):

٣٢ ـ نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: د.عبدالرحمٰن عميرة (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الرومي المعروف بالكاتب الجلبي (ت١٠٦٧هـ):

٣٣ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (ت٤٠٣هـ):

٣٤ ـ المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ):

٣٥ ـ الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٣٦ ـ صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٣٧ ـ المجروحين من المحدثين، تحقيق: محمود محمد زايد (دار الواعي، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٣٨ ـ مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهمر (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩هـ).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ):

٣٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٤٠ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تحقيق: إكرام الله إمداد الحق (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١).

٤١ ـ تقريب التقريب، تحقيق: محمد عوامة (دار الرشيد، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٤٢ ـ تلخيص الحبير، تحقيق: السيد عبدالله المدني (المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٤٣ ـ تهذيب التهذيب: (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٤٤ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).

٤٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب (بيروت، ١٣٧٩هـ).

٤٦ ـ لسان الميزان (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ):

٤٧ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبدالرحمن عميرة (دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٤٨ ـ المحلى، تحقيق: أحمد شاكر (القاهرة، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م).

ابن حماد، أبو عبدالله محمد بن علي الصنهاجي (ت٦٢٨هـ):

٤٩ ـ أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: د.التهامي نقرة (دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠١هـ).

ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ):

٥٠ ـ فضائل الصحابة، تحقيق: د.وصي الله محمد عباس (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٥١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل (مؤسسة قرطبة، القاهرة، لا. ت).

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ):

٥٢ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الشافعي (ت٤٦٣هـ):
٥٣ ـ تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية، بيروت، لا. ت).
٥٤ ـ الجامع لأخلاق الراوي والسامع، تحقيق: د.محمود الطحان (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ).
٥٥ ـ الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي (المكتبة العلمية، المدينة المنورة).
الخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد (ت٣١١هـ):
٥٦ ـ السنة، تحقيق: د.عطية الزهراني (دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ).
ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي (ت٦٨١هـ):
٥٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت، ١٩٧٠).
الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمٰن (ت٢٥٥هـ):
٥٨ ـ سنن الدارمي، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ (ت٤٤٤هـ):
٥٩ ـ السنن الواردة في الفتن، تحقيق: د.ضياء الله المباركفوري (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ).
أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)
٦٠ ـ سنن أبي داود، تحقيق: عبدالسلام هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة، لا. ت).
الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمداني (ت٥٠٩هـ):
٦١ ـ الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
الذهبي، أبو عبدالله محمد بن عثمان بن قيماز الدمشقي الشافعي (ت٧٤٨هـ):
٦٢ ـ تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبدالرحمٰن المعلمي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م).
٦٣ ـ ترتيب الموضوعات، تحقيق: كمال بسيوني زغلول (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ).
٦٤ ـ تلخيص الذهبي على مستدرك الحاكم، تحقيق: عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش (دار المعرفة بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٦٥ ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقسوسي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٦٦ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي العوض، عادل عبد الموجود (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م).

الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ):

٦٧ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ).

٦٨ ـ التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٦٩ ـ المحصول، تحقيق: طه جابر العلواني، (الرياض، ١٤٠٠هـ).

السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ):

٧٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د.عبدالفتاح حلو، د.محمود الطناحي (دار هجر، القاهرة، ١٩٩٢م).

السخاوي، محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر (ت٩٠٢هـ):

٧١ ـ الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، (دار الفكر، بيروت).

٧٢ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ).

ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ):

٧٣ ـ الطبقات الكبرى (دار الصادر، بيروت، ١٩٥٧م).

السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمٰن بن محمد الشافعي (ت٩١١هـ):

٧٤ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٧٥ ـ طبقات الحفاظ (دار الكتب العلمية، بيروت، لا. ت).

٧٦ ـ طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ).

٧٧ ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (دار المعرفة، بيروت).

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن أحمد (ت٥٤٨هـ):

٧٨ ـ الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ):

٧٩ ـ المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت (مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

الصنعاني، عبدالرزاق بن همام (ت٢١١هـ):

٨٠ ـ المصنف، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ):
٨١ ـ المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسيني (دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٨٢ ـ المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير (المكتب الإسلامي، بيروت ن ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٨٣ ـ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي (مكتبة العلوم والحكم، الموصل ن ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):
٨٤ ـ تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
٨٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القران (تفسير الطبري)، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي (ت٤٦٣هـ):
٨٦ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ):
٨٧ ـ السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني (دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ).
العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت١١٦٢هـ):
٨٨ ـ كشف الخفاء، تحقيق: أحمد القلاش (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ).
العجمي، أبو الوفا إبراهيم بن محمد المعروف بسبط ابن العجمي الحلبي (ت٨٤١هـ):
٨٩ ـ الكشف الحثيث، تحقيق: صبحي السامرائي (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
ابن عدي، أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله الجرجاني (٣٦٥هـ):
٩٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ):
٩١ ـ تاريخ دمشق، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٩٢ ـ تبيين كذب المفتري عليه فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ).

ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ):
٩٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب (المكتب التجاري، بيروت، لا. ت).
العيدروسي، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله (ت١٠٣٧هـ):
٩٤ ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ).
الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ):
٩٥ ـ فضائح الباطنية، تحقيق: عبدالرحمٰن بدوي (مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت).
ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي (ت٧٩٩هـ):
٩٦ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، (بيروت، لا. ت).
الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ).
٩٧ ـ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت، ١٩٨٧م).
القاري، علي بن سلطان (ت١٠٤٦هـ):
٩٨ ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)، تحقيق: محمد لطفي الصباغ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ).
٩٩ ـ شم العوارض في ذم الروافض، تحقيق: د.مجيد خلف (دار الصفوة، القاهرة، ٢٠٠٤م).
ابن قانع، أبو الحسين عبدالباقي بن قانع الأموي البغدادي (ت٣٥١هـ):
١٠٠ ـ معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي (مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ/٩٩٨هـ).
ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الكوفي المروزي (ت٢٧٦هـ):
١٠١ ـ تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار (دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م).
ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو أحمد بن محمد الدمشقي (ت٨٥١هـ):
١٠٢ ـ طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م).
القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ):
١٠٣ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: د.أحمد بكير محمود (مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م).
القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر (ت٤٥٤هـ):

١٠٤ ـ مسند الشهاب، تحقيق: حمدي السلفي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ):

١٠٥ ـ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني (دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م).

القزويني، عبدالكريم بن محمد الرافعي (ت٦٢٣هـ):

١٠٦ ـ التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م)

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ):

١٠٧ ـ البداية والنهاية (مكتبة المعارف، بيروت، لا. ت).

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور (ت٢٧٥هـ):

١٠٨ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة من الكتاب والسنَّة، تحقيق: د.أحمد بن سعد حمدان (دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ):

١٠٩ ـ سنن ابن ماجه، (دار الفكر، بيروت).

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي (ت٢٨٦هـ):

١١٠ ـ الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

المرغيناني، علي بن عبدالجليل (ت٥٩٣هـ):

١١١ ـ الهداية شرح البداية، (المكتبة الإسلامية، بيروت).

المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمٰن (ت٧٤٢هـ):

١١٢ ـ تهذيب الكمال، تحقيق: د.بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ):

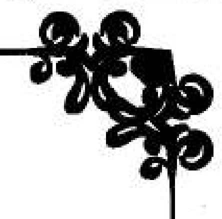
١١٣ ـ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت).

١١٤ ـ الكنى والأسماء، عبدالرحمٰن محمد أحمد القشقري (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ).

الملطي، محمد بن أحمد بن عبدالرحمٰن الشافعي (ت٣٧٧هـ):

١١٥ ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، (المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٧م).

المناوي، محمد بن عبدالرؤوف الحدادي (ت١٠٣١هـ):
١١٦ ـ فيض القدير (المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ):
١١٧ ـ لسان العرب (دار الصادر، بيروت، ١٩٩٠م).
الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ):
١١٨ ـ مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (دار المعرفة، بيروت).
ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق (ت٣٨٣هـ):
١١٩ ـ الفهرست (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
النسائي، أبو عبدالرحمٰن محمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ):
١٢٠ ـ سنن النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة (بيروت، ١٦٠٤هـ/١٩٨٤م).
١٢١ ـ السنن الكبرى، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ):
١٢٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
ابن هشام، عبدالملك بن هشام الذهلي (ت٢١٢هـ):
١٢٣ ـ السيرة النبوية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد (دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ):
١٢٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دار الريان، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
ابن أبي الوفاء، عبدالقادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي (ت٧٧٥هـ):
١٢٥ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (دار مير محمد كتب خانة، كراتشي).
ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ):
١٢٦ ـ معجم الأدباء، تحقيق: م. مرجليوث (القاهرة، ١٩٢٣م).
١٢٧ ـ معجم البلدان، (دار الفكر، بيروت، ١٩٥٧م).
أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ):
١٢٨ ـ مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، (دار المأمون، دمشق، ١٤٠٤هـ).
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت بعد سنة ٢٩٢هـ):
١٢٩ ـ تاريخ اليعقوبي (دار صادر، بيروت).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
تحليل مقدمة الكتاب	٨٤
المبحث الثاني: مصادر الكتاب	٨٧
أولاً: القرآن الكريم	٨٧
ثانياً: الحديث الشريف	٩١
ثالثاً: الكتب	٩٢
الفصل الرابع: مفهوم الفرقة عند كتّاب الملل والنحل	٩٥
المبحث الأول: الفرقة في الكتاب والسنة	٩٧
تعريف الفرقة	٩٧
الفرقة في القرآن الكريم	٩٩
الفرقة في السنة النبوية	١٠٠
المبحث الثاني: الفرقة عند كتّاب الملل والنحل	١٠٦
أبو الحسن الأشعري	١٠٦
عبد القاهر البغدادي	١١٠
ابن حزم الظاهري	١١٢
تباين مفهوم الفرقة	١١٥
المبحث الثالث: الفرقة عند شيخ الإسلام ابن تيمية	١١٦
حديث الافتراق	١١٦
نطاق الفرقة	١١٨
الفصل الخامس: مفهوم الفرقة عند الأسفراييني ومنهجه في عرض الآراء	١٢٣
المبحث الأول: مفهوم الفرقة عند الأسفراييني	١٢٥
الاختلاف والافتراق	١٢٥
نطاق الفرق	١٢٧
تفصيل مقالات الفرق	١٢٩
أولاً: فرق الشيعة	١٢٩
ثانياً: فرق الخوارج	١٣٢
ثالثاً: فرق المعتزلة	١٣٤
رابعاً: فرق المرجئة	١٣٨

الموضوع	الصفحة

قسم التحقيق

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة